بلوغ الأرب
فى
معرفة أحوال العرب

تأليف

السيد محمود شكرى الآلوسى

البغدادى

عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه

محمد بهجة الأثرى

الجزء الثانى

منشورات
أمين دمج
بيروت - لبنان

منشورات
دار الشرق العربى
بيروت - لبنان

بلوغ الأرب

في

معرفة أحوال العرب

بلوغ الأرب

في

معرفة أحوال العرب

تأليف

السيّد محمود شكري الآلوسي

البغدادي

عني بشرحه وتصحيحه وضبطه

محمد بهجة الأثري

الجزء الثاني — من ثلاثة أجزاء

منشورات
دار الشرق العربي
بيروت - لبنان

منشورات
أمين دمج
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على عوائد العرب فى الازدواج والتناكح أيام الجاهلية

كان النكاح فى الجاهلية على أنحاء (١) : فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطِبُ الرجل الى الرجل وليته أو(٢) ابنته فيُصْدِقُها (٣) أى يعين صداقها ويسمى مقداره ثم يعقد عليها ، وكانوا يخطبون المرأةَ الى أبيها أو أخيها أو عمها أو بعض بنى عمها ، وكان الخاطب يقول اذا أتاهم : أنعموا صباحاً (٤) . ثم يقول : نحن أكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا وكنا نصهركم حامدين ، وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين . فان كان قريب القرابة من قومه قال لها أبوها أو أخوها اذا حملت اليه : أيسرتِ وأذكرتِ ولا أنثتِ جعل الله منكِ عدداً وعزّاً وخلداً . احسنى خلقك ، واكرمى زوجك ، وليكن طيبك الماء .. واذا زوجت فى غربة قال لها : لا أيسرتِ ، ولا أذكرتِ ، فانك تدنين البعداء ، أو تلدين الأعداء . احسنى خلقكِ ، وتحببى الى أحمائك ، فان لهم عيناً ناظرةً اليك ، وأذناً سامعة اليك ، وليكن طيبك الماء . وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا المذهب فى النكاح ، فان الله تعالى استخصّ رسولَهُ من أطيب المناكح ، وحماه من دنس الفواحش ، ونقله من أصلابٍ طاهرة ، الى

---

(١) جمع نحو أى ضرب وزناً ومعنى ، ويطلق النحو أيضاً على الجهة والنوع وعلى العلم المعروف اصطلاحاً (٢) أو هنا للتنويع لا للشك (٣) قوله يصدقها بضم أوله والصداق بفتح الصاد وكسرها مأخوذ من الصدق لاشعاره بصدق رغبة الزوج فى الزوجة وفيه سبع لغات ، وله ثمانية أسماء يجمعها قوله :

صداق ومهر نحلة وفريضة حِباء وأجر ثم عقر علائق

(٤) راجع باب تحية ملوك العرب في الجاهلية فى هذا الجزء

أرحام طاهرة ، واستخلصه من أكرم العناصر ، وأمده بأوكد الأواصر [1] ، حفظاً لنسبه من قدح ، ولمنصبه من جرح ، لتكون النفوسُ له أوطا ، والقلوب له أصغى ، فيكون الناس الى اجابته أسرع ، ولأوامره أطوع . ومنها :

(نكاح آخر) كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طَمْثِها — أى حيضها — أرسلى الى فلان فاستبضعى منه — أى اطلبى منه الجماع — لتحملى منه . والمباضعة : المجامعة مشتقة من البضع وهو الفرج . ويعتزلها زوجها ، ولا يمسها أبداً حتى يتبينَ حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه فاذا تبين حملها أصابها زوجها اذا أحب ، وانما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد أى اكتساباً من ماء الفحل ، لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم فى الشجاعة أو الكرم أو غير ذلك ، وكان السر فى كون ذلك بعيد الطهر أن يسرع علوقها منه ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع . ومنها :

(نكاح آخر) يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يُصيبها أى يطؤها وذلك انما يكون عن رضى منها وتواطُؤٍ بينهم وبينها ، فاذا حملت ووضعت ومرَّ ليالٍ بعد أن تَضَعَ حملَها أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذى كانَ من أمركم وقد ولدتُ فهو ابنكَ يا فلان تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنعَ به الرجل . قيل : هذا ان كان ذكراً ، والا فلا تفعلِ ذلك لما عرف من كراهتهم فى البنت وقد كان منهم من يقتل بنته التى يتحقق أنها بنت فضلا عمن تجيء بهذه الصفة . ومنها :

(نكاح) يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كنَّ ينصبن على أبوابهن راياتٍ تكون عَلَماً فمن أرادهن دخل عليهن ، فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة [2] ثم ألحقوا ولدها بالذى

(١) جمع آصرة وهى الرحم والقرابة والمنة (٢) جمع قائف بقاف ثم فاء وهو الذى يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية

برون فالتاطته به (١) ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك . وقد ساق هشام ابن الكلبي في (كتاب المثالب) أسامىَ صواحباتِ الرايات فى الجاهلية فسمى منهن أكثر من عشر نسوة مشهورات . منهن امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح فى الجاهلية فأراد بعض الصحابة أن يتزوجها فنزل النهى عن ذلك بقوله تعالى « الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك »(٢) . ومنها

(نكاح الخدن) وهو المشار اليه بقوله تعالى « محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان » (٣) كانوا يقولون ما استتر فلا بأس به وما ظهر فهو لوم . ومنها :

(نكاح المتعة) وهو تزويج المرأة الى أجل فاذا انقضى وقعت الفرقة . ومنها :

(نكاح البدل (٤)) وهو أن يقول الرجل للرجل . انزل لى عن امرأتك وانزل لك عن امرأتى . ومنها :

(نكاح الشغار) وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق وغير البنات من الاخوات وبنات الأخ وغيرهن كالبنات فى ذلك ، فذكر البنت فى تفسير الشغار مثال

---

(١) فى رواية الكشميهنى فالتاط بغير مثناة أى استلحقته به ، وأصل اللوط بفتح اللام اللصوق

(٢) قلت : ومنهن أيضاً عناق وكانت صديقة مرثد فى الجاهلية وكان رجلا شديدا وكان يقال له دلدل وبعد أن أسلم لقى صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا ، وسريفة جارية زمعة بن الاسود ، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤى ، وأم عليط جارية صفوان بن أمية ، وحنة القبطية جارية العاصى بن وائل ، ومرية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وحلالة جارية سهيل بن عمرو ، وأم سويد جارية عمرو ابن عثمان المخزومى ، وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر

وهؤلاء البغايا لسن من قريش ولا من صميم العرب بل هن من الاماء السوافط يدل عليه قوله تعالى : (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) لان الفتيات فى عرف القرآن لا تطلق الا على الاماء ، يدل عليه قوله تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) ولو وجد بغى بين حرائر العرب لما خص النهى عن البغاء بالاماء فتخصيص النهى بالاماء يدل على ان البغاء لم يكن بين حرائر العرب وان انفة العرب عن بغاء الحرائر قد أغنى عن نزول النهى عنه ، والتفصيل فى ردنا على كتاب المثالب لابن الكلبي الزنيم (٣) أى أصدقاء وأحدهم خدن (٤) أخرجه الدارقطنى من حديث أبى هريرة ولكن اسناده ضعيف جداً كما ذكر الحافظ العسقلانى في الفتح

مقاصد العرب من الزواج

لم تزل العرب تجتذب البعداء ، وتتألف الأعداء ، بالمصاهرة حتى يرجع المنافر موانساً ، ويصير العدو موالياً ، وقد يصير للصهر بين الاثنين الفة بين القبيلتين ، وموالاة بين العشيرتين ، وانما كانت سبباً من أسباب الالفة لأنها استحداث مواصلة وتمازج مناسبة صدرا عن رغبة واختيار ، انعقدا على خير وايثار ، فاجتمع فيها أسباب الالفة ومواد المصاهرة · حكى عن خالد بن يزيد (١)

(١) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف — كان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه ، وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف

ولما قتل ابن الزبير حج خالد بن يزيد بن معاوية فخطب رملة بنت الزبير بن العوام فأرسل اليه الحجاج حاجبه عبيد الله بن موهب وقال له : ما كنت أراك تخطب الى آل الزبير حتى تشاورني وكيف خطبت الى قوم ليسوا لك بأكفاء وكذلك قال جدك معاوية وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيحة وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة ، فنظر اليه خالد طويلاً ثم قال له : لولا انك رسول والرسول لا يعاقب لقطعتك ارباً ارباً ثم طرحتك على باب صاحبك ، قل له : ما كنت أرى ان الامور بلغت بك الى أن أشاورك في خطبة النساء ، وأما قولك لي : قارعوا أباك وشهدوا عليه بكل قبيح ، فانها قريش يقارع بعضها بعضاً ، فاذا أقر الله عز وجل الحق قراره كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم ، وأما قولك : انهم ليسوا بأكفاء فقاتلك الله يا حجاج ما أقل علمك بأنساب قريش أيكون العوام كفؤاً لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ولا تراهم أهلاً لابي سفيان ، فرجع الحاجب اليه فأعلمه ، وقال عمرو بن شبة في خبره : قال خالد بن يزيد بن معاوية فيها :

أليس يزيد السير في كل ليلة ... وفي كل يوم من أحبتنا قربا
أحن الى بنت الزبير وقد علت ... بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا
اذا نزلت أرضاً تحبب أهلها ... الينا وان كانت منازلها حربا
وان نزلت ماء وان كان قبلها ... مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى ... لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا
أقلوا علي اللوم فيها فانني ... تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بني العوام طراً لحبها ... ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

قال أبو زيد وزادوا في الابيات :

فان تسلمي نسلم وان تتنصري ... يخط رجال بين أعينهم صلبا

فقال له عبد الملك تنصرت يا خالد قال وما ذاك ؟ فأنشده هذا البيت فقال له خالد : على من قاله ومن نحلنيه لعنة الله (راجع الاغاني ج ١٦ ص ٨٤ الخ)

انه قال : كان أبغض خلق الله عز وجل الى آل الزبير حتى تزوجت منهم (رملة) فصاروا أحب خلق الله عز وجل إليّ . وفيها يقول :

أُحبُّ بنى العوّام طراً لأجلها ومن أجلها أحببتُ اخوالَها كلبا

فان تُسلمى نُسلِمْ وان تتنصرى يخطّ رجالٌ بين أعينهم صُلبا

ولذلك قيل: المرء على دين زوجته لما يستنزله الميل إليها من المتابعة ويجتذبه الحب لها من الموافقة ، فلا يجد الى المخالفة سبيلا ، ولا الى المباينة والمشاقة طريقا . ولما فى النكاح من حصول الالفة أكثرت العرب من النساء ، وكان عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تسع نسوة . والذى تحصل من كلام أهل العلم فى الحكمة فى سبب استكثاره من النساء عشرة أوجه . أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفى عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك . ثانيها : لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم ، ثالثها : للزيادة فى تألفهم لذلك . رابعها . للزيادة فى التكليف حيث كلف أن لا يشغله ماحبب إليه منهن عن المبالغة فى التبليغ . خامسها : لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه . سادسها : نقل الاحكام الشرعية التى لايطلع عليها الرجال لان أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله . سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه ، وصفيةَ بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يكن أكمل الخلق فى خلقه لنفرن منه بل الذى وقع انه كان أحب اليهن من جميع أهلهن . ثامنها : لاظهار المعجزة البالغة فى خرق العادة فى كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب ، وكثرة الصيام والوصال ، وقد أمر من لم يقدر على مُؤَن النكاح بالصوم ، وأشار الى أن كثرته تكسر شهوته ، فانخرقت هذه العادة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم . تاسعها . للدلالة على كمال بشريته ، والعرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية . عاشرها : إن ذلك زاده عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن ، واكتسابه

لهن وهدايته لهن ، ولم ينصف من نقد فى هذا الأمر فانه لم يكن بِدْعاً[1] من الرسل فى ذلك فان التزوج لا ينافى النبوة وأن الجمع بينهما قد وقع فى رسل كثيرة قبله . ذكر أنه كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وانه كان لداود عليه السلام مائة امرأة .

ومن مقاصدهم فى الزواج

القيام بما يتولاه النساء من تدبير المنازل فهذا وان كان مختصاً بمعاناة النساء فليس بالزم حالى الزوجات لانه قد يجوز أن يعانيَهُ غيرهن من النساء ، ولذلك قيل : المرأةُ ريحانة ، وليست بقهرمانة[2] . وليس فى هذا القصد تأثير فى دين ولا قدح فى مروة ، والاحمد فى مثل هذا التماس ذوى الاسنان والحنكة فمن قد خبرن تدبير المنزل وعرفن عادات الرجال فانهن أقوم بهذه الحال ، وقد يكون المقصود به الاستمتاع وهذه الحال مذمومة لانه ينقاد فيه لأخلاقه البهيمية ويتابع شهوته الذميمة ، وقد قال الحارث بن النضر الازدى : شر النكاح نكاح الغلمة الا أن يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالاضعاف لها عند الغلبة أوتسكين النفس عند المنازعة حتى لا تطمح له عينٌ لريبة ، ولا تنازعه نفس الى فجور ، ولا يلحقَه فى ذلك ذم ، ولا ينالهُ وَصْمٌ[3] ، وهو بالحمد أجدر ، وبالثناء أحق . ولو تنزه فى مثل هذه الحال عن استبدال الحرائر إلى الاماء كان أكمل لمروته ، وأبلغ فى صيانته . وهذه الحال تَقِفُ على شهوات النفوس لا يمكن أن يرجح فيها أولى الامور ، وهى أخطر الأحوال بالمنكوحة لأن للشهوات غايات متناهية يزولُ بزوالها ما كان متعلقاً بها ، فتصير الشهوة فى الابتداء ، كراهيةً فى الانتهاء ولذلك كرهت العرب فى الجاهلية البنات ، ووأدتهن[4] اشفاقاً عليهن وحميةً

(١) يقال فلان بدع فى هذا الامر : أى هو أول من فعله ، وفى التنزيل « قل ما كنت بدعاً من الرسل » أى ما أنا أول من جاء بالوحى من عند الله ، وتشريع الشرائع بل أرسل الله تعالى الرسل قبلى مبشرين ومنذرين فأنا على هداهم (٢) القهرمانة : بلغة الفرس القائمة بأمر الرجل (٣) الوصم : العار (٤) وأد بنته يئدها : دفنها حية

لهن من أن يبتذلهن اللئام بهذه الحال . وكان من تحوّب [١] من قتل البنات لرقة ومحبة كان موتهن أحبّ اليه ، وآثر [٢] عنده ولما خطب الى عقيل بن علقمة ابنته الجرباء قال : إني وان سيق اليّ المهر ألف وعُبدان وذَوْد [٣] عشر أحب اصهاري اليّ القبر . وقال عبد الله بن طاهر

لـكل أبي بنت يراعي شؤنها ثلاثة أصهار اذا حُمِدَ الصهر [٤]
فبَعْلٌ يُراعيها وخِدْرٌ يُكنّها وقبرٌ يواريها وأفضلُها القبر [٥]

ومن مقاصدهم

التناسل والتوالد فقد كانت العرب ترغب فى النكاح لطلب الولد وتقول من لايلد لاولد . ولذلك كانوا يلتمسون الحداثة والبكارة لأنها أخص بالولادة وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : عليكم بالابكار فانهن أعذب أفواهاً وأنتقُ أرحاماً وأرضى باليسير ومعنى قوله « انتق أرحاماً » أى أكثر أولاداً . وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : عليكم بالابكار فانهن أكثر حباً وأقل خبا . وهذه الحال هى أولى الاحوال ، لان النكاح موضوع لها والشرع وارد بها ، وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : سوداء ولود خير من حسناء عاقر . وقد كان العرب يختارون لمثل هذه الحال انكاح البعداء والاجانب ويرون أن ذلك أنجب للولد وأبهى للخلقة ويجتنبون انكاح الأهل

(١) التحوب : التأثم من الشيء (٢) أى أفضل (٣) عبدان جمع عبد وهو المملوك ، والذود : من الابل ما بين الثلاث الى العشر ، والذود مؤنثة لانهم قالوا ليس في أقل من خمس ذود صدقة والجمع أذواد مثل ثوب وأثواب (٤) الاصهار جمع صهر ، قال الخليل : هو أهل بيت المرأة ، قال : ومن العرب من يجعل الاحماء والاختان جميعاً أصهاراً ، وقال الازهرى : الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة وأولادهم والاعمام والاخوال والخالات فهؤلاء أصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً ، وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم

(٥) البعل : الزوج ، والخدر : الستر يطاق على البيت ان كان فيه امرأة والا فلا ، ويكنها بضم الياء يسترها ، ويواريه مواراة : ستره

والاقارب ويرونه مضراً بخلق الولد بعيداً من نجابته . ويقولون ان ولد الغيرى لاينجب وأنّ أنجب النساء الفروك [1] لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجال ، ويزعمون أن تقارب الانساب مدح فى الابل لانه انما يكون فى الكرايم يحمل بعضها على بعض حفظاً لنوعها وهو ذم للناس لانه فيهم سبب للضعف . وفى الحديث : اغتربوا لاتُضْوُوا . أى ان تزوج القرائب يوقع الضَوَى فى الولد والضَوَى بالضاد المعجمة بوزن الهوى مصدر ضَوِى بالكسر يضْوَى بالفتح بمعنى الضعف والهزال ، ولذلك يمدحون بضد ذلك كقول راجزٍ :

إنّ بلالاً لم تشنه أمه لم يتناسب خاله وعمه

وقول شاعر

فتًى لم تلده بنتُ عم قريبة فَيَضْوَى وقد يَضْوَى رذيلُ الاقارب

وقال آخر

تجاوزتُ بنت العم وهى حبيبةٌ مخافةَ أن يضْوَى علىّ سليلى

ومن هذا القبيل ما يحكى عن العرب أيضاً أن الهجينَ مدحٌ فى الابل وذم فى الادميين لان معناه فى الابل كرم الابوين ، وفى الآدميين أن يكون الأب عربياً والأم أمَةً ، يقال منه رجل هجين وان كان الامر بالعكس قيل : رجل مُقْرِفٌ وفَلَنْقَس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف ، قال الراجز :

العبدُ والهجين والفلنقسُ ثلاثةٌ فايهم تلتمسُ

وقال الشاعر

كم بجودٍ مقرفٌ نال الغنى وكريم بُخْلُهُ قد وضعَهْ

وقالوا : ان الرجل اذا أكره المرأة وهى مذعورة ثم اذكرت انجبت .

---

(١) هى التى تبغض الرجل ، قال القطامي :

لها روضة فى القلب لم يرع مثلها فروك ولا المستعبرات الصلائف

قال أبو كبير الهذلي

وَلقد سَرَيْتُ على الظلام بِمَغْشَمٍ … جَلْدٍ من الفتيان غير مُثَقَّلِ (١)

ممن حَمَلْنَ به وهنَّ عواقِدٌ … حُبُكَ النِطاقِ فشبَّ غيرَ مُهَبَّلِ (٢)

حَمَلَتْ به فى ليلةٍ مزؤودةٍ … كُرْهاً وعَقْدُ نِطَاقها لم يُحْلَلِ (٣)

فاتت به حُوشَ الفؤاد مُبَطَّناً … سُهُداً اذا ما نامَ ليلُ الهَوْجَلِ (٤)

ومُبَرَّأٍ من كل غُبَّرِ حَيْضَةٍ … وفسادِ مُرْضعةٍ وداءٍ مُغْيِلِ (٥)

واذا نَبَذْتَ له الحصاةَ رأيتَهُ … يَنْزُو لوقعتها طُمُورَ الأَخْيَلِ (٦)

واذا يَهُبُّ من المنام رأيتَهُ … كرُتُوبِ كعبِ الساقِ ليس بزُمَّلِ (٧)

ما انْ يَمَسُّ الارضَ الا منكِبٌ … منه وحرفُ الساقِ طيَّ المِحْمَلِ (٨)

واذا رميتَ به الفِجاجَ رأيتَهُ … يهوى مخارِمَها هُوِيَّ الأَجْدَلِ (٩)

واذا نظرتَ الى أَسِرَّةِ وَجهِهِ … برَقَتْ كبرقِ العارضِ المتهلِّلِ (١٠)

---

(١) يقال سريت بمعنى سرت ، وعلى الظلام أى فى الظلام ، والمغشم : من يرتكب الامور على غير نظر فيها ، والمثقل : الثقيل على النفوس (٢) الحبك : الطرائق ، والنطاق من ملابس النساء ، والمهبل : المدعو عليه بالهبل بفتح الباء وهو ان تفقده أمه (٣) الزؤد : الفزع ونسبه الى الليلة لوقوعه فيها ، وأظهر التضعيف فى لم يحلل وهو فى لغة تميم ووجه الكلام لم يحل (٤) حوش الفؤاد : أى ذكى الفؤاد ، والمبطن الخميص البطن ، والسهد : من السهاد وهو السهر ، والهوجل : الثقيل الكسلان ، وقيل الاحمق لا مسكة به ، وجعل الفعل لليل لانه يقع به (٥) قوله غبر حيضة أى بقايا حيضة ، والمغيل من الغيلة بكسر الغين وهو أن تغشى المرأة وهي ترضع (٦) قوله ينزو : أى يثب ، والطمور : الوثوب من علو الى أسفل ، والاخيل : طائر قيل هو الشاهين (٧) الهبوب : الانتباه من النوم ، ورأيته أى رأيت رتوبه فحذف المضاف والرتوب القيام والانتصاب ، والزمل : الضعيف (٨) ان زيد لتوكيد النفى ، وطى المحمل انتصب على المصدر دل عليه ما قبله لانه لما قال يمس الارض منه اذا نام جانبه وانه حرف الساق علم انه مطوى غير سمين ، والمعنى انه اذا نام لا ينبسط على الارض ولا يتمكن منها بأعضائه كلها حتى لا يكاد يتشمر عند الانتباه بسرعة ، والمحمل : حمالة السيف (٩) الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع فى جبل أو غيره ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ، والاجدل : الصقر وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همم اذا نيطت به الصعاب ذللها

(١٠) أسرة وجهه أى خطوط جبهته ، والعارض من السحاب ما يعرض فى جانب السماء ، والمتهلل المتلألئ بالبرق ، وروى فى الحماسة بعد هذا بيتاً وهو :

صعب الكريهة لا يرام جنابه … ماضي العزيمة كالحسام المقصل

الكريهة اسم للحرب والجناب الفناء والحسام السيف والمقصل القطاع

يحمى الصحابَ اذا تكون كريهةٌ   واذا هُمُ نزلوا فمأوى العُيَّلِ (١)

وقد ذكر التبريزى قصة هذه الابيات وتفسير ألفاظها فى شرح الحماسة (٢) ومقصود الهذلى وصف ربيبه تأبط شراً بأنه جمع جميع أوصاف الرجال المحمودة ومعنى قوله ممن حملن به الخ انه من الفتيان الذين حملتهم أمهم وهن غير مستعدات للفراش فنشأ محموداً مرضياً لم يدع عليه بالهَبَل والثكل . وحكى عن بعضهم : إذا أردت أن تنجب المرأة فاغضبها عند الجماع ، ولذلك يقال فى ولد المذعورة أنه لا يطاق .

قال الشاعر

تسنمتُها غَضْبى فجاء مُسَهَّداً   وأنفع أولاد الرجالِ المسهدُ

وقال المبرد فى الكامل : يقال أنجب الأولاد ولد الفارك وذلك لأنها تبغض زوجها فيسبقها بمائه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد ذكراً . وقال بعض الحكماء من العرب : اذا أردت أن تنجب المرأة فاغضبها ، ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير : وأنشد البيتين ، والنطاق بكسر النون شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة والاسفل ينجر الى الأرض . ومعنى قوله : حملت به فى ليلة مزؤدة ؛ أى فى ليلة ذات زؤد وهو الفزع المستوجب لعدم ميل النساء للجماع لانكسار سورة شهوتهن اذ ذاك

(١) الصحاب الاصحاب ، والعيل جمع عائل وهو الفقير ههنا يصفه بأنه شجاع كريم (٢) أقول أما شرحها فقد كتبناه لك بعبارة موجزة سهلة ، وأما قصتها فهى : ان الهذلى تزوج أم تأبط شراً وكان صغيراً فلما رأى أبا كبير يكثر الدخول على أمه تنكر له وعرف ذلك أبو كبير فى وجهه فقال أبو كبير لامه ويحك قد والله رابنى أمر هذا الغلام ولا آمنه فلا أقربك ، قالت فاحتل عليه حتى تقتله ، فقال له ذات يوم هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذاك من أمرى ، فخرجا ليلا حتى اذا أدركهما مساء اليوم الثانى أبصرا ناراً يعرف أبو كبير أنها نار أعداء لتأبط شراً فوجهه اليها فرأى عليها رجلين من ألص العرب فوثبا اليه يريدان قتله فلما كان أحدهما أقرب اليه من الآخر عطف عليه فقتله ورجع الى الآخر فرماه أيضاً فقتله ثم جاء الى نارهما فأخذ الخبز وجاء الى أبى كبير فألح عليه حتى أخبره بالخبر فخاف أبو كبير منه فلما رجعا قال : ان أم هذا الغلام لا أقربها أبداً وقال هذه الابيات

فلا يكون لهن فى الولد حظ كامل ، ويكون كمال الشهوة لابيه ، فيكتسب بذلك اتمام خصال الرجولية . وفائدة ذكر الليلة أن تكون بدأت بحمله ليلا وهو أنجب له وصاحبه يوصف بالشجاعة وقد دعاهم ذلك الى أن وصلوا أنسابهم بالليل تحققاً به . قال :

أنا ابنُ عم الليل وابنُ خاله   اذا دجا دخلتُ فى سرباله

* لست كمن يَفْرَقُ من خياله(١) *

فتبين أن العرب كانت غاية مقاصدهم ومرمى نظرهم من الزواج التناسل والاولاد لا قضاء الشهوة الحيوانية ولذلك تتبعوا الاسباب الباعثة على نجابة ذراريهم

مايستحسن من المرأة لدى العرب خَلقاً وخُلقاً

اعلم ان العرب كانوا يكرهون الجمال البارع اما لما يحدث عنه من شدة الادلال وقد قالوا : من بسطه الادلال ، قبضه الاذلال ، واما لما يخاف من محنة الرغبة وبلوى المنازعة . وقد حكى : ان رجلا شاور حكيما فى التزوج فقال له : افعل واياك والجمالَ البارع فانه مرعى أنيق فقال الرجل وكيف ذلك ؟ قال : كما قال الاول :

ولن تصادفَ مرعى مُمرعا أبداً   الا وجدتَ به آثارَ منتجَعِ(٢)

واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقاه الحازم من سوء عواقب الفتنة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه امرأة تقول :

ان النساء رياحين خُلِقْنَ لكم   وكلكم يشتهى شم الرياحينِ

فقال رضى الله تعالى عنه :

ان النساء شياطين خُلِقْنَ لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

وان كان العقد رغبة فى الجمال فذلك أدوم للالفة من المال لان الجمال صفةٌ

---

(١) دجا الليل : أظلم ، والسربال فى الاصل ما يلبس من قميص أو درع ، وفرق كفرح يفرق فزع (٢) الممرع : الخصيب ، والمنتجع : المنزل فى طلب الكلاء

لازمة والمال صفةزائلة . ولذلك قيل : حسن الصورة أولى السعادة . وفي الحديث: أعظم النساء بركةً أحسنهن وجهاً وأقلهن مهراً ، فان سلمت الحال من الادلال ، المفضى الى الملال ، استدامت الالفة ، واستحكمت الوصلة « أما محاسن خلقها » فان تكون شابة حسنة الخلق جميلة الوجه حسنة المعرى والقد ، لينة القصب لم يركب بعض لحمها بعضاً لطيفة البطن ، لطيفة الكشحين[١] . لطيفة الخصر[٢] مع امتداد القامة طويلة العنق . في اعتدال وحسن ، عظيمة الوركين والعجيزة ممتلئة الذراعين والساقين . رقيقة الجلد . ناعمة البشرة . كأن الماء يجرى في وجهها طيبة الريح . طيبة الفم . طيبة ريح الأنف . طيبة الخلوة . لعوباً ضحوكا . تامة الشعر . لم يكن لمرفقها حجم

« وأما محاسن أخلاقها » فان تكون حَيِيّةً منخفضةَ الصوت محبةً لزوجها متحببةً اليه نفوراً من الريبة تجتنب الأقذار عاملة اليدين خفيفتهما في العمل ولودا ، « وعن أبي دريد » قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال وصف اعرابي نساء فقال : يلتثمن على السبائك[٣] ويَتّشِحْنَ على النيازك[٤] ، ويأتزِرْن على العوانك[٥] ، ويرتفعن على الارائك[٦] ، ويتهادَيْنَ على الدرانك[٧] ، ابتسامهن وميض[٨] ، عن وليع كالاغريض[٩] ، وهن الى الصبا صُور[١٠] ، وعن الخنا نُور[١١] « وعن أبي دريد » أيضاً بسنده الى أبي عمرو بن العلاء قال : كان لرجل من مقاول[١٢] حمير ابنان يقال لاحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في العلم

(١) الكشح : كفلس ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف (٢) الخصر من الانسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين (٣) اللثام على الفم واللفام على طرف الانف يقال تلثمت المرأة وتلفمت المرأة ، والسبائك ههنا الاسنان شبهها لبياضها بالسبائك (٤) يتشحن : يتقلدن ، والنيازك واحد نيزك وهو الرمح القصير (٥) واحدها عانك وهو رمل منعقد يشقى فيه البعير لا يقدر على السير فيقال حينئذ قد اعتنك (٦) السرر واحدها أريكة ، وقال قوم الفرش (٧) واحدها درنوك وهو الطنفسة ، ويتهادين : يمشين مشياً ضعيفاً ، قال الاعشى

تهادى كما قد رأيت البهيرا

(٨) اللمعان الخفي (٩) الاغريض والوليع : الطلع (١٠) أى موائل ومنه قيل للمائل العنق أصور والصبا جهلة الفتوة (١١) أى نفر من الريبة واحدها نوار ، والخنا : الفحش (١٢) جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس دون الملك

والادب ، ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء ، دعاها ليبلوَ عقولها ويَعْرِفَ مبلغَ علمهما فلما أتياه سألها عن أشياء فأحسنا فى الجواب عنها . ولعلنا نورد كل سؤال مع جوابه فيما يناسبه من مباحث الكتاب ومطالبه . وقد سألها عن حال النساء فقال : اخبرنى ياعمرو أىّ النساء أحب إليك ، قال الهِرْكَوْلَةُ اللفّاء[1] ، المكورة الجيْدَاء[2] ، التى يشفى السقيم كلامها ، ويبرى الوصِب[3] المامُها ، التى ان احسنتَ اليها شكَرَتْ ، وإن اسأت اليها صبرَتْ ، وان استعتبتَها أعتَبَتْ ، الفاترة الطَرْف ، الطفلة الكف[4] ، العميمة الردف[5] . قال : ماتقول يا ربيعة ؟ قال : نَعَتَ فأحسَنَ وغيرُها أحبُّ الىَّ منها . قال : ومن هى ؟ قال : الفتانة العينين ، الأسيلة الخدين[6] ، الكاعب الثديين[7] الرَداح الوَرِكين[8] ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام[9] ، الجمَّاء العظام[10] ، الكريمة الاخوال والاعمام ، العَذْبة اللثام[11] . وقال رجل من العرب لآخر وقد أراد أن يتزوج : خذ ملساء القدمين ، لفّاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين[12] ، ناهدة الثديين ، حمرآء الخدين ، كحلاء العينين ، زجاء الحاجبين[13] ، لمياء[14] الشفتين ، بلجاء الجبين[15] شماء العرنين[16] ، شنباء[17] الثغر ، مُحلَوْلِكة الشعر[18] ، غيداء العنق[19] . مكسرة البطن . . وقد وصف

---

(١) الهركولة كبرذونة الحسنة الجسم والخلق والمشية ، واللفاء الملتفة الجسم (٢) المكورة : المطوية الخلق ، والجيداء : الطويلة العنق أو دقيقتها مع طول (٣) المريض (٤) الطفل الناعم من كل شىء (٥) العمم عظم الخلق فى الناس وغيرهم ، وردف المرأة : عجزها

(٦) الاسيل من الخدود : الطويل المسترسل (٧) هى التى تنأ ثديها (٨) هى الثقيلة العجيزة الضخمة الوركين (٩) هى اللينة الكلام ، قال ذو الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

(١٠) هى التى لا يوجد لعظمها حجم بمنزلة الجماء من البقر (١١) أراد موضع اللثام فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (١٢) أى ناعمتها (١٣) هى الدقيقة الحاجبين فى طول (١٤) هى التى فى شفتيها سمرة أو شربة سواد (١٥) البلج : نقاوة ما بين الحاجبين

(١٦) الشمم : ارتفاع الانف ، والعرنين من كل شىء أوله ومنه عرنين الانف لاوله وهو ماتحت مجتمع الحاجبين وهو موضع الشمم (١٧) هى التى فى أسنانها رقة وعذوبة أو فيها حدة تراها كالمنشار (١٨) المحلولك : الشديد السواد (١٩) أى مائلة العنق

المنذر الأكبر جارية أهداها الى كسرى أنو شروان فقال فى كتابه له انى قد وجهت الى الملك جارية معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء وطفاء [١] ، كحلاء ، دعجاء [٢] ، حوراء [٣] ، عيناء [٤] ، قنواء [٥] ، شماء [٦] ، برجاء [٧] ، رجاء [٨] ، أسيلة الخد ، شهية المقبل ، جثلة الشعر [٩] ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القُرط [١٠] ، عيطاء [١١] ، عريضة الصدر ، كاعب الثدى ، ضخمة مُشاش [١٢] المنكب والعضد ، حسنة المِعْصم [١٣] ، لطيفة الكعب والقدم ، قَطُوف المشى [١٤] مِكْسال الضحى ، بضة المُتَجرّد [١٥] سموعٌ للسيد ، ليست بخنساء [١٦] ولا سفعاء [١٧] رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغذَّ فى بؤس ، رزينة ، حليمة ، ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها ، دون فصيلتها [١٨] ، وتستغنى بفصيلتها ، دون جمّاع قبيلتها [١٩] ، قد أحكمتها الأمور فى الأدب ، فرأيها رأى أهل الشرف ،

---

(١) هى الكثيرة شعر الحاجبين والعينين (٢) هي الشديدة سواد العين مع سعتها
(٣) في مختصر العين ولا يقال للمرأة حوراء الا للبياض مع حورها (٤) أى حسنة العينين واسعتهما (٥) بينة القنا والقنا ارتفاع أعلى الانف واحديداب وسطه وسبوغ طرفه أو نتو وسط القصبة واشراقه وضيق المنخرين من غير قبح ، وفي صفته صلى الله عليه وسلم كان أقنى العرنين ، وفى قصيدة كعب

قنواء فى ضرتيها للبصير بها عتق مبين وفى الخدين تسهيل

(٦) مر تفسيره قريباً (٧) البرج محركة أن يكون بياض العين محدقاً بالسواد كله
(٨) هى التى يترجرج كفلها أى يضطرب (٩) أى كثيرته وغليظته (١٠) القرط الشنف أو المعلق فى شحمة الاذن ويقال ان أول من استعمل لفظ القرط فى نظمه هو عمرو ابن ابى ربيعة ، حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل أبوها واما عبد شمس وهاشم

وادعى بعضهم انه من مخترعات امرئ القيس ولم نعثر عليه فى شعره والله أعلم
(١١) هى الطويلة العنق (١٢) المشاش : رؤوس العظام الممكنة المضغ (١٣) كمنبر موضع السوار من الساعد (١٤) القطوف التى تعجل سيرها مع تقارب الخطو
(١٥) البضاضة : نعومة البدن ورقة الجلد ، وفى القاموس وشرحه للزبيدى : امرأة بضة الجردة والمجرد والمتجرد أى بضة عند التجرد والمتجرد على هذا مصدر فان كسرت الراء أردت الجسم ، وفى التهذيب : امرأة بضة المتجرد اذا كانت بضة البشرة اذا جردت من ثوبها ، انتهى باختصار (١٦) الخنساء هى التى انخفضت قصبة أنفها (١٧) هى التى فى خديها سواد وشحوب (١٨) الفصيلة من الرجل عشيرته ورهطه الادنون أو أقرب آبائه اليه
(١٩) جماع الناس كرمان أخلاطهم من قبائل شتى ومن كل شيء مجتمع أصله وكل ما تجمع وانضم بعضه الى بعض

وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفين[1] ، قطيعة اللسان[2] ، رهوة الصوت[3] ساكنة تزين الولى ، وتشين العدو ، ان أردتها اشتهت ، وان تركتها انتهت ، تحملق[4] ، عيناها ، وتحمر وجنتاها ، وتدبدب شفتاها[5] ، وتبادرك الوثبة اذا قمت ولا تجلس الا بأمرك اذا جلست .. وأحسن ما رأيت من وصف النساء خلقاً وخُلقاً ما ذكره كثير من أئمة الأدب ومنهم الميدانى فى كتابه مجمع الأمثال عند قولهم (ما وراءكِ ياعصام) . قال : قال المفضل ؛ أول من قال ذلك الحارث ابن عمرو ملك كندة [6] ، وذلك انه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم ، وكمالها ، وقوة عقلها ، دعا امرأةً من كندة يقال لها عِصام ذاتَ عقل ولسان وأدب ، وقال لها : اذهبى حتى تعلمى عِلْمَ ابنة عوف فمضت حتى انتهت الى أمها وهى امامة بنت الحارث فأعلمتها ما قدمت له فأرسلت الى ابنتها ، وقالت : أىْ بُنَيّة هذه خالتك أتتك لتنظر اليك ، فلاتسترى عنها شيئاً ان أرادت النظر من وجه أو خُلُقٍ وناطقيها ان استنطقتك فدخلت اليها ، فنظرت الى مالم ترَ مثله قط ، فخرجت من عندها وهى تقول (ترك الخداع ، من كشف القناع) فأرسلتها مثلا . ثم انطلقت الى الحارث فلما رآها مقبلة قال : ماوراءكِ ياعصام ؟ قالت : صَرَّح المحضُ عن الزُبْدِ [7] ، رأيت جبهة كالمرآة المصقولة ، يَزِينها شعر حالك كأذناب الخيل ، ان

---

(١) امرأة صناع اليدين كسحاب حاذقة ماهرة بعمل اليدين (٢) أى غير سليطة (٣) من الرهو وهو السكون (٤) حملق فتح عينيه ونظر شديداً (٥) الدبدبة هو ان يسمع الرجل ولا يدرى مايقول يعنى أنها اذا تكلمه لا يسمع صوتها ولا يدرى ماتقول من حيائها (٦) وقيل ان المثل على التذكير ، وقائله النابغة الذبيانى قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان وكان مريضاً وقد ارجف بموته فقال :

فانى لاالومك فى دخول ولكن ماوراءك ياعصام

يقول لست ألومك بمنعك اياى من الدخول ولكن أعلمنى حقيقة خبره ، ويجوز أن يكون أصل المثل ماذكر اولا ثم اتفق الاسمان فخوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث كما فى فرائد اللآل (٧) صرح الشىء بالضم صراحة وصروحة خلص من متعلقات غيره فهو صريح ، ومخضت اللبن مخضاً اذا استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه فهو مخيض فعيل بمعنى مفعول ، والزبد كقفل مايستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم وأما لبن الابل فلا يسمى ما يستخرج منه زبداً بل يقال له جباب والزبدة أخص من الزبد

أرسلته خِلْتَهُ سلاسل، وان مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل (١) ، وحاجبين كأنما خُطّا بقلم ، أوسُوِّدا بحُمَم (٢) ، تقوّسا على مثل عين الظبية العَبْهَرة (٣) ، بينهما أنف كحد السيف الصنيع (٤) ، حفّتْ به وجنتان ، كالأرْجُوان (٥) ، فى بياض كالجُمان (٦) شُقّ فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غُرّ ، ذات أُشُر (٧) ، تقلب فيه لساناً بفصاحة وبيان (٨) ، بعقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى فيه شفتان حمراوان تجلبان ريقاً كالشهد اذا دُلك ، فى رقبة بيضاء كالفضة ، رُكّبت فى صدر كصدر تمثال دُمية (٩) ، وعضُدان مُدْمَجان ، يتصل بهما ذراعان، ليس فيهما عظم يُمَسّ ولا عِرْق يُجَسّ، ركبت فيهما كفّان دقيقٌ قصبهما ، ليّن عصبهما ، تعقد ان شئتَ منهما الانامل ، نتأ فى ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها ، تحت ذلك بطنٌ طُوِىَ طىَّ القُباطِيّ (١٠) المدمجة ، كُسّر عكَنًا (١١) كالقراطيس المدرَجة ، تحيط بتلك العُكَن سُرّة كالمدهُن المجلوّ ، خلفَ ذلك ظهر فيه كالجدول (١٢) ، ينتهى الى خَصر (١٣) ، لولا رحمة الله لانبتر (١٤) ، لها كفل يقعدها اذا نهضت ، وينهضها اذا قعدت ، كأنه دِعْصُ (١٥) رمل، لَبَّدَهُ سقوط الطل، تحمله فخذان لُفّا كأنما قُلبا على نَضَدَ جُمان ، تحتها ساقان خدلتان (١٦) ، كالبردتين وشّيتا بشعر أسود ، كأنه حَلَقُ الزرَد ، يحمل ذلك قدمان كحذْو اللسان ، فتبارك الله مع صغرها ، كيف تطيقان حمل ما فوقهما . فأرسل الملك الى أبيها فخطبها فزوجها اياه ، وبعث

---

(١) المطر الشديد الضخم القطر (٢) كصرد الفحم واحدته بهاء ، وحمم : سخم الوجه به
(٣) الممتلئة الجسم والعظيمة والناعمة الطويلة والجامعة للحسن (٤) الصقيل المجرب
(٥) الصبغ الاحمر الشديد الحمرة (٦) بالضم اللؤلؤ اوهنوات أشكال اللؤلؤ من فضة الواحدة جمانة (٧) أشر الاسنان وأشرها التحزيز الذى فيها يكون خلقة ومستعملا ونهى عنه ، وفى حديث لعنت الآشرة والمأشورة (٨) وفى نسخة : تقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان
(٩) بالضم الصورة المنقشة من الرخام او عام (١٠) الثياب المنسوبة الى القبط بالكسر نصارى مصر (١١) جمع عكنة كغرفة وهى ماانطوى وتثنى من لحم البطن سمناً (١٢) النهر الصغير ، ويكون ذلك اذا ازداد السمن (١٣) هو من الانسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين (١٤) انبتر : انقطع (١٥) بالكسر قطعة من الرمل مستديرة او الكثيب منه المجتمع او الصغير والجمع دعص وادعاص ودعصة (١٦) أى ممتلئتان ضخمتان مستديرتان

بصداقها فجُهّزت . فلما أرادوا أن يحملوها الى زوجها قالت لها أمها : أى بُنَيّةُ ان الوصيةَ لو تُركت لفضل أدبٍ تُركتْ لذلك منكِ ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما اليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خُلقن ، ولهن خُلق الرجال ، أى بنية انك فارقت الجوّ الذى منه خرجت ، وخلفت العُشّ الذى فيه درجتِ ، إلى وكْرٍ لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا ، فكونى له أَمَةً يكنْ لك عبداً وشيكا . يابنية احملى عنى عشرَ خصالٍ يكنّ لك ذُخراً وذكرا : الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا طيبَ ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيبُ الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدو عنه حين منامه ، فان حرارة الجوعِ مَلْهبة ، وتنغيص النوم مَبْغضَة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والارعاء على نفسه وحشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء[1] على العيال والحشم حسن التدبير ، ولا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ، فانكِ ان أفشيتِ سره ، لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره ، أوغَرْتِ صدره[2] ، ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان تَرِحا[3] ، والاكتئابَ عنده ان كان فَرِحا ، فان الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له اعظاما ، يكن أشد ما يكون لك اكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، أطولَ ماتكونين له مرافقة ، واعلمي انك لا تَصِلين إلى ماتحبّينَ حتى تؤثرِى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت وكرهت والله يخيرُ لكِ ... فحملت اليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعةَ الذين ملكوا بعده اليمن . انتهى

(١) الارعاء الابقاء على أخيك ، قال ذو الاصبع :

بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا على بعض

(٢) وغر صدره وغراً : امتلأ غيظاً (٣) ترح ترحاً فهو ترح مثل تعب تعباً فهو تعب اذا حزن ويتعدى بالهمزة

ما أورده الميدانى ، ومثل ذلك فى عقد الاندلسى ... وفى الشعر الجاهلى كثير من أوصاف النساء المحمودة ، من ذلك قول بعضهم من قصيدة :

بيضاء قد لبس الاديم أديـ　　　ـم الحسن فهو لجلدها جلدُ
ويَزِينُ فَوْدَيْهَا اذا حسرت　　　ضافى الغدائر فاحمٌ جَعْدُ (١)
فالوجه مثل الصبح مبيض　　　والفرع مثل الليل مسودُّ (٢)
وجبينها صَلْتٌ وحاجبها　　　شخت المخطّ ازج ممتدّ (٣)
وكأنها وَسْنَى إذا نظرتْ　　　أو مدنفٌ لما يُفِقْ بعدُ (٤)
بفتورِ عينٍ ما بها رمَدٌ　　　وبها تداوى الأعين الرُّمْدُ
وتُريك عرنيناً به شَمَمٌ　　　وتريك خداً لونه الورد (٥)
وتجيل مسواكَ الاراك على　　　رَتَلٍ كأنَّ رُضابَهُ الشهدُ (٦)
والجيد منها جيد رائعة　　　تعطو اذا ما طالها المَرْدُ (٧)
وامتد فى أعضادها قصب　　　فعم تلته مرافق ورد (٨)
والمعصمان فما يرى لهما　　　من نَعمة وغضاضةٍ زند (٩)
ولها بَنانٌ لو اردتَ بها　　　عَقْداً بكفك أمكن العَقْدُ (١٠)

(١) الفود : معظم شعر اللمة مما يلى الاذنين وناحية الرأس ، وقال ابن السكيت الفودان الضفيرتان ، والغدائر جمع غديرة وهى الذؤابة ، والفاحم : الاسود ، والجعد من الشعر خلاف السبط أو القصير منه ، وحسرت المرأة خمارها كشفته (٢) الفرع الشعر التام ، ويروى بدل مبيض (منبلج) (٣) الصلت الجبين الواضح وقد صلت صلوتة ، والشخت : الدقيق ، والازج الحاجب الدقيق فى طول (٤) الوسن بفتحتين : النعاس ورجل وسنان وامرأة وسنى بهما سنة ، والمدنف : المريض الذى لازمه المرض (٥) العرنين من كل شىء أوله ومنه عرنين الانف لاوله وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وهو موضع ارتفاع الشمم أى ارتفاع الانف ، ويروى البيت :

وتريك عرنيناً يزينه　　　شمم وخداً لونه الورد

(٦) الاراك : شجر من الحمض يستاك بقضبانه الواحدة اراكة ، والرتل محركة بياض الاسنان وكثرة مائها ، والرضاب : الريق المرشوف أو قطع الريق فى الفم (٧) تعطو : ترفع رأسها والمرد : الغض من ثمر الاراك أو نضيجه (٨) الفعم الممتلئ ، وقوله تلته يروى بدله زهته ، والمرافق جمع مرفق وهو موصل الذراع فى العضد ، وقوله ورد هكذا بالاصل وفى بعض النسخ درد فليحقق (٩) المعصم كمنبر موضع السوار من الزند ، ونعم الشىء : لان ملمسه

(١٠) البنان الاصابع أو أطرافها

وكأنما سقيت ترآئبها والنحر ماء الورد اذ تبدو[١]
وبصدرها حقّان خِلتُهُما كافورتين علاهما نَدٌّ[٢]
والبطن مطوى كما طويت بيضُ الرياط يصونها المُلْدُ[٣]
وبخَصْرِها هَيَفٌ يزيّنه فاذا تنوء يكاد ينقد[٤]
والتف حاذاها وفوقهما كَفَل كدِعْصِ الرمل مشتدُّ[٥]
وقيامها مَثْنى إذا نهضت من لينها وقعودها فرد
والكعب أدْرَمُ ما يَبِينُ له حجمٌ وليس لرأسه حَدٌّ[٦]
ومشت على قدمين خصّرتا والتفّتا فتكامَلَ القدُّ
ما عابها طولٌ ولا قِصَرٌ فى خلقها فقوامها قصدُ

والقصيدة طويلة ولها قصة مشهورة . وكانت العرب مع اعتبارهم هذه الامورَ فى المرأة يُرَاعون شرف الفصيلة ، وهم الذين ينتفى بهم العار ، ويحصل بهم الاستكثار . وفى الحديث تخيروا لنطفكم ولا تضعوها الا فى الاكفاء . وروى أن صيفى بن أكثم قال لولده : يابنىَّ لايحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب فان المناكح اللئيمة مدرجة للشرف . وقال الاسود الدؤلى لبنيه : قد أحسنتُ إليكم صغاراً وكباراً ، وقبل أن تولدوا . قالوا : وكيف احسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال : اخترت لكم من الامهات من لاتسبون بها . وأنشد الرياشى :

فأول احسانى إليكم تخيرى لماجدة الاعراق بادٍ عفافُها[٧]

---

(١) الترائب : موضع القلادة ، والنحر أعلى الصدر (٢) الحقان : الثديان ، والند : طيب معروف ويكسر أو العنبر (٣) الرياط جمع ريطة وهى كل ثوب لين رقيق ، والملد : الناعم اللين من الرجال (٤) الخصر من الانسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين ، والهيف محركة ضمر البطن ورقة الخاصرة ، وتنؤ : تنهض ، وينقد : ينقطع (٥) الحاذان ما وقع عليه الذنب من ادبار الفخذين ولعل الاولى (فخذاها) بدل حاذاها كما فى بعض الكتب ، والكفل : العجز . والدعص : الكثيب من الرمل المجتمع (٦) الادرم فسره بقوله مايبين له حجم وليس لرأسه حد (٧) أقول : أن شعر العرب وكلامهم فى هذا الباب جاهلية واسلاماً لايعد ولا يحصى وقد درجوا على العمل بهذه الوصايا الى يومنا هذا .. ومن لطيف ماأحفظ بيتان لاحد الشعراء وهما :

النعوت المذمومة فى المرأة عند العرب خَلقاً وخُلُقاً

ما يلزم التحرز عنه من صفات الذات وأحوال النفس أمورٌ كثيرة مآلها الى بعد الخير عنها، وقلة الرشد فيها، فان كوامن الأخلاق بادية فى الصور والاشكال كالذى روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لزيد بن حارثة: اتزوجت يازيد؟ قال: لا. قال: تزوج تَستَعْفِف مع عفتك، ولا تتزوج من النساء خمساً. قال: وماهنّ يارسول الله؟ قال: لاتتزوج شَهْبَرَةً ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هندرة ولا لفوتا. فقال يارسول الله انى لا أعرف مما قلت شيئاً. قال أما الشهبرة فالزرقاء البذية. أما اللهبرة فالطويلة المهزولة. وأما النهبرة فالعجوز المدبرة. وأما الهندرة فالقصيرة الدميمة. وأما اللفوت فذات الولد من غيرك.. وقال شيخ من بنى سليم لابنه: يابنى إياك والرَقُوب الغَضُوب القَطوب. الرقوب التى تراقبه أن يموت فتأخذ ماله. وأوصى بعض الاعراب ابنه فى التزوج فقال: اياك والحنّانة والمنّانة والانّانة فالحنانة التى تحن لزوج كان لها، والمنانة التى تمن على زوجها بمالها. والانانة التى تئن كسلا وتمارضاً. وقال أوفى بن دلهم: النساء أربع، فمنهن مقمع، لها سنها أجمع ومنهن ممنع، تضر ولا تنفع، ومنهن مصدع، تفرق ولا تجمع، ومنهن غيث وقع، ببلد فامرع [1]. وقال الشاعر:

أرى صاحب النسوان يحسب أنها سوآء وبَوْنٌ بينهن بعيد [2]
فمنهنّ جنّاتٌ يفىء ظلالها ومنهن نيران لهن وقيد

وروى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت امرأةً من العرب تخاصم زوجها وهى تقول: والله إن شربك لاشتفاف [3]، وضجعتك لانجعاف [4]

لاتخطبن سوى كريمة معشر فالعرق دساس من الطرفين
أو ماترى أن النتيجة دائماً تبع الاخس من المقدمتين

(١) أى أخصب بكثرة الكلاء (٢) البون بالضم مسافة ما بين الشيئين ويفتح وبينهما بون أى بين درجتيهما أو بين اعتباريهما فى الشرف وأما فى التباعد الجسمانى فتقول بينهما بين بالياء كذا فى المصباح (٣) هو شرب ما فى الاناء كله (٤) الانجعاف: الانصراع يقال ضربه فجأفه وجعفه

وشملتك لالتفاف ، وانك لتشبع ليلة تضاف ، وتنام ليلة تخاف . فقال لها : والله إنك لَكرْواء الساقين[١]، قعواء الفخذين[٢]، مقاء الرفغين[٣]، مفاضة الكشحين[٤] ضيفك جائع ، وشرك شائع .. ومن جملة أسئلة القيل الحميرى ولديه انه قال : وأيُّ النساء أبغضُ اليك ياعمرو ؟ قال : القتاتة الكذوب[٥] ، الظاهرة العيوب الطوافة الهَبوب[٦] ، العابسة القَطوب[٧] ، السبابة الوثوب ، التي ان ائتمنها زوجها خانته ، وان لان لها اهانته ، وان أرضاها أغضبته ، وان أطاعها عصته . قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : بئس — واللهِ — المرأةُ ذكر وغيرُها أبغض إلىّ منها قال : وأيتهن التى هى أبغض منها ؟ قال : السليطة اللسان[٨] ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التى وجهها عابس ، وزوجها من غيرها آيس ، التى أن عاتبها زوجها وترته[٩] ، وان ناطقها انتهرته . قال ربيعة : وغيرها أبغض الىّ منها . قال : ومن هى ؟ قال : التى شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافتضح أقاربها . قال ومن صاحبها ؟ قال : صاحبها مثلها ، فى خصالها كلها . لاتصلح الا له ولا يصلح إلاّ لها . قال : فصفه لى . قال : الكفور غير الشكور ، اللئيم الفَجُور ، العبوس الكالح[١٠]، الحَرُون الجامح[١١]، الراضي بالهوان، المختال المنان، الضعيف الجَنان[١٢] الجَعْدُ البنان[١٣] ، القؤل غير الفعول ، الملول غير الوصول ، الذى لايبرح عن

---

(١) الكرواء الدقيقة الساقين والكرا دقة الساق والكرى النوم والكرا بمعنى الكروان وكراء محدود : موضع (٢) قال أبو بكر : القعواء المتباعدة مابين الفخذين ولم يسمع هذا من غيره ، والذى ذكره اللغويون في كتبهم : الفجواء المتباعدة مابين الفخذين ، هذا مازعمه أبو على القالى (٣) قال أبو زيد : المقاء الدقيقة الفخذين وكذلك الرفغاء ، وقال الاصمعى المقاء الطويلة والمقق الطول ورجل أمق طويل (٤) أى مسترخية الخاصرتين (٥) القتاتة : النمامة ، وقال اللحيانى : القتات والنمام والهماز واللماز والغماز والقساس والدراج والمهينم والمهتمل والمآئس والمؤوس مثال معوس والمماس مثال ممعس وقد مأس يمأس مأساً اذا مشى بينهم بالنميمة والفساد ، ويقال مأس بين الناس ومسأ بينهم يمسأ مسأ مثل معساً وكله واحد ويقال أنه لذو نيرب ومئبرة وابرة اذا كان نماماً كله عن اللحيانى (٦) الكثيرة الانتباه (٧) قطب يقطب فهو قطوب زوى مابين عينيه وكلح (٨) أى البذية اللسان (٩) أى أدركته بمكروه (١٠) كلح كلوحاً وكلاحاً بضمهما تكشر فى عبوس (١١) يقال حرنت الدابة فهى حرون وهى التى اذا استدر جريها وقفت والجامح الذى يركب هواه (١٢) بالفتح القلب (١٣) أى بخيل

المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم ، وذكر أهل الأدب كثيراً من معايبهن .. ومن النعوت المذمومة : أن تكونَ المرأة نهاية في السِمَن والعظم ضخمة البطن ، مسترخية اللحم ، ضخمة الثديين ، طويلتهما ، مسترخيتهما ، أو أن تكون قليلة اللحم ، قصيرةً ، دميمة (١) ، غير طيبة الخلوة ، دقيقة الساقين والذراعين ، منتنة الريح ، أو أن تكون حديدة اللسان ، شديدة الصوت ، جرية قليلة الحياء ، بذية فاحشة وقحة ، وتسمى هذه سَلْفَعَةً ، وفى الحديث : شرهن السلفعة . ومن الشعر المشتمل على مايذم من النساء قول قائلهم :

لِأَسْماءَ وَجْهٌ بِدْعَةٌ من سماجةٍ ... يرغبنى فى نَيْكِ كلّ أتان (٢)
بدا فبدت لى شُقّةٌ من جهنم ... فقمت ومالى بالجحيم يدان (٣)
وغادرت أصحابى الذين تخلفوا ... بماشئتَ من خزى وطولِ هوان (٤)
وما كنت أدرى قبلها أن فى النسا ... جحيما أراها جهرةً وترانى

وقال آخر

رَقْطَاء حَدْباء يُبْدِي الكَبْدَ مضحَكها ... قَنواء بالعَرْض والعينان بالطول (٥)
لها فَمٌ مُلتقَى شِدْقَيْه نقرتها ... كأنَّ مِشْفَرَها قد طُرَّ من فيلِ (٦)
أسنانها أُضعِفَتْ فى خَلْقِها عدداً ... مُظَهَّراتٍ جميعاً بالرواويل (٧)

وقال آخر فى القصر

ألا ياشبيهَ الدُب مالك معرضاً ... وقد جعلَ الرحمن طولكَ فى العَرْض (٨)
وأُقسم لو خرَّتْ من استِكَ بيضةٌ ... لما انكسرت لقربِ بعضك من بعض

(١) الدمامة بالفتح قبح المنظر وصغر الجسم وكأنه مأخوذ من الدمة بالكسر وهى القملة أو النملة الصغيرة (٢) قوله بدعة أى لم يصنع مثله في القبح ، والسماجة : القباحة ، والاتان : الانثى من الحمير (٣) الجحيم : النار، واليدان اراد بهما القوة (٤) غادرت: تركت: والخزى: الوقوع فى البلية (٥) الرقطاء : المنقطة بالبرش ، والحدباء : الخارجة الظهر، والكبد الشدة ، وقوله قنواء بالعرض الخ يعنى به أن طول أنفها قد بدأ بالعرض وعرض عينيها قد بدا بالطول فصار الحسن قبحاً (٦) قوله نقرتها اراد نقرة قفاها ، ومعنى طر قطع من طرته أى جانبه يصفها بان فمها فى السعة بلغ نقرة القفا وان شفتها غاية فى الغلظ كأنها قطعة من شفة الفيل (٧) قوله مظهرات أى جعل بعضها فوق بعض ، والرواويل جمع راوول وهو اللعاب وكل سن زائدة لاتنبت على نبتة الاضراس (٨) المعرض : الذاهب فى العرض ، وخرت : سقطت . والاست الدبر

« وقال آخر »

المِمْ بجوهرَ بالقُضبانِ والمَدَر ... وبالعصىّ التى فى روسها عُجَرُ (١)

الممْ بهــا لا لتسليم ولا مِقَــةٍ ... إلا ليكْسِرَ منها أنفَها الحجرُ (٢)

الممْ بوطباءَ فى اشداقها سعــةٌ ... فى صورة الكلب إلا أنها بشر (٣)

حدباء وقصاء صيغت صيغةً عجباً ... وفى ترائبها عن وصفها زَوَر (٤)

« وقال آخر »

لا تنــكِحَنَّ الدهر ماعشتَ أيِّماً ... مُخَرَّمةً قد ملَّ منها ومَلَّتِ (٥)

تحُكُّ قفاها من وراء خمــارها ... اذا فقدت شيئاً من البيت جُنَّت (٦)

تجودُ بِرِجْلَيْها وتمنع دَرَّهــا ... وإنْ طُلِبَتْ منها المودة هرَّت (٧)

« وقال آخر »

لا تنــكِحَنَّ عجوزاً ان أُتيتَ بها ... واخلَعْ ثيابك منها مُمْعِناً هَرَبا (٨)

وان أتوك وقالوا : انِها نَصَفٌ ... فان أَمثلَ نِصفَيْها الذى ذَهَبا (٩)

الى غير ذلك من الشعر المشتمل على ما يذم من أوصاف النساء وكتب الأدب مشحونة منه . وربما اختار بعض العرب غير المستكملة للأوصاف المحمودة رغبة فى حسبها .

---

(١) الالمام : الزيارة الخفيفة ، وقوله بالقضبان أى والقضبان معك كما يقال خرج بسلاحه أى والسلاح معه ، والعجر جمع عجرة وهى العقدة (٢) المقة : المحبة (٣) الوطباء : العظيمة الثديين، والاشداق : جوانب الفم (٤) الحدباء : الخارجة الظهر الداخلة الصدر ، والوقصاء : القصيرة العنق ، والترائب : عظام الصدر ، والزور : الميلان ، ومعنى الابيات الاربعة : ان تردان تأتى هذه المرأة فلا تأتها الا ومعك العصا والحجارة لضربها ولا يكن اتيانك لتسليم عليها أو لمحبة لها بل لتكسر بالحجر أنفها وهذه المرأة بشعة الخلق كبيرة الفم أشبهت الكلاب فى الصورة وان كانت بشراً معوجة الظهر قصيرة العنق مائلة عظام الصدر أعجوبة من عجائب الدهر

(٥) أراد بالنكاح العقد أى لاتتزوج ، والايم من النساء التى فارقها زوجها بموت أو طلاق ، وقوله مخرمة أى كثر الدعاء عليها ان تخترمها المنية أى تأخذها ؛ وقوله قدمل منها يريد أنها طعنت فى السن وقضت مأرب الشهوات وقضيت منها (٦) قوله تحك قفاها أى من وسخها وكثرة القمل عليها ، والخمار ماتستر به المرأة وجهها (٧) قوله تجود برجليها هذا مثل أى تسرع بشرها ، وتمنع درها أى خيرها ، وهرت : نبحت مثل الكلاب (٨) امعن فى الهرب : اسرع فيه

(٩) النصف من النساء : ماتكون لاصغيرة ولا كبيرة ، والامثل : افضل

ما ورد عن عرب الجاهلية فى الزوج من الصفات المحمودة وغيرها

عن أبى بكر بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبى عن أبيه قال: كان قَيْل [1] من اقيال حمير . منع الولد دهراً ثم ولدت له بنت فبنى لها قصراً منيعاً بعيداً من الناس ووكل بها نساء من بنات الاقيال يخدمنها ويؤدّبنها حتى بلغت مبلغ النساء فنشأت أحسن منشأ وأتمه فى عقلها وكمالها فلما مات أبوها ملكها أهل مِخْلافها [2] فاصطنعت النسوة اللاتى ربينها وأحسنت اليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع أمراً دونهن . فقلن لها يوما : يابنتَ الكرام لو تزوجت لتم لك الملك . فقالت : وما الزوج ؟ فقالت احداهن : الزوج عز فى الشدائد ، وفى الخطوب مساعد ، إن غضبت عطف ، وان مرضت لطف . قالت : نعم الشئ هذا . فقالت الثانية : الزوج شعارى حين اصْرَد [3] ، ومُتَّكئى حين ارقُد ، وانسى حين افرد . فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش ، فقالت الثالثة : الزوج لما عنانى كاف ، ولما شَفَّنى [4] شاف ، يكفينى فقد الألّاف ، ريقه كالشُّهد ، وعناقه كالخلد ، لا يمل قرانه ، ولا يخاف حرانه . فقالت : امهلننى أنظر فيما قلتنّ ، فاحتجبت عنهن سبعاً ثم دعتهن فقالت : قد نظرت فيما قلتن فوجدتنى املكه رقى ، وابثه باطلى وحقى ، فان كان محمود الخلائق ، مأمون البوائق [5] ، فقد ادركت بِغيتى [6] ، وان كان غير ذلك فقد طالت شِقوتى ، على أنه لا ينبغى إلا أن يكون كفؤاً كريماً ، يسود عشيرته ، ويرُبُّ فصيلته [7] لا أتقنَّعُ به عاراً فى حياتى ، ولا أرفع به شَناراً [8] لقومى بعد وفاتى ، فعليكُنَّه فابغينه وتفرقن فى الاحياء ، فايتكن اتتنى بما أحب فلها أجزل الحِباء [9] وعلىَّ لها

---

(١) القيل : الملك أو دون الملك الاعلى (٢) بكسر الميم بلغة اليمن الكورة والجمع المخاليف واستعمل على مخاليف الطائف أى نواحيه وقيل فى كل بلد مخلاف أى ناحية

(٣) أى ابرد (٤) يقال شفه الهم : أى أهزله (٥) الدواهى (٦) بالكسر الحاجة التى تبغيها وضمها لغة وقيل بالكسر الهيئة وبالضم الحاجة (٧) يرب يجمع ويصلح ، والفصيلة من الرجل عشيرته ورهطه الادنون وأقرب آبائه اليه (٨) الشنار العار (٩) العطاء

الوفاء ، فخرجن فيما وجههن له وكن بنات مقاول ذوات عقل ورأى . فجاءتها احداهن وهى عَمرَّطةُ بنت زرعة ابن ذى خفر . فقالت : قد أصبتُ البغية . فقالت : صفيهِ ولا تسميه . فقالت : غيثٌ فى المحل ، ثمال فى الأزْل [1] ، مُفيد ، مُبيد ، يصلح النائر [2] ، ويَنعَشُ العاثر ، ويغمر الندىّ ، ويقتاد الابىّ ، عرضه وافر ، وحسبه باهر ، غض الشباب ، طاهر الأثواب . فقالت : ومن هو ؟ قالت : سبرة بن عوّال بن شدّاد بن الهَمّال . ثم خلت بالثانية فقالت : أصبتِ من بغيتك شيئاً ؟ قالت : نعم . قالت : صفيهِ ولا تسميه . فقالت : مُصامِصُ النَّسَب ، [3] كريم الحَسَب ، كامل الادب ، غزير العطايا ، مألوف السجايا ، مُقْتَبَل الشباب ، خَصيب الجناب ، أمره ماض ، وعشيره راض . قالت : ومن هو ؟ قالت : يعلى ابن ذى هزّال بن ذى جَدَن . ثم خلت بالثالثة . فقالت : ما عندك ؟ قالت : وجدته كثيرَ الفوائد ، عظيم المرافد ، يعطى قبل السؤال ، وينيل قبل أن يستنال ، فى العشيرة معظم ، وفى النـدىّ مكرم ، جم الفواضل ، كثير النوافل ، بذال أموال ، محقق آمال ، كريم أعمام وأخوال . قالت من هو ؟ قالت : رواحة بن حُمَيْر بن مُضْحى بن ذى هلاهلة . فاختارت يعلى بن ذى هزال فتزوجتـه ، فاحتجبت عن نسائها شهراً . ثم برزت لهن فاجزلت لهن الحِباء . وأعظمت لهن العطاء .. وعن أبى بكر محمد ابن الحسن بن دريد أيضاً . قال اخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى . قال : قالت عجوزٌ من العرب لثلاث بنات لها صفن ما تحببن من الازواج فقالت الكبرى : أريده أروع [4] بساما ، احذ مجذاما [5] ، سيد ناديه ، وثمال [6] عافيـه ، ومحسب راجيه ، فناؤه رحب [7] ، وقياده صعب .

---

(١) أى غياث فى الضيق والشدة (٢) قال المجد : نأرت نائرة كنئم هاجت هائجة
(٣) المصامص : الحسيب الزاكى (٤) الاروع والنجيب واحد وهما الكريم وقيل الاروع الذى يروعك جماله (٥) الاحذ ههنا الخفيف والاحذ أيضاً الخفيف الذنب ومنه قطاة حذاء ، والمجذام مفعال من الجذم وهو القطع تريد انه قطاع للامور (٦) الثمال : الغياث وثمال القوم غياثهم ومن يقوم بأمرهم ، والعافى : السائل وكل طالب فضل أو رزق (٧) أى واسع ويقال فناء الدار وثناؤها

وقالت الوسطى : أُريده عالى السناء [١] ، مُصَمِّم المَضَاء [٢] ، عظيم نار ، متمم أَيْسار [٣] ، يفيد ويبيد ، ويبدئ ويعيد ، هو فى الاهل صبى ، وفى الجيش كَمِىّ [٤] ، تستعبده الحليلة [٥] ، وتسوّده الفصيلة [٦] ، وقالت الصغرى : أُريده بازل عام [٧] ، كالمهند الصمصام [٨] ، قِرانُهُ حُبور ، ولقاؤه سرور ، إنْ ضَمّ قَضْقَض [٩] ، وإنْ دَسَرَ [١٠] أَغْمَض ، وان اخلّ احمض . فقالت أمها : فُض فوك لقد فَرَرْتِ لى شرّة الشباب جَذَعة [١١] « وذكر الميدانى » فى كتاب مجمع الامثال : أن العَجْفاء بنت عَلْقمة السَّعْدِىّ وثلاثَ نسوةٍ من قومها خرجن . فاتّعَدْنَ بروضةٍ يتحدثن فيها فوافين بها ليلاً فى قمر زاهر وليلةٍ طلقة ساكنة ، وروضة مُعْشبة خِصْبة ، فلما جلسن قلن ما رأينا كالليلة ليلةً ولا كهذه الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ . ثم أفَضْنَ فى الحديث فقلن : أىّ النساء أفضل ؟ قالت احداهن : الخَرُود [١٢] الوَدُود [١٣] الوَلُود [١٤] . قالت الاخرى : خيرهن

---

(١) السناء من الشرف ممدود ومن الضوء مقصور (٢) المصمم من الرجال الذى يمضى فى الامور لا يرد عزمه شىء والمصمم من السيوف الذى يمضى في الضرائب لا يحبسه شىء
(٣) جمع يسر وهو الذى يدخل مع القوم فى القداح وهو مدح وقال الشاعر :

وراحلة نحرت لشرب صدق   وما ناديت ايسار الجزور

والبرم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر وهو ذم وجمعه ابرام . قال متمم :

ولا برم تهدى النساء لعرسه   اذا التشع من برد الشتاء تقعقعا

ويقال كان رجل برماً فجاء الى امرأته وهي تأكل لحماً فجعل يأكل بضعتين بضعتين فقالت له : أبرماً قروناً فأرسلتها مثلا (٤) أى جرىء مقدم كان عليه سلاح أو لم يكن وقيل غير ذلك (٥) حليلة الرجل امرأته وحليلة أيضاً جارته التى تحاله وتنزل معه (٦) هم رهط الرجل الادنون (٧) أى تام الشباب كامل القوة لان البعير اتم مايكون شباباً واكمله قوة اذا كان بازل عام (٨) هو السيف لاينثنى (٩) أى حطم كما يقضقض الاسد الفريسة وهو أن يحطمها وينفضها فتسمع لعظامها صوتاً والاسد القضقاض الحطام ، قال رؤبة :

كم جاوزت من حية نضناض   واسد فى غيلة قضقاض
ليث على أقرانه رباض   يلقى ذراعى كلكل عرباض

والعرباض الثقيل العظيم (١٠) أى دفع ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما فى العنبر انما هو شىء دسره البحر أى لا زكاة فيه ، وفلان مدسر جماع أى نياك (١١) شرة الشباب بالكسر نشاطه . وفر الامر جذعا بالضم اذا رجع عوداً لبدئه (١٢) البكر لم تمسس أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة (١٣) الكثيرة الحب لزوجها (١٤) الكثيرة الولادة

ذات الغناء ، وطيب الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوع الجَمُوع ، النَّفُوع غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لاهلها الوادِعةُ الرافعة لا الواضعة . قلن : فاى الرجال أفضل ؟ قالت احداهن : خيرهم الحِظِيُّ الرضى غير الحظّال (١) ولا التنبال . قالت الثانية : خيرُهم السيد الكريم ، ذو الحسب العميم ، والمجد القديم . قالت الثالثة : خيرهم السخيّ الوفيّ الرضيّ ، الذي لا يغير الحرّة ، ولا يتخذ الضرة . قالت الرابعة : وابيكن إن فى أبى لنعتكنَّ كرم الاخلاق ، والصدق عند التلاق ، والفَلَج عند السباق ، ويَحْمَدُه أهل الرفاق . قالت العجفاء عند ذلك : كلُّ فتاةٍ بأبيها معجبة * وفى رواية أخرى : أن احداهن قالت : إنّ أبى يُكرم الجار ، ويعظم النار ، وينحر العشار ، بعد الحُوار ، ويحمل الأمور الكبار . فقالت الثانية : إن أبى عظيم الخطر ، منيع الوزر ، عزيز النفر ، يحمد منه الوِرْد والصَدَر . فقالت الثالثة : إن أبى صدوقُ اللسان ، كثير الاعوان ، يروى السِنانَ عند الطعان . قالت الرابعة : إنَّ أبى كريم النزالِ ، مُنيف المقال ، كثير النوال ، قليل السؤآل ، كريم الفعال . ثم تنافرن الى كاهنة معهن فى الحى ، فقلن لهـا : اسمعى ما قلنا واحكمى بيننا واعدلى . ثم اعدن عليها قولهن . فقالت لهن : كل واحدة منكن ماردة ، على الاحسان جاهدة ، لصواحباتها حاسدة ، ولكن اسمعن قولى : خيرُ النساء المبقيةُ على بعلها الصابرةُ على الضراء مخافة أن ترجع الى أهلها مطلقة فهى تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجواد البطل ، القليل الفَشَل ، اذا سأله الرجل الفاه قليل العلل ، كثير النَفَل . ثم قالت : كل واحدة منكن بأبيها مُعجبة . فصار مثلا يضرب فى عجب الرجل برهطه وعشيرته * وكان ذو الاِصبع العَدْوانىّ حَكَم العرب رجلاً غيوراً . وله بنات أربع وكان لا يزوجهن غَيْرَةً . ويقال أنه عرض عليهن أن يزوجهن فأَبين وقلن خدمتك وقربك أحب الينا . فاستمع عليهن يوماً من حيث

(١) المقتر الذى يحاسب أهله بالنفقة

لا يرينه وقد خلون يتحدثن ، فقالت قائلة منهن : لتقل كل واحدة منا مافى نفسها ولنصدق جميعاً . فقالت كبراهن :

أَلا هَلْ أراها ليلةً وضجيعها　　اشمّ كنصل السيفِ عين مُهَنَّدِ
عليم بادواء النسـاء واصلُه　　اذاما انتمى من سرّ أهلى ومَحْتِدِى

ويروى : من أهل سرى ومن أصل سرى : فقلن لهـا : أنتِ تُريدينَ ذا قرابةٍ قد عرفتِهِ . وفى رواية : أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته .

ثم قالت الثانية

الاليتَ زوجى من أناس ذوى عدى[1]　　حديث الشباب طيّب النشر والذكر
لصوقٌ باكبادِ النسـاء كأنَّه　　خليفةُ جانٍ لا ينـام على وَتْرِ

ويروى : لا ينام على هجرى ولا يقيم على هَجْرِ . فقلن لهـا : أنت تريدين فتى غنيا ليس من أهلك .

ثم قالت الثالثةُ :

ألا ليتَهُ يَكْسى الجمال نديّه　　له جَفْنَةٌ تشقى بهـا المعز والجُزْرُ
له حكمات الدهر من غير كربةٍ　　تَشين فلا وانٍ ولا ضَرعٌ غُمْرُ

وروى النيب بدلَ المعز ، وكبرة بدل كربة . فقلن لها : أنتِ تريدين سيداً شريفاً . وقلن للرابعة : ما تقولين ؟ قالت : لا أقول شيئاً : فقلن : لا ندعك وذاك إنَّك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك . فقالت : (زَوْجٌ من عُودٍ ، خيرٌ من قُعُود) فمضت مثلا . فخطبن فزوجهن جمع ثم امهلهن حولا وتركهن . ثم أتى الـكبرى وزارها ، فقال : يابنية كيف ترين زوجك ؟ قالت : خير زوج يُكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة . قال لها : فمـا مالـكم ؟ قالت : خير مال الابل . قال : وما هى ؟ قالت : نشرب البانَها جزعا ، ونأكل لُحمانَها مُزَعا ، وتحملنا وضعيفنا معا . فقال : يابنية زوج كريم ، ومال عميم . ثم أتى الثانية فقال : يابنية

(١) فى رواية ، ذوى غنى

وكيف زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ، وينسى فضله . قال : وما مالكم قالت : البقر . قال : وما هى ؟ قالت : تألف الفناء ، وتملأ الإناء ، وتودك السقاء ، ونساء مع نساء . فقال : حظيتِ ورضيت . وفى رواية : رضيت فحظيت . ثم أتى الثالثة فقال : يابنية كيف زوجك ؟ فقالت : لا سَمْحٌ بَذِر ، ولا بخيل حكِرٌ . قال : فما مالكم ؟ قالت : المِعْزَى . قال: وماهى ؟ قالت :لو كنا نولّدها فُطُماً ، ونَسْلَخُها أُدُما ، لم نبغِ بها نَعَماً . فقال لها : جذوة مغنية . ثم أتى الصغرى فقال لها : يابنية كيف زوجك ؟ قالت :شر زوج يُكرم نفسه ، ويُهين عرسه .قال : فما مالكم ؟ قالت : شر مال . قال : وماهو؟ قالت : الضأن . قال : وماهى؟قالت . جُوفٌ لا يشبعنَ ، وهيمٌ لا ينقعن ، وصمٌّ لا يسمعن . وأمرَ مغويتهنّ يتبعن . فقال أبوها (أشبه امرؤٌ بعضَ بَزِّه) فمضت مثلا . وقد روى هذه القصة المبرد ، ونقلها عنه الميدانى وفيها بعض مغايرة للرواية السابقة : قال السيد المرتضى علم الهدى بعد ايراده ما سبق فى ترجمة ذى الإصْبَع العَدْوانىّ فى الامالى (1) أما قول احدى بناته فى الشعر : أشم فالشمم هو ارتفاع أرنبة الانف وورودها ، يقال : رجل أشمُّ وامرأة شماء وقوم شمٌّ . قال حسان بن ثابت رَضِىَ الله تعالى عنه :

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شمُّ الانوفِ من الطِّراز الأَوَّلِ

والشمم : الارتفاع فى كل شئٍ . فيحتمل أن يكون أراد حسان بشم الانوف ما ذكرناه من ورود الارنبة لأن ذلك دليلُ العِتْق والنجابة عندهم ، ويجوز أَنْ يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ورذائلها . وخص الانوف بذلك لأن الحمية والغضب والأنفة يكون فيها ولم يُرِدْ طولَ أنفهم ، وهذا أشبه أن يكون مراده لأنه قال بيض الوجوه ، ولم يُرِدْ بياضَ اللون فى الحقيقة ، وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل اخلاقهم وأفعالهم ، كما يقول القائل جاءنى فلان بوجه أبيض ، وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا ، وانما يعنى ما ذكرناه .

(1) ج ١ ص ١٧٨

وقول المرأة : اشم كنصل السيف يحتمل الوجهين أيضا ومعنى قول حسان : من الطراز الاول . أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم ، وأنهم لم يحدثوا اخلاقاً مذمومة لا تشبهُ نِجارَهُمْ وأصولهم . وقولها : عين مهند ؟ أى هو المهند بعينه وعين الشئ نفسه ، وعلى الرواية الاخرى غير مهند أى ليس هو السيف المنسوب الى الهند فى الحقيقة . وانما هو شبيه به فى مضائه . وقولها : من سر أهلى أى من أكرمهم وأخلصهم . يقال : فلان فى سرّ قومه أى فى صميمهم وشرفهم وسرّ الوادى اطيبه تراباً . والمحتد : الاصل . وقول الثانية : ذومي عدى فانما معناه يكون له أعداء لان من لا عدو له هو السفل الرذل الذى لاخير عنده والكريم الفاضل من الناس هو المحسد المعادى . وقولها : لصوق باكباد النساء ، يعني فى المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادت فى المحبة والمودة ، وكَنَتْ بذلك عن شدة محبتهن وميلهنّ اليه وهو أشبه . وقولها : كأنه خليفة جان أى كأنه حية لِلُصُوقِهِ والجان جنس من الحيات خففت لضرورة الشعر . وقول الثالثة : يكسى الجمال نديّه فالندىّ هو المجلس . وقولها : له حكمات الدهر . تقول : قد احكمته التجارب وجعلته حكيما . فاما الضرِع : فهو الضعيف والغُمْرُ الذى لم يجرب الامور « وقول الكبرى » يكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة : فالحليلة هى امرأة الرجل . والوسيلة : الحاجة . وقولها : نشرب البانها جزعا . فالجزع جمع جزعة وهو الماء القليل يبقى فى الاناء . وقولها : مزعا المزعة البقية من دسم . ويقال : ماله جزعة ولا مزعة . هكذا ذكره ابن دريد بالضم فى جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة واذا كسرت فينبغى أن يكون نشرب البانها جزعا وتكسر المزعة أيضا ليزدوج الكلام . فتقول ونأكل لحمانها مزعا فان المزعة بالكسر هى القطعة من الشحم والمزعة أيضا بالكسر من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق . والتمزيق : التقطيع والتشقيق . يقال : يكاد يتمزع من الغيظ . ومزع الظبى يمزع مزعاً : اذا أسرع . وقوله : مال عميم أى كثير « وقول الثانية » تودِكُ السقاء من الودك الذى هو الدسم .

وقول الثالثة : نولّدها فطما ، الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع . وقولها : نسلخها أدماً . فالادم جمع ادام وهو الذى يؤكل ، تقول لو انا فطمناها عند الولادة وسلخناها للادم من الحاجة لم نبغ بها نعما . وعلى رواية أخرى أدما من الأديم . وقوله جدوة مغنية فالجذوة القطعة « وقول الصغرى » جُوفٌ لايشبعن . الجوف جمع جوفاء وهى العظيمة الجوف . والهيم : العطاش . ولا ينقعن : أى لا يروين . ومعنى قولها : وأمرَ مغويتهن يتبعن أى القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع فى الماء فيقعن كلهن اتباعاً لها . والضأن يوصف بالبلادة

وقال المفضل الضبىّ : أن عَثْمَةَ بنت مطرود البَجَليّـة كانت ذات عقل ورأى مستمع فى قومها ، وكانت لها أختٌ يقال لها خود ذات جمال وميسم وعقل ، وان سبعة اخوة من غلمة بطن الازد خطبوا خوداً الى أبيهـا فاتوه وعليهم الحلل اليمانية ، وتحتهم النجائب الفره[1] ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلة ذى النحيين . فقال لهم : انزلوا على المـاء . فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين فى الحلل والهيئة ، ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة فمروا بوصيدها — وهو فناؤها — يتعرضون لها كلهم وسيم جميل ، وخرج أبوها فجلسوا اليـه فرحب بهم . فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ونحن كما ترى شـباب ، وكلنا يمنع الجانب ، ويمنح[2] الراغب . فقال أبوها : كلـكم خيار ، فاقيموا نر رأينا . ثم دخل على ابنتـه فقال : ما ترين فقد أتاك هؤلاء القوم . قالت : انكحنى على قدرى ، ولا تشطط[3] فى مهرى ، فان تخطئنى أحلامهم ، لاتخطئنى أجسامهم ، لعلى أصيب ولداً وأكثر عدداً . فخرج أبوها فقال : اخبرونى عن أفضلكم . قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع اخبرك عنهم هم اخوة ، وكلهم اسوة . أما الكبير فمالك ، جرىء فاتك ، يتعب السنابك[4]

---

(١) النجائب : عتاق الابل التى يسابق عليها ، والفره جمع فاره وهو النشيط الحاد القوى

(٢) أى نعطى (٣) أى لاتفرط (٤) جمع سنبك وهو طرف الحافر وجانباه من قدم ، قال العجاج :

سنابك الخيل يصدعن ألايَر من الصفا العاسى ويدهسن الغدر

ويستصغر المهالك ، وأما الذى يليـه فالغمر بحر غمر [١] ، يقصر دونه الفخر ، نهد [٢] صقر . وأما الذى يليه فعلقمة ، صليب المعجمة [٣] ، منيع المشتمة ، قليل الجمجمة . وأما الذى يليـه فعاصم ، سيد ناعم ، جلد صارم ، أبىّ حازم ، جيشه غانم ، وجاره سالم ، وأما الذى يليـه فثواب ، سريع الجواب ، عتيد الصواب ، كريم النصاب ، كليث الغاب . وأما الذى يليه فمدرك ، بَذُول لما يملك ، عزوب عما يترك ، يفني ويهلك . وأما الذى يليـه فجندل ، لِقِرْنه [٤] مجدل ، مقلّ لما يحمل ، يُعطى ويبذل ، وعن عدوه لا ينكل [٥] . فشاورت أختهـا عثمة فيهم . فقالت أختها : «ترى الفتيانَ كالنَخْل . وما يدريكَ ما الدَخْل » ، فذهب قولها مثلا يضرب فى ذى المنظر لاخير عنده . والدخل العيب الباطن . ثم قالت : اسمعى منى كلمة ، إنَّ شر الغريبة يُعْلَن . وخَيْرَها يدفن . انكحى فى قومك ، ولا تغررك الاجسام ، فلم تقبل منها . وبعثت الى أبيها : انكحنى مدركا . فانكحها أبوها على مائة ناقة ورعاتها ، وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلاً حتى صبحتهم فوارس من بنى مالك بن كنانة فاقتتلوا ساعة ، ثم إن زوجها واخوته وبنى غامد انكشفوا فسبوها فيمن سبوا فبينا هى تسير بكت . فقالوا : ما يبكيك أعلى فراق زوجك ؟ فقالت : قبحه الله . قالوا : لقد كان جميلا قالت : قبح الله جمالا لا نفع معه ، إنما أبكى على عصيانى أختى . وقولها . ترى الفتيان كالنخل المثـل وأخبرتهم كيف خطبوها . فقال لهـا رجل منهم يكنى أبا نواس شاب اسود أفوه مضطرب الخلق : أترضين بى على أن أمنعك من ذئاب العرب ؟ فقالت لاصحابه : أكذلك هو ؟ قالوا : نعم إنه مع ماترين ليمنع الحليلة ، وتتقيه القبيلة قالت : هذا أجمل جمال ، وأكمل كمال ، قد رضيت به فزوجوها منه

وقد سأل القيل الحميرى ولديه عن الرجال فى جملة ما سأل . قال للاكبر « وهو

---

(١) أى كثير الماء مغرق بين الغمورة ؛ يريد أنه كريم جواد كثير العطاء والنوال (٢) النهد ، الكريم ينهض إلى معالى الامور (٣) أى عزيز النفس إذا جرسته الامور وجدته عزيزاً صلباً (٤) الكفء فى الشجاعة أو عام (٥) نكل عنه كضرب ونصر وعلم نكولا نكص وجبن

عمرو » ما أحب الرجال اليك وأكرمهم عليك ؟ فقال عمرو : السيد الجواد ، القليل الانداد ، الماجد الاجداد ، الراسى الاوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذوّاد ، الصادرالوراد ، قال : ماتقول ياربيعة ؟ قال : ماأحسنَ ماوصف ! وغيرهأحب الىّ منه . قال : ومن يكون بعدهذا ؟ قال: السيد الكريم ، المانع للحريم ، المِفْضال الحليم ، القَمقام [1] الزعيم . الذى ان همّ فعل ، وان سُئِلَ بذل . قال : اخبرنى ياعمرو ما ابغض الرجال اليك ؟ قال : البَرم [2] اللئيم ، المستخذى [3] للخصيم ، المِبْطان النهيم [4] . العيي البكيم [5] ، الذى انْ سُئِلَ منع ، وان هدد خضع ، وان طلب جَشِع [6] . قال : ما تقول ياربيعة ؟ قال : غيره أبغض الىّ منه . قال : ومن هو ؟ قال : النَوُوم [7] الكذوب ، الفاحش الغَضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصِدام .

حديث النسوة التى اخبرن عن أحوال أزواجهن

روى أهل الكتب الصحيحة فى الحديث . وأئمة أهل اللغة والادب . انه خرج أحدى عشرةَ امرأة من خثعم وهى قبيلة من قبائل عرب اليمن . وكانت فى قرية من قرى اليمن فى الجاهلية الى مجلس فجلسن وقلن تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب فتعاهدن وتعاقدن ان لايكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً . فتكلمت كل واحدة منهن فى وصف زوجها بكلام بلغ من فصاحة الالفاظ وبلاغة العبارة والبديع مالا مزيد عليه . ولاسيما كلام الأخيرة منهن وهى أم زرع فانه مع كثرة فصوله ، وقلة فضوله ، مجتاز الكلمات ، واضح السمات ، نير النسمات ، قد قدرت الفاظهُ قدر معانيه ، وقررت قواعده وشيدت مبانيه ، أفرغ فى قالب

(١) بالفتح ويضم السيد لكثير الخير الواسع الفضل (٢) مر تفسيره قريباً (٣) الاستخذاء : الخضوع (٤) المبطان الذى همه بطنه أو الرغيب لاينتهى من الاكل ، والنهيم المفرط الشهوة فى الطعام ولا تملىء عينه ولا يشبع (٥) البكم محركة الخرس أو مع عى وبله أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر ، بكم كفرح فهو أبكم وبكيم (٦) الجشع أسوأ الحرص وقد جشع الرجل فهو جشع (٧) ويروى النؤوم أى الكثير النوم والاول انسب

الانسجام ، واتى به الخاطر بغير تكلف ، وجاء لفظه تابعاً لمعناه منقاداً له غير مستكره ولا منافر ، والله يمن على من يشاء بما شاء لااله الا هو [1] . ولنذكر كلامهن مع شرحه :

قالت الاولى وهى مهدد بنت ابى هزومة :

(زوجى لحم جمل غث ، على رأس جبل وعث ، لاسهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل ، وفى رواية فينتقى) . وصفته بقلة الخير وبعده مع القلة . فشبهته باللحم الذى صغرت عظامه عن النقى . وهو المخ وخبث طعمه وريحه مع كونه فى مرتقى يشق الوصول اليه . فلا يرغب أحد فى طلبه لينقله اليه . مع توفر دواعى أكثر الناس على تناول الشيء المبذول فقد أودعت كلامها تشبيه شيئين بشيئين : شبهت زوجها باللحم الغث ، وهو الهزيل الذى يستغث من هزاله ، أى يستترك ويستكره. وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعث ، أى كثير الضجر شديد الغلظة يصعب الرقى اليه . والوعث بالمثلثة الصعب المرتقى بحيث توحل فيه الاقدام ، فلا يتخلص منه ويشق فيه المشى ، ومنه وعثاء السفر ، ثم فسرت ما أجملت فكأنها قالت لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم ولو كان هزيلا لان الشيء المزهود فيه قد يؤخذ اذا وجد بغير نصب ، ثم قالت : ولا اللحم سمين فيتحمل المشقة فى صعود الجبل لاجل تحصيله .

قالت الثانية :

(زوجى لا ابث خبره . انى أخاف أن لا اذره . ان أذكره أذكر عُجَرَهُ وبُجَرَه)

جملت حال زوجها ، واكتفت بالاشارة الى معائبه خشية ان يطول الخطب بايراد جميعها . قال ابن فارس : يقال فى المثل افضيت اليه بعجرى وبجرى أى بامرى كله ومعنى أنى أخاف أن لا أذره أى أخاف أن لا أترك من خبره شيئاً . والعُجَرُ والبُجَرُ جمع عُجْرَةٍ وبُجْرَة بضم ثم سكون . فالعُجَر تعقد العصب والعروق فى الجسد حتى

(١) هذا الوصف لابن حجر العسقلانى

تصير ناتئة . والبُجَرَ مثلها الا أنها مختصة بالتى تكون فى البطن . قاله الاصمعى وغيره وقال ابن الاعرابى : العجرة نفخة فى الظهر ، والبجرة نفخة فى السرة . وقال ابن أبى أويس : العجر العقد التى تكون فى البطن واللسان ، والبجر العيوب . وقيل : العجر فى الجنب والبطن ، والبجر فى السرة . هذا أصلهما ، ثم استعملا فى الهموم والاحزان . ومنه قول على رضى الله تعالى عنه يوم الجمل : أشكو الى الله عُجَرى وبُجَرِى . وقال الاصمعى : استعملا فى المعائب . وبه جزم ابن حبيب وأبو عبيد الهروى . وقال أبو عبيد بن سلام ، ثم ابن السكيت : استعملا فيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره . وبه جزم المبرد . قال الخطابى : ارادت عيوبه الظاهرة . واسراره الكامنة . وقد سبق قول ابن فارس .

قالت الثالثة وهى كبشة بنت الارقم :

(زوجى العَشَنَّقُ ، ان أنطق أطلق . وان أسكت أعلق) العشنق : الطويل المذموم الطول . قال الاصمعى : أرادت انه ليس عنده أكثر من طوله بغير نفع . وقيل : ذمته بالطول لان الطول فى الغالب دليل السفه ، وعلل ببعد الدماغ عن القلب . وقال أبو سعيد الضرير : الصحيح ان العشنق الطويل النجيب الذى يملك أمر نفسه ، ولا تحكم النساء فيــه ، بل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه ان تنطق بحضرته فهى تسكت على مضض . قال الزمخشرى : وهى من الشكاية البليغة انتهى . ويؤيده ما وقع فى رواية يعقوب بن السكيت من الزيادة فى آخره وهو على حد السنان المذَلَّق . أى المجرد بوزنه ومعناه ، تشير الى انها منه على حذر . ومعنى ان انطق أطلق الخ أى ان ذكرت عيوبه فيبلغه طلقنى وان سكت عنها فانا عنده معلقة لاذات زوج ولا أيم . فكأنها قالت : أنا عنده لاذات بعل فانتفع به ، ولا مطلقة فاتفرغ لغيره . فهى كالمعلقة بين العلو والسفل ، لاتستقر باحدهما . ولم يرتض هذا بعضهم . وقال : وفى الشق الثانى عندى نظر لانه لوكان ذلك مرادها لانطلقت ليطلقها فتستريح ، قال : والذى يظهر لى انها أرادت وصف

سوء حالها عنده ، فاشارت الى سوء خلقه وعدم احتماله لكلامها ان شكت له حالها وانها تعلم انها متى ذكرت له شيئاً من ذلك بادر الى طلاقها ، وهى لاتؤثر تطليقه لمحبتها فيه ، ثم عبرت بالجملة الثانية اشارة الى انها ان سكتت صابرة على تلك الحال كانت عنده كالمعلقة التى لاذات زوج ولا أيم . قال عياض : أوضحت بقولها : على حد السنان المذلّق ، مرادها بقولها قبل أن أسكت أعلق ، وان أنطق أطلق . أى انها ان حادت عن السنان سقطت فهلكت ، وان استمرت عليه أهلكها .

قالت الرابعة :

(زوجى كليل تهامة ، لاحرّ ولا قرّ ، ولا مخافةَ ولا سآمة ، والغيث غيث غمامة) تصف زوجها بأنه لين الجانب ، خفيف الوطأة على الصاحب . ومعنى والغيث غيث غمامة : أنه لاشر فيه يخاف . وقال ابن الانبارى : أرادت بقولها ولا مخافة أى ان أهل تهامة لايخافون لتحصنهم بجبالها ، أو أرادت وصف زوجها بانه حامى الذمار ، مانع لداره وجاره ، ولا مخافة عند من يأوى اليه ، ثم وصفته بالجود . وقال غيره : قد ضربوا المثل بليل تهامة فى الطيب ، لانها بلاد حارة فى غالب الزمان ، وليس فيها رياح باردة فاذا كان الليل كان وهج الحرّ ساكناً فيطيب الليل لاهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حرّ النهار . فوصفت زوجها بجميل العشرة ، واعتدال الحال ، وسلامة الباطن ، فكأنها قالت لا أذى عنده ولا مكروه ، وأنا آمنة منه فلا أخاف من شره ، ولا ملل عنده فيسأم من عشرتى أو ليس بسيء الخلق فاسأم من عشرته ، فانا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل .

قالت الخامسة وهى حبىّ بنت علقمة :

(زوجى ان دخل فَهِد ، وان خرج أسِد ، ولا يسأل عما عَهِدَ ، ولا يرفع اليوم لغد) شبهته فى لينه وغفلته بالفَهَد لانه يوصف بالحياء ، وقلة الشر وكثرة النوم ، وشبهته بالاسد تصفه بالنشاط فى الغزو . وقال ابن أبى أويس : معناه

ان دخل البيت وثب عليّ وثوب الفهد ، وان خرج كان فى الاقدام مثل الاسد . تشير الى كثرة جماعه لهـا اذا دخل فينطوى تحت ذلك تمدحها بانها محبوبة لديه بحيث لا يصبر عنها اذا رآها ، واذا خرج على الناس كان أمره أشد فى الجرأة والاقدام والمهابة كالأسد . وقولها : ولا يسأل عما عهد بمعنى أنه شديد الـكرم ، كثير التغاضى ، لا يتفقد ماذهب من ماله ، واذا جاء بشىء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك ، أولا يلتفت الى مايرى فى البيت من المعائب ، بل يسامح ويغضى ومعنى قولها : ولا يرفع اليوم لغد . يعنى لا يدّخر ماحصل عنده اليوم من أجل الغد فَـكَنَتْ بذلك عن غاية جوده . ويحتمل أن يكون المراد انه يأخذ بالحزم فى جميع أموره فلا يؤخر مايجب عمله اليوم الى غد . فالتمثيل بالفهد من جهة كثرة التكرم أو الوثوب ، وبالاسد من جهة الشجاعة ، وبعدم السؤال من جهة المسامحة ، وبعدم الرفع الى الغد ما ذكر من عدم الادخار .

قالت السادسة وهى بنت اوس بن عبد ودّ :

(زوجى ان أكل لف ، وان شرب اشتفّ ، وان اضطجع التف ، ولا يولج الـكف ليعلم البث) . وفى رواية بزيادة وان ذبح اغتث . أى تحرى الغث وهو الهزيل . وقد جمعت فى وصفها له بين اللؤم والبخل ، والنهمة والمهانة ، وسوء العشرة مع أهله . فان العرب تذم بكثرة الاكل والشرب ، وتتمدح بقلتهما وبكثرة الجماع لدلالتها على صحة الذكورية والفحولية . فان المراد باللف الاكثار من الاكل واستقصاؤه حتى لا يترك شيئاً منه . والاشتفاف فى الشرب استقصاؤه مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف وهى البقية تبقى فى الاناء . فاذا شربها الذى شرب الاناء قيل اشتفها . وقولها : التف . أى رقد ناحية وتلفف بكسائه وحده ، وانقبض عن أهله اعراضاً فهى كئيبة حزينة لذلك . ولذلك قالت : ولا يولج الـكف ليعلم البث أى لا يمد يده ليعلم ما هى عليه من الحزن فيزيله ، ويحتمل أن تكون أرادت انه ينام نوم العاجز الفشل الـكسل . والمراد بالبث الحزن ، ويطلق

على الشكوى ، وعلى المرض وعلى الامر الذى لا يصبر عليه . ارادت أنه لا يسأل عن الامر الذى يقع اهتمامها به فوصفته بقلة الشفقة عليها ، وأنه لو رآها عليلة لم يدخل يده فى ثوبها ليتفقد خبرها كمادة الاجانب فضلا عن الازواج ، وقيل فى المراد به غير ذلك .

قالت السابعة وهى هند :

(زوجى غياياء طباقاء ، كل دآء له دآء ، شَجَّك أو فَلَّك ، أو جمع كلاًّ لك)

الغياياء الطباقاء الاحمق الذى ينطبق عليه أمره . وعن الجاحظ الطباقاء الثقيل الصدر عند الجماع ينطبق صدره على صدر المرأة فيرتفع سفله عنها . وقد ذمت امرأة امرأ القيس فقالت له ثقيل الصدر خفيف العجز ، سريع الاراقة ، بطىء الافاقة . وقولها : كل دآء له داء أى كل شىء تفرق فى الناس من المعائب موجود فيه . وقولها : شجك أو فلك أى جرحك فى رأسك وجسدك . قال عياض وصفته بالحمق والتناهى فى سوء العشرة وجمع النقائص بان يعجز عن قضاء وطَرِها مع الاذى ، فان حدثته سبها ، واذا مازحته شَجَّها ، واذا اغضبته كسر عضواً من أعضائها ، أوشق جلدها ، أو أغار على مالها ، أو جمع كل ذلك من الضرب والجرح وكسر العضو وموجع الكلام وأخذ المال .

قالت الثامنة وهى عمرة بنت عمرو :

(زوجى المس مس أرنب ، والريح ريح زَرْنَب) وصفته بانه لين الجسد ناعمه فان الأرنب دُوَيبَّة لينة المس ناعمة الوبر جداً ، والزرنب بوزن الارنب لكن أوله زاى وهو نبت طيب الريح ، ويحتمل أن تكون كَنَتْ بذلك عن حسن خلقه ، ولين عريكته ، بانه طيب العرق لكثرة نظافته ، واستعماله الطيب تظرفا . ويحتمل أن تكون كنت بذلك عن طيب حديثه ، أو طيب الثناء عليه لجميل معاشرته . وفى رواية أخرى بزيادة قولها : وأنا أغلبه والناس يغلب . فوصفته مع جميل عشرته لها ، وصبره عليها بالشجاعة . وهو كما قال معاوية رضى الله عنه :

يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام . وأما قولها : والناس يغلب ففيه نوع من البديع يسمى التتميم لانها لواقتصرت على قولها وأنا أغلبه لظن أنه جبان ضعيف فلما قالت والناس يغلب دل على أن غلبها اياه إنما هو من كرم سجاياه . فتمت بهذه الكلمة المبالغة فى حسن أوصافه .

قالت التاسعة وهى كبشة :

(زوجي رفيعُ العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرَّماد ، قريب البيت من الناد)

زاد الزبير بن بكار فى روايته : (لايشبع ليلةَ يُضاف ، ولا ينام ليلةَ يخاف) وصفته بطول البيت وعلوه فان بيوت الاشراف كذلك يعلونها ويضربونها فى المواضع المرتفعة ليَقْصِدَهم الطارقون والوافدون ، فطول بيوتهم إما لزيادة شرفهم ، أو لطول قاماتهم ، وبيوت غيرهم قصار . وقد لهج الشعراء بمدح الاول وذم الثانى كقوله :

قصار البيوت لاترى صهواتها

وقال آخر :

اذا دَخَلَوا بيوتهم اكبّوا على الركبات من قصر العماد

ومن لازم طول البيت أن يكون متسعاً فيدل على كثرة الحاشية والغاشية . وقيل : كَنَتْ بذلك عن شرفه ورفعة قدره . والنجاد بكسر النون وجيم خفيفة حمالة السيف ، تريد أنه طويل القامة يحتاج الى طول نجاده ، وفى ضمن كلامها أنه صاحب سيف فاشارت الى شجاعته ، وكانت العرب تتمادح بالطول وتذم بالقصر وقولها : عظيم الرماد . تعنى ان نار قراه للاضياف لاتطفئ لتهتدى الضيفان اليها فيصير رماد النار كثيراً لذلك . وقولها : قريب البيت من الناد وقفت عليها بالسكون لمواخاة السجع ، والنادى والندىّ : مجلس القوم . وصفته بالشرف فى قومه ، فهم اذا تفاوضوا واشتوروا فى أمر اتوا فجلسوا قريباً من بيته فاعتمدوا على رأيه وامتثلوا أمره ، أو أنه وضع بيته فى وسط الناس ليسهل لقاؤه ويكون أقرب الى الوارد وطالب القرى . قال زهير :

يسط البيوتَ لكي يكون مَظِنَّةً ... من حيث توضع جَفْنَةُ المسترفدِ

ويحتمل أن تريد ان أهل النادى اذا أتوه لم يصعب عليهم لقاؤه لكونه لا يحتجب عنهم ولا يتباعد منهم بل يقرب ويتلقاهم ويبادر لاكرامهم ، وضده من يتوارى بأطراف الحلال واغوار المنازل ويبعد عن سمت الضيف لئلا يهتدوا الى مكانه ، فاذا استبعدوا موضعه صدوا عنه ومالوا الى غيره . ومحصل كلامها : أنها وصفته بالسيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة .

قالت العاشرة وهى حىّ بنت كعب :

(زوجى مالك وما مالك ، مالك خير من ذلك ، له ابل كثيرات المبَارك قليلات المسارح ، واذا سمعن صوت المِزْهَر ايقنّ أنهنّ هوالك) ووقع فى رواية يعقوب بن السكيت وابن الانبارى من الزيادة : وهو امام القوم فى المهالك . المبارك بفتحتين جمع مبرك وهو موضع نزول الابل . والمسارح : جمع مسرح وهو الموضع الذى تطلق لترعى فيه . والمِزْهَر بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء آلة من آلات اللهو ، فجمعت فى وصفها له بين الثروة والكرم وكثرة القرى والاستعداد له والمبالغة فى صفاته ، ووصفته أيضاً مع ذلك بالشجاعة لأن المراد بالمهالك الحروب . وهو لثقته بشجاعته يتقدم رفقته . وقيل : أرادت أنه هاد فى السبل الخفية ، عالم بالطرق فى البيداء . فالمراد على هذا بالمهالك المفاوز ، والأول أليق والله أعلم . وما فى قولها : وما مالك ، استفهامية يقال للتعظيم والتعجب والمعنى وأى شىء هو مالك ما أعظمه وأكرمه ، وتكرير الاسم ادخل فى باب التعظيم . وقولها : مالك خير من ذلك زيادةٌ فى الاعظام ، وتفسير لبعض الابهام ، وأنه خير مما أشير اليه من ثناء وطيب ذكر ، وفوق ما اعتقد فيه من سؤدد وفخر ، وهو أجل ممن أصفه لشهرة فضله . وهذا بناء على أن الاشارةَ بقولها ذلك الى ما تعتقده فيه من صفات المدح . ويحتمل أن يكون المراد مالك خير مما فى ذهنك من مالك الأموال وهو خير مما أصفه به . ويحتمل أن تكون

الاشارة الى ما تقدم من الثناء على الذين من قبله ، وأن مالكا أجمع من الذين قبله لخصال السيادة و الفضل . ومعنى قولها : قليلات المسارح أنه لاستعداده للضيفان بها لا يوجه منهن الى المسارح الا قليلا و يترك سائرهن بفنائه . فان فاجأه ضيف وجد عنده ما يَقْرِيه به من لحومها وألبانها . ومنه قول الشاعر :

حبسناولم نسرحْ لكي لا يلومنا   على حكمه صبراً معوّدة الحبس

ويحتمل أن تريد بقولها : قليلات المسارح الاشارةَ الى كثرة طروق الضيفان . فاليوم الذى يطرقه الضيف فيه لا تسرح حتى يأخذ منها حاجته للضيفان ، واليوم الذى لا يطرقه فيه أحد أو يكون هو فيه غائباً تسرح كلها ؛فأيام الطروق أكثر من أيام عدمه ، فهى لذلك قليلات المسارح . وبهذا يندفع اعتراض من قال لو كانت قليلات المسارح لكانت فى غاية الهزال . وقيل : المراد بكثرة المبارك أنها كثيراًما تثار فتحلب ثم تترك فتكثر مباركها لذلك . وقال ابن السكيت : إن المراد أن مباركها على العطايا والحمالات (١) وادآء الحقوق وقرى الاضياف كثيرة ، وانما يسرح منها مافضل عن ذلك . فالحاصل أنها فى الاصل كثيرة ، ولذلك كانت مباركها كثيرة ، ثم اذا سرحت صارت قليلة لاجل ماذهب منها . وأما رواية من روى : عظيمات المبارك . فيحتمل أن يكون المعنى أنها من سمنها وعظم جثتها تعظم مباركها ، وقيل : المراد أنها اذا بركت كانت كثيرةً لكثرة من ينضم اليها ممن يلتمس القرى ، واذا سرحت سرحت وحدها فكانت قليلة بالنسبة لذلك . وأما قولها : ايقنّ أنهن هوالك . فالمعنى أنه لما كثرت عادته بنحر الابل لقرى الضيفان — ومن عادته ان يسقيهم ويلهيهم أو يتلقاهم بالغناء مبالغة فى الفرح بهم — صارت الابل اذا سمعت صوت الغناء عَرَفت أنها تنحر :

قالت الحادية عشر وهى عاتكة كما قال ابن دريد فى كتاب الوشاح :

(زوجى أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ أناسَ من حُلّى أُذُنَىَّ ، وملا من شحم

(١) الحمالة كسحابة الدية يحملها قوم عن قوم كالحمال

عضُدَىّ ، وبَجَحنى فبَجَحَتْ الىّ نفسى ، وجدنى فى أهل غُنَيْمَةٍ بشق ، فجعلنى فى أهلِ صهيلٍ وأطيطٍ ودائسٍ ومنقٍ ، فعنده أقول : فلا أقبَّح ، وأرقد فأتصبّح ، وأشرب فأتقنح ، أم أبى زرع ، فما ام أبى زرع ؟عكومُها رداح ، وبيتهافَساح ، ابن أبى زرع ، فماابن أبى زرع ؟ مضجعه كمسل شطبة ، ويشبعه ذراع الجفرة . بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائهاوغيظ جارتها . جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثناتبثيثا ، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا . قالت:خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقنى ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سَرِّيا ، ركب شريّا ، وأخذ خطيا ، وأراح علىَّ نَعَمًا ثريًّا ، وأعطانى من كل رائحة زوجا ، وقال : كلى أم زرع وميرى أهلك . قالت : فلو جمعتُ كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغرَ آنيةِ أبى زرع .

زاد الطبرانى فى رواية بعد قولها فما أبو زرع (صاحب نعم وزرع) ومعنى أناس من حلىّ اذنىّ : أنه ملأ أذنيها بما جرت به عادة النساء من التحلى به من قرط وشنف من ذهب ولؤلؤ ونحو ذلك . ومعنى وملأ من شحم عضدى : قال أبو عبيد : لم ترد العضد وحده وانما أرادت الجسد كله ، لأن العَضُدَ اذا سمنت سمن سائر الجسد ، وخصت العضد لأنه أقرب مايلى بصر الانسان من جسده . ومعنى بجحنى فبجحتْ الىّ نفسى : أنه فرحها ففرحت . وقال ابن الانبارى : المعنى عظمنى فعظمت الىّ نفسى . ومعنى وجدنى فى أهل غنيمة بشَقٍّ : انهم كانوا فى شق جبل أى ناحيته ولقلتهم وسعهم . ومعنى أهل صهيل وأطيط أى خيل وأبل ، وأصل الاطيط صوت أعواد المحامل ، والرحال على الجمال ، فارادت أنهم أصحاب محامل تشير بذلك الى رفاهتهم ودائس من الدوس . قال ابن السكيت : هو الذى يدوس الطعام فكأنها أرادت أنهم أصحاب زرع . وقال أبو سعيد : المراد أن عندهم طعاماً منتقى . وهم فى دياس شىء آخر فخيرهم متصل . ومنق بكسر النون وتشديد

القاف ، وقد اختلف أهل اللغة فى تفسير هذه الكلمات . الحاصل أنها ذكرت أنه نقلها من شظف عيش أهلها الى الثروة الواسعة من الخيل والابل والزرع وغير ذلك. ومن امثالهم : ان كنت كاذباً فحلبت قاعداً أى صار مالك غنما يحلبها القاعد ، وبالضد أهل الابل والخيل . ومعنى فلا أقبح : لا يقال لى قبحك الله أولا يقبح قولى ولا يرد علىّ ، أى لكثرة أكرامه لها وتدللها عليه لا يرد لها قولاً ولا يقبح عليها ماتأتى به . ومعنى وارقد فاتصبح : أنام الصبحة ، وهي نوم أول النهار فلا أوقظ اشارة الى أن لها من يكفيها مؤنة بيتها ومهنة أهلها . وأرادت بقولها وأشرب فأتقنّح : انها تشرب حتى لا تجد مساغا . واختلف اللغويون فى معنى اتقنح فقال أبو عبيد : معناه أروى حتى لا أحب الشرب . وقيل غير ذلك . والشرب يعم شرب اللبن والخمر والنبيذ والسويق وغير ذلك . والعكوم بضم المهملة جمع عِكم بكسرها وسكون الكاف هي الاعدال والاحمال التى تجمع فيها الامتعة . ورَداح أى عظام كثيرة الحشو قاله أبو عبيد . وقال الهروى : معناه ثقيلة . يقال للمرأة اذا كانت عظيمة الكفل ثقيلة الورك رداح . وفَساح بفتح الفاء والمهملة أى واسع . وصفت والدة زوجها بأنها كثيرة الآلات والاثاث والقماش واسعة المال كبيرة البيت ، اما حقيقة فيدل ذلك على عظم الثروة ، واما كناية عن كثرة الخير ورغد العيش والبر بمن ينزل بهم لانهم يقولون فلان رحب المنزل أى يكرم من ينزل عليه . وأشارت بوصف والدة زوجها الى أن زوجها كثير البر لأمه وانه لم يطعن فى السن لان ذلك هو الغالب ممن يكون له والدة توصف بمثل ذلك وقولها (ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ، مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة) وفى رواية لابن الانبارى بزيادة (وترويه فِيقةُ اليَعْرة . ويميس فى حلق النثرة) قال ابن الاعرابى : أرادت بمسل الشطبة سيف سل من غمده فمضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسل شطبة واحدة . والجفرة : الأنثى من ولد المعز اذا كان ابن أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى قاله أبو عبيد وغيره

وقال ابن الانبارى وابن دريد : ويقال لولد الضأن أيضاً اذا كان ثنياً . وقال الخليل : الجفر من أولاد الشاة ما استجفر أى صار له بطن . والفيقة بكسر الفاء وسكون التحتانية بعدها قاف ما يجتمع فى الضرع بين الحلبتين والفُواق بضم الفاء الزمان الذى بين الحلبتين . واليعرة : بفتح التحتانية وسكون المهملة بعدها راء العناق . ويميس بالمهملة أى يتبختر . والمراد بحلق النثرة . وهى بالنون المفتوحة ثم المثناة الساكنة . الدرعُ اللطيفة أو القصيرة ، وقيل اللينة الملمس ، وقيل الواسعة . والحاصل انها وصفته بِهَيَفِ القد وانه ليس ببطين ولاجافى قليل الاكل والشرب ملازم لآلة الحرب يختال فى موضع القتال ، وكل ذلك مما تتمادح به العرب ويحتمل أنها وصفته بأنه خفيف الوطأة عليها لان الزوج غالباً يستثقل ولده من غيرها فكان هذا يخفف عنها فاذا دخل بيتها فاتفق أنه قال(١) فيه مثلا لم يضطجع الاقدر مايسل السيف من غمده ثم يستيقظ مبالغة فى التخفيف عنها . وكذا قولها : يشبعه ذراع الجفرة أنه لايحتاج ماعندها بالاكل فضلا عن الاخذ بل لوطعم عندها لاقتنع باليسير الذى يسد الرَمَق من المأكول والمشروب . وقولها فى بنت أبى زرع : طوع أبيها وطوع أمها أى أنها بارة بهما . وفى رواية الزبير بزيادةِ : (وزين أهلها ونسائها) أى يتجملون بها . وملء كسائها : كناية عن كمال شخصها ، ونَعْمة جسمها . وغيظ جارتها ، أي ضرتها . أو هو على حقيقته لان الجارات من شأنهن ذلك . وزاد الكاذى فى روايته عن ابن السكيت (وصفر ردائها) وزاد فى رواية (قَبَّاء ، هضيمة الحشا ، جائلة الوِشاح ، عكناء ، فعماء ، نَجْلاء ، دعْجاء ، رَجّاء ، قَنْواء ، مونَّقة ، مغنَّقة) وصِفْر بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء أى خال فارغ . والمعنى : أن رداءها كالفارغ الخالى لانه لايَمَسُّ من جسمها شيئاً ، لأن ردفها وكتفيها يمنع مسه من خلفها شيئاً من جسمها ونهدها يمنع مسه شيئاً من مقدمها . وفى كلام ابن أبى أويس وغيره : معنى قولها صفر ردائها تصفها بأنها خفيفة موضع التردية وهو أعلى بدنها .

---

(١) قال قيلا وقائلة وقيلولة : نام في القائلة وهي نصف النهار

ومعنى قولها : وملء كسائها أى ممتلئة موضع الازرة وهو أسفل بدنها . والصفر الشيء الفارغ . قال عياض : والاولى أنه اراد أن امتلاء منكبيها ، وقيام نهديها ، يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فهو لا يمسه فيصير كالفارغ منها بخلاف أسفلها . ومنه قول الشاعر :

ابَتِ الروادف والنهود لقمصها من ان تَمَسَّ بطونها وظهورها

وقولها « قبّاء » بفتح القاف وبتشديد الموحدة أى ضامرة البطن « وهضيمة الحشا » هو بمعنى الذى قبله « وجائلة الوشاح » أى يدور وشاحها لضمور بطنها « وعكناء » أى ذات أعكان « وفعماء » بالمهملة أى ممتلئة الجسم « ونجلاء » بنون وجيم أى واسعة العين « ودعجاء » أى شديدة سواد العين « ورَجّاء » بتشديد الجيم أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه ان كانت الرواية بالراء، فان كانت بالزاى فالمراد فى حاجبيها تقويس «وقنواء» بفتح القاف وسكون النون والمد من القنو طول فى الانف ورقة الارنبة مع حدبة فى وسطه «ومونّقة» بنون ثقيلة وقاف «ومغنّقة» بوزنه أى مغذية بالعيش الناعم وكلها أوصاف حسان ، وقولها فى جارية أبى زرع ، لا تبث حديثنا تبثيثا، بمعنى لا تظهره، ولا تنقّث بتشديد القاف بعدها مثلثة أى تسرع فيه بالخيانة وتذهبه بالسرقة ، والميرة بكسر الميم وسكون التحتانية بعدها راء الزاد وأصله ما يحصله البدوى من الحضر ويحمله الى منزله لينتفع به أهله ، وقولها : ولا تملأ بيتنا تعشيشا أى انها مصلحة للبيت مهتمة بتنظيفه والقاء كناسته وابعادها منه وانها لا تكتفى بقَمّ (1) كناسته وتركها فى جوانبه كانها الاعشاش . قالت : خرج أبو زرع والا وطاب تمخض أرادت أنه يبكر بخروجه من منزلها غدوة وقت قيام الخدم والعبيد لاشغالهم . والاوطاب : جمع وَطب بفتح أوله وهو وعاء اللبن . وانطوى فى خبرها كثرة خير داره وغزارة لبنه وان عندهم ما يكفيهم ويفضل حتى يمخضوه ويستخرجوا زبده ، ويحتمل أن يكون انها أرادت أن الوقت الذى خرج فيه كان فى زمن الخِصبِ وطيب الربيع ، وكان سبب ذكر

---

(1) قم البيت : كنسه

ذلك توطئة للباعث على رؤية أبي زرع للمرأة على الحالة التي رآها عليها ، أى انها من حمض اللبن تعبت فاستقلت تستريح فرآها أبو زرع على ذلك . وفائدةوصف الولدين بانهما كالفهدين التنبيهُ على أسباب تزويج أبي زرع لها لأنهم كانوا يرغبون فى أن تكون أولادهم من النساء المُنجِبات فلذلك حرص أبو زرع عليها لما رآها . وفى تشبيه النهدين بالرمانتين اشارة الى صغر سنها . وقولها : فنكحت بعده رجلا سريا أى من سراة النـاس وهم كبراؤهم فى حسن الصورة والهيئة والسريّ من كل شيء خياره . وركب شَريًا : تعني فرساً خياراً فائقاً . وأخـذ خطياً : أى رمحاً منسوبا الى الخط وهو موضع بنواحى البحرين تجلب منه الرماح وأراح : من الرواح . ومعناه أتى بها الى المراح وهو موضع مبيت الماشية . قال ابن أبي أويس : معناه انه غزا فغنم فاتى بالنعم الكثيرة . والنَعَم : بفتحتين الابل خاصة ، ويطلق على جميع المواشى اذا كان فيها ابل وثريا أى كثيرة . والثرى : المال الكثير من الابل وغيرها ، وأرادت بقولها : وأعطانى من كل رائحة زوجا كثرة ما أعطاها وانه لم يقتصر على الفرد من ذلك والرائحة الآتية وقت الرواح وهو آخر النهار . ومعنى قوله كل أم زرع وميرى أهلك أى صليهم واوسعى عليهم بالميرة وهى الطعام . والحاصل : انهـا وصفته بالسؤدد فى ذاته والشجاعة والفضل والجود بكونه اباح لها أن تأكل ما شاءت من ماله وتهدى منه ما شاءت لأهلها مبالغة فى اكرامها ، ومع ذلك فكانت أحواله عندها محتقرة بالنسبة لابي زرع . وكان سبب ذلك أن أبا زرع كان أول أزواجها فسكنت محبته فى قلبها ، كما قيـل * ما الحب الا للحبيب الاول * ولذلك قالت : فلو جمعت كل شيء اعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع . وقد تبين مما أوردناه من أسـجاع العرب فى وصف الرجال والازواج على الاختـلاف فى العبارات أن مآله ومحصّله أن المحمود منهم هو الجامع للصفات المحمودة خلقاً وخلقا عند ذوى العقول السليمة ، وان المذموم منهم من اتصف بخلاف ذلك ، وبه يعلم ما كان عليه العرب جاهلية من المكانة فى الرأى .

طلاق العرب فى الجاهلية وعدة نسائهم

كان العرب فى الجاهلية يطلقون ثلاثا على التفرقة ، وأول من سن ذلك لهم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ثم فعلت العرب ذلك ، فكان أحدهم يطلق زوجته واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها . ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب بها عنه[1] فاتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها :

أيا جارتى بِينى فانَّكِ طالقه كذاكِ أمورُ الناسِ غادٍ وطارقه[2]

قالوا : ثانية . فقال :

و بِينى فان البينَ خيرٌ من العصا والا ترى لى فوقَ رأسك بارقه

قالوا : ثالثة . فقال :

و بِيني حَصان الفرج غيرَ ذميمةٍ وموموقة قد كنتِ فينا ووامقه[3]

وكانوا يخلعون نساءهم أيضاً . والخلع فراق الزوجة على مال مأخوذ من خلع الثوب ، لأن المرأة لباس الرجل معنى وضم مصدره تفرقة بين الحسىّ والمعنوى . وذكر أبو بكر بن دريد فى أماليه : أنه أول خلع كان فى الدنيا ان عامر بن الظَرِب بفتح المعجمة وكسر الراء ثم موحدة ، زوج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث

---

(١) وقيل بل انه لم يرضها ولم يستحسن خلقها فطلقها (راجع ج ٨ ص٨٠ و٨١ من الاغانى)

(٢) قوله بينى يقال بان الشىء إذا انفصل فهو بائن وابنته بالالف فصلته وبانت المرأة بالطلاق فهى بائن بغير هاء وابانها زوجها بالالف فهى مبانة ، وطلق الرجل امرأته تطليقاً فهو مطلق وطلقت هى تطلق من باب قتل وفى لغة من باب قرب فهى طالق بغيرها ، قال الازهرى : وكلهم يقول طالق بغير هاء ، قال وأما قول الاعشى أيا جارتا الخ فقال الليث أراد طالقة غداً وإنما أجترأ عليه لانه يقال طلقت فحمل النعت على الفعل . وقال ابن فارس أيضاً : امرأة طالق طلقها زوجها وطالقة غداً فصرح بالفرق لان الصفة غير واقعة ، وهذه تعليلات باردة وأقوال فاسدة لا يقوم عليها برهان ولا شىء اضعف من حجج النحويين والصواب جواز الوجهين بدون تعليل وتمحل دعاوى واهنة ، قال الجوهرى : يقال طالق وطالقة وأنشد بيت الاعشى ، وأجيب بجوابين متكلفين فان أحببت الوقوف عليهما فراجع مادة طلق من المصباح (٣) الحصان بالفتح المرأة العفيفة وهي بينة الحصانة أى العفة ، وومقه كورثه ومقاً ومقه أحبه فهو وامق

ابن الظرب . فلما دخلت عليه نفرت منه فشكا الى أبيها ، فقال : لاأجمع عليك فراق أهلك ومالك وقدخلعتها منك بما أعطيتها . قال : فزعم العلماء ان هذا كان أول خلع فى العرب « وقال الشافعى » رحمه الله تعالى سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : كان أهل الجاهلية يطلقون بثلاث (الظهار) و (الايلاء) و (الطلاق) فأقر الله تعالى الطلاقَ طلاقاً وحكم فى الايلاء والظهار بما بين فى القرآن انتهى « والظهار » تشبيه الرجل زوجته أو ما يعبر به عنها أو جزء شائع بمحرم عليه تابيداً ، كأنْ يقول : انتِ علىّ كظهرأمى ، أو كبطنها ، أو كفخذها ، أو كفرجها ، أو كظهر أختى ، أو عمتى . واما الايلاء : فهو الحلف على ترك قربان المرأة مدة . اخرج الطبرانى من حديث ابن عباس : كان ايلاء الجاهلية السنة والسنتين ، فوقت الله لهم أربعة أشهر فمن كان ايلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بايلاء . وكانت النساء تعتد من الطلاق والموت ، وكن يبالغن فى احترام حق الزوج ، وتعظيم حرمة عقد النكاح غاية المبالغة . فقد كانت المرأة فى الجاهلية اذا مات زوجها تتربص سنة فى شر ثيابها ، وحِفْش[1] بيتها ، وبذلك أخبر الحديث . ففى البخارى عن أم سلمة جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت : يارسول الله إن ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلُها : فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا ، مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول : لا . ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : انما هى أربعة أشهر وعشراً ، [2] وقد كانت احداكن فى الجاهلية ترمى بالبعرة على رأس الحول . قال حميد : فقلت لزينب : وما ترمى بالبعرة على رأس الحول ؟ فقالت زينب : كانت المرأة اذا توفى عنها زوجها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمرّ بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طائر [3] فتفتض به فقلما تفتض بشىء الا مات ، ثم

---

(١) بكسر الحاء وسكون الفاء : البيت الصغير الحقير وقيل فى ضبطه وتفسيره غير ذلك

(٢) كذا فى الاصل بالنصب على حكاية لفظ القرآن ولبعضهم بالرفع وهو واضح (٣) قوله بدابة بالتنوين وحمار بالجر والتنوين على البدل وقوله او شاة أو طائر للتنويع لا للشك واطلاق الدابة على

تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره انتهى .
وتفتض بفاء ثم مثناة ثم ضاد معجمة ثقيلة فسره مالك بقوله : تمسح به جلدها ، وأصل الفض الكسر أى تكسر ما كانت فيه وتخرج منه بما تفعله بالدابة . ووقع فى رواية للنسائى : تقبص بقاف ثم موحدة ثم مهملة خفيفة وهى رواية الشافعى والقبص : الأخذ بأطراف الأنامل . قال الاصبهانى وابن الأثير : هو كناية عن الاسراع أى تذهب بِعَدْوٍ وسرعة الى منزل أبويها لكثرة حيائها لقبح منظرها أو لشدة شوقها الى التزويج لبعد عهدها به . والضبط الاول أشهر . قال ابن قتيبة : سألت الحجازيين عن الافتضاض فذكروا أن المعتدة كانت لا تمس ماء ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً ، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ، ثم تفتض أى تكسر ما هى فيه من العدة بطائر تمسح به قبلها وتنبذه ، فلا يكاد يعيش بعد ما تفتض به .
واختلف فى المراد برمى البعرة فقيل : هو اشارة الى أنها رمت العدة رمى البعرة . وقيل : اشارة الى أن الفعل الذى فعلته من التربص والصبر على البلاء الذى كانت فيه لما انقضى كان عندها بمنزلة البعرة التى رمتها استحقاراً له وتعظيما لحق زوجها . وقيل : بل ترميها على سبيل التفاؤل بعدم عودها الى مثل ذلك .
ووقع فى رواية شعبة : فاذا كان حول فمر كلب رمت ببعرة . وظاهره أن رميها البعرة يتوقف على مرور الكلب سواء طال زمن انتظار مروره أم قصر . وقيل : ترمى بها من عرض من كلب أو غيره ترى من حضرها أن مقامها حولا أهون عليها من بعرة ترمى بها كلباً أو غيره . وقد أبطل الله تعالى ذلك بالاسلام وشريعته التى جعلها رحمة وحكمة ومصلحة ونعمة ، فجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً على وفق الحكمة والمصلحة ، إذ لا بد من مدة مضروبة لها ، وأولى المدد لذلك المدة التى يعلم فيها وجود الولد وعدمه ، فانه يكون أربعين يوما نطفة ، ثم أربعين علقة ، ثم أربعين مضغة فهذه أربعة أشهر ، ثم ينفخ فيه الروح فى الطور الرابع ، وقدر بعشرة أيام لتظهر حياته بالحركة ان كان ثَمَّ حمل .

ماذكر هو بطريق الحقيقة اللغوية لا العرفية

بيان ما كان للعرب فى هذا الباب مما أبطلته الشريعة

كانت العرب فى جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها . كانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات ، إلا ما يحكى ان حاجب بن زرارة وهو سيد بنى تميم تزوج بنته واولدها . وقد كان سماها (دختنوس) باسم بنت كسرى ، فقال فيها حين نكحها مرتجزاً :

يا ليتَ شعرى عنك دختنوسُ   اذا أتاها الخبر المرموسُ
أتسحب الذيلين أم تميسُ   لا بل تميس إنها عروسُ (١)

وقد تنزهت العرب ولا سيما قريش من هذه المناكح حفظاً لحرمة الارحام الدانية أن تُنْتَهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية ، وتقل الغيرة ، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة . وكان أقبح ما يصنع بعضهم أن يجمع بين الأختين . وأول من جمع بينهما أبو جنحة سعيد بن عاصم جمع بين هند وصفية ابنتَىْ المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فأبطل ذلك الاسلام . ومن قبيح ما كانوا يفعلون أن يخلف الرجل على امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن . قال أوس ابن حجر التميمى يعير قوما من بنى قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم واحداً بعد آخر وكانوا ثلاثة :

نيكوا فكيهة وامشوا حول قبتها   فكلُّكم لأبيه ضَيْزَنٌ سَلَفُ (٢)

وكان الرجل من العرب إذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فان كان

---

(١) نسبهما أبو الفرج الاصبهانى فى الاغانى (ج ١٠ ص ٣٨ والمجد فى القاموس) إلى لقيط ابن زرارة ، قال أبو الفرج : دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمر وبن عمرو بن عدس وكذلك الزمخشرى فى الاساس فى مادة رمس ، قال : ورمست على الامر كتمته ورمس الخبر قال لقيط بن زرارة ياليت شعرى الخ ، والميس : التبختر ، وسيأتى للبحث مزيد تفصيل

(٢) رواية التاج :

والفارسية فيهم غير منكرة   فكلهم لابيه ضيزن سلف

يقول هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه ، وقال ابن الاعرابى : الضيزن الذى يتزوج امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ، وقيل من يزاحم أباه فى امرأته

له حاجة فيها طرح ثوبه عليها ، وان لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض اخوته بمهر جديد . وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله سبحانه : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاَّ ماقد سَلَفَ إنه كانَ فاحِشةً ومقتاً وساءَ سبيلا ، وقد كان هذا النكاح يسمى فى الجاهلية نكاح المقت ويسمى الولد منه مقتىٌّ ، ويقال له أيضاً مقيت أى مبغوض مستحقر . وكان من هذا النكاح على ماذكره الطبرسى : الأشعثُ ابن قيس ومعيط جد الوليد بن عقبة . قال ابن قتيبة : من خلف على امرأة أبيه بعده جماعة ، كانت برة ابنة مرّ أخت تميم بن مرّ تحت خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر . فخلف عليها ابنه كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وغيره من ولده الا عبد مناة بن كنانة . وكانت ناجية بنت جرم بن ريان من قضاعة تحت سامة بن لؤىّ فولدت له غالب بن سامة ، ثم هلك عنها فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة . وكانت واقدة من بنى مازن بن صعصعة عند عبدمناف فولدت له نوفلا وأبا عمرو فهلك عنها ، وخلف عليها هاشم بن عبد مناف فولدت له خالدة وضعيفة وكانت آمنة بنت ابان بن كليب عند أُميةَ بن عبد شمس فولدت له الاعياص ثم هلك عنها فخلف عليها ابنه ابو عمرو بن امية وولدتَ له أبا معيط . وكانت مليكة بنت سنان ابن أبى حارثة المرى أخت هرم بن سنان تحت زبان ابن سيار بن عمرو الفزارىّ فتزوجها بعده ابنه منظور بن زبان وولدت له خولة بنت منظور وهاشم بن منظور فتزوج بها الحسن بن على بن أبى طالب فولدت له الحسن بن الحسن رضى الله تعالى عنهم ، ثم خلف عليها بعده محمد بن طلحة بن عبيد الله فجاءت بابراهيم بن محمد وهو الاعرج الى غير ذلك انتهى . وعمرو بن معد يكرب تزوج امرأة لأبيه بعده فى الجاهلية ، وهى التى قال فيها هذه الأبيات:

تقولُ حليلتى لما قَلَتْنى شرائجُ بين كُدْرِيٍّ وجون
تراه كالثُغام يعلّ مسكا يسوءُ الفالياتِ اذا فلينى
فزينُك فى شريطك أُمَّ عمروٍ وسابغة وذو النُونَيْنِ زينى

فلو شَمَّرْنَ ثم عَدَوْنَ رَهْواً بكل مُدَجَّجٍ لعرفت لونى
اذا ما قلتُ : إن علىَّ ديناً بطعنة فارسٍ قضيتُ دينى
لقعقعة اللجام برأس طِرْف أحبُّ الىَّ من أن تنكحينى
أخاف اذا هَبَطْنَ بنا خَباراً وجدَّ الركضُ أن لاتحملينى
فلولا اخوتى وبنىَّ منهـا ملأتُ لها بذى شطب يمينى

الحليلة : الزوجة . وقلتنى : من القلى وهو البغض . وشرائج : جمع شريج بضم الشين المعجمة وآخره جيم الضرب والنوع . قال ابن دريد فى الجمهرة : كل لو بين مختلفين هما شريجان وانشد هذا البيت . وقوله . بين كدرى وجون أى بعض الشرائج كدرى أى أغبر وبعضها جون والكدرىّ منسوب الى الكدرة وجون بضم الجيم جمع جونة وهو مصدر الجون بالفتح وهو من الاضداد . يقال للأبيض جون وللأسود جون . وقوله : تراه كالثغام الخ أى ترى الحليلة الشعر كالثغام وهو نبت له نور أبيض يشبه به الشيب وعلاته ماء عللاً من باب طلب : سقيته السقية الثانية ، وعل وهو يعل من باب ضرب : إذا شرب . قال الاعلم : ومعنى يعل يطيب شيئاً بعد شىء ، وأصل العلل الشرب بعد الشرب وهذا غير مناسب هنا . والفاليات : جمع فالية وهى التى تفلى الشعر أى تخرج القمل منـه . وقوله : فزينك فى شريطك الخ هذا خطاب لهـا ، وأم عمرو منادى . والزين : نقيض الشين . والشريط : هو العَيْبَةُ الصغيرة . والعيبة : بالفتح ما يجعل فيـه الثياب . والسابغة الدرع الواسعة الطويلة . وذو النونين : السيف والنون شفرته . وقوله : فلو شمرن ثم عدون الخ يعنى النساء الفاليات وشمر ازاره تشميراً رفعه . والرهو : السير السهل . والمدجج بجيمين على صيغة اسم المفعول وهو اللابس آلة الحرب والسلاح . وقوله : اذا ما قلت الخ هو بضم التاء فى الموضعين والطرف : بالكسر الفرس الجواد . والخبار بفتح الخاء المعجمة بعدها موحدة الارض الرخوة وذو شطب : السيف وشطب السيف طرائقه التى فى متنه الواحدة شطبة ، ولغموض هذه الأبيات ذكرنا تفسيرها .

ومما أبطله الشرع من عوائدهم فى هذا الباب

أنهم كانوا يطلقون النساء حتى اذا قرب انقضاء عدتهن راجعوهن لا عن حاجة ولا لمحبة ، ولكن لقصد تطويل العدة وتوسيع مدة الانتظار ضراراً . وكان الرجل يطلق امرأته ، أو يتزوج ، أو يعتق ويقول : كنت لاعباً ، فأبطل الله تعالى ذلك وردّه عليهم بقوله سبحانه : واذا طلقتم النساءفأَمْسِكُوهنَّبمعروفٍ أو سَرِّحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومَنْ يَفْعَلْ ذلكفقدظلم نفسه . وفى الحديث ثلاث جدهن جد وهزلهن جدّ النكاح والطلاق والرجعة ، ومن ذلك أنهم كانوا يمنعون النساء أن يتزوجن من اردن من الازواج بعد انقضاء عدتهن حمية جاهلية كما يقع كثيراً من نحو الملوك غيرة على من كنّ تحتهم من النساء أنْ يَصِرْنَ تحت غيرهم فانهم بسبب ما نالوه من رياسة الدنيا وما صاروا فيه من النخوة والكبرياء يتخيلون أنهم قد خرجوا من جنس بنى آدم الا من عصمه الله تعالى منهم بالورع والتواضع . وقد أبطل الله تعالى ذلك ونهى عنه بقوله : واذا طلقتم النساء فَبلغْنَ أجلهنّ فلا تَعضِلوهُنّ أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يُوعَظُ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ومن ذلك أنهم كانوا اذامات الرجل منهم كان أولياؤه أحقّ بامرأته ان شاء أن يتزوجها بعضهم وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها ، فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله : ياأيها الذين آمنوا لايحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاًولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن . أى لتأخذوا ميراثهن أو ليدفعن اليكم صداقهن اذا أذنتم لهن بالنكاح . قال ابن عباس فى سبب هذه الآية : كان الرجل يرثُ امرأة ذى قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها . وفى رواية : إن كانت جميلةً تزوجها وان كانت دميمةً[1] حبسها حتى تموتَ فيرثها . وحاصل معنى الآية :

(١) الدمامة بالفتح : قبح المنظر وصغر الجسم وكانه مأخوذ من الدمة بالكسر وهى القملة

لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الارث فتزعمون انكم أحق بهن من غيركم وتحبسوهن لأنفسكم . ولهم فى هذا الباب غير ذلك من المنكرات ، قد ذكرت فى كتب الحديث والتفاسير .

صفة حروب العرب فى الجاهلية وحروب غيرهم من الأوائل

اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله تعالى وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منهم أهل عصبيته ، فاذا تذامروا[1] لذلك وتواقفت الطائفتان ، احداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب ، وهو أمر طبيعى فى البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل . وسبب هذا الانتقام فى الأكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه ، واما غضب للملك وسعى فى تمهيده . فالأول أكثر مايجرى بين القبائل المتجاورة ، والعشائر المتناظرة . والثانى وهو العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد وأشباههم لانهم جعلوا أرزاقهم فى رماحهم ومعاشهم فيما بأيدى غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب ، ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولاملك ، وانما همهم ونصب أعينهم غلب الناس على مافى أيديهم . والثالث هو المسمى فى الشريعة بالجهاد . والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها . فهذه أربعة أصناف من الحروب ، الصنفان الاولان منها حروب بغى وفتنة . والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل . وصفة الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفاً ونوع بالكر والفر . أما الذى بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب أجيالهم . وأما الذى بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب . وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر والفر ، وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوّى القداح أو صفوف الصلاة

(١) تذمر : تنكر له وأوعده . و النملة الصغيرة

ويمشون بصفوفهم الى العدو قدماً فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق فى القتال وأرهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطمع فى ازالته ، وفى التنزيل : ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص . أى يشد بعضهم بعضاً بالثبات . وفى الحديث الكريم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . ومن هنا تظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولى فى الزحف فان المقصود من الصف فى القتال حفظ النظام كما قلناه ، فمن ولَّى العدو ظهره فقد أخل بالمصاف وباء باثم الهزيمة ان وقعت وصار كانه جرها على المسلمين ، وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديها الى الدين بخرق سياجة [1] فعد من الكبائر . ويظهر من هذه الادلة أن قتال الزحف أشد عند الشارع . وأما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والأمن من الهزيمة مافى قتال الزحف الا أنهم قد يتخذون وراءهم فى القتال مصافا ثابتاً يلجؤن اليه فى الكر والفر ، ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد .

ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر أقساماً يسمونها كراديس ويسوون فى كل كردوس صفوفه ، وسبب ذلك أنه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحى استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضاً اذا اختلطوا فى مجال الحرب ، واعتوروا [2] مع عدوهم الطعن والضرب ، فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لأجل النكراء وجهل بعضهم ببعض ، فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعى فى الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان أو قائد فى القلب ويسمون هذا الترتيب (التعبية) وهو مذكور فى أخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدى الملك عسكراً

---

(١) السياج : الحائط وما أحيط به على كل شىء مثل النخل والكرم (٢) اعتوروا الشىء وتعوروه وتعاوروه : تداولوه

منفرداً بصفوفه متميزاً بقائده ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة ، ثم عسكراً آخر ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سَمْته يسمونه الميمنة ، ثم عسكراً آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه الميسرة ، ثم عسكراً آخر من وراء العسكر يسمونه الساقة ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الاربعة ويسمون موقفه القلب ، فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما فى مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها ، أو كيفما أعطاها حال العساكر فى القلة والكثرة فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبية

وانظر ذلك فى أخبار الفتوحات وأخبار الدولتين بالمشرق ، وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تتخلف عن رحيله لبعد المدى فى التعبية فاحتيج لمن يسوقها من خلفه . وعين لذلك الحجاج بن يوسف وكان فى الدولة الاموية أيضاً كثير منه وهو مجهول فيما لدينا لانا انما أدركنا دولا قليلة العساكر [1] لاتنتهى فى مجال الحرب الى التناكر بل أكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجمعهم لدينا حلة أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قِرنه [2] ويناديه فى حَوْمَةِ [3] الحرب باسمه ولقبه ، فاستغنى عن تلك التعبية .

ومن مذاهب أهل الكر والفر فى الحروب

ضرب المصاف وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العُجْم فيتخذونها ملجأ للخيالة فى كرّهم وفرِّهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون أدونَ للحرب ، وأقرب الى الغلب ، وقد يفعله أهل الزحف أيضاً ليزيدهم ثباتاً وشدة ، فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون الفيلةَ فى الحروب ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلةِ والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم

(١) لا تعجب أيها القارئ الكريم من هذا الكلام فانه ليس للمصنف انما هو للامام ابن خلدون (المقدمة ٢٣٦ ط بولاق) ! (٢) القرن بالكسر الكفء فى الشجاعة أو عام
(٣) حومة الحرب : أشد موضع فيها .

فى حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم ، وانظر ماوقع من ذلك فى القادسية ، وأن فارس فى اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوهم وبَعَجوها بالسيوف على خراطيمها فنفرت ونكصت على أعقابها الى مرابطها بالمدائن فجفا معسكر فارس لذلك وانهزموا فى اليوم الرابع . وأما الروم وملوك القوط بالأندلس وأكثر العجم ، فكانوا يتخذون لذلك الأسرّة ينصبون للملك سريره فى حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات فى أركان السرير ويحدق به سياج آخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فئة للمقاتلة وملجأ للكرّ والفرّ وجعل ذلك الفرس أيام القادسية . وكان (رستم) جالسا فيها على سرير نصبه لجلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب فى سريره ذلك فتحول عنه الى الفرات وقتل . وأما أهل الكر والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون لذلك ابلهم والظهر الذى يحمل ظعائنهم فيكون فئة لهم ويسمونها المجبوذة وليس أمة من الأمم الا وهى تفعل ذلك فى حروبها وتراه أوثق فى الجولة وآمن من الغرة والهزيمة وهو أمر مشاهد وقد أغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للاثقال والفساطيط(١) يجعلونها ساقة من خلفهم ولا تغنى غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للفرار فى المواقف . وكان الحرب أول الاسلام كله زحفا ، وكان العرب إنما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك أول الاسلام أمران أحدهما أن أعداءهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم . الثانى: أنهم كانوا مستميتين فى جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان ، والزحف الى الاستماتة أقرب .

وأول من أبطل الصف فى الحروب وصار الى التعبية كراديس مروان بن

(١) جمع فسطاط بالضم والكسر بيت من شعر

الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والجبيرى بعده . قال الطبرى : لما ذكر قتال الجبيرى فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكرى ويلقب أبا الدلفاء، قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ انتهى . فتنوسى قتال الزحف بابطال الصف ، ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف ، وذلك انها حينما كانت بدوية وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك وألفوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والقفر نسوا لذلك عهد الابل والظعائن وصعب عليهم اتخاذها نخلفوا النساء فى الاسفار وحملهم الملك والترف على اتخاذ الفساطيط والاخبية ، فاقتصروا على الظهر الحامل للاثقال والابنية أى الخيام ، وكان ذلك صفتهم فى الحرب ، ولا يغنى كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الأهل والمال فيخف الصبر من أجل ذلك وتَصْرِفهم الهيعات [1] وتخرم صفوفهم . ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكده فى قتال الكر والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج فى جندهم واختصوا بذلك ، لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر والسلطان يتأكد فى حقه ضرب المصاف ليكون ردءاً [2] للمقاتلة أمامه فلا بد أن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات فى الزحف والا أجفلوا [3] على طريقة أهل الكر والفر فانهزم السلطان والعساكر باجفالهم فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنداً من هذه الأمة المتعودة الثبات فى الزحف — وهم الافرنج — ويرتبونَّ مصافهم المحدق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر ، وانهم استخفوا ذلك للضرورة التى أريناكها من تخوف الاجفال على مصاف السلطان ، والافرنج لا يعرفون غير الثبات فى ذلك لأن عادتهم فى القتال الزحف فكانوا أقومَ بذلك من غيرهم مع ان الملوك فى المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب

(١) هى الاصوات تنزع منها (٢) أى عوناً (٣) أجفل القوم : انقلعوا فمضوا

مع أمم العرب والبربر وقتالهم على الطاعة وأما فى الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً من ممالأتهم [1] على المسلمين . وقد كان قتال أمم الترك مناضلة بالسهام وتعبية الحرب عندهم بالمصاف ، وانهم يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفاً وراء صف ، ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناضلون جلوساً . وكل صف ردءٌ للذى أمامه ان يكبسهم العدو الى أن يتهيأ النصر لاحدى الطائفتين على الأخرى وهى تعبية محكمة غريبة . . وكان من مذاهب الاول فى حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند ما يتقاربون للزحف حذراً من معرة البَيَات والهجوم على العسكر بالليل لما فى ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار وتجد النفوس فى الظلمة ستراً من عاره ، فاذا تساووا فى ذلك أرجف العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أبنيتهم [2] ويديرون الحفائر نطاقاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً أن يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول فى أمثال هذا قوة وعلية اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الأيدى عليه فى كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة الملك ، فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفَعَلَة نسى هذا الشأن جملةً كأنه لم يكن والله خير القادرين .

وانظر وصية على كرم الله تعالى وجهه وتحريضه لأصحابه يوم صفين تَجِدْ كثيراً من علم الحرب ولم يكن أحدٌ أبصرَ بها منه . قال فى كلام له : فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدّموا الدارع وأخروا الحاسر ، وعَضُّوا على الأضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام ، والتووا على أطراف الرماح فانه أصون للأسنة وغُضُّوا الأبصار فانه أربط للجأش وأسكنُ للقلوب ، واخفتوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار ، وأقيموا راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها الا بايدى شجعانكم ، واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر.. وقال الاشتر

(١) ملأه على الامر ومالأه : ساعده وشايعه وتمالؤا عليه : اجتمعوا (٢) أى خيامهم

يومئذ يحرض الازد : عَضُّوا على النواجِذ [1] من الاضراس ، واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا شدة قوم موتورين [2] يثأرون بآبائهم واخوانهم حِنقا على عدوهم ، وقد وطنوا على الموت أنفسهم لئلا يسبقوا بوتر ، ولا يلحقهم فى الدنيا عار . كذا فى مقدمة العبر وتمام الكلام فيها ، وما نقلناه واف بغرضنا .

آلات العرب فى الحروب

وهى كل ما استعمل لازهاق الروح واهلاك الأنفس وهى كثيرة منها السيوف وهى أحسن آلاتهم وأشهرها ذكراً فلذلك كثرت أسماؤها عندهم ولهجوا بها فى أشعارهم ، وأول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ولذلك قيل لبنى أسد القيون ، وقيل لكل حداد هالكى . وكان من أحسن السيوف عندالعرب السيوف المشرفية وكانوا أكثرمايتحمسون بها كما فى قوله :

ولو سئلت عنا جَنُوب لخبرت عشيةَ سالتْ عقْرَباء بها الدم
عشية لاتغنى الرماح مكانها ولاالنبلُ الاالمشْرَفى المصمَّم [3]

والمشرفى بفتح الميم هو السيف المنسوب الى مشارف . قال البكرى فى معجم ما استعجم : قال الحربى والمشارف قرى من قرى العرب تدنو من الريف واحدها مشرف . وقال فى موضع آخر : وهى مثل خيبر ودومة الجندل وذى المروة والرحبة . وقال البكرى فى (مؤتة) أيضاً : وكان لقاؤهم يعنى المسلمين الروم فى

---

(١) جمع ناجذ وهو السن بين الضرس والناب وضحك حتى بدت نواجذه قال ثعلب : المراد الانياب وقيل الناجذ آخر الاضراس وهو ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل وقيل الاضراس كلها نواجذ (٢) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه (٣) البيتان من جملة أبيات لضرار بن الازور ، وقوله بها الدم يروى بدله وملهم ، و (عقرباء) منزل من أرض اليمامة في طريق النباج قريب من قرقرى وهو من أعمال الفرض وهو لقوم من بنى عامر بن ربيعة كان لمحمد بن عطاء أحد فرسان ربيعة المذكورين وخرج إليها مسيلمة لما بلغه سرى خالد إلى اليمامة فنزل بها لانها في طرف اليمامة ودون الاموال وجعل ريف اليمامة وراء ظهره فلما انقضت الحرب وقتل مسيلمة قتله وحشى مولى جبير بن مطعم قاتل حمزه ، قال ضرار بن الازور : ولو سئلت الخ وكان للمسلمين مع مسيلمة الكذاب عنده وقائع (معجم البلدان ج٦ ص١٩٣)

قرية يقال لها مشارف من تخوم البلقاء ثم انحاز المسلمون الى (مؤتة) وهو موضع من أرض الشام من عمل البلقاء فالسيف المشرفيّ إن كان منسوبا الى الاول فالنسبة على القياس لان الجمع يرد الى الواحد فينسب اليه وان كان منسوبا الى الثانى فالنسبة على خلاف القياس . وبهذا التحقيق يعرف ما فى قول الصاغانى وغيره : والسيوف المشرفية منسوبة الى مشارف الشام . قال أبو عبيدة : هى قرى من أرض العرب تدنو من الريف يقال سيف مَشْرفيّ ولا يقال مشارفى لان الجمع لا ينسب اليه اذا كان على هذا الوزن انتهى . وقال صاحب المصباح بعد أن نقل هذا . وقيل هذا خطأ بل هى نسبة الى موضع من اليمن . وقال ابن الانبارى فى شرح المفضليات عند الكلام على هذا البيت : والمشرفى منسوب الى المشارف وهى قرى للعرب تدنو من الريف . ويقال : بل هى منسوبة الى مشرف رجل من ثقيف . فالقول الاول من كلام البكرى ويدل على الجمعية دخول اللام عليها فى كلامها . وفى عمدة ابن رشيق : وليس قول من قال انها منسوبة الى مشارف الروم أو مشارف الهند بشيء عند العلماء وإنْ قاله بعضهم . ومن أحسن السيوف السُرَيجيّة نسبة الى سُرَيْج وهو رجل من بنى أسد . قال محمد بن حبيب : هو أحد بنى معرّض بن عمرو ابن أسد بن خزيمة وكانوا قُيُوناً . قال عمرو الحميرى لما سأله أبوه القيل عن أحب السيوف اليه : الصقيل الحُسام ، الباتر المِجذَام[1] ، الماضى السِطام[2] ، المرهف الصمصام[3] ، الذى اذا هززته لم يكبُ ، واذا ضربت به لم يَنْبُ ، وقال أخوه ربيعة : نعم السيفُ نَعَتَ وغيره أحب الىَّ منه ، وهو الحُسام القاطع ، ذو الرونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى اذا هززتهُ هتك ، واذا ضربتَ به بتك[4] . ثم قال الاب : فما أبغض السيوف اليك يا عمرو؟ قال : القُطار[5] الكَهام[6]

(١) مفعال من الجذم وهو القطع (٢) حد السيف وغيره وفى الحديث : العرب سطام الناس أي حدهم (٣) رهف السيف كمنع رققه ، والصمصام : السيف الذى لا ينثنى (٤) أى قطع (٥) هو الذى لا يقطع وهو مع ذلك حديث الطبع (٦) كسحاب الكليل الذى لا يقطع

الذى إن ضربت به لم يقطع ، وان ذبح به لم ينخع[1] . قال: فما تقول يا ربيعة ؟ قال: بئس السيفُ والله ذَكَرَ وغيره أبغضُ اليّ منه . قال: وما هو؟ قال: الطبع الددان[2] ، المِعضَد المهان[3] . . ومن آلاتهم (الرماح) وأجودها عندهم الرماح الآزنيّة منسوبة الى ذى يزن الملك . ويقال لها اليزنية أيضا. قال ذو الرمة :

ازين الذى استودعنَ سوداء قلبه * هوى مثل شكّ الآزنيّ النواجم

قال هكذا جاءت الرواية فى البيت . والرماح الخطية منسوبة الى خط اسم ارض . قال الاصمعى :لا أعلم إلامَ نسبة الخط وهى جزيرة بالبحرين اليها تنسب الرماح الا أن يقال ان سفن الرماح ترفأ[4] الى هذا الموضع فقيل للرماح خطية . والردينية منسوبة الى امرأةٍ يقال لها رُدَيْنة كانت تعمل الرماح . والرمح فوق الصعدَةِ فان العنزَةَ اذا طالت شيئا وفيها سنان دقيق فهى نَيْزك ومطرد فاذا زاد طولها وفيها سنان عريض فهى ألّةٌ وحَرْبَةٌ فاذا كانت مستوية نبتت كذلك لا تحتاج الى تثقيف فهى صَعْدة فاذا اجتمع فيها الطول والسنان فهى القناة والرمح . ومن الاسنة ضرب يقال لها القعضَبيةَ تنسب الى قَعْضَب رجل قشيرىّ كان يعملها وكذلك الشرعية أيضاً . قال الاعشى :

ولدنٍ من الخطىّ فيها اسنة ذخائرُ مماسَنَّ أبزى وشَرْعَب

وسأل القيل الحميرى ابنه عمراً عن أحب الرماح اليه عند المراس ، اذا اعتكر الباس ، واشتجر الدعاس[5]. قال : أحبُّها اليَّ المارنُ المثقَّف[6] المقوم المخطف ، الذى اذا هززته لم ينعطف ، واذا طعنتَ به لم ينقصف ، ثم قال لاخيه : ما تقول يا ربيعة ؟ قال: نعمُ الرمحُ نَعَتَ ، وغيره أحب الىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الذابل العسّال[7] ، المقوم النسّال ، الماضى اذا هززته ، النافذ اذا همزته.[8] قال :

---

(١) أى لم يبلغ النخاع والنخاع مثلثة الخيط الابيض فى جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتتشعب منه شعب (٢) الطبع : الصدئ، والددان الذى لا يقطع وهو نحو الكهام(٣) القصير الذى يمتهن فى قطع الشجر وغيرها (٤) رفأ إليه : لجأ (٥) أى الطعان يقال دعسه أى طعنه والمداعسة المطاعنة (٦) الرمح المارن : الصلب اللدن (٧) أى الشديد الاضطراب اذا هززته ومنه العسلان وهو عدو فيه اضطراب ، والنسلان قريب منه (٨) الهمز : الضرب والنخس

اخبرنى ياعمرو ما أبغض الرماح اليك ؟ قال : الأعصل [1] عند الطعان ، إلمثلم السنان ، الذى اذا هززته انعطف ، واذا طعنت به انقصف . قال : ماتقول يا ربيعة ؟ قال : بئس الرمح ذكر وغيره أبغض الىّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الضعيف المهز ، اليابس الكز [2] ، الذى اذا أكرهته انحطم ، واذا طعنت به انقصم .

ومن آلاتهم (القسىّ) وأجودها القسىّ العُصفورية منسوبة الى رجل يسمى عُصفوراً حكاه الجاحظ وانشد لابن بشير :

عطف السياتِ موانع فى بذلها ... تعزى اذا نسبت إلى عُصفور [3]

يعنى قسىّ البندق دعا بها على حمام جاره . والقسى الماسخية منسوبة الى رجل من الأزد اسمه ماسخة وهو أول من عملها .. وسهم القوس الذى يرمى به فان أول ما يقطع العود ويقتضب يسمى قطعا ثم يبرى فيسمى بريا وذلك قبل أن يقوّم ، فاذا قوّم وأنى له ان يُراش وينصل فهو القدح فاذا ريش وركب نصله صار سهماً ونبلا . قال أبو عبيدة : أجود السهام التى وصفتها العرب سهامُ بِلادٍ وسهام يثرب وهما قريتان من حَجْر اليمامة . وانشد الاعشى : (بسهام يثربَ أوسهام بِلادِ) [4] والكنانة محفظة النبال . والكنائن الزغرية : منسوبة الى زُغَر موضع بالشام تعمل به كنائن حمر مذهبة . قال أبو دؤاد يصف فرساً :

ككنانة الزُغَرى زينـ ... ـها من الذهب الدُلامص [5]

وكان الشماخُ أوصفهم للحُمُر الوحشية والقسىّ بشهادة الحُطَيْئةِ والفرزدق وكذلك الشَنْفَرَى كان من أوصف الشعراء للقسىّ قال :

---

(١) الملتوى المعوج (٢) أى الذى خشبته صلبة (٣) سية القوس بالكسر مخففة ماعطف من طرفيها ، وتعزى : تنسب

(٤) بلاد بوزن قطام وحذام ورواه بعضهم بكسر الباء بلد قريب من حجر اليمامة ، وقيل بلاد محارث باليمامة ، وهذا الشطر من بيتين للاعشى ذكرهما الحموى فى معجم البلدان وهما :

أنى تذكر ودها وصفاءها ... سفهاً وأنت بصوة الاثماد

منعت قياس الماسخية رأسه ... بسهام يثرب أو سهام بلاد

(٥) الدلامص : اللمعان ، وفى القاموس ان زغر كزفر أبو قبيلة كنائنهم من أدم حمر مذهبة

وانّى كفانى فقدُ من ليس جازياً ··· بحُسْنَى ولا فى قربه مُتَعَلَّلُ (١)
ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مشيَّعٌ ··· وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عَيْطَلُ (٢)
هَتُوفٌ من الملس المتونَ يزينها ··· رصائعُ قد نيطَتْ اليها ومِحْمَلُ (٣)
اذا زلّ عنها السهمُ حَنَّتْ كأنَّها ··· مُرَزَّأَةٌ ثَكْلَى ترِنُّ وتُعْوِلُ (٤)

ومن آلاتهم (الدرع) وهو القميص المتخذ من الزرد وتنسب الى فرعون .
قال شاعرهم :

بكل فرعونيةٍ لونُها ··· لونُ فضيض البَغْشَةِ الغاديه (٥)

وتنسب الى داود وسليمان عليهما السلام والى تُبَّع والى محرّق يريدون بذلك القدم وجودة الصنعة . والدروع الحُطَمِيَّة منسوبة الى حُطَمَة بن محارب بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن عبد القيس بن أفصى . وقال ابن الكلبى : هى منسوبة الى حُطَم احد بنى عمرو بن مرثد من بنى قيس بن ثعلبة . والدروع السلوقية منسوبة الى سلوق قرية باليمن واليها تنسب أيضاً الكلاب السلوقية . وقد لبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدرعَ فى الحروب ولا ينافى لبسُها التوكلَ ، وكذا اتخاذ سائر الآلات ، والحق أنّ الحذر ، لا يرد القدر ، ولكن يضيق مسالك الوسوسة لما طبع عليه البشر . وفى كتاب الاحكام السلطانية للامام الماوردى : أنّ درع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المعروفة بالبتراء كانت على الحسين بن علىّ رضى الله تعالى

(١) التعلل التلهي بالشيء يقال فلان يتعلل بكذا أى يتلهى به والمتعلل هو الشيء الذى يتعلل به
(٢) المشيع : الشجاع المقدام كانه فى شيعة ، والاصليت : الصقيل الماضى ، والصفراء اسم للقوس ذكره الجوهرى وقال غيره قوس من نبع ، والعيطل : الطويلة (٣) الهتوف : من القسى المصوتة بكثرة ومثله الهتافة والهتفى بالتحريك ، والمتون : الظهور واحدها متن ، والرصائع جمع رصيعة وهي كل حلقة مستديرة فلعل القسى العربية كانت تزين بالحلق المستديرة ومن الناس من فسر الرصائع هنا بسيور مضفورة ، والمحمل : علاقة السيف وهو السير الذى يقلده المتقلد ، ونيطت : علقت (٤) حنت : صوتت والمرزأة : الكثيرة الرزايا أى المصائب ، والثكلى : الحزينة على فقد وليدها ويروى عجلى ، وترن : تصوت مأخوذ من الرنة وهى الصوت ، وتعول : ترفع صوتها بالبكاء (٥) الفضيض : ما انتشر من الماء إذا تطهر به وكل متفرق ومنتشر ، والبغشة : المطرة الضعيفة ، والغادية : السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة ، والبيت على ما فى عمدة ابن رشيق لراشد بن كثير

عنهما يوم قتل فاخذها عبيد الله بن زياد ، فلما قَتَل المختار عبيدَ الله بنَ زياد صارت الدرع الى عباد بن الحصين الحنظلي . ثم ان خالد بنَ عبد الله بن خالد بن اسيد وكان أمير البصرة سأل عباداً عنها فجحده اياها فضربه مائة سوط فكتب اليه عبد الملك بن مروان : مثلُ عباد لا يضرب انما كان ينبغى أن يقتل أو يعفى عنه ، ثم لم يعرف للدرع خبر بعد ذلك ، ومنها « البَيْضة » بفتح الباء وهى مايلبس فى الرأس من آلات السلاح . ومنها « المِجَنّ » وهى والتُرس والدرقة بمعنى واحد وهى مايعمل من بعض الجلود بلا خشب ولا عقب وقد توجد الآن فى أحياء العرب يتقون بها وقع السيوف على ابدانهم . ومنها « المنجنيق » [1] بكسر الميم وهى آلة لرمى الحجارة . والعرّادات بتشديد الراء اصغر من المنجنيق وقد نصب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منجنيقاً على أهل الطائف ويروى أن أول من استعمله نمروذ فى حادثة ابراهيم عليه السلام . ولهم غير ذلك من الآلات وقد رأيت عدة رسائل فى كيفية استعمالها والمضاربة بها مع العدوّ .

وأما (اللواء) ويسمى العَلَم أيضاً فكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربىّ : اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد فى طرف الرمح ويلوى عليه . والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه [2] الرياح . وقيل اللواء دون الراية وقيل : اللواء العلم الضخم والعَلَم علامة لمحل الأمير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وكانت عادة جميع العرب اتخاذ اللواء فى حروبهم ومن عاداتهم جعل الرايات فى اطراف الرماح وبذلك تعرف الحكمة فى الاقتصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف فى الحديث الذى فى صحيح

---

(١) معرب من جه نيك (أى ماجودنى) أو أنا شيء جيد لانه لا يجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما فى القاموس وضبطه أبو منصور بفتحها آلة لرمي الحجارة كالمنجنون ومنجليق لغات فيه معربة ، وقيل الاقرب انه معرب منجل نيك ومنجل مايفعل بالحيل وميمه زائدة وقيل أصلية ويدل على الاول قول بعض العرب كانت بيننا حروب عون ، تفقأ فيها العيون ، مرة بمنجنيق ، وأخرى برشيق ، وقيل النون زائدة والميم أصلية وعكسه ، وقيل هما أصليتان وقيل زائدتان كما فصل فى التصريف ، انتهى من شفاء العليل للخفاجى (٢) أى تحركه

البخاريّ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انه قال جعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى . ولما كان ظل الرمح اسبغ كان نسبة الرزق اليه اليق . وقد تعرض فى الحديث الآخر لظل السيف فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : الجنة تحت ظلال السيف . فنسب الرزق الى ظل الرمح لأن المقصود بذكر الرمح الراية ونسبت الجنة الى ظل السيف لأن الشهادة تقع به غالباً ، ولأن ظل السيف يكثر ظهوره بكثرة حركة السيف فى يد المقاتل ولأن ظل السيف لا يظهر إلا بعد الضرب به ، لأنه قبل ذلك يكون مغموداً معلقاً . وفى الحديث السابق اشارة الى فضل الرمح والى حلّ الغنائم لهذه الأمة والى أن رزق النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم جعل فيها لا فى غيرها من المكاسب ولهذا قال بعض العلماء : إنها أفضلُ المكاسب والمراد بالصَغار (وهو بفتح المهملة وبالمعجمة) بذلُ الجزيةِ . وفى قوله تحت ظل رمحى اشارة الى أن ظله ممدود الى أبد الآباد .

أيام العرب المشهورة

وقد ناسب أن نذكر هنا أيام العرب ونثبت بعض وقائعهم على سبيل الاختصار ولم استقصها فانّ أباعبيدة وغيرهُ قد فرغوا مما ذكرت حتى إن أبا الفرج الاصبهانى قد استقصى حسب امكانه أيامهم فى كتابٍ افرده لذلك فكانت الفاً وسبعمائة يوم (يوم أداب [(١)]) لبنى ثعلبة بن بكر رئيسهم الهذيل أبو حسان على بنى رياح بن يربوع . وقد كان الهذيل سبى نساء بنى رياح والتقى بهم على اداب وقد سبقه بنو رياح اليه ليمنعوهم الماء حتى يردوا السبى فأقسم الهذيل لئن رددتم الينا اناء فارغا لنأتينكم فيه رأس انسان منكم تعرفونه فاشتروا منه بعض السبى واطلق البعض (يوم نعف

(١) كذا الاصل ، وفى العمدة يوم ارب ، والصواب : يوم اراب ، قال مساور بن هند :

وجلبته من أهل أبضة طائعاً ... حتى تحكم فيه أهل أراب

وقال الفضل بن العباس اللهبى :

أتبكى ان رأيت لام وهب ... مغانى لم تحاورك الجوابا
أثافى لا يرمن وأهل خيم ... سواجد قد خوين على أرابا

قشاوة) لبسطام بن قيس رئيس بنى شيبان على بنى يربوع قتل فيه بجَيْراً وأسر أباه أبا مليل ثم منّ عليه من وقته وترك له مليلا ولده وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله (يوم نجران) للاقرع بن حابس فى قومه بنى تميم على اليمن هزمهم وكانوا اخلاطاً وفيهم الاشعث بن قيس وأخوه وفيهم ابن نا كُور الكلاعى الذى اعتق فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة آلاف أهل بيت فى الجاهلية اسروا (يوم الصمد) وهو يوم طلح ويوم بلقاء ويوم أودو يوم ذى طاوح كلها يوم واحد لبنى يربوع على بنى شيبان ورئيسهم الحوفزان ورئيس اللهازم ابجر بن بجير العجلى (يوم طخفة) وهو أيضا يوم ذات كهف ويوم خزان [1] فى قول بعضهم لبنى يربوع والبراجم على المنذر بن ماء السماء أسروا فيه أخاه حسانا [2] وابنه قابوس وجزت ناصية قابوس وكان ذلك اسبب ازالة الردافة عن عوف بن عتاب الرياحى (يوم المَرُّوت) — وهو أيضاً يوم إرَمِ الكلابة نقا قريب من النباج لبنى حنظلة وبنى عمرو بن تميم على بنى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر وكان الذكر فيه لبنى يربوع وانما اغارت قشير على بنى العنبر وسبيهم من بنى عامر (يوم مليحة) لبنى شيبان رئيسهم بسطام ابن قيس على بنى يربوع وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار فلما رآه بسطام قال ماقتل هذا الا لتشكل رجلا أمه فقتل به (يوم العظالى) قاتله هيش [3] بن

---

(١) الصواب (خزاز) أوخزازى قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد فى خزازى رفدنا فوق رفد الرافدينا

هذه رواية محمد بن خطاب والزوزنى ، وروى الخطيب (خزاز) وأكثر ماجاء فى الشعر خزازى راجع معجم البلدان .

(٢) اسره بشر بن عمرو الرياحى ثم من عليه وأرسله فقال مالك بن نويرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا بها أنا مداريك قبلها اذا طلب الشأو البعيد المقرب

وكان طارق بن عميرة ضرب فرس قابوس فعقره وأخذه ليجز ناصيته فقال قابوس ان الملوك لاتجز نواصيها فجهزه وأرسله الى أبيه وهـذه الرواية اعنى مسألة جز ناصية قابوس تخالف ماذكره المصنف (٣) فى العمدة : الهبش بالموحدة .

المقعاس (يوم اللوى [١]) لفزارة على هوازن فيه قتل عبد الله بن الصمة واثخن اخوه دريد (يوم الصليفاء) لهوازن على فزارة وعبس وأشجع وفيه قتل دريد باخيه ذؤاب بن اسماء (يوم الهباءة) وهو يوم الحفر لعبس على ذبيان فيه قتل حُذَيْفة بن بدر واخوه حمل سيدا بنى فَزارة وكان يقال لحذيفة رب معدّ (يوم عراعر) لعبس على كلب وذبيان وفيه قتل مسعود بن مصاد الكلبي وكان شريفاً (يوم الفروق) بين عَبْس وبنى سعد بن زيد مناة قاتلوهم فمنعت عَبْس نفسها وحريمها وخابت غارة بنى سعد وقيل لقيس بن زهير ويقال عنترة : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : مائة فارس كالذهب لم نكثر فنفشل ، ولم نقل فنذل .(يوم شعب جبلة) قال أبو عبيدة : كانت أيام العرب ثلاثةً يوم كلاب ربيعة ويوم شعب جبلة ويوم ذى قار. وكان يوم الشعب لبنى عامر بن صعصعة وعبس حلفاؤهم على الحليفين أسد وغَطَفان رئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عَبْساً بدم أبيه ومعهم معاوية بن الجون الكندى فى جمع من كندة وعلى بنى حنظلة بن مالك والرباب [٢] رئيسهم لقيط بن زرارة يطلب بدم معبد أخيه ويثربىّ بن عدس ومعهم حسان بن الجون

(١) تفصيل المسألة هو أن عبد الله بن الصمة (وهو أخو دريد بن الصمة لابيه وأمه) اغار على غطفان فاصاب منهم ابلا عظيمة فاطردها فقال له دريد النجاء فقد ظفرت ، فابى عليه وقال : لاابرح حتى انتقع نقيعتي — والنقيعة ناقة ينحرها من وسط الابل فيصنع منها طعاماً لاصحابه ويقسم ماأصاب على أصحابه — فاقام وعصى أخاه فتتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له (اللوى) فقتل عبد الله وارتث دريد فبقى في القتلى فلما كان في بعض الليل اتاه فارسان فقال أحدهما انى أرى عينيه تبص فانزل فانظر الى نفسه فنزل فكشف ثوبه فاذا هى تزمر فطعنه فخرج دم قد كان احتقن ، قال دريد : فافقت عندها فلما جاوزانى نهضت قال فما شعرت الا وأنا عند عرقوب جمل امرأة من هوازن فقالت من أنت أعوذ بالله من شرك ، قلت : لا بل من أنت ويلك ، قالت : امرأة من هوازن سيارة ، قلت وأنا من هوازن وأنا دريد بن الصمة قال وكانت فى قوم مجتازين لايشعرون بالوقعة فضمته وعالجته حتى أفاق فقال دريد يرثى عبد الله أخاه ويذكر عصيانه له وعصيان قومه بقصيدة مطلعها :

اعاذل ان الرزء فى مثل خالد ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد
وقلت لعارض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدى

(٢) سموا بذلك لانهم ادخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا والرب بالضم دبس الرطب اذا طبخ وقبل الطبخ هو صقر

أخو معاوية وقيـل بل عمرو بن الجون . وحسان بن وبرة الكلبي أخو نعمان بن المنذر لأمه . وقال غير أبي عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شُرَحْبيل بن الأخضر بن الجون بن آكل المُرار ومع بني حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم فأقبلوا اليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها وهم الرابطة وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو. ولم يتخلف منهم إلا بنو سعدٍ لزعمهم ان صعصعة هو ابن أسعد ولم يتخلف من بني عامر الا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر . وشهد غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بَجِيلة كلها الا قُشَيراً . وشهدت بنو عبس بن رفاعة بن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس . وشهد معهم نفر من عُكْل فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً ، وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه الا الله تعالى ولم يجتمع في الجاهلية جمع قط مثله ، فانهزمت سليم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم . وقتل لقيط بن زرارة طعنه شريح بن الاحوص فحمل مرتثاً فمات بعـد يوم وأسر حسان بن الجون أسره طفيل بن مالك وأسر معاوية بن الجون أسره عون بن الأحوص وجز ناصيته وأطلقه على الصواب وكان يوم جبلة قبل الاسلام بسبع وخمسين سنة . وفي يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة . وروى غيره عنه خلاف ذلك (يوم اقرن) لبني عبس على بني تميم وبخاصة بني مالك بن حنظلة . وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو ابن عدس وابنه شريح وأخوه ربيّ وكان عمرو بن عمرو بن عدس خرج مراغماً للنعمان بن المنذر فسبى سبياً من عَبْس وغنْم مالا وابتنى بجارية من السبي فأدركته عبس فكان من أمره ما كان (يوم زبالة) لبني بكر بن وائل وخاصة بني شيبان وبني تيم الله رئيسهم بسطام على بني تميم ورئيسهم الاقرع بن حابس . أسر فيـه الأقرع وأخوه فراس فاستنقذهما بسطام بعد ان حكم عليه عمران بن مُرّةَ بمـائة ناقة (يوم جدود) لبني سعد بن زيد مناة على بني شيبان وكانت شيبان أغارت

مع الحوفزان على سعد فأدركهم قيس بن عاصم المنقرى ففلهم واستنقذ ما كان في أيديهم وفاته الحوفزان بصلابة فرسه فلما يئس من أسره حفزه[1] بالرمح في خزانة وركه فانتقضت عليه بعد حول فمات منها وسالمت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب فعيرتهم بذلك منقر (يوم الكُلاب الأول) لسلمة بن الحرث بن عمرو المقصور ومعه بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبنو أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون ربابا وانما تربوا بعد ذلك حكاه أبو عبيدة فقتل شُرَحْبيل قتله أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي ويقال بل قتله ذو السُنَيْنَة حبيب بن عُتبة الجشمي[2] كانت له سن زائدة وهو أخو أبي حنش لأمه سلمى بنت عديّ بن ربيعة أخي مهلهل هكذا أثبتوا في هذا الموضع ان عدياً أخو مهلهل . ويسمى الكلاب الأول أيضاً يوم الشعيبة[3] (يوم الكُلاب الثانى) لبني تميم وبخاصة بني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم على قبائل مَذْحج وكانت مذحج في نحو اثنى عشر ألفا . رئيسهم يزيد بن المأمور وهم مذحج وهمدان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث ابن وقاص الحارثي وهتم فم[4] سنان ابن سمى بن سنان بعد ان أسر رئيس كندة هتمه قيس بن عاصم بقوسه وانتزع عبد يغوث من يد الاهتم بعد أن شرط المأصول[5] الموصلة اليه مائة من الابل انتزعته التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس وكان قد قتل ذلك اليوم ويسمي الكلاب الثاني يوم جزّ الدوابر

وقال أبو عبيدة : لم يشهده من تميم الا الرباب وسعد خاصة ، وكان الثناء من الرباب للتيم ، ومن سعد لمقاعس (يوم ذى بيض) أغار الحوفزان على بني

---

(١) أى طعنه (٢) في القاموس : البجلي . (٣) كذا الاصل ومثله في عمدة ابن رشيق (٢ : ١٦٣) والصواب (الصفقة) انظر العقد الفريد (٣ : ٢٥٣) من طبعة الجمالية . ومعجم البلدان (٥ : ٣٦٨) من طبع مطبعة السعادة . (٤) هتم فاه يهتمه التى مقدم اسنانه كاهتمه ، وكفرح انكسرت ثناياه من أصولها فهو أهتم وتهتم تكسر (٥) وفي العمدة : (المأسور) ولعل الاصح المأسور فليحرر

يربوع فسبى نسوة منهم فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة فاستنقذوا النسوة وأسر الحوفزان . أسره حنظلة بن بشر بن عمرو . وزعم قوم : أن هذا اليوم يوم الصمد . (يوم عاقل) لبنى حنظلة على هوازن وفيه أسر الصمة بن الحارث بن جُشَم وهزم جيشه وكان الذى أسره الجعد ابن الشمّاخ أحد بنى مالك بن حنظلة ثم أطلقه بعد سنة وجزّ ناصيته على أن يثيبه فأتاه على الثواب فضرب الصمة عنقه ثم غزا بنى حنظلة ثانيةً فأسره الحرث بن يبية المجاشعى وأسر رجل من بنى أسد كان نزيلا عند ابن أخت له فى بنى يربوع أبناء للصمة فافتدى الصمة نفسه ومضى مع ابن يبية [1] فى فداء ابنه الى المنازل فى بنى يربوع فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله لشىء كان بينهما عند حرب بن أمية فبنو مجاشع تعير بذلك . (يوم عَيْنَيْن) لبنى نهشل على عبد القيس منعوا منه بنى منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين فعرضت لهم عبد القيس فاستغاثوا بنى نهشل فحموهم واستنقذوهم (يوم قَلْهى) منعت فيه بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بنى عبس الماء وغلبتهم عليه بعد اصلاح فزارة ومرة حتى أخذوا دية عبد العزّى بن جدار [2] ومالك بن سُبيع . (يوم بُزاخة) لبنى ضبة على محرّق الغسانى وأخيه فارس مودود . أغارا على بنى ضبة بُزاحة فى طوائف من العرب من اياد وتغلب وغيرهما فأدركهم بنو ضبة فأسر زيد الفوارس محرقاً وأسر أخاه حبيش بن الدلف [3] ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما وقتل منهم عدة ، (يوم اضم) لبنى عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحرث بن مُزَيْقياء الملك الغسانىّ ومزيقياء هو عمرو بن عامر وفيهم كان ملك غسان فى الشام فى آل جفنة بن علية بن عمرو بن عامر قتل بنى عائذة قتلاً ذريعاً . وفى ذلك اليوم قتل الرديم وحمل رجل من بنى عائذة ثم من بنى قيس يدعى عامر ابن ضامر فقال : والله لأطعنَنَّ طعنة كنخر الثور النعر [4] ثم قصد ابن مزيقياء

(١) فى العمدة : (ابن نبيه) فليحقق (٢) فى معجم البلدان جداد بدالين
(٣) فى العمدة : (حنش بن الدلف) . (٤) هو الذى يصيح بخيشومه

فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة . وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم بزاخة . وقال آخرون : بل كانت الوقعة مع غير الحرث من ولد مُزَيْقياء . وزعم غيرهم انها مع مزيقياء بنفسه لا مع ولده . (يوم نقا الحسن) الحسن شجر سمى بذلك لحسنه وقيل هو جبل وهذا اليوم لبنى ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل وفيه قتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة أحد بنى صباح وكان رجلا أعسر[1] فأصاب صدغه الايسر حتى نجمَ السنانُ[2] من الصدغ الايمن (يوم اعيار) وهو يوم النقيعة لبنى ضبة على بني عَبْس وفيه قتل عمارة الوهاب قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفضالاً كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ثم سمعه شرحاف ذكره على شراب وكان حينئذ غلاماً فحين شبَّ أخذ بثار ابن عمه يوم النقيعة واستنقذت بنو ضبة ابلها من بنى عبس وكانوا أدركوهم فى المرعي (يوم رحرحان الاول) غزا يثربى بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن عامر بن صعصعة وعلى بنى عامر يومئذ الأحوص بن جعفر بن كلاب فقتل من بنى عامر قريط بن عبد بن أبى بكر بن كلاب . وقتل يثربى (يوم رحرحان الثانى) لبنى عامر بن صعصعة ورئيسهم الاحوص على بنى دارم وفى ذلك اليوم أسر معبد بن زرارة أسره عامر ابن مالك وأخوه طفيل وشاركهما فى أسره رجل من غنىّ يقال له أبو عميلة[3] عصمة بن وهب . وكان أخا طفيل من الرضاعة وفى أسرهم مات معبد شدوا عليه القيد وبعثوا به الى الطائف خوفا من بنى تميم ان يستنقذوه وكان هذا كله بسبب قتل الحرث بن ظالم المرى خالد بن جعفر غدراً عند الاسود بن المنذر . وقيل عند النعمان والتجأ به الى زرارة بن عدس فلما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبنى عامر وألّب عليهم وكان بين رحرحان ويوم جبلة سنة واحدة (يوم ضرية) اختلف سعد والرباب على بنى حنظلة وكان بنو عمرو بن تميم حالفت

---

(١) أعسر يسر يعمل بيديه جميعاً فان عمل بالشمال فهو اعسر وهى عسراء

(٢) نجم من باب قعد : طلع ، والسنان : نصل الرمح (٣) فى عمدة ابن رشيق : عميرة

بكر بن وائل فصافت حنظلة لسعد والرباب فساروا الى عمرو بن تميم فردوهم وحالفوهم ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم فقال ابن خفاف لسعد والرباب : من لعيال عمرو وحنظلة ان قتلتم مقاتلهم ؟ قالوا : نحن . قالوا : فمن لعيالكم ان قتلوا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم . قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم . وتكلم الاهتم بذلك ورجال من أشراف سعد وساروا الى عمرو وحنظلة الى النسار من حمى ضرية فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة الى الصلح وأبى ذلك مالك بن نويرة (١) .



خيل العرب وما يحمد منها ويذم

إعلم أن الخيـل أحسنُ ذوات الأربع صورةً وأفضلها وأشبهها بالانسان فى الـكرم ، وشرف النفس ، وعلو الهمة . وقد ورد الثناء عليهـا فى القرآن والحديث وأشعار العرب . قال تعالى (ومن رِباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وقال سبحانه (والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً) أقسم بخيل الغزاة تعـدو فتضبح ضبحاً وهو صوت أنفاسها عند العدو . والموريات التى تورى النار والايراء اخراج النار . يقال : قدح الزند فأورى . فالمغيرات تغير أهلها على العدو . صبحاً أى فى وقته . فأثرن به نقعاً فهيجن بذلك الوقت غباراً . فوسطن به أى توسطن بذلك الوقت جمعاً من جموع الأعداء . وفى الحديث : الخيل معقودٌ فى نواصيها الخير الى يوم القيامة . وفى حديث آخر : بطونها كنز ، وظهورها حرز ، وأصحابها معانون عليها . وسأل

(١) تنبيه : ان أيام العرب كثيرة جداً وقد اقتصر المصنف على ايراد طرف مما هنالك ولم يستوعب ومن أحب التوسع فليرجع الى (عقد الفريد) لابن عبد ربه ، و (العمدة) لابن رشيق القيرواني . و (الاغانى) لأبى الفرج الاصبهانى و (الـكامل) لابن الاثير . وغيرها من كتب التاريخ والادب .

رجلٌ النبيَّ صلى الله تعالى عليـه وسلم فقال : إني أريد أن أشترى فرساً أعده في سبيل الله فقال له : اشترِ أدهَمَ أو كميتاً (١) أقرح (٢) أرثَمَ (٣) محجلاً (٤) مطلق اليمين فانها ميامن الخيل . وخيل العرب أجود خيول الدنيا ويزعمون أنها كانت من الوحش ، وأول من ذلل الصعب منها أبوهم اسماعيل عليـه السلام . وكانت الخيل عندهم أعظم عددهم في الحروب وعليها مدار أمرهم وبهـا يجولون في كرّهم وفرّهم وكانوا يقودون خيولهم ليريحوها ويركبون ابلهم ، فاذا قربوا من عدوهم وأغاروا نزلوا عن ابلهم الى خيلهم مخافةَ أن يتبعوا فيدركوا . قال شاعرهم :

النازلينَ بكل معتركٍ والطيبين معاقد الأُزُر (٥)

وقيل في معنى البيت انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على اقدامهم . وفي ذلك الوقت يتداعون : نزالِ كما قال ربيعة بن مقروم الضبيّ :

ولقد شهِدْتُ الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل (٦)

فدعوا: نزالِ ، فكنت أولَ نازلٍ وعلامَ أركبه اذا لم أنزلِ

وقال ابن السيد : النزول في الحرب على ضربين : أحدهما ماذكر . والثاني في أول الحرب وهو أن ينزلوا عن ابلهم ويركبوا خيلهم . قال اللخمي : وانمـا ينزلون عن الابل الى الخيل في الغارات . وزعم ابن سيدة في نزولهم انما هو من الابل الى الخيـل وليس كذلك . وفي قوله النازلين الخ اشارة الى أن حالهم في القتال على الخيل كحالهم في القتال على الاقدام وانهم لا يكفون عن النزول اذْ أحوال الناس في ذلك مختلفة ولا ينزل في ذلك الموضع الا أهل البأس والشدة ولذلك قال مهلهل :

---

(١) الدهمة السواد والادهم الاسود ، والكمتة: حمرة تدخلها قنوء (٢) القرحة بالضم في وجه الفرس دون الغرة (٣) الرثمة بالضم بياض في طرف انف الفرس أو كل بياض أصاب الجحفلة العليا فبلغ المرسن أو بياض في الانف (٤) التحجيل : هو البياض بموضع الخلاخيل من اليدين والرجلين (٥) الازر جمع ازار ، وطيب معاقدها كناية عن عفة ذويها والبيت من أبيات في الفخر للخرنق الشاعرة الشهيرة (٦) الاوظفة جمع وظيف وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها ، والقوائم : الارجل ، والهيكل : العظيم ووصف به الفرس .

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا ... وأخو الحرب من اطاق النزولا

وكان للعرب فى تربية الخيل مزيد اعتناء جاهلية واسلاماً . وكان الرجل منهم يبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده . وقد دل على ذلك اشعارهم . فمن ذلك قول الجعفى :

الخيرُ ماطلعت شمسٌ وماغربت ... معلّق بنواصى الخيل معقود

وقال طفيل الغنوىّ :

وللخيل أيامٌ فمن يَصطبرْ لها ... ويعرف لها أيامها الخير يعقب

وقال شاعر بنى عامر :

بنى عامر ماذا أرى الخيلَ أصبحت ... بِطاناً وبعضُ الضر للخيل أمثل

بنى عامر ان الخيول وقايةٌ ... لانفسكم والموت وقت مؤجل

أهينوا لها ما تكرمون وباشروا ... صيانتها والصون للخيل أجملُ

متى تكرموها يكرم المرء نفسه ... وكل امرىء من قومه حيث ينزل

وقال رجل من قريش :

اتّقى دونه المنايا بنفسى ... وهو يغشى بنا صدور العوالى

فاذا مُتُّ كان ذاك تراثى ... وسخالاً محمودةً من سخالى

وقال لبيد :

معاقلنا التى نأوى اليها ... بناتُ الاعوجيّةِ والسيوفُ[١]

وقال ضبيعة العبسىّ :

جزى الله الاغرَّ جزاء صدقٍ ... اذا ما أوقدت نار الحروب

يقينى باللَّبان ومنكبيه ... وأحميه بمطّردِ الكُعوبِ[٢]

وادفيه اذا هبت شمالٌ ... بليلٌ حَرْجَفٌ عند الغروب[٣] •

---

(١) قوله بنات الاعوجية : سيأتى بيانه قريباً فى (خيل العرب المشهورة) والمعاقل : جمع معقل وزان مسجد وهو الملجأ ، ونأوى : نلجأ (٢) اللبان بالفتح : الصدر ، ومطرد الكعوب: هو الرمح (٣) الشمال : ريح تأتي من ناحية القطب الشمالى ، والحرجف ـ كجعفر : الريح الباردة الشديدة الهبوب ، والبليل كفتيل المبلولة من الندى أو بالة لما تمر عليه لرطوبتها

أراه أهل ذلك حين يسعى ... رعاء الحىّ فى جمع الحلوب
فيخفق مرة ويفيد أخرى ... ويفجع ذا الضغائن بالاريب (١)
اذا سمن الاغر دنا لقاء ... يغص الشيخ باللبن الحليب
شديد مجامع الكتفين طِرْفٌ ... به أثر الأسنة كالعلوب (٢)
واكرهه على الابطال حتى ... يرى كالارجوانىّ المجوب (٣)
الست بصاحبى يوم التقينا ... بسيف وصاحبى يوم الكثيب

ويروى بعضهم هذا الشعر لشداد . قال ابو محمد الاعرابى فى كتاب الخيل : أنكر أبو الندى هذا الشعر أن يكون لشداد بن معاوية ، وان يكون الاغر فرسه وذكر ان الاغر لضبيعة بن الحارث العبسى . وهو القائل فيه :

لولا اعتراض فى الاغر وجرأةٌ ... لفعلت فاقرة بجيش مُقيدِ (٤)

قال : مقيد عامر بن الطفيل بن مالك الجعفرى اقاد العرب دماء قومه يوم الرقم انتهى . وقال عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد أحد بنى مخزوم بن عوذ ابن غالب ، وكانت أمه حبشية سوداء وهو من غرابيب العرب صاحب المعلقة :

ويمنعنا من كل ثغر نَخافُهُ ... أَقَبُّ كسرحان الأباءة ضامرُ (٥)
وكل سبوح فى العنان كأنها ... اذا اغتسلت بالماء فتخاء كاسرُ (٦)

وقال أيضاً فى معلقته

تُمسى وتُصبح فوق ظهر حَشِيّةٍ ... وأبيتُ فوق سَراةِ أدهمَ مُلجَمِ

---

(١) ذو الضغائن : ذو الاحقاد (٢) الطرف : الكريم من الخيل ، والاسنة جمع سنان وهو نصل الرمح ، والعلوب السيف (٣) الارجوان بالضم الاحمر وثياب حمر وصبغ أحمر وأحمر ارجوانى قانى (٤) الفاقرة : الداهية الكاسرة للفقار كذا قاله الليث وغيره وقال أبو اسحق فى قوله تعالى « تظن أن يفعل بها فاقرة » المعنى توقن أى يفعل بها داهية من العذاب ونحو ذلك (٥) أى يحمينا فى الثغور — وهى مواضع المخافة من فروج البلدان — فرسان على أفراس كأنها الذئاب ، وسرحان من أسماء الذئب ، والقبب : دقة الخصر وضمور البطن ، والاباءة كعباءة : اجمة الحلفاء والقصب (٦) قوله سبوح فى العنان كناية عن الفرس . والفتخاء من العقبان اللينة الجناح ، والكاسر : الطير الذى يضم جناحيه يريد الوقوع

وحَشِيّتى سَرْجٌ على عَبْل الشَّوَى ... نَهْدٍ مراكِلُهُ نبيلِ المَحْزِمِ
هل تُبلِغَنّى دارَها شَدَنيَّةٌ ... لُعِنَتْ بمحروم الشراب مُصَرَّمِ
خَطّارةٌ غِبَّ السُّرى زَيّافةٌ ... تَقِصُ الاكامَ بذاتِ خُفٍّ ميثَمِ

وفى هذه الأبيات الفاظ تخفى معانيها على المطالعين فلا بد من كشفها على سبيل الايجاز . فقوله : تمسى وتصبح يعنى حبيبته عَبلة . والحشية الفراش المحشو والسراة بفتح السين اعلى كل شئ ، وأراد به هنا ظهر فرسه . يقول : تمسى وتصبح فوق فراش وطئ وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم يعنى أنها تتنعم وأنا أقاسى شدائد الأسفار والحروب . ويريد بقوله : وحشيتى سرج أنه مستوطئ بسرج الفرس كما يستوطئ غيره الحشية ، والاضطجاع عليها . ثم وصف الفرس بأوصاف محمودة وهى غلظ القوائم وانتفاخ الجنبين وسمنها . والعبل بالفتح الغليظ . والشوى بالفتح القوائم جمع شواة أى على فرس غليظ القوائم . والعظام كثير العصب . والنهد بفتح النون الضخم المشرف . والمراكل جمع مركل كجعفر وهو الموضع الذى يصيب رجل الفارس من الجنبين اذا استوى على السرج . والنبيل العظيم . والمحزم موضع الحزام . وقوله : هل تبلغنى الخ استبعد الوصول اليها لشدة بعدها فاستفهم عنه وأبلغه المنزل اذا أوصله اليه . ودارها أى دار عبلة . وشدنية ناقة منسوبة الى شدن بفتحتين وهو حىّ باليمن وقيل أرض فيه . وقوله : لعنت قال التبريزى فى شرح المعلقة : دعاء عليها بانقطاع لبنها أى بأن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها وأسمن وأصبر على معاناة شدائد الاسفار لأن كثرة اللحم والولادة يكسبها ضعفا وهُزالاً ويجوز أن يكون غير دعاء ويكون خبراً ، وأصل اللعن البعد . وقوله : بمحروم الشراب أى بضرع ممنوع شرابه وأصل حرم منع . وقيل بمحروم الشراب فى محروم الشراب . وقال خالد بن كلثوم : لعنت نحيت عن الابل لما علم انها معقومة فجعلت للركوب الذى لا يصلح له الا مثلها

(والمصرم) الذى أصاب اخلافه[1] شيء فقطعه من صرار أو غيره وقال أبوجعفر المصرم الذى يلوى رأس خِلفه حتى ينقطع لبنه وهو هنا مثل يريد أنها معقومة ولا لبن لها انتهى . وقال الاعلم فى شرح الأشعار الستة : قوله لعنت أى سبت بضرعها كما يقال لعنه الله ما أدهاه وما أشعره ! وانما يريد أن ضرعها قد حرم اللبن فذلك أوفر لقوتها وأصلب لهافتلعن ويدعى عليها على طريق التعجب من قوتها . والمصرم : المقطوع اللبن . وقيل : معنى لعنت أنه دعا عليها بأن ضرعها يكون مقطوع اللبن اذ كان أقوى لها ، والمعنى الاول أحسن وأبلغ انتهى . وقوله : خطارة الخ هو صفة لشدنية ، والخطارة التى تخطر بذنبها يمنة ويسرة لنشاطها . والسُرى : سير الليل . وغب الشيء بعده . يقول : هى خطارة بعد السرى فكيف بها اذا لم تسر . والزيافة : التى تزيف فى سيرها كما تزيف الحمامة أى تسرع . وقوله : تقص الاكام أى تكسرها خفافها الشدة وطئها وسرعة سيرها . يقال وقص يقص بالقاف والصاد المهملة . ويروى تطس بمعناه يقال وطس يطس اذا كسر . والاِكام بالكسر جمع اكم بفتحتين كجبال جمع جبل وهو ما ارتفع من الارض . والميثم : الشديد الوطء : يقال وثم الارض يثمها بالمثلثة اذا وَطئها وطئاً شديداً . وقوله : بذات خف أى بقوائم ذات اخفاف . ومن الشعر الدال على اعتنائهم بالخيل قول طفيل الغنوى :

انى وان قلّ مالى لا يفارقنى ... مثل (النعامة) فى أوصالها طول
تقريبُها المَرطى والجوزُ معتدلٌ ... كانه سُبَد بالماء مغسول[2]
او ساهم الوجه لم تقطع أناجله ... يصان وهو ليوم الروع مبذول[3]

(١) جمع خلف بكسر فسكون وهو من ذوات الخف كالثدى للانسان وقيل الخلف طرف الضرع
(٢) التقريب : ضرب من العدو ، والمرطى فوق التقريب ودون الالهاب ، والجوز : الوسيط ، والسبد : ثوب يسد به الحوض المركو لئلا يتكدر الماء يفرش فيه وتسقى الابل عليه
(٣) ساهم الوجه عابسه وهى صفة ممدوحة للحرب فى الخيل ، والناجل : الكريم النسل كما فى كتاب نخبة عقد الاجياد

وقال آخر فى ذلك :

لما رأيت قبيلةً مسعودةً　　بالخيل يسعفها الرهان ويجلبُ
صافيت منهوس اللَّبان كأنه　　بازٍ تراوحه اليدان مدرّب[١]
وإذا تصفحه الفوارسُ معرضاً　　فتقول سرحان الغضا المتنصب

ويروى أن أحد فرسان العرب أيام الجاهلية وهو عبيدة بن ربيعة التميمىّ قد طلب منه أحد ملوكهم فرساً تسمى (سكاب) فمنعها منه وقال :

أبيْتَ اللعنَ إن سَكاب عِلْقٌ　　نفيسٌ لا يعار ولا يباعُ[٢]
مفدَّاةٌ مكرّمةٌ علينا　　يُجاع لها العيالُ ولا تُجاعُ
سليلةُ سابقيْن تناجلاها　　اذا نسبا يضمهما الكُراع[٣]
ففيها عزةٌ من غير نفر　　يحيدها إذا حرّ القراع[٤]
فلا تطمع ـ أبيتَ اللعنَ ـ فيها　　ومنعكها بشئٌ يستطاع
وكفّى تستقل بحمل سيفى　　وبى ممن تهضَّمنى امتناع[٥]
وحولى من بنى قُحفانَ شِيبٌ　　وشبان إلى الهيجا سِراع[٦]
اذا فزعوا فأمرهُمُ جميعٌ　　وإن لاقوا فأيديهم شَعاع[٧]

---

(١) المنهوس: القليل اللحم ، واللبان بالفتح: الصدر ، والباز: ضرب من الصقور ، والسرحان من أسماء الذئب (٢) قوله أبيت اللعن : من تحيات العرب لملوكهم وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام وكانت منازلهم الحيرة وما يليها ، ومعنى أبيت اللعن : أبيت أن تأتى من الاخلاق المذمومة ماتلعن عليه ، وسكاب . أسم فرس ، وقوله علق نفيس أى مال يبخل به وهذا كما يقال : هو علق مضنة (٣) يقول : هى ولد فرسين سابقين اذا انتسبا انتهيا الى كراع وهو بالضم فحل كريم معروف واصل الكراع انف يتقدم من الجبل فسمى هذا الفحل به لعظمته ، وسليلة : الحق الهاء بها وان كان فعيلا فى معنى مفعول لانه جعل اسما كما تقول هى قبيلة بنى فلان ومعنى سل نزع . ويقال : نجلا ولدها وتناجلاه بمعنى واحد ومنه النجل بمعنى الولد

(٤) قوله يحيدها أى يجعلها حائدة وحر بمهملتين أى اشتد ، والقراع : مصدر قارعه اذا ضاربه

(٥) يقال تهضم حقه أى ظلمه (٦) قحفان بالضم والشيب بالكسر جمع أشيب وهو الذى حصل له شيب ، والهيجا يمد ويقصر الحرب (٧) الشعاع : المتفرق يقول : ان فزعوا من أمر فكلمتهم واحدة واذا لاقوا العدو فايديهم متفرقة عليه بالطعن

الى غير ذلك من الشعر الذى لا يسعه المقام مما يدل على عزة الخيل لديهم وأنها مقدمة على أنفسهم ولعزتها فدوها بالأمهات والآباء ، وقدموها على عيالهم فى البأساء والضراء ، وآثروها على أعزتهم فى الطعام والماء .

ما يحمد من الخيل ويذم لدى العرب

كل من مارس شيئاً ولازمه كان أدرى بشؤونه وأعرف بأحواله مما سواه . هؤلاء العرب لما كانوا على ممر الأيام فى كرّ وفرّ وإقدام واحجام ، لم تزل مواكبهم مصطفة ، وكتائبهم ملتفّة ، واعلامهم منشورة ، وراياتهم مشهورة ، وبنودهم [1] خافقة ، وجموعهم مشتبكة ، واقرانهم متطاعنة ، وفرسانهم متضاربة ، وسيوفهم بدم النحور مشْرَقَة ، [2] ورماحهم متشاجرة ، وخيولهم متصاهلة ، ونيران حروبهم مشتعلة ، كانت الخيل من أعظم عددهم وأنفذ آلات ظفرهم بمقصدهم ، بل كانت حصونهم المشيدة ، وكنوزهم المخلدة ، وعزهم الرفيع ، وحرزهم المنيع [3] ، فلذلك وقفوا من أحوالها وأوصافها المحمودة والمذمومة مالم يقف عليه غيرهم ، وعلموا من عللها وأدوائها مالم يعلمه سواهم ، حتى بلغ فى ذلك صبيهم ووليدهم مالم يبلغه شيوخ قوم آخرين . والشواهد على ذلك كثيرة استوعبتها كتبهم المؤلفة فى الخيل . ولنورد من ذلك شاهداً مشتملاً على بيان ما نحن بصدده .

روى أبو بكر بن دريد قال : حدثنى عمى عن أبيه عن الكلبىّ عن أبيه . قال : اجتمع خمس جوارٍ من العرب فقلن : هلممن ننعتْ خيل آبائنا . فقالت الاولى : فرسُ أبى ورده وما ورده ؟ ذات كفلٍ مُزَحْلَقَ ، ومتن اخلق ، وجوف أخْوَق ،

(١) جمع بند وهو العلم الكبير (٢) يقال شرق الشيء شرقاً فهو شرق اشتدت حمرته بدم أو بحسن لون أحمر ، قال الاعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

(٣) الحرز بالكسر العوذة والموضع الحصين ، ومنه حديث الدعاء : اللهم اجعلنا فى حرز حارز ، أى كهف منيع ، والقياس أن يكون حرزاً محرزاً لان الفعل منه أحرز قال ابن الاثير : كذا روى ولعله لغة

ونَفْس مَرُوُح ، وعين طَروح ، ورجل ضروح ، ويد سبوح ، بُداهَتُها إهذاب وعَقبُها غِلاب . وقالت الثانية : فرس أبى اللعّابُ ، وما اللعاب ؟ غَبْيَةُ سَحاب ، واضطرام غاب ، مُتْرَصُ الأَوصال ، أشم القَذال ، مُلاحِكُ المَحال ، فأرسه مُجيد وصيده عتيد ، إنْ اقبل فظبيٌ مَعّاج ، وإنْ أدبر فظليم هدّاج ، وان أحضر فعِلْجٌ هرّاج .. وقالت الثالثة : فرس أبى حُذَمَة . وما حُذَمة ؟ إن اقبلت فقناة مقوّمة ، وان ادبرت فأثفيّة ململمه وان اعرضت فذئبة مُعَجْرَمه ارساغها مترصه ، وفصوصها ممحصه ، جريها انثرار . وتقريبها انكدار .. وقالت الرابعة فرس أبى خيفق وما خيفق ؟ ذات ناهق مُعْرَق ، وشدق اشدق ، وأديم مُمَلّق ؛ لها خلق اشدف ، ودسيع منفنف ، وتليل مسيف ، وثّابة زَلوج ، خَيْفانة رَهُوج ، تقريبها إهماج ، وحُضْرُها ارتعاج . وقالت الخامسة : فرس أبى هُذلول وماهذلول ؟ طريده محبول ، وطالبه مشكول ، رقيق الملاغم أمين المعاقم ، عَبْلُ المَحْزِم ، مِخَدٌّ مِرْجَم ، منيف الحارك اشم السنابك ، مجدول الخصائل ، سَبِط الفلائل ، غَوج التليل ، صَلْصَال الصهيل ، اديمه صاف ، وسبيبه ضاف ، وعفوه كاف .. فمن هذه الفقرات التى ارتجلتها جوارٍ لم يبلغن الحلم ، ولم يتدارسن شيئاً من فنون العلم ، يعلم الحاذق ما كان عليه القوم من الفطنة وقوة الفهم والادراك ، وما أوتوه من الذكاء والوقوف على دقائق الحقائق والفصاحة فى المنطق العذب ، وحيث أن هذه الكلمات التى اشتملت عليها هاتيك العبارات مما تخفى معانيها على كثير من الناس استوجب كشف ما فيه من ابهام والتباس فنقول فى شرح قول الاولى ؛ قالت : فرس أبى ورده وما ورده ؟ معنى هذه العبارة أن من عوائدهم فى محاوراتهم اللطيفة إذا أرادوا تشويق المخاطب فى معرفة شئ ودرايته أتوا باجمال وتفصيل اى أى شئ أعلم المخاطب ماهى تأكيداً لعتقها وجودتها حتى كأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب على معنى أن عظم شأنها وما اشتملت عليه من الاوصاف مما لم تبلغه دراية أحد من المخاطبين ، ولم تصل إليه معرفة سامع من السامعين ، ولا أدركه وهمه وكيفما قدر حالها فهى وراء ذلك

وأعظم . ومنه يعلم أن الاستفهام كناية عن لازمه من أنها لا تعلم ولا يصل إلى ماهى عليه من الأوصاف وهم ولا فهم . والجوار الخمس سلكن هـذا المسلك البديع ، والاسلوب الرفيع . ووردة : اسم فرس أبيها سميت بذلك إما للمشابهة فى اللون أو فى اللطافة وكان ذلك من عوائدهم كما سموا كل مايخصهم من أسباب وآلات بأعلام شخصية تمييزاً لها عما يشاركها فى الجنس المستوجب ابهام مقصدهم لولا الوضع وقد جبلوا على الفصاحة والبيان فى المنطق ولا سيما الخيل فهى لديهم أحق مما سواها بالاعتناء والتمييز فلذلك سموها بأسماء ناسبت أحوالها ، قولها : « ذات كفل مزحلق » الكفل محركة العجز أو ردفه أو القطن محركة وهو ما بين الوركين . والمزحلق المملس كانه زحلوقة وهى آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل وذلك فى الخيل من سيماء العتق ودليل النجابة . ومعنى قولها : « ومتن أخلق » أنها ناعمة الجلد فالمتن ما اكتنف بالصلب والظهر والاخلق الاملس ومنه صخرة خلقاء أى ملساء . ونعومة الجلد فى الخيل دليل العتق والجودة كما أن خشونته من أمارات الهجنة وعلاماتها . ومعنى قولها : « وجوف أخوق » أنها واسعة البطن فان الاخوق الواسع ، وسعة الجوف من خصائص جياد الخيل وصفاتهـا المحمودة ، وضيقه من علائم الهجنة ومن المنكر فى الخيل . روى أن الحجاج بن يوسف الثقفى سأل ابن القرية عن صفات الجواد فقال : نعم أصلح الله الامير الطويل الثلاث ، القصير الثلاث ، الرحب الثلاث ، الصافى الثلاث ، فقال : صفهن وبين لفظك . فقال : أما الطويل الثلاث : فالاذن والعنق والذراع . وأما القصير الثلاث فالعسيب والساق والظهر . وأما الرحب الثلاث : فالجوف والمنخر والجبهة . وأما الصافى الثلاث : فالاديم والعين والحافر . ومعنى قولها : « ونَفَس مروح [1] » انهـا تتنفس بنفس سهل كثير التردد وأما اذا كان التنفس بصعوبة وضيق فهو من العيوب فى الخيل . ومعنى قولها : « عين طروح » أنها حادة البصر بعيدة مرمى النظر فان

(١) فى أمالى أبى على القالى : ومروح : كثيرة المرح ، وضبط النفس بسكون الفاء

ذلك معنى الطروح وهو من الصفات المحمودة وضد هذه الصفة من العيوب . ومعنى قولها : « ورجل ضروح » انها قوية الرجل عند الجرى لا يتعبها مشيها ، وانها تدفع ما يصادفها من الحجارة ولا يصدها عن جريها ، فان الضروح الدفوع يريد انها تضرح الحجارة برجليها اذا مشت[1] . ومعنى قولها : « ويد سبوح » أنها سهلة المشى ، حسنة الجرى ، لا تتعب راكبها بل كانه فى سفينة تجرى فى الماء والقَطوف تتعب راكبها وتقلقه . ومعنى قولها : « بداهتها اهذاب » انها اذا أركضت لا تهملج[2] أولاً ثم تهذب ، بل إنها تهذب فجاءة من غير مقدمة فالبداهة والبديهة واحد وهو الفجاءة والاهذاب السرعة . يقال : اهذب الفرس اهذابا فهو مهذب . ومعنى قولها : « وعقبها غلاب » أن هذه الفرس تستمر على الجرى ولا تتعب بل انها اذا تطاير الحجر بمصادفة قوائمها تسبقه الى موقعه وعدم الكلال من العتاقة والجودة كما أن الاعياء بسرعة من الهجنة فالعقْب جرى بعد جرى . وغلاب مصدر غالبته مغالبة وغلابا كانها تغالب الحجر . وحاصل ماوصفت به هذه الجارية فرس أبيها ورده انها كثيرة اللحم عظيمة الكفل . ملساء الجلد وناعمته . واسعة الجوف سهلة التنفس حادة البصر . قوية القوائم . حسنة الجرى . بحيث لا تتعب راكبها كانها تجرى فى الماء سريعة الحركة . متيقظة . ان أجراها فارسها كان أول حركتها وجريها إهذاب وأسرع مايكون من الحركة مع عدم كلالها وتعبها . واضداد هذه الاوصاف منتفية عنها حيث إنها من العيوب .

(شرح قول الثانية) فرس أبى اللعاب وما اللعاب غَبْية سحاب أى الدفعة من المطر . وذلك انه لشدة جريه كأنه غيث نزل من السحاب ، وربما يقال ان فارسه فى غزوه عليه يكون فى خِصْب ونعمة لانه بمنزلة الغيث النازل . أو يقال انه فى سرعة انحداره ومشيه كأنه مطر نازل من السحاب على حد قول امرئ القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً ... كجُلمود صخر حطَّه السيل من علِ[3]

---

(١) وفى نسخة : اذا عدت (٢) هملجت الدابة مشت مشية سهلة فى سرعة

(٣) الكر : العطف ، والمكر مفعل من كر يكر ومفعل يتضمن مبالغة كقولهم فلان مسعر

ومثل ذلك قولها : « واضطرام غاب » فان الاضطرام الاشتعال والغاب جمع غابة وهي الأجمة[1] تريد به سرعة جريه كما يسرع الحريق في الاجم وعليه مثل الحريق وافق القصبا[2]، ومعنى « مترص الاوصال » انه محكم الاعضاء قويها لا يتزلزل عند الجرى ولا يكل . والمترص المحكم والاوصال الأعضاء . ومعنى « اشم القذال » ان قَذاله وهو مَعْقِد العِذار اشم مرتفع وذلك من أدلة العتق حيث يدل على عظم الدماغ فيكون قابلا للتطبع ، وأما الهجين فهو بخلاف ذلك ومعنى « مُلاحَك المحال » أن فقرات ظهره متقاربة متضامة دخل بعضها في بعض فالملاحك المداخل والمحال جمع محالة وهي فقار الظهر وواحدة الفَقار فَقارة ، ومتى رأيت الفقار متباينة متباعدة في فرس فهو هجين ركيك الظهر لا يتحمل كثرة الركوب ومعنى « قولها فارسه مجيد » أن راكبه راكب فرس جواد ، وقد سبق تعريفه في قول ابن القرية من انه الطويل الثلاث القصير الثلاث الرحب الثلاث الصافي الثلاث . وربما يقال : إن فارسه يعد في الحروب صاحب جواد بناء على أنهم كانوا يفضلون بين راكب الجواد وراكب الهجين كما فاضلت الشريعة الغراء . ومعنى قولها : « صيده عتيد » انه اذا انفلت من فارسه لا يغيب عنه بل صيده عتيد أي حاضر لديه وهكذا شأن الخيل العتاق اذا انفلتت من يد فارسها أو سقط عنها راكبها وقفت أو دارت حوله بخلاف الهجين في ذلك . ومعنى قولها : « ان أقبل فظبي معّاج وان أدبر فظليم هداج وان أحضر فعلج هراج » أنه سريع الجرى على كل حال من الاحوال الثلاثة فهو كالظبي المسرع اذا أقبل ، وكالظليم اذا أدبر ، وكحمار الوحش اذا أحضر . والمعاج : من معج في سيره وعمج اذا أسرع . والظليم :

حرب وفلان مقول ومصقع متضمناً مبالغة لان مفعلا قد يكون من أسماء الادوات نحو المعول والمكتل والمخرز فجعل كانه اداة للكرور وآلة لسعر الحرب وغيرذلك والكلام في مفر نحو الكلام في مكر ، والجلمود : الحجر العظيم الصلب ، والحط : القاء الشيء من علو الى سفل ، وقوله : منّ عل أي من فوق (١) الاجمة محركة الشجر الكثير الملتف والجمع أجم بالضم وبضمتين وبالتحريك وآجام واجام واجمات (٢) تمامه : (والتبن والحلفاء فالتهبا) وقد عزاه سيبويه في الكتاب لرؤبة وقال ابن يسعون أنه لربيعة بن صبيح على مازعم الجرمي

ولد النعام وهو يوصف بسرعة المشى . والهداج : من الهدج وهو المشى الرويد ، والسريع . والعلج هنا : حمار الوحش . والهراج : كثير المشى

(شرح قول الثالثة) معنى « ان أقبلت فقناة مقومه » انها سريعة الجرى كأنها قناة مقومة رميت فانها حينئذ أسرع فى النفوذ . والقناة الرمح والمقومة المعدلة المثقفة . وربما يقال فى معنى ذلك انها دقيقة المقدم وهو مدح فى الاناث يدل على ذلك قولها فى الفقرة التى تليها : وان أدبرت فاثفية ململمة . والاثفية : واحدة الاثافى . والململمة : المجتمعة . تريد أنهـا مدورة المؤخر والعجز . ومعنى « وان أعرضت فذئبة معجرمة[1] » لم يتعرض أحد له وكأن المراد أنها على كل وضع وحالة محمودة وعلى أى حال صادفتها استحقت المدح اللائق بها . ومعنى « جريها انثرار ، وتقريبها انكدار » أنها سريعة السير سهلته . فجريها كانه انثرار وتقريبها وهو ضرب من السير كانه انكدار . وكفى بذلك دليلا على ما هى عليه من القوة والسرعة

(شرح قول الرابعة) معنى « خيفق من الخفق» وهو السرعة . ومعنى «ذات ناهق مُعْرَق » أن عظم خدَّيها قليل اللحم ، فالناهق: العظم الشاخص فى خد الفرس والناهقان : العظمان الشاخصان فى خديها . والمعرق : قليل اللحم . وكان العرب يستحسنون ذلك ويجعلونه من شواهد العتق . وقال أبو عبيدة : النواهق من الحمار مخرج نهاقه . ومعنى «وشدق أشدق» أنها واسعة الشدق وهو أيضاً من شواهد العتق . ولعل ذلك يزيد فى حسن الصور فى الخيل. وقد يقال الشدق الشخص والاشدق العظيم الشخص وهو معنى صحيح فى الخيل كما لا يخفى. ومعنى «وأديم مملق» أنها ناعمة الجلد فالأديم الجلد .والمملق المملس . وهو كما مر من خصائص عتاق الخيل وجيادها . ومعنى « ودسيع منفنف » أن أصل عنقها واسع عظيم . فالدسيع مركب العنق

---

(١) العجرمة وثب كوثب الظبي وهذا القول لابى بكر ، قال القالى : ولا أعرف عن غيره في هذا الحرف تفسيراً

فى الحارك. ومنفنف واسع من النفنف ، وهو الهواء بين السماء والأرض . وإذا لم يكن اصل العنق واسعاً فهو صفة ذم فى الفرس ومعنى « وتليل مسيف » ان عنقها كالسيف فى الدقة والانحناء والطول وذلك مما نص علماء الخيل على استحسانه فالتليل العنق . والمسيف : كالسيف ومعنى « وثابة زلوج » أنها سريعة الوثب . ومعنى « خيفانة رهوج » كمعنى سابقه . والخيفانة : الجرادة التى بها نقط سود تخالف سائر لونها . وانما قيل للفرس خيفانة لسرعتها لأن الجرادة اذا ظهرت بها تلك النقط كان اسرع لطيرانها ورهوج كثيرة الرهج وهو الغبار . يعنى أنها سريعة كثيرة الجرى والمشى فلذلك يكثر الغبار خلفها . ومعنى « تقريبها اهماج وحضرها ارتعاج » ان أقل عدوها الذى هو التقريب بمنزلة الإهماج الذى هو أسرع العدو وهكذا الحضر والارتعاج فان الحضر ضرب من السير دون الارتعاج وهو سرعة الجرى وأصله كثرة البرق وتتابعه . وحاصل هذه الاوصاف : أن خيفق قليلة لحم الوجه ، واسعة الأشداق ، ناعمة الجلد ، واسعة الدسيع — وهو مركب العنق طويلة العنق ، دقيقته ، مقوسته ، سباقة الغايات ، سريعة الخطو والحركات —

(شرح قول الخامسة) معنى « طريده محبول . وطالبه مشكول » أنه اذ طلب أدرك وإذا طرد لم يدرك . فطالبه ومطلوبه كلاهما كأنهما مقيدان بقيد لسرعة جريه وبُطْء غيره عنه والطريد بمعنى المطرود . ومحبول فى حبالة ومشكول موثق فى اشكال وهو القيد . ومعنى « دقيق الملاغم » أنه دقيق الجحافل وهو جمع جحفلة [1] ، وهى معلومة . وبعضهم أبى ذلك وقال انما الملاغم من الانسان ماحول الفم . وكلا التفسيرين موافق لحقيقة الحال . ومعنى « أمين المعاقم » أمين المفاصل وعَبْل المحزم غليظه . وهو من علامات العتق بخلاف ما اذا لم يكن محزمه عبلا بل كان دقيقاً فانه ليس بمحمود « ومعنى مخد مرجم » انه قوى على السير حتى كأنه يشق الأرض بحوافره شقاً ويجعل ما يصادف الحوافر من الحجارة يرجم بعضه بعضا على حد قوله :

---

(١) هى بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نَفْيَ الدراهم تنقاد الصياريف [1]

فالمخد من خد الأرض يخدها أي يجعل فيها اخاديد ، وهي الشقوق واحدها اخدود . ومرجم من الرجم . وقد يكون بمعنى أنه يرجم الأرض بحوافره . ومعنى أنه منيف الحارك : أن حاركه وهو منسج الفرس مرتفع . وأشم السنابك بمعنى أن اطراف حوافره مرتفعة والسنابك جمع سنبك ومعنى مجدول الخصائل مفتولها والخصائل جمع خصلة . هذه جملة من الأوصاف المحمودة في الخيل تضمنتها هذه الفقرات والاسجاع البليغة التي أعجزت فرسان ميادين الفصاحة . ولبعض المتأخرين من أهل الفضل والأدب كتاب انشأه في أوصاف الخيل مشتمل على فوائد جمة نذكره تتميماً للمقصود وهو : ينهي وصول ما انعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها ، وادخرت صهواتها [2] حصوناً يعتصم في الوغى [3] بصاصيها [4] « فمن أشهب » غطاه النهار بحلته ، وأوطأه الليل على اهلته ، يتموج أديمه ريا ويتأرج رِيَا [5] ، ويقول من استقبله في حلى لجامه : هذا الفجر قد طلع بالثريا ، أن التقت المضايق انساب انسياب الأيم [6] ، وان انفرجت المسالك مر مرور الغيم ، كم أبصر فارسه يوماً أبيض بطلعته ، وكم عاين طرف السنان مقاتل العدا في ظلام النقع [7] بنور أشعته . لا يستن [8] داجن في مضماره . ولا تطمع الغبراء في شق غباره . ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره . تسابق يداه مرامي طرفه ويدرك شوارد البزوق ثانياً من عطفه « ومن أدهم » حالك الاديم [9] ، حالى

(١) وصف ناقته بسرعة السير في الهواجر فيقول ان يديها لشدة وقعهما في الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضاً ويسمع له صليل كصليل الدنانير اذا انتقدها الصيرفي فنفى رديها عن جيدها وخص الهاجرة لتعذر السير فيها ، وزاد الياء في الصياريف تشبيهاً لها بما جمع في الكلام على غير واحد نحو ذكر ومذاكير وسمح ومسامبح (٢) جمع صهوة وهي ما أسهل من ناحيتي سراة الفرس أو مقعد الفارس (٣) الوغى مقصور الجلبة والاصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جني الوعى بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها (٤) الصياصي : الحصون وكل ماامتنع به
(٥) ارج المكان ارجاً فهو ارج اذا فاحت منه رائحة طيبة ذكية ، والرى الريح الطيبة
(٦) انساب : جرى ومشى مسرعاً ، والايم : الحية (٧) أى في ظلام الغبار
(٨) يستن يسلك (٩) أى اسود الجلد

الشكيم[1] ، له مقلة غانية[2] وسالفة ريم[3] ، قد ألبسه الليل بُرْده ، واطلع بين عينيه سعده ، يظن من نظر الى سواد طرّته ، وبياض حجوله وغرته ، أنه توهم النهار نهراً فخاضه ، وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك المخاضة ، لين الاعطاف سريع الانعطاف ، يُقبل كالليل . ويمر كجلمود صَخرٍ حطه السيل[4] . يكاد يسبق ظله[5] . ومتى جارى السهم الى غرض بلغه قبله[6] « ومن أشقر » وشاه الغدو بلهبه ، وغشاه الأصيل بذهبه ، يتوجس لديه برقيقتين ، وينفض وَفْرَتيهِ[7] ، عن عقيقتين ، وينزل عذار لجامه بين سالفتيهِ على شقيقتين ، له من الراح لونها ، ومن الرياح لينها ، إنْ جرى فبرق خفق ، وان أسرع فهلالٌ على شفق ، لو أدرك وائل حرب بنى وائل لم يكن للوجيه[8] وجاهه ، ولا للنعامة[9] نباهه ، ولكان ترك اعارة سَكابٍ اؤماً وتحريم بيعها سفاهه[10] ، يركض ما وجد أرضاً ، واذا اعترض به راكبه بحراً وثبه عرضاً « ومن كميتٍ » نهدٍ[11] ، كأن راكبه

(١) لعله جمع شكيمة ، وهي في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس (٢) المقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، أو الحدقة ، والغانية : التي غنيت بزوجها عن غيره (٣) الريم الظبي الخالص البياض وسالفته ماتقدم من عنقه (٤) الجلمود الحجر العظيم الصلب ، والحط القاء الشيء من علو إلى أسفل هنا من قول امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقد مر تفسير هذا البيت قريباً (٥) هذا من قول بعضهم

يجرى فلمع البرق فى آثاره ... من كثرة الكبوات غير مفيق

ويكاد يخرج سرعة من ظله ... لوكان يرغب فى فراق رفيق

(٦) أقول وقريب من هذا قول الصفي الحلي الشهير

وافر تبرى الاهاب مورد ... سبط الاديم محجل ببياض

أخشى عليه أن يصاب بأسهمي ... مما يسابقها الى الاغراض

(٧) الوفرة الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الاذنين منه أو ما جاوز شحمة الاذن ثم الجمة ثم اللمة (٨) الوجيه من مشاهير خيل العرب قال الشاعر :

بنات الوجيه والغراب ولاحق ... وأعوج تنمى نسبة المتنسب

(٩) النعامة اسم لعدة أفراس (١٠) يشير إلى قصة فرس عبيدة بن ربيعة التميمي أحد فرسان العرب وكان أحد ملوكهم طلب منه فرساً تسمى سكاب فمنعها منه وقال :

أبيت اللعن أن سكاب علق ... نفيس لاتعار ولا تباع

الى آخر الابيات التى مرت قريبا فى هذا الجزء فراجعها (١١) الكميت الذى خالط حمرته قنوء والنهد : الفرس الحسن الجيل الجسيم اللحيم المشرف

في مهد [١] عنـد مى الاهاب [٢] ، شمالى الذهاب ، يزلُّ الغـلام الخف عن صهواته ، وكأن نغم الغَريض ومَعبد [٣] فى لهواته [٤] ، قصير المطا [٥] فسيح الخطا ، إن ركبَ للصيد قيد الاوابد [٦] واعجل عن الوثوب الوحش اللوابد [٧] وان جنب الى حرب لم يزورَّ من وقع القَنا بلَبانه [٨] . ولم يشك لو عـلم الكلام بلسانه ، لم ير دون بلوغ الغـاية وهى غرض راكبه ثانياً من عنانه ، وان سار فى سهل [٩] ، اختال براكبه كالثمل [١٠] ، وان أصعد فى جبل طار فى عقابه كالعقاب وانحط فى مجاريه كالوعل [١١] ، متى ما ترق العين فيه تسهل . ومتى أراد البرق مجاراته قال له الوقوف عند قدره ما أنت هناك فتمهل (ومن حبشى أصفر) يروق العين ، ويشوق القلب مشابهته العين ، كأن الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالا وكانه نفر من الدجا فاعتنق منه عرفا واعتنق حجالا ، ذى كفل يزين سرجه ، وذيل يسد اذا استدبرته منه فرجه [١٢] قداطلعته الرياضة على مراد فارسه . وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده ، وتوشيع ملابسه [١٣] . له من البرق خفة

---

(١) المهد : الموضع يهيأ للصبي ويوطأ (٢) العندم : دم الاخوين أو البقم ، والاهاب كـكتاب الجلد (٣) الغريض ومعبدها من مشاهير المغنين ، ولهما أخبار مذكورة فى الاغانى للاصبهانى (٤) جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم (٥) أى الظهر (٦) الاوابد : الوحوش وقدأبد الوحش يأبد أبوداً ومنه تأبد الموضع اذا توحش وخلا من القطان ومنه قيل للفذ آبدة لتوحشه عن الطباع ، قال امرؤ القيس :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل

قالوا هذا البيت يعد من ابتداعاته ومخترعاته لانهم كانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وشبهه حتى قال (قيد الاوابد) ومثل هذا له كثير ولم يكن قبله من فطن لمثلها غيره فامتثلوه بعده (٧) أى ذوات الابدة كالاسد ونحوه ، واللبدة شعر مجتمع على زبرة الاسد وفي المثل هو أمنع من لبدة الاسد (٨) قوله لم يزور أى لم ينحرف ، والقنا جمع قناة وهي الرمح ، واللبان بالفتح : الصدر (٩) قال ابن فارس : السهل خلاف الحزن ، وقال الجوهري : السهل خلاف الجبل والنسبة اليه سهيلى بالضم على قياس (١٠) السكران (١١) بالفتح وككتف ودئل « وهذا نادر » تيس الجبل (١٢) هذا من قول امرىء القيس فى معلقته الشهيرة :

ضليع اذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الارض ليس باعزل

(١٣) توشيع الملابس اعلامها

وطئه وخطفه ، ومن النسيم لين مروره ولطفه ، ومن الريح هزيزها اذا ماجرى شأوين وابتل عطفه . يطير بالغمز . ويدرك بالرياضة مواقع الرمز . ويعدو كألف الوصل فى استغناء مثلها عن الهمز « ومن أخضر » حكاه من الروض تفويفه . ومن الوشى تقسيمه وتأليفه . قد كساه النهار والليل حلّتىْ وقار وسنا ، واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما اجتمعا حَسُنا (١) ومنحه البارى حلية وشيه . ونحلته الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة مشيه ، يُعطيك أفانين الجرى قبل سؤاله ، ولما لم يسابقه شئ من الخيل اغراه حب الظفر بمسابقة خياله كأنه تفاريق شيب فى سواد عذار ، أو طوالع فجرٍ خالط بياضه الدجا فما سجا ومازج ظلامه النهار فما أنار ، يختال لمشاركة اسم الجرى بينه وبين الماء فى السير كالسيل ، ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل ، ويكذب المانَوية (٢) لتولد اليمن بين اضاءة النهار وظلمة الليل ، « ومن أبلق (٣) » ظهره حرم ، وجريه ضرم (٤) ، ان قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عدم ، وان صرف فى حرب فمعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تُريد الكف والقدم ، قد طابق الحسن البديع بين ضدّىْ لونه ، ودلت على اجتماع النقيضين علة كونه ، وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار . وأخذ وصف حلّىْ الدجا فى حالىْ الابدارِ والسِرار (٥) لاتكلّ مناكبه ، ولا يضل فى حجرات الجيوش راكبه ، ولا يحتاج ليله المشرق بمجاورة نهاره الى أن تسترشد

(١) من قول الشاعر :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

والبيت من القصيدة المعروفة بالدعدية وقد مر بعضها وحلا ، واكثر هذه الاوصاف التى تراها هنا مأخوذة من أقوال الشعراء (٢) المانوية قوم ينسبون إلى رجل اسمه ماني يقول . الخير من النهار والشر من الليل ، وقد رد عليه المتنبي فقال :

وكم لظلام الليل عندى من يد تخبر أن المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسرى اليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب

(٣) البلق محركة سواد وبياض وارتفاع التحجيل الى الفخذين (٤) فرس ضرم كـكتف عداء (٥) الابدار طلوع البدر ، والسرار : آخر ليلة من الشهر

فيه كواكبه ، ولا يجاريه الخيال فضلا عن الخيل ، ولا يَمَلُّ السُرى الا اذا كل مشبهاه النهار والليل ، ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الاثر فان جهدت فبالذيل ، فهو الابلق الفرد [١] . والجواد الذى لمحاربه العكس وله الطرد ، قداغنته شهرة نوعه من جنسه عن الاوصاف ، وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها فى الاعتراف له جادة الانصاف ، فترقى المملوك الى رتب العز من ظهورها ، وأعدها مطية الجنان اذ الجهاد عليها من أنفس مهورها . وكاف بركوبها فكلما أ كمله عاد ، وكلما أمله سره اليه فلو أنه زيد الخيل لما زاد ، ورأى من آدابهامادل على انها من أ كرم الاصائل . وعلم انها ليوميْ سلمه وحربه جَنة الصائل وجُنة الصائل . وقابل احسان مُهديها بثنائه ودعائه ، وأعدها فى الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه ، والله تعالى يشكر بره الذى أفرده فى النَدَى بمذاهبه ، وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه .

ماورد عن العرب فى مشى الخيل وعدوها

من المشى : العَنَقُ وهو أول المشى . والتوقص وهو أن ينزوَ نزواً ويقرمط [٢] ويقال مرّ يتوقص به فرسه . ومن المشى الدَألان وهو مشى يقارب فيه الخطو ويتقى فيه كأنه مثقل من حمل . ومنه الذألان وهو مر خفيف سريع يقال : مرّ فرسه يذأل ذَألاناً . ومنه سمى الذئب ذؤالة لخفة مره . واذا راوح بين يديه فذلك الخبب ، فاذا رفع يديه ووضعهما معاً فذلك التقريب ، فاذا عدا عدو الثعلبِ فتلك الثعلبية ، فاذا ارتفع حتى يكون إحضاراً قيل مر يحضر ويقال : مرّ يعدو ، فاذا ارتفع فسال سيلا قيل مرّ يجرى جرياً ، فاذا اضطرم جريه قيل مر يُهذب اهذابا ومر يلهب إلهابا ، فاذا بدا العدو قيل مَرّ يضطرم وقيل قد أمَجَّ امجاجا ، فاذا اجتهد قيل قد أهمج يُهمج إهماجاً ، فاذا رجم الارض رجماً بين العدو

(١) قال المجد : هو حصن السموأل بن عاديا بناه أبوه أو سليمان (عليه السلام) بأرض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه ومن مارد فقالت : تمرد مارد وعز الابلق (٢) القرمطة : مقاربة الخطو .

والمشي الشديد قيل رَدَى يَرْدِي رَدَيَاناً . قيل لمنتجع بن نبهان ما الرديان ؟ قال : عدو الحمار بين آريه ومتمعكه [١] ، فاذا رمى بيديه رمياً فلم يرفع سُنبكه [٢] عن الارض قيل مر يدحو دحواً . فاذا مرّ مراً سهلا بين العدو الشديد واللين فذلك الطميم يقال مر يطم طميما ، فاذا وقعت حوافر رجليه موضع حوافر يديه قيل قد قرن قراناً وهو قَرون ، واذا مر مراً خفيفاً قيل مر يهزع ويمزع ويمصع ، فاذا خلط بين الهملجة فراوح بين شيء من هذا قيل قد ارتجل ارتجالا . وقيل خير جري الذكور أن يشترف [٣] ، وخير جري الإناث أن تنبسط وتصغى كعدوة الذئبة . ويقال للفرس إذا كان شديد العدو وكثيره : إنّهُ لَمِهْرَجٌ ، وإذا بدأ الجرى من غير أن يختلط قيل قد غلج يغلج غلجاً وإنه لَمِغْلَجٌ فاذا كان رغيب الشحوة [٤] كثير الأخذ من الأرض قيل هو ساطٍ من الخيل ويقال هو غمر وسكب وبحر وفيض وحَتٌّ كل هذا اذا اكثر العَدْوَ ، فاذا جمع يديه فوثب فوقعت مجموعة يداه فذلك الضبر فاذا أهوى بحافره الى عضده فهو الضبع وهو فرس ضبوع والخناف وهو أن يهوى بحافره الى وحشيّه [٥] ويقال : الخيل تجري مساويها يراد بذلك أن الفرس يعدو وفيه بعض هذه العيوب ، ويقال للذى لا يسبق من غاية بعيدة اهضم . ويكره من جرى الخيل الهملجة .

الوان الخيل

الكمتة والحمة وهو أحب الألوان الى العرب مع الحوة . والكمتة حمرة تدخلها

---

(١) الآرى ويخفف الاحية ، والمتمعك : محل تمرغ الدابة يقال تمعكت الدابة تمعكا أى تمرغت في التراب وتقلبت فيه (٢) السنبك فنعل بضم الفاء والعين طرف مقدم الحافر وهو معرب وقيل سنبك كل شيء أوله كذا في المصباح (٣) أى ينتصب وفرس مشترف سامي النظر سابق ، قال جرير :

من كل مشترف وان بعد المدى ضرم الرقاق مناقل الاجرار

(٤) أى واسع الخطوة (٥) لوحشى من كل دابة الجانب الايمن قال الشاعر :

فمالت على شق وحشيها وقد ريع جانبها الايسر

قال الازهرى قال أئمة العربية الوحشى من جميع الحيوان غير الانسان الجانب الايمن وهو الذى لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب والانسي الجانب الآخر وهو الايسر

قُنوءٌ يقال اكمأت يكمئت اكميتاتاً ويقال اكمت يكمت اكمتاتاً ويقال ادهامْ يدهام ادهياماً ، وفى الكمتة لونان يكون الفرس كميتاً مُدَمًّى ويكون كميتاً أحم . وأشد الخيل جلوداً وحوافِرَ الكُمتُ والحم . ومنها « الصفر » يقال فرس أصفر وفرس صفراء ولا يسمى أصفر حتى يصفر ذنبه وعرفه . ومنها « الحوة » وهى خضرة تضرب الى سواد . ويقال قد احواوى يحواوى احويواءً ، وبعض العرب يقول احووى يحووى احوواءً وبعض العرب يقول قد حوى يحوى حوة . ومن الخيل : الوردة [١] يقال فرس ورد وفرس وردة وخيل ورد . وفى الخيل « الدغم » وهو قليل من الالوان وهو أن يكون وجهه يضرب الى السواد وحجافله [٢] أشد سواداً يقال فرس أدغم وفرس دغماء . وفى الألوان « الاغراب » وليس بناصع [٣] الحمرة فاذا ابيضت الارفاغ وهى أصول الفخذين مما يلى الخاصرةَ والمحاجر والاشفار فهو مغرب فاذا ابيضت الحدقة فهو أشد الاغراب . ومنها « الخضرة » وهى التى تخلطها غبرة قال الجعديّ :

واخضر كالقهقرّ ينفض رأسَهُ　　　أَمامَ رِعالِ الخيلِ وهو يُقرّبُ [٤]

وفى الخيل « الشقرة » وهى الحمرة التى فيها مغرة يقال فرس أمغر بَيّن المغرة وفى الخيل « الدهمة » وهو السواد شديده وهينه . وفيها « الحوة » وهو سواد ليس بالشديد تصفر أرفاغ الدابة معه ومحاجرها ويكون اعلاه أشدَّ سواداً . وفيها « الشهبة » وهو البياض فاذا كان فى الدابة ضروب من الألوان من غير بلق فذلك التوليع يقال برذون مولع .

---

(١) الوردة التى تعلوها الحمرة الى الشقرة الخلوقية وأصول شعرها سود (٢) جمع حجفلة وهى بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير (٣) نصع لونه خلص وابيض واحمر ناصع قال الشاعر:

من صفرة البياض وحمرة　　　نصاعة كشقائق النعمان

وهذه الكلمة تمايؤكد بها اللون الاحمر ، ولشيخنا المؤلف رسالة مفيدة فى تأكيد الالوان نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى م:١ (٤) القهقر : الحجر الاملس الصلب الاسود كالقهقار ، والرعال : الجماعات واحدها رعلة، والتقريب ضرب من السير

الشيات

منها الغرة وهى بياض الجبهة فاذا صغرت فهى قرحة فاذا استطالت وانصبت فهى شِمْراخ فاذا انتشرت قيل غرة شادخة وفرس شادخ الغرة . قال ابن مفرغ :

شدخت غرة السوابق فيهم في وجوه مع اللام الجعاد (١)

فاذا ابيض موضع اللطمة من الفرس قيل لطيم فاذا ابيضت جحفلته العليا فهو ارثم وهى رثماء وهى الرثمة . ويقال : إنها لذات احجال اذا كان بها تحجيل والواحد حجل ، فاذا خالط البياضُ الذنبَ فى أىّ لون كان فذلك الشعلة يقال فرس أشعل وفرس شعلاء فاذا خلص لونه من كل لون كان بهيماً اذا كان من ضرب واحد لم يختلف . ويقال اذا كان باطراف جحفلته شىء من بياض المظ وفرى لمظاء ، وفيها التجويف وهو أن يصعد البلق حتى يبلغَ البطن قال الغنوى :

شميط الذنابى جوفت وهى جونة بنقبة ديباج وريط مقطع (٢)

فاذا ارتفع التحجيل فجاوز الثنن حتى يصعد فى الاوظفة فهو التجبيب يقال فرس مجبب ومجببة فاذا جاوز البياض الركبة فى اليد وفى العرقوب فى الرجل فهو أبلق واذا صعد البياض فى البطن الى الجنب فهو انبط والمصدر النبط قال ذو الرُمة :

كمرض الحصان الانبط البطن قائماً تمايل عنه الجل فاللون اشقر

ويقال فرس انبط وفرس نبطاء . وفى كل الالوان يكون البلق فكل لون خالطه بياض فهو أبلق والبلق هجنة فى الخيل فاذا ابيضت اليد فهو فرس أعصم فاذا ابيضت الرجل فهو فرس أرجل والمصدر الرجل والعصم ، واذا كان البياض بموضع الخلاخيل من اليدين والرجلين فهو التحجيل ، فاذا حجلت بثلاث وتركت واحدة قيل محجل ثلاث مطلق واحدة ، فاذا ابيضت الرجل واليد التى من شقها

(١) يريد أن غررهم انتشرت فى وجوههم حتى انتهت الى الامام (٢) البيت لطفيل الغنوى يصف فرساً ، يقول : اختلط فى ذنبها بياض وغيره وقال ابن دريد : قوله شميط الذنابى أى شملاؤها والتجويف ابيضاض البطن حتى يتحدد البياض فى القوائم

قيل به شكال ، فاذا ابيضت رجله من شقه الايمن ويده من شقه الأيسر قيل به شكال مخالف ، وعليك بالكتب المطنبة فى استيفاء هذا المطلب .

سوابق الخيل

قال الاصمعىّ : ماسبق فى الرهان فرس اهضم (١) قط . وأنشد لابى النجم (٢) (منتفج الجوف عريضٌ كَلْكَلُهْ (٣)) قال وكان هشام بن عبد الملك رجلاً مسبقاً لا يكاد يسبق فسبقت له فرس أنثى وصلت أختها ففرح لذلك فرحاً شديداً وقال علىّ بالشعراء . قال أبو النجم : فَدُعينا فقيل لنا : قولوا فى هذه الفرس وأختها فسأل أصحاب الرشيد النظرة حتى يقولوا فقلت له : هل لك فى رجل ينقدك اذا استنسؤك ؟ قال : هات . فقلت من ساعتى :

أشاع للغراء فينا ذكرَها قوائمٌ عوجٌ أطعنَ أمرها
وما نسينا بالطريق مهرها حتى نقيسَ قدْرَهُ وقدرها
وصبره اذا عدا وصبرها والماء يعلو نحرَهُ ونحرها
ململمة شد المليكُ أُررها أسفلَها وبطنَها وظهرها
قد كاد هاديها يكون شطرَها (٤)

قال أبو النجم : فأمرلى بجائزة وانصرفت . وعن الاصمعى أن هارون الرشيد ركب سنة خمس وثمانين ومائة الى الميدان لشهود الحلبة ، قال الاصمعى فدخلت

---

(١) الهضم محركة خمص البطن ، ولطف الكشح وفى الخيل استقامة الضلوع وانضمام أعالى البطن واستقامتها ودخول أعاليها وهو عيب (٢) أبو النجم هو الفضل بن قدامة الراجز المشهور (٣) يجوز رفع منتفج وعريض وخفضهما لان قبله :

يفرع الكتفين حر عيطله نفرعه فرعاً ولسنا نعتله
طار عن المهر نسيل ينسله صور فى صلب أمين موصله

فمن خفضهما جعلهما صفتين للفرع أو للصلب ، ومن رفعهما قطعهما مما قبلهما واضمر مبتدأ يحملهما عليه والقطع فى الصفات التى يراد بها المدح أو الذم أبلغ من اجرائها على موصوفها والانتفاج نحو من الانتفاخ الا أن الانتفاخ من علة وداء والانتفاج من خلقة وسمن ، والكلكل من الفرس ما بين محزمه الى مامس الارض منه اذا ربض (٤) الهادى : العنق

اشهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين والحلبة يومئذ أفراس للرشيد ولولديه الامين والمأمون ولسليمان ابن أبي جعفر المنصور ولعيسى بن جعفر فجاء فرس أدهم يقال له الربيذ لهارون الرشيد سابقة فابتهج لذلك ابتهاجاً علم ذلك فى وجهه وقال علىَّ بالاصمعى فنوديت له من كل جانب فأقبلت سريعاً حتى مثلت بين يديه . فقال يا أصمعىُّ خذ بناصية الربيذ ثم صفه من قَوْنَسِهِ إلى سُنبكه (١) فانه يقال إن فيه عشرين إسماً من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين وأنشدك شعراً جامعاً فيه من قول أبى حزرة . قال : فانشدنا لله أبوك . قال : فأنشدته :

واقبّ كالسرحان تمَّ له ... ما بَيْنَ هامتِهِ إلى النسر

ألاقب : اللاحق المخطف البطن وذلك يكون من خلقته وربما حدث من هُزال أو بعد قود والانثى قباء والجمع قب والمصدر القبب . والسرحان : الذئب شبهه فى ضموره وعدوه به وجمعه سراحين وقد قالوا سراح . والهامة على الرأس وهى أم الدماغ وهى من أسماء الطير . والنسر : هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه كأنه النوى والحصى وهو من أسماء الطير وجمعه نسور .

رحبت نَعامتُه ووفَّر فرخه ... وتمكن الصُرَدانِ فى النحر

رحبت : اتسعت . نعامته : جلدة رأسه التى تغطى الدماغ وهى من أسماء الطير . وقوله : ووفر فرخه . الفرخ : هو الدماغ وهو من أسماء الطيور ووفر أى تم يقال وفرت الشئُ ووفرته بالتخفيف فهو موفور . والصُرَدان : عرقان فى أصل اللسان . ويقال انهما عرقان أخضران مكتنفان باطن اللسان منهما الريق ونفس الرية وهما من أسماء الطير وفى الظهر صُرَد أيضاً وهو بياض يكون فى موضع السرج من أثر الدبَرَ يقال فرس صُرَد إذا كان ذلك به. والنحر موضع القلادة من الصدر وهو البرك

وأناف بالعُصفور من سعف ... هامٍ أشمّ موثق الجَذْرِ

(١) أى من أعلى رأسه الى طرف حافره

وأناف : أشرف . والعُصفور : منبت الناصية والعصفور أيضاً عظم نائئ في كل جبين والعصفور من الغُرَر أيضاً وهى التى سالت ودقّت ولم تتجاوز الى العينين ولم تستدر كالقرحة وهى من أسماء الطير . والسعْف : يقال فرس بين السعف وهو الذى سالت ناصيته . هام : أى سائل منتشر . أشم : مرتفع والشمم فى الانف ارتفاع قصبته ويروى هادٍ اشم يريد عنقاً مرتفعاً وجمعه هواد . وقوله مو ثق أى شديد قوىّ . والجذر : الاصل من كل شئ قال الاصمعىّ وغيره : هو بالفتح وقال أبو عمرو بن العلاء هو بالكسر

وازدانَ بالديكَيْنِ صلصلهُ ونَبَتْ دَجاجتُهُ عن الصَدْر

ازدان : افتعل من قولك زان يزين وكان الاصل ازتان فقلبت التاء دالا لقرب مخرجها من مخرج الزاى ؛ وكذلك ازداد من زاد يزيد . والديكان : واحدها ديك وهو العظم النائئ خلف الأذن وهو الذى يقال له الخُشَشَاء والخشاء . والصلصل : بياض الناصية ويقال هو اصل الناصية . والدجاجة اللحم الذى على زوره بين يديه والديك والصلصل والدجاجة من أسماء الطير .

والناهضان أمرَّ جلزهما فكأنما عثما على كسر

الناهضان : واحدها ناهض وهو لحم المنكبين ويقال هو اللحم الذى يلى العضدين من أعلاها والجمع نواهض . ويقال فى الجمع أنهض على غير قياس والناهض فرخ القطا وهو من أسماء الطير . وقوله أمرّ جلزهما أى فتل واحكم يقال أمررت الحبل فهو ممر أى فتلته . والجلز : الشد وقوله : فكأنما عثما على كسر ؛ أى كأنهما كسرا ثم جبرا يقال عثمت يده والعثم الجبر على عقدة وعوج وعثمان فعلان منه .

مسحنفر الجنبين ملتئم مابين شيمته الى الغر

مسحنفر الجنبين : أى منتفخهما . ملتئم : أى معتدل . وشيمته : منخره والشيمة أيضاً من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه . ويقال أن تكون

شامة أو شام فى جسده . والغر فى الاغلب على الذى يسمى الرخمة من الفرس وهى عضلة الساق .

وصفت سماناه وحافره　　وأديمه ومنابت الشعر

السمانى طائر وهو موضع من الفرس لا أحفظه إلا أن يكون أراد السَمامةَ وهى دائرة تـكون فى سالفة الفرس وهى عنقه . والسَمامة من الطير أيضاً والأديم الجلد .

وسما الغراب لموقعيه معاً　　فأبين بينهما على قدر

سما الغراب : أى ارتفع والغُراب رأس الوَرِك ويقال للصلوين الغرابان وهما مكتنفا عجب الذنب ويقال لهما أعالى الوركين والموقعان منه فى أعالى الخاصرتين فابين أى فرق بينهما على قدر أى على استواء واعتدال

و اكتنّ دون قبيحه خطافه　　ونأت سَمامته على الصقر

اكتن أى استتر والقبيح ملتقى الساقين ولا يقال انه مركب الذراعين فى العضدين والخطاف من اسماء الطير وهو حيث أدركت عقب الفارس اذا حرك رجليه . ويقال لهذين الموضعين من الفرس المركلان . ونأت أى بعدت والسمامة دائرة تـكون فى عنق الفرس وقد ذكرناها . وهى من أسماء الطير والصقر أحسبها دائرة فى الرأس ولم أقف عليها وهى من أسماء الطير

وتقدمت عند القطاة له　　فنأت بموقعها عن الحر

القَطاة : مقعد الردف وهى من أسماء الطير . والحر : من الطير يقال انه ذكر الحمام وهو من الفرس سواد يكون فى ظاهر أذنيه

وسما على نقويه دون حداته　　خَرَبان بينهما مدى الشبر

النقوان واحدها نقو والجمع انقاء وهو عظم ذومخ وانما عنى ههنا عظام الوَرِكين لان الخرَب هو الذى تراه مثل المدهن فى ورك الفرس وهو من الطير ذكر الحُبارى والحداة من الطير وأصله الهمز ولـكنه خفف وهى سالفة الفرس

وجمعها حداء على وزن فعال كما تقول عظاة وعظاء ويقال عظاية واذا فتحت الفاء قلت حداة وهو الفأس ذات الرأسين وجمعها حدأ مثل نواة ونوى وقطاة وقطا .

يدع الرضيم اذا جرى فلقاً بتوائم كمواسم سمر

الرضيم : الحجارة . الفلق : المكسورة فلقا بتوائم جمع توأم وقد قالوا اتؤم على وزن فعل جمع تؤم على غير قياس يقال هو مثنى يعنى حوافره . والمواسم جمع ميسم الحديد أى فى صلابتها . وقوله : سمر أى لون واحد وهو أصلب الحوافر .

ركبن فى محض الشوى سبِط كفت الوثوب مشدَّد الأَسر

الشوى : ههنا القوائم والواحدة شواة ويقال فرس محض الشوى اذا كانت قوائمه معصوبة . سبط : سهل . كفت الوثوب : أى مجتمع ، من قولك كفت الشيء اذا جمعته وتممته . مشدد الاسر : أى الخلق . . قال الاصمعى : فامر لى بالف درهم . وأنشد بعضهم :

قد أطرق الحيّ على سابح أسطع مثل الصدع الأجردِ (١)
لما أتيت الحى فى ودقه كأن عرجوناً بمثنى يدى
أقبل يختالُ وفى شأوهِ يضربِ فى الاقرب والابعدِ
كأنه سكرانُ أو عابسُ أو ابنُ رب حرثِ المولدِ

« وقال عنترة »

أما اذا استقبلتَهُ فكأنه جِذعٌ سما فوقَ النخيل مشذّبُ (٢)
واذا عرضتَ له استوتْ اقرابُهُ وكأنه مستدبراً مستصوب (٣)

والشعر فى هذا الباب كثير فان غالب شعر العرب فى وصف الخيل وما يتعلق بها .

---

(١) الطروق : المجيء أو الزيارة ليلا ، والسابح الفرس اسبحه بيديه فى سيره ، والاسطع : الطويل العنق ، والصدع : قال الجوهوى هو الوسط من الوعول ليس بالعظيم ولا الصغير ولكنه وعل بين وعلين وكذلك هو الظباء ، والحمر لا يقال فيه الا بالتحريك (٢) قال فى الاساس : فرس مشذب طويل استعير من الجذع المشذب ، قال يصف فرساً :

بمشذب كالجذع صا ك على حواجبه خضابه

يعنى دم الصيد (٣) الاقراب : الخواصر

الحلبة والرهان

الحَلْبة (١) مجمع الخيل ويقال مجتمع الخيل ويقال مجتمع الناس للرهان وهو من قولك حلب بنو فلان على بنى فلان واحلبوا اذا اجتمعوا . ويقال منه اخذ حَلَبَ الحالبُ اللبنَ فى القدح أى جمعه فيه . والحلب الحبل الذى يمد فى صدور الخيل عند الارسال للقبض والمنصبة الخيل حين تنصب للارسال . وأصل الرهان من الرهن كان الرجل يراهن صاحبه فى المسابقة يَضَع هذا رهناً وهذا رهناً فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه . والرهان مصدر راهنته مراهنةً ورهاناً كما تقول قاتلته مقاتلة وقتالاً . وهـذا كان من أمر الجاهلية وهو القمار المنهى عنه فان كان الرهن من أحدهما بشىء مسمى على أنه ان سبق لم يكن له شىء وان سبقه صاحبه أخذ الرهن فهذا حلال لان الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر . وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهناً وادخلا بينهما محلّلاً وهو فرس ثالث يكون مع الاولين ويسمى أيضاً الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شىء ثم يرسلون الافراس الثلاثة فان سبق أحد الاولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيباً وان سبق الدخيل أخذ الرهنين جميعاً وان سبق هو لم يكن عليه شىء ولا يكون الدخيل الا رائعاً جواداً لا يأمنان ان يسبقهما والا فهذا قمار لانهما كأنهما لم يدخلا بينهما محللاً . قال الاصمعى : السابق من الخيل الاول والمصلّي الثانى الذى يتلوه . قال : وانما قيل له مصلى لانه يكون عند صلوى السابق وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله . ثم الثالث والرابع لا اسم لواحدٍ منهما الى العاشر فانه يسمى سكّيتاً . قال أبوعبيدة : لم نسمع فى سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه أسماً لشىء منها الا الثانى والعاشر فان الثانى اسمه المصلى والعاشر السكيت وما سوى ذَيْنِكَ يقال له الثالث والرابع وكذلك الى التاسع ثم السكّيت ويقال السكيت بالتشديد والتخفيف فما جاء بعد ذلك لم يعتدّ به .

---

(١) وزان سجدة

والفِسكل بالكسر الذى يجىء آخر الخيل والعامة تسميه الفُسكل بالضم وقال أبو عبيدة القاشور الذى يجىء فى الحلبة آخر الخيل وهو الفِسكل وانما قيل للسكيت سكيتاً لانه آخر العدد الذى يَقِفُ العادُّ عليه والسكت الوقوف هكذا كانوا يقولون فأما اليوم فقد غيروا . وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق قال جرير :

اذا شئتمو أن تمسحوا وجهَ سابقٍ   جوادٍ فمدّوا فى الرهان عنانيا

أقول : ذكر الخطيب التبريزى وغيره من مشاهير أهل الأدب وأئمة اللغة ؛ أن أسماء خيل الحلبة عشرة لأنهم كانوا يرسلونها عشرة عشرة ، وسمى كل واحد منها باسم فالاول منها السابق وهو المجَلّى لانه كان يجلى عن صاحبه ، والثانى المُصلّى لانه يضَع جحفلتَه على صلا [(١)] السابق ، والثالث المُسلّى لانه يسليه ، والرابع التالى ، والخامس المُرْتاح ، والسادس العاطِف ، والسابع المؤمَّل ، والثامن الحظى ، والتاسع اللَطيم لانه يلطم عن الحجرة ، والعاشر السكيت لانه يعلوه تخشع وسكوت . ويقال سكيت أيضاً مشددة الكاف ، والفسكل الذى يجىء آخر الخيل فى الحلبة . ويقال للحبل الذى يجعل فى صدور الخيل يوم الرهان المقبض والمقوس . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : الخيل تجرى باعراقها وعتقها فاذا وضعت على المقوس جرت بجدود أربابها . وقيل فى أسماء خيل الحلبة أن أولها المجلّى ثم المصلّى ثم المسلّى ثم العاطف ثم المرتاح ثم الحظيّ ثم المؤمَّل . هذه السبعة لها حظوظ ، ثم اللواتى لاحظوظ لها اللطيم ثم الوغد ثم السكيت . وقال محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان يَصف الحلبة وذكر أسماء الخيل :

فجلّى الأغرّ وصلّى الكميت   وسلّى فلم يذمم الأدهمُ
واتبعها رابعٌ تالياً   وانّى من المنجِدِ المتْهِمِ
وما ذم مرتاحها خامساً   وقد جاء يقدم ما يقدم
وسادسها العاطف المستحير   يكاد لحيرته يحرم

(١) الصلا وزان العصا مغرز الذنب من الفرس

وخاب المؤمَّل فيما يخيب   وعنّ له الطائر الاشأم
وجاء الحظىّ لهـا ثامناً   فأسهم حصـتَه المسهم
حـدا سبعة وأتى ثامناً   وثامنـة الخيل لا تسهم
وجاء اللطيم لهـا تاسعاً   فمـن كل ناحيـة يلطم
يخب السُكَيت على أثرها   وعلباه من قُنْبِهِ أعظم (١)
على ساقة الخيل يعدو به   ملماً وسائسه الوم
اذا قيل من ربُّ ذا المجيب   من الحزن بالصمت مستعصم (٢)

خيل العرب المشهورة

قد أفرد أبو محمد الاعرابىّ الغندجانيّ وهو اللغوى الشهير كتابا ذكر فيه أسماء خيل العرب الفحول والحجور التى نجلت وانجبت وتفرق نجلها فى العرب، وأنها لمن كانت فى بدء أمرها والى من صارت وفيمن صار نجلها من العرب ممن ذكر ذلك وافتخر به فى الجاهلية والاسلام ، وأسماء خيـل العرب المنفردة التى ذكرت بأنفسها ولم يذكر نجلها ، وقد رتبه على ولاء الحروف المعجمة ليسهل على المطالع مرامها ، وينقادَ اليه زِمامها ، وفى الحقيقة ان هذا الكتاب لم يسبق اليـه مؤلفه . وقد طالعته مراراً فوجدته مفيداً فى بابه . ولا بأس ان نذكر منه نبـذة يسيرةً تكون كالانموذج فى هذا الباب « فمن مشاهيرها » اعوج الأكبر لغنى ابن أعصر . قال بشر ابن أبي خازم يفتخر ببنات اعوج :

وبكل أجردَ سابحٍ ذى ميعة   متماحلٍ فى آل أعوجَ ينتمى (٣)

---

(١) القنب بالضم فالسكون جراب قضيب الدابة أو وعاء قضيب كل ذى حافر هـذا الاصل ثم استعمل فى غير ذلك ويقال اضرب قنب فرسك تنج بك ، والرواية الصحيحة فى البيت :

يخيب السكيت على أثره   حياؤه من خزيه أعظم

(٢) تجد القصيدة برمتها فى (ص ٢٤٩) من كتاب نخبة عقد الاجياد فى الصافنات الجياد تأليف المفضال الامير محمد باشا نجل أمير العلماء وعالم الامراء الامير عبد القادر الحسنى الجزائرى

(٣) السابح : الفرس سمى لسبحه بيديه فى سيره ، والاجرد : السباق ، وماع الفرس يميع جرى وميعة الحضر : أوله ونشاطه ، والمتماحل : الطويل المضطرب الخلق من الابل

وقال طفيل بن عوف :

بنات الوجيه والغُراب ولاحق   وأعوجَ تنمى نسبة المتنسب

وليس لهم فحل أشهر فى العرب ولا أكثر نسلاً ولا الشعراء والفرسان أكثر ذكراً له وافتخاراً به من أعوج . قال الأصمعى : حدثنى حبيب بن شوذب — رجل من أهل نجد وكان ينزل ضرية — قال حدثنى أبى قال سمعت كعب بن سعد الغنَوى ينشد المرثية بِراذان اراه فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . قال : أول ما روى من عدو اعوج يعنى الاكبر الذى لغنى انه أغير على الناس فى يوم النسار . وصاحب أعوج الأكبر موثقه بثُمامةٍ(١) . فلما أغارت الخيل فى وجه الصبح حال فى متنه(٢) ثم صاح به ونسى الوثاق . فاقتلع الثمامة فخرج يحف به(٣) كأنه خُذروف(٤) فسار بياضَ يومه ثم أمسى يأكل حميم قباء . وسار أربع مراحل كأنه دفعه من الأنسر من ضرية ثم أتى العين ثم فَلْجة ثم الدفينة ثم قباء ثم لم يشغله . وقد كان عدا مسيرةَ أربع ليال أن تعشى من حميم قباء . واما أعوج الاصغر فهو لبنى هلال بن عامر « ومنها الاغر » وهو لبلعاء بن قيس الكنانى الذى يقول :

أبلغ الحرث عنى انى   شرُّ شيخ فى ايادٍ ومُضَر
رألة منتتف بلعومها   تأكل القتَّ وخُمَّان الشجر(٥)
ان مضى الحول ولم أغزُكمُ   فى عناج تهتدى احوى طِمِر(٦)

(١) واحدة الثمام كغراب وهو نبت يسد به خصاص البيوت (٢) أى وثب واستوى على ظهره (٣) حف الفرس حفيفاً سمع عند ركضه صوت وهو دوى جريه ويقال أجرى الفرس حتى أحفه أى حمله على الحضر الشديد (٤) كعصفور شىء يدوره الصبى بخيط فى يديه فيسمع له دوى ، قال أمرؤ القيس :

درير كخذروف الوليد أمره   تتابع كفيه بخيط موصل

وعوام البغداديين اليوم يسمونه (معجان) ومنهم من يقول (معجال) باللام

(٥) الرألة : فرخ النعام ، والقت : الاسفست بالكسر وهي الفصفصة أى الرطبة من علف الدواب كذا فى النهاية وخص بعضهم به اليابسة منها ، والخمان بالضم والكسر ردىء الشجر وبالضم نبات (٦) قوله « ولم اغزكم » يروى بدله « ولم آتكم » وقوله « بعناج » يروى

قدر الرحمن ان ألقا كمُ عارضاً رمحى على متن (الاغر)[1]

« ومنها الاشقر » كان لقتيبة بن مسلم . فبعث به الى الحجاج فعرض له (اشكاب) اللص بجوخى فسرقه . وخبر هذا ان الحجاج بن يوسف كتب الى قتيبة بن مسلم انه قد اجتمعت جياد خيل العرب بخراسان فاكتب الى أهل الكُوَر ومرهم باجراء الخيل وابعث الىَّ بسوابقها ففعل . فبعث اليه قتيبة بالاشقر والرؤاسى وهما ابنا الحميراء لبطنها فجاءت بهما رسله ، فعرض لهما اشكاب اللص بجوخى فسرق الاشقر فذهب به وجاءوا بالرؤاسى الى الحجاج ، فبعث به الحجاج الى عبدالملك فاستوهبه منه بشر بن مروان أخوه فوهبه له . فكانت خيل عبدالملك ابن بشر من بنات الرؤاسى فكانت سوابق الخيل بالعراق . وكان يوسف بن عمر يجرى الخيل فسبقه عبد الملك بن بشر ببنات الرؤاسى . وقيل ليوسف ابن عمر . الا تجرى الخيل ؟ فقال : الا أتعنىّ وابعث بالسبق الى عبد الملك فلم تزل عند عبد الملك بن بشر فحمل بعضهن على بعض فرققن وقادهن عبد الملك بعدُ الى بنات الذائد بالشام فسبقتها الذائديه فما قصبت الرؤاسية مع الذائدية وذلك لأنهن رققن وضعفن . وكانت الذائدية اغلظ منها وأقوى فاعترّتها بقوتها . قال أبو يحيي وانما سمى الرؤاسى لأن رجلا من بني سليم يقال له عبد الملك رؤاس استوهب ما فى بطن الحميراء من معقل بن عروة فوهبه له ، فلما وضعته اعجب معقل بن عروة . فقال لعبد الملك رؤاس دعه العام وأهب لك ماشئت فأبى فقال معقل : اذا لا البته لك قال هاته فأخذه واشترى له برذونةً حين وضعت فألباه منها ثم صنعه حتى اجذع فأرسله فلم يصنع شيئاً ، ثم اثنى فأرسله فلم يصنع شيئاً فأعاره رجلا من دهاقين [2] أهل خُراسان فابتذله الدهقان حتى أربَعَ فانتسب

وبعناجى فمن رواه بعناج فانه آراد بعناجج أى بعناجيج (وهى جياد الخيل) فحذف الياء للضرورة فقال بعناجج ثم حول الجيم الاخيرة ياء قصار على وزن جوار فنون لنقصان البناء وهو من محول التضعيف ، ومن رواه (عناجى) جعله بمنزلة قوله « واضفادى جمة نقانق » اراد غناجيج كما أراد ضفادع ، (التاج) والاحوى : الاحمر يضرب الى السواد ، والطمر : الفرس الجواد

(١) المتن : الظهر (٢) جمع دهقان بالكسر والضم وهو التاجر وزعيم فلاحى العجم ورئيس

الفرس بعد ما ابتذل فكان سابقاً مبراً . انتسب أى رجع الى نسبه وعرقه .
وقال أبو يحيى : كانت الحميراء لمعقل بن عروة وكانت سابقةً وبناتها سوابق ، وكان معقل بصيراً بالخيل وكان اذا اجريت الخيل استدبرها فأيّها كان أدنى سُنبكاً(١) من الارض سبقه عليها «ومنها الاحزم» فرس نُبَيْشةَ بن حبيب السُلَمىّ قال يوم قتل ربيعة بن مكدم وهو (الكديد) :

سائلْ كنانةَ أين فارسُها الذى ... ورد الكديدَ ربيعةَ بن مكدَّم
فلتخبرنّ بنو فراس انه ... ألوى بمهجته جرىُ المقدم
لما أطالَ عِنانَهُ متقصداً ... نحوى قصرت له عنانَ (الأحزم)
فأثرتُ بينَ ضُلوعِهِ جياشةً ... فوهاء تنفث بالحقين وبالدمِ (٢)

ومنها « الأزور » فرس عبد الله بن حازم السُلَمى قال فيه :

لَعَمْرِى لقد أنظرت بكر بن وائل ... وخندفَ حتى لم أجد متنظرا
اذا اكثروا يوما علىَّ فرجتهم ... برمحى والحقت الفوارسَ أزورا

ومنها « البيضاء » فرس قعنب بن عتاب بن الحرث بن عمرو بن همام بن رياح بن يربوع قال بعض الشعراء :

لو امكنتنى من بشامةَ مهرتى ... للاقى كما لاقى فوارسُ قعنبِ
تمطّت به البيضاء بعد اختلاسةٍ ... على دهش وخلتنى لم اكذبِ

قال أبو بكر بن دريد : هى فرس بجير وفيها يقول الشعر . قال أبو محمد ، قلت : الصحيح إنها لقعنب وذلك أنه التقى هو وبُجَيْر بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَير بن كعب بعكاظ والناس متوافرون فقال بجير لقعنب : ياقعنب كيف شكرك للبيضاء ؟ قال قعنب : وما عسيت أن اشكرها . قال : ولم لا تشكرها وقد

---

(١) السنبك : فارسي معرب ، هو مقدم قرية أو صاحبها بخراسان والعراق ، وقيل : الاقاليم
ضرب من العدو ، وطرف الحافر وجانباه من قدم (٢) أثرت بعثت ، والافوه والفوهاء :
لبينا الفوه والفوه محركة سعة الفم وعظمه ومن المجاز طعنة فوهاء : أى واسعة ، وحقنه يحقنه فهو
محقون وحقين : حبسه

انجتك منى ؟ قال : ومتى ذاك ؟ قال بجير : حيث أقول :

أمخترمى ريبُ المنونِ ولم ارع   بشعث النواصى سرح عمرو بن جندبِ
ولو امكنتنى من بشامةَ مهرتى   للاقى كما لاقى فوارسُ قعنب
تمطت به البيضاء بعد اختلاسةٍ   على دهشٍ وخلتنى لم اكذب

قال أبو عبيدة : فانكر ذلك قعنب فتحالفا وتلاعنا فآلى قعنب يميناً لئن اجتمع سقفى وسقفك (يعنى شخصى وشخصك) لا قتلنك أو أقتل دونك. وله حديث فيه طول. وقتل قعنب بُجَيْراً فى يوم المَرُّوْتِ ويسمى يوم إرم الكلبة

ومنها « بُرْجة » فرس لسنان بن أبى حارثة المرىّ . قال فيها :

لما رأونى ووجه بُرْجة   والريطة ولى فوارس الملك
فأدبروا والرماح تأخذهم   نزو القطا فى حبائل الشرك(١)

وقال فيها أيضا

ألا فاعجلْ (لبرجةَ)بالصَّبُوحِ   صَرِيحاً أنها بنتُ الصريحِ(٢)

ومنها « البرّيتُ » فرس إياس بن قبيصة الطائى. قال حارثة بن أوس الكلبى :

ونجى اياساً منى سيف مجنب   تراه اذا ما جدتِ الخيلُ يلعبُ(٣)
أبو أمه (البرّيت) أو هو خالهُ   الى كل عرق صالحٍ يتنسب

ورواه بعض العلماء أبو أمه العريان فانكره أبو الندى وقال : هو البريت وقال أبو بكر بن دريد هو البريت بضم الباء وتخفيف الراء وأنشد الشعر على غير ما أنشده أبو محمد :

---

(١) نزو القطا : وثوبه ، والشرك محركة : حبائل الصيد وما ينصب للطير والجمع شرك بضمتين نادر ، وبرجة بضم الباء وفى اللسان : هى لسنان بن أبى سناف (٢) الصبوح بالفتح ما حلب من اللبن بالغداة ، والصريح : الخالص من كل شيء (٣) قوله (سيف مجنب) لعل صوابه (شدف محنب) والشدف ككتف الطويل العظيم السريع الوثبة من الخيل سكن داله ضرورة ، والمحنب المنعطف العظام والتحنيب فى الخيل مما يوصف صاحبه بالشدة

ونجى إياساً سابحٌ ذو عُلالةٍ ملح اذا يعلو الحزَابىّ يغلب(١)
أبو أُمه (العريان) أو هو خاله الى كل عرق صالح يتنسب
كأن استهُ اذْ أخطأته رماحُنا وفات (البُرَيْتَ) لبده يتصبب
ذنابى حبارى أخطأ الصقر رأسه فجادت بمكنون من السلح يشعب(٢)

ومنها «البرخاء» لعوف بن الكاهن الاسلمى . قال فيها :

نصبت لهم وجهى و (برخاء) جونة اذا نصبت للشر أقعت على رجل(٣)
كأن بها كراثَ رمل خميلة ولت نبته الجوزآء بالنبل والوبل(٤)

ومنها «جِروة» فرس قعين بن عامر النميرىّ . قال فيها :

تركت ابن بدر والسباع يعدنه وفى النفس مما يذكر الناس عاذرُ
قصرت له من صدر (جروة) انها تصادم أحياناً وحيناً تغاور
قصرت له من صدرها وكأنها عقاب تدلت مطلع الشمس كاسرُ(٥)

ومنها «الحرون» بن الاثاثى بن الخززبن ذى الصوفة بن اعوج لمسلم بن عمرو الباهلىّ أبى قتيبة بن مسلم وانما سمى الحرون لانه كان يسبق الخيل فاذا فاتها حرن واذا لحقته نجا ثم يحرن وله يقول القائل :

اذا ما قريشٌ خلا ملكُها فان الخلافةَ فى باهله(٦)

---

(١) يقال لاول جرى الفرس (بداهة) وللذى يكون بعده (علالة) كما فى التاج والحزابى : أماكن منقادة غلاظ مستدقة ، والسابح الفرس لسبحه بيديه في سيره (٢) الذنابى : ذنب الطائر وقيل منبت الذنب ، والحبارى : طائر معروف وهو على شكل الاوزة برأسه وبطنه غبرة ولون ظهره وجناحيه كلون السماني غالباً ، والسلح : الغائط ، ويشعب: يجرى (٣) اقعى الكلب والسبع جلس على استه واقعى فرسه رده القهقري (٤) قوله ولت أى أمطرت (٥) العقاب بالضم معروف ، وكسر الطائر جناحيه كسراً ضمهما للوقوع وبازكاسر وعقاب كاسر ، وجروة أيضاً فرس شداد أبى عنترة (٦) باهلة قبيلة من أخس قبائل العرب ويضرب بلؤمها المثل ولم تزل العرب تصف باهلة باللؤم فى الجاهلية والاسلام ثم خفت منهم تلك السمة وشرفت بقتيبة بن مسلم وبنيه حتى قال القائل : اذا ماقريش الخ

ومما يحكى من لؤم باهلة أنه قيل لاعرابى : أيسرك أن لك مائة الف درهم وأنت من باهلة فقال : لا والله . فقيل : أفيسرك أن لك حمر النعم وأنك منها ؟ قال : اللهم لا ، قيل : أفيسرك أنك فى الجنة وأنت باهلى ؟ قال نعم ولكن بشريطة أن لا يعلم أهلها أنى منها ! ! ومما يستجاد لبعضهم قوله :

لِرَبِّ الحرون (أبي صالح) وما تلك بالسنة العادله[1]

وقد اشتراه مسلم من اعرابي بالبصرة بألف دينار معارضة بمتاع فذكر أنه كان فى عنقه رسن حين أدخله الاعرابي يطير عفاؤه[2] فسبق الناس عليه عشرين سنة . وكان الحجاج بعث بابن يقال له البطان الى الوليد بن عبد الملك فصيره لمحمد ابنه وولد البطان البطين لمحمد بن الوليد أيضاً قال العجلىّ :

أغر من خيل بنى ميمون بين الحميليات والبطين

يعنى ميمون بن موسى المرائى وولد البطين الذائد وهو للعباس بن الوليد ابن عبد الملك . وكان لايدخل عليه سائسه الا باذن يرفع له المخلاة فيها شعير ، فان رفع رأسه دخل اليه وان لم يفعل به ذلك شد عليه فمنعه من الدخول اليه وكذلك كان يصنع بالفرس اذا جاراه يَكدِمُهُ[3] . قال الاصمعى : وكان اذا أرسل معه حمار أوفرس مثله فى الجودة جاءسابقه بقدررمح . وأخبار هذا كثيرة

ومنها « حزمة » ذكر الاصمعىّ قال : حدثنى شيخ يقال له (ابن قتب) قال : قدم اعرابىٌّ من أهل نجد على الوليد بن عبد الملك ، وقد أضمر الوليد الخيل ليرسلها ، فأتى اعرابى فقال : ياأمير المؤمنين أريد أن أرسل خيلى مع خيلك . قال : ياأسيلم كيف تراها ؟ فقال : حجازية لو ضمها مضمارك ذهبتم . فقال له الاعرابى : مااسمك ؟ قال : أنا أسيلم بن الاحنف . قال فقال : انك لمنقوصُ الاسم أعوج اسم الاب . قال فأرسلت الخيل فسبق الاعرابى على فرس له يقال له (حزمة) فقال له الوليد : أواهبها أنت لى ؟ قال : انها قديمة الصحبة ولها حق ولكنى أحملك على مُهْرٍ لها سبق الناس عاماً أول وهو فى بطنها له عشرة أشهر .

اباهل ينبحني كلبكم وأسدكم ككلاب العرب
ولو قيل للكلب : ياباهلى عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وقول الآخر :

لاتنفع الانساب من هاشم ان كانت الانفس من باهله

والشعر فى باهلة كثير وله محل آخر (١) أبو صالح هو مسلم بن عمرو الباهلى (٢) العفاء : الشعر الطويل الوافى ، ووبر البعير (٣) أى يعضه بادنى فمه

والفرس اذا أتت عليه عشرة أشهر وهو فى بطن أمه ربض وكذلك البعير الا انه يبرك ، فمرض هذا الاعرابى فأرسل الوليد بن عبد الملك الاطباء اليه يداوونه فأنشأ يقول :

جاء الأطباء من (حمص) كأنهمُ   من أجل أن لا يداوونى مجانين [1]
قال الأطباء : ما يشفى ، فقلت لهم :   دخان رِمْث من (التسرير) يشفينى [2]
مما يجرّ الى عُمران حاطبه   من الجُنينة جزلاً غير ممنون

الرمث بالكسر مرعى الابل . قال : فارسل اليه أهله بحمل من سليخة رمث فوجدوه قد مات . (والسليخة) قال أبو بكر بن دريد : أن يجف الرمث فلا يبقى فيه من الندى شيء . قال أبو محمد الاعرابى : سألت أبا الندى عن اسم هذا الاعرابى ونسبه ، فقال هو الأصم حكيم بن مالك بن جناب النميرى .

قال (وحزمة) قال فيها ابنه عتاب بن الاصم هذا الرجز :

يا (حَزْمَ) قد جد الرهان بالقوم   ليس عليك اليوم فى جرْيٍ لَوْم
ان أنت جليت الوجوه ذا اليوم

ومنها «حومل» لحارثة بن أوس الكلبىّ . ولها يقول يوم هزمت بنو يربوع بنى عبد ودّ من كلب :

ولولا جَرْىُ (حوملَ) يوم غدر   لَمَزَّقنى وإياها السلاحُ

---

(١) حمص : كورة بالشام (٢) الرمث : شجر يشبه الغضا لا يطول ولكنه ينبسط ورقه وهو شبيه بالاشنان والابل تحمض به اذا شبعت من الخلة وملتها وربما يخرج فيه عسل أبيض كانه الجمان وهو شديد الحلاوة وله حطب وخشب ووقود حار وينتفع بدخانه من الزكام . والتسرير ذو بحار أسفله حيث سيوله السر : قال أبو زياد : ذو بحار واد يصب أعلاه فى بلاد بنى كلاب ثم يسلك نحو مهب الصبا ويسلك بين الشريف شريف بنى نمير وبين جبلة في بلاد بنى تميم حتى ينتهى الى مكان يقال له التسرير من بلاد عكل ، قال : وفي التسرير أثناء وهى المعاطف فيه ، منها ثنى لغنى بن اعصر وثنى نمير بن عامر وفيه ماء يقال له الغريفة وجبل يقال له الغريف وثنى لبنى ضبة لهم فيه مياه ودار واسعة ثم سائر التسرير الى أن ينتهى فى بلاد بنى تميم ، قال الراعى :

حى الديار ديار أم بشير   بنو يعتين فشاطىء التسرير
لعبت بها هصف النعامى بعدما   زوارها من شمأل ودبور

تثيب إثابةَ اليعْفورِ لمـّا   تناول ربَّها الشُعْثُ الشِحاح [1]

« ومنها الحفار » فرس سراقة بن مالك الكناني . قال فيه :

صبرت لهم نفسى وأحرزت جنّتى   ومثل مشدى يوم ذلك يذكر

ومرجعى (الحفار) خلف ظهورهم   بمعترك ضنك به الضيم أعسر

ومنها « الحسامية » لحميد بن حريث بن بجدل الكلبىّ . قال فيها شبيل بن الجنبار العميرىّ :

ولى حميد ولم ينظر فوارسه   قبل التبين والمغرور مغرورُ

من بعد ما الثق السربال طعنته   كأنه بعصير الورس ممكورُ [2]

نجىّ (الحسامية) الكبداء مبترك   من جريها وحثيث الركض مذعورُ

كأنما يلدغ الأقراب إذ حميت   من شدها بحصى الأرض الزنابير [3]

ومنها « خصافٌ » [4] لسُمَيْر بن ربيعة الباهلي ويسمى فارس خصاف ويضرب به المثل . فيقال (أجرأ من فارس خِصاف) قال بعض الشعراء

اذا وجَّهَ الدهرُ السهامَ الى امرئٍ   أصاب ولم يُخْطِئْ وَيَمَّمَ قاصدا

ورب خِصافٍ قد أصابت سهامُهُ   وأيُّ فتى يبقى على الدهر خالدا

ولمالك بن عمرو الغساني فرس انثى يقال لها (خصاف) أيضاً . وكان مالك فيمن شهد (يوم حليمة) فابلى بلاءً حسناً وجاءت حليمة تطيب رجال أبيها من مركن [5] ، فلما دنت من هذا قبلها فشكت ذلك الى أبيها فقال هو ارجى رجل عندى فدعيه فاما أن يقتل أو يبلى بلاء حسناً . ويسمى فارس خصاف . ويقال اجرأ من فارس خصاف بسبب القصة المذكورة « وخِصافٌ » أيضاً لحَمَل بن زيد ابن عوف بن عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل

(١) اليعفور : ظبي بلون العفر وهو التراب أو عام فى الظباء ، والشعث جمع اشعث وهو المغبر الرأس المنتتف الشعر الحاف الذى لم يدهن ، والشحاح جمع الشحيح (٢) ألثقه : بلله ونداه فالتثق به ، والورس نبات يصبغ به ، وممكور : مصبوغ (٣) الاقراب : الخواصر

(٤) على وزن كتاب وكذلك فرس حمل بن زيد وأما فرس مالك بن عمرو الغسانى فعلى وزن قطام وحذام (٥) كمنبر آنية

كان معه هذا الفرس فطلبه المنذر بن امرئ القيس ليفتحله نخصاه بين يديه لجرأته فسمى (خاصىَ خصاف) ويقال فى المثل (اجرأ من خاصى خصاف)

ومنها « خَراج » (١) فرس جريبة بن الأشيم الأسدىّ قال فيها :

تالله مامنوا علىّ وانما ... منت علىّ (خراج) حين تصرفوا

قال أبو الندى وابن الاعرابى : هو بالتخفيف . وقال غيرهما . هو الخراج وأنشد البيت . منوا على الخراج حين تصرفوا . وأنشد لجريبة أيضاً :

وكنت اذا (الخراج) حال استحلته ... بمنجية أو قلت : (خراج) اعقبا

فما الأزرق الحولىّ منه بأوثبٍ ... رأى أرنباً فامتلَّ فى شأو ارنبا (٢)

ومنها « درهم » فرس خداش بن زهير العامرىّ قال فيه :

وقلت لعبد الله فى السر بيننا : ... لك الويلُ قدّمْ لى اللجامَ ودرهما

فجاء بلا شختٍ قصير لَبانُهُ ... ولاحنكل بادى الشرارة أدهما (٣)

وقلت له : إنْ تدرك القومَ لاتزل ... مكانَ (بجير) أو أحب وأكرما

بجير : ابنهُ . وقال أيضاً يذكر ضيفاً :

وأقفيتهُ دون العيال لحافنا ... وبات أنيسيه (بجيرٌ) و(درهمُ) (٤)

ومنها « دعلج » فرس عبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب قال فيه يوم فيف الريح :

طُلّقتِ ان لم تسألى أىُّ فارس ... حليلُكِ إذ لاقى صُداءً وخثعما

اقدمُ فيهم (دَعْلَجاً) واكرّه ... اذا كرهوا فيه الرماح تحمحما (٥)

---

(١) قال فى القاموس : خراج كقطام فرس جريبة بن الاشيم (٢) أمتل : أسرع، والشأو : السبق والغاية والامد (٣) الشخت الدقيق الضامر لاهزالا ويحرك ، واللبان : الصدر ، والحنكل كجعفر القصير والجافي الغليظ (٤) القفي والقفية الشيء الذى يكرم به الضيف من الطعام قال عيلان يصف فرساً : مقفى على الحى قصير الاظماء ، والقفي الضيف المكرم واقفى الرجل على صاحبه فضله فمعنى قوله واقفيته دون العيال أى خصصته دون العيال (٥) ونسبهما بعضهم لعامر بن الطفيل ، وقوله طلقت يحتمل أن يكون دعاء أو اخباراً ، وحليل المرأة زوجها ، وصداء وخثعم : قبيلتان كانتا مع من أراد قتال بنى عامر في ذلك اليوم

ومنها « دباس » فرس جبار بن قرط الكلبي قال فيه :

الا أبلغْ أبا كَربٍ رسولاً مغلغلةً وليست بالمزاح
فانى لن يفارقنى (دباسٌ) ومطردٌ أحذّ من الرماح[1]
يراخينى اذا ماشئتُ منهم ويدنينى اذا كرهوا جناحى

ومنها « العرادة » لهبيرة بن عبد مناف اليربوعى[2] واشتهر بابن الكلحبة والكلحبة أمه وهو الذى يقول فى العرادة :

فان تنجُ منها يا(حَزيمِ بن طارقٍ) فقد تركتْ ما خلفَ ظهرِكَ بلقعا
ونادى منادى الحىّ أنْ قد اتيتمُ وقد شربت ماء المزادة أجمعا[3]
وقلت لكاس ألجميها فانما نزلنا الكثيب من (زَرود) لنفزعا
فادرك ابقاء (العرادة) ظلعها وقد جعلتنى من (حزيمة) اصبعا
امرتكمُ امرى بمنعرج اللوى ولا أمرَ للمعصىِّ الا مضيعا
اذا المرء لم يغشَ الكريهةَ أوشكت حبالُ الهوينى بالفتى أن تَقَطَّعا[4]

وسبب هذه الأبيات أن ابن الكلحبة كان نازلا (بزَرود) وهى أرض بنى مالك بن حنظلة وهو من بنى يربوع فأغارت بنو تغلب على بنى مالك وكان رئيسهم (حزيمة بن طارق) فاستاق ابلَهم فأتى الصريخ الى بنى يربوع فركبوا فى أثره فهزموه واستنقذوا ما كان أخذه . فقوله « ان تنج منها الخ » أى من الفرس . و « حزيم » بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى المعجمة مرخم حزيمة . وهذا البيت يشعر بانفلاته وشعر جرير يشعر بأسره . وهو قوله « قُدْنا حَزيمةَ قد علمتم عنوةً » ولا مانع منه بأن أدركه غير ابن الكلحبة وأسره لما ظلعت فرسه . قيل : ولما أسر اختصم فيه اثنان أحدهما أنيف بن جبلة الضبى وهو أحد بنى

---

(١) رسالة مغلغلة محمولة من بلد الى بلد ، والمطرد رمح قصير يطرد به الوحش ، والاحذ السريع النفاذ (٢) فى القاموس : العرنى (٣) البلقع : الارض القفر ، والمزادة بفتح الميم الراوية أولا تكون الا من جلدين تقام بثالث بينهما لتتسع (٤) قوله الهوينى يروى بدله « المنايا »

عبد مناة بن سعد بن ضبة . وكان أنيف يومئذٍ نازلا فى بنى يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما أسيد بن حناءة السليطىّ فاختصما الى الحرث بن قراد فحكم أن جز ناصيته لأنيف وان لأسيد عنده مائةً من الابل فرضيا بذلك والحرث ابن قراد بن بنى حميرى بن رياح بن يربوع وأمه من بنى عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة . وقوله « فقد تركت الخ » العرب كثيراً مّا تذكر أنالخيل فعلت كذا وكذا وانما يراد به أصحابها لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : ان تنج يا حزيمة من فرسى فلم تفلت الا بنفسك وقد استبيح مالك وما كنت حويته وغنمته فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً . وقوله « ونادى منادى الحى الخ » كأن ابن الكاحبة يعتذر من انفلات حزيمة . يقول : أتى الصريخ وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء وخيل العرب اذا علمت أنه يغار عليها وكانت عطاشاً . فمنها ما يشرب بعض الشرب ولا يروى وبعضها لا يشرب البتة لما قد جربت من الشدة التى تلقى اذا شربت الماء وحورب عليها . وقوله « وقلت لكاس البيتَ » كأس بنت ابن الكاحبة . وقيل : جاريته . والعرب لا تثق فى خيلها الا بأولادها ونسائها . وقوله « لنفزع الخ » أى لنغيث . يقول : ما نزلنا فى هذا الموضع الا لنغيث من استغاث بنا والفزع من الاضداد بمعنى الاغاثة والاستغاثة . وقوله : « فأدرك ابقاء العرادة الخ » العرَادة بفتح العين والراء والدال المهملات اسم فرس ابن الكاحبة كانت أنثى ، و (الابقاء) ما تبقيه الفرس من العدْوِ اذ من عتاق الخيل مالا تعطى ماعندها من العدو بل تبقى منه شيئاً الى وقت الحاجة يقال فرس مبقية اذا كانت تأتى بجرى عند انقطاع جريها وقت الحاجة يريد أنها شربت الماء فقطعها عن ابقائها ففاته حَزِيمة . وروى (انقاء العرادة) بفتح الهمزة وبالنون جمع نقو بالكسر وهو كل عظم ذى مخ يعنى ظَلعها وصل الى عظامها . وروى أيضاً (ارقال العرادة) بكسر الهمزة وبالقاف وهو السير السريع وهو مفعول والظلع فاعل . قال ابن الانبارىّ : الظلوع فى الابل بمنزلة الغمز أى العرج اليسير يقال

ظلع يظلع بفتحهما ظلعاً وظلوعا ولا يكون الظلوع فى الحافر الا استعارة . يقول : فاتنى حَزِيمةُ وما بينى وبينه الا قدر أصبع . وقوله « أمرتكم أمرى الخ » اللوى بالقصر هو لوى الرمل أى منقطعه حيث ينقطع ويفضى الى الجدد ومنعرجه حيث انثنى منه وانعطف ، وانما قال بمنعرج اللوى ليعلم أين كان أمره إياهم كما قال الآخر :

ولقد امرتُ أخاك عمراً أمره　　فأبى وضيعه بذات العجرمِ

« ومنها الغرّاف » للبراء بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح اليربوعى قال فيه :

فان يكُ غرافٌ تبدل فارساً　　سواى فقد بدلت منه السميدعا

قال أبو محمد الاعرابى : سألت أبا الندى عن السميدع من هو ؟ فقال : كان جاراً للبراء بن قيس وكانا فى منزل فأغار عليهما ناس من بكر بن وائل فحمل البراء أهله وركب فرساً يقال له (غراف) فلا يلحق به فارس منهم الا صرفه برمحه . وأخذ السيمدع فناداه : يا براء انشدك الجوار . وأعجب القوم الفرس فقالوا : لك جارك وأنت آمن وأعطنا الفرس فاستوثق منهم ودفع اليهم الفرس واستنقذ جاره فلما رجع الى اخويه عمرو وأسود لاماه على دفعه فقال البراء فى ذلك :

الا ابلغا عمروَ بنَ قيس رسالةً　　واسودَ أنْ لُوما على الغيب أودعا
وشرّ عوان المستعين على الندى　　ملامة من يرجى اذا العتب اضلعا
فان يك (غراف) تبدل فارساً　　سواى فقد بدلت منه السميدعا
دعانى فلم أورء به فأجبته　　ومد بثدى بيننا غير اقطعا
وقال : تذكر سعيكم فى رقابنا　　ولا تتركنّى العام اخضر لعلعا

« ومنها الكاملة » لعمرو بن معدى كرب عرضها على سلمان بن ربيعة الباهلى فهجنها سلمان فقال عمرو « ان الهجين يعرف الهجينا » وانشأ يقول :

يهجن سلمان بنت البعيث　　جهلا لسلمان بالكامله

فان كان أَبْصَرَ منّى بهـا فأمّى لا أمه الثاكله [١]

قال أبو محمد الاعرابى ؛ قال أبو الندى : لا أعرف الكاملةَ ولا البعيث ولا هذه الأبيات . قال أبو محمد : وقرأت أنا بخط يعقوب بن السكيت قال ؛ عرض سلمان بن ربيعة الباهلىّ الخيل فمر عمرو بن معديكرب على فرس فقال له سلمان : هو هجين. قال عمرو : عتيق ، فأمر به سلمان فعطش ثم دعا بماء ودعا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يده وشرب وهذا صنيع الهجين . فقال له سلمان : ترى ! فقال أَجَلْ الهجينُ يعرِف الهجينَ وبلغت عمر وكتب اليه قد بلغنى ماقلت لأميرك وبلغنى أن لك سيفاً تسميه الصمصامة وعندى سيف أسميه مصمماً . وأيم الله لئن وضعته على هامتك لا اقلع حتى ابلغ به شيئاً قد ذكره من جوفه فان سرك أن تعلم أحقٌ ما أقول فعد . ومنها « الكلب » فرس عامر بن الطفيل وكان يسمى (الورد) و (المزنوق) لأنه زنقه [٢] . قال أبو الندى : الزناق فى الجحفلة . و (أحوى) أخو الكلب فرس عامر وأبوهما المتهد (!) فرس مرة بن خالد بن جعفر بن كلاب . قال عامر :

وقد عَلِمَ (المزنوق) أنى أكرّهُ عشيةَ فيفِ الريح كرَّ المدوّرِ [٣]
اذا أزورّ من وقع الرماح زجرتُهُ وقلت له : ارجع مقبلاً غيرَ مدبِرِ
وانبأتُهُ أن الفرارَ خزاية على المرء مالم يبل جهداً فيعذرِ

ومنها « المُحَبَّر » فرس ضرار بن الأزور الأسدى وهو قاتل مالك بن نويرة [٤] وكان يقال له فارس المحبَّر . قال فيه :

جزانى ذؤابته المحبر إذ بدا بذى الرمث اعجاز السوام المؤبَّلِ [٥]
كأنى طلبت الخيلَ حينَ تفاوتت سوابقها دون السماء بأجدلِ [٦]

---

(١) ثكلت المرأة ولدها : فقدته (٢) زنق فرسه : جعل تحت حنكه الاسفل حلقة في الجليدة ثم جعل فيها خيطاً ، وكل رباط فى الجلد تحت الحنك فهو زناق ككتاب (٣) رواية التاج :

وقد علم المزنوق أنى أكره على جمعهم كر المنيح المشهر

(٤) المشهور فى التاريخ والسير ان الذى قتل مالكا خالد بن الوليد (رض) « التاج »

(٥) ذؤابة الفرس شعر فى أعلى ناصيته ، وذو الرمث اسم موضع ، والرمث مرعى من مراعى الابل وهو الحمض ؛ والسوام : الابل الراعية ، والمؤبل كمقبر : المهملة بلاراع (٦) الاجدل : الصقر

من المنهبات الركض ظلّ كأنه ... على الجمر حتى يستغيثَ بمأكلِ
اخالط منهم من أردت بمخلط ... وإنْ انأ عنهم أنأً عنهم بمزْيل (١)
أُنَهْنِهُ عنّى نفسه وكأنه ... بذى الرمث والغضياء مريخ معتلى (٢)

« ومنها مرهوب » للجميح بن الطماح الأسدى اعطاه إياه خراشة بن علبة المرّىّ . وكان الجميح غزا فعقر به فجاء الى صديق له من بنى مرة بن عوف بن سعد ابن ذُبيان يقال له خراشة بن علبة : ولخراشة ابنٌ يقال له نزال أسير فى بنى سليم وكان لخراشة فرس يقال له مرهوب رائع وكان ابنه أسيراً فيهم يتغلون بفدائه ويسومون خراشة أن يفديه بفرسه فيأبى فحمل عليه الجميح وترك ابنه أسيراً فقال الجميح :

نفسى الفداء لمن لما تكايدنى ... كسب الجياد حشا سرجى بمرهوب
وقلّت الخيل عندى واختلات لها ... وحصنى الشرك أرباب المشاحيب
هـذا الثناء وان يجلبك مأربة ... فى المال ذا نكبة أو غير منكوب
اصبر لها وتجدنى دائما خلقى ... والقول منه كثير غير مرقوب

« ومنها النعامة » وهو اسم لعدة أفراس : اسم لفرس الحرث بن عباد . ولها يقول :

قربا مربطَ (النعامـة) منى ... لقحت حربُ وائل عن حيال (٣)

واسم فرس خالد بن نضلة الأسدى قال يوم النسار لما أسر حنثر بن بحر وهب بن وبر بن الأضبط بن كلاب ، ودودان بن خالد احد بنى نفيل :

تدارك ارخاء (النعامة) حنثراً ... ودودان أدّت فى الحديد مكبّلا (٤)

(١) المخلط كمنبر من يخالط الامور ويزايلها وهو مخلط مزيل كما يقال راتق فاتق ، والنأى : البعد (٢) انهنه : أكف ، والغضياء مجتمع الغضا أو منبتها ، والمريخ : السهم الذى يغالى به وهو سهم طويل له اربع قذذ (٣) لقحت : حملت ، والحيال أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل وهذا مثل ضربه لان الناقة اذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها وانما يعظم أمر الحرب لما تولد منها من الامور التى لم تكن تحتسب (٤) الكبل : القيد وكبلت الاسير كبلا : قيدته والتشديد مبالغة

واسم فرس مرداس بن معاذ الجشمي وكان يقال لها ابنة صمعر قال فيها:—

ولم أزجِ في ظل اللواء ظهيرةً ... خنوفاً اذا صاح الرقيب ونفّر (١)

اذا الكاب لم يعرف حليلةَ أهلهِ ... وخالط في يوم الصباح وأنكر (٢)

وقلت لهم شلوا مع القوم انني ... مطرف أولى القوم يا ابنة صمعر (٣)

فلم أقِ نفسي و (النعامةَ) عامداً ... كلومَ السلاح أن أصاب وتعقر (٤)

ظللت كأني للرماح دريئة ... أقلب سربالاً من الدم أحمر (٥)

واسم فرس مسافع بن عبد العزى الضمري قال :

ووالله لا أنسى النعامة ليلةً ... ولا يومها حتى أوسَّد معصمي (٦)

مسحة غيطان الفضاء ولقوة ... اذا طوطئت كأنها حمى منسم (٧)

ومنها « ابن النعامة » فرس عنترة وكان يؤثره أي يفضله على سائر خيله ويسقيه اللبن وكانت امرأته تلومه على ذلك فخاطبها وقال :

لا تذكري فرسي وما أطعمته ... فيكون جلدُكِ مثلَ جلد الاجرب!

ان الغَبُوقَ له وأنتِ مسوءة ... فتأوّهي ما شئتِ ثم تحوبي!

كذَبَ العتيقُ وماء شنٍّ باردٍ ... إن كنتِ سائلتي غَبُوقا فاذهبي

إن الرجالَ لهم إليك وسيلة ... ان يأخذوك تكحلي وتخضبي!

ويكون مركبكِ القَعود وحِدْجه ... وابن النعامة عند ذلك مركبي

---

(١) الزجو : السوق ، وفرس خنوف : يميل رأسه الى فارسه من نشاطه (٢) الحليلة : الزوجة (٣) شل الدرع لبسها وشله : طرده ، والشلال القوم المتفرقون ، وطرف الخيل تطريفاً : رد أوائلها على أواخرها ، قال الشاعر :

وقد علمت اولى المغيرة أننا ... نطرف خلف الموقصات السوابقا

(٤) الكلوم : الجروح (٥) الدريئة كالخطيئة الحلقة يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها ، قال عمرو بن معديكرب :

ظللت كأني للرماح دريئة ... اقاتل عن أبناء جرم وفرت

(٦) المعصم وزان مقود : موضع السوار من الساعد ، ووسده اياه اذا جعله تحت رأسه

(٧) فرس مسح بالكسر أي جواد سريع ، والغيطان جمع غوط وهو المطمئن الواسع من الارض ، واللقوة التي تلقح لاول قرعة ، وطأطأ فرسه : دفعه بفخذيه وحركه للاسراع

وأنا امرؤٌ إنْ يأخذونىَ عَنْوَةً أُقرنْ الى شر الركاب وأُجنبِ
إنى احاذر أن تقولَ ظعينتى هذا غبارٌ ساطعٌ فتلببِ

وهذه أبيات بعيدة المرمى تحتاج الى كشف وبيان ؛ فقوله (مثل جلد الاجرب) أى لا تلومين فى إيثار فرسى فابغضك واهجر مضجعك واتحاماك كما يتحامى الاجرب من الابل ويبعد عنها لئلا يعديها . وقيل معناه اضربك فيبقى أثر الضرب عليك كالجرب فيكون تهددها بالضرب الأليم . وقوله (ان الغبوق له الخ) الغبوق شرب اللبن بالعشى والعشى ما بين الزوال الى الغروب ، وقيل من الزوال الى الصباح . ومسوءة أى آتٍ اليك ما يسوؤكِ بايثار فرسى عليك . والتأوه التحزن وأن تقول آه توجعاً . والتحوب التوجع ويقال هو الدعاء على الشئ . وقوله (كذب العتيق الخ) أى عليك بالعتيق وهو اغراء . والعتيق هو التمر القديم . قال الدينورى فى كتاب النبات : يقال عتَق وعتُق بالفتح والضم إذا تقادم والعتيق اسم للتمر علم وانشد هذا البيت . والشن القربة الخلق والماء يكون فيها ابرد منه فى القربة الجديدة ، يقول : عليك بالتمر فكليهِ والماء البارد فاشربيه ودعينى أوثر فرسى باللبن وان تعرضت لشرب اللبن فاذهبى وانما يتوعدها بالطلاق. وقوله (ان الرجال الخ) ويروى إن العدو والوسيلة القربة وقيل المنزلة القريبة . قال الاعلم فى شرح مختار شعر عنترة : هذا منه وعيد وتخويف ان تسبى فيستمتع بها الرجال قال تكحّلى وتخضّبى ، والمعنى إنْ اخذوك تكحلت وتخضبتِ لهم ليستمتعوا بك . وقوله (ويكون الخ) القَعود بفتح القاف ما اتخذ من الابل للركوب خاصةً والحدج بكسر المهملة وآخره جيم مركب من مراكب النساء وروى بدله رحله ، وابن النعامة اسم فرسه يقول ان أُخذوك حملت سبية على قَعود ونجوتُ أنا على فرسى ، وقوله (وانا امرؤ الخ) العنوة بالفتح القسر والقهر والركاب الأبل التى يحمل عليها الأثقال ، واقرن أى الصق بها واجعل مقروناً اليها واجنب اقاد يقول : ان أُخذت عنوة قرنت الى شر الابل وجنبت كما تجنب الدابة . وقوله

(انى أحاذر الخ) الظعينة الزوجة مادامت فى الهودج ، والتلبب : التحزم أى تحزم للمحاربة . وقيل : هو الدخول فى السلاح . وقوله (هذا غبار) يعنى غبار الخيل عند الغارة والساطع المستطير فى السماء . .

ومنها (ناصح) لسويد بن شداد العبشمى وفيها كان يقول :

أناصحُ بَرِّزْ للسباق فإنها غداةَ رهانٍ جمعتْهُ الحلائبُ [1]
فانك مجلوبٌ علىَّ ضحى غدٍ ومالك إنْ لم يجلب اللهُ جالبُ

قال أبو الندى : هذا الشعر للحرث بن مراغة الحبطى وناصح له لا لسويد ابن شداد [2]

« ومنها النبز » فرس طارق بن ضمرة وفيه يقول نبزة أخو طارق بن ضمرة حين تراهن خديج بن قيس بن عمرو بن قطن . وطارق بن ضمرة بن جابر بن قطن على فرسيهما المجنحة والنبيز وسبقه . فلما كان بعد ذلك ذعر الناس فركبوا فادرك طارق على المجنحة إبلاً فلما حواها انقطعت فرسه فادركه خيب الناس فاقتسموا تلك الابل وطارق غلام . فقال فى ذلك ضمرة أخو طارق بن ضمرة :

أبقى رهان أبى ربيعة غدوةً منها ولم يك بعدها تعقيب
وتسوقها رجلا جداية حُلُبٍ وتسدلبة صدرها وتصوب [3]
غيبت عن ذاك الصنيع وأهله والعز يشهد مرةً ويغيب

ومنها « نحلة [4] » لسبيع بن الخطيم التيمى قال فيها :

---

(١) برز بروزاً : خرج الى البراز أى الفضاء كتبرز وظهر بعد الخفاء ، والحلائب جمع حلبة كنسجدة وهى خيل تجمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من وجه واحد ، قال الفيومي : يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى فى آخر الخيل وهى بمعنى حليبة ولهذا جمعت على حلائب

(٢) قلت جاء فى القاموس مانصه : والناصح فرس الحرث بن مراغة أو فضالة بن هند وفرس سويد بن شداد ، انتهى ، وهذا يفند ماادعاه أبو الندى نعم يجوز أن يكون الحرث بن مراغة قال هذا الشعر فى فرسه … (٣) الجداية : الغزال كذا فى القاموس ، وفى الصحاح والمحكم هو الذكر والانثى من أولاد الظباء اذا بلغ ستة أشهر أو سبعة ، والحلب كسكر نبت ينبت فى القيظ بالقيعان وشطآن الاودية ويلزق بالارض حتى يكاد يسوخ ولا تأكله الابل انما تأكله الشاء والظباء وهى مغزرة مسمنة وتحتبل عليها الظباء يقال تيس حلب وتيس ذو حلب وهو أسرع الظباء (٤) فى القاموس:

تقول (نحلة) اودعني ، فقلت لهـا   عول عـلىّ بابكار هراجيب [١]
لجت عليّ يمين لا أبدلها   من ذات قُرْطَيْن بين النحر واللوب [٢]

قال أبو محمد الاعرابى : سألت أبا الندى عن معنى البيتين . فقال : كان خطب الى عمه بنته فقال أعطني مهرها نحلة فقال لا ولكن خذ إبلاً فرده عمه ولم يخطبه « ومنها اليُحْموم » فرس النعمان بن المنذر قال الاعشى :

ويأمر (لليحموم) كلَّ عشيةٍ   بقتٍّ وتعليق فقد كان يسنق [٣]

وله أيضاً على ما ثبت فى ديوانه :

واليكَ اعملتُ المطيةَ من   سهل (العراق) وأنت بالقفرِ
أنت الرئيسُ اذا هُمُ نزلوا   وتواجهوا كالأسد والنمرِ
أو فارس (اليَحْموم) يتبعهم   كالطلق يتبع ليلةَ البهر
ولأنتَ اشجعَ من اسامة إذ   يقع الصُراخ ولج فى الذعر
ولأنتَ أجودُ بالعطاء من ال   ريان لما ضُن بالقطر
ولأنت أحيا من مخبأة   عذراء تقطن جانب الكِسْرِ
ولانتَ أبين حين تنطقُ من   (لقمانَ) لما عيَّ بالأمر
لو كنت من شيء سوى بشر   كنتَ المنور ليلة القدر

وفارس اليحموم : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة . واليحموم اسم فرسه والطلق الليلة التى لا حر فيها ولا برد وليلة البهر ليلة البدر حين بهر النجوم. وفى القاموس اسامة بالضم معرفة علم الأسد والاسامة لغة فيه . والصُراخ بالضم الصوت الشديد يكون للاستغاثة وغيرها . والريان قال ياقوت فى معجم البلدان جبل ببلاد طيء لا يزال يسيل منه الماء وضن بالبناء للمفعول أى بخل وتقطن بالقاف أى تسكن

ونحلة فرس لكندة ولسبيع بن الخطيم (١) الهراجيب : الطوال الضخام (٢) القرط مايعلق فى شحمة الاذن (٣) القت : الفصفصة اذا يبست ، وقال الازهري القت حب برى لا ينبته الآدمي فاذا كان عام قحط و فقد أهل البادية مايقتاتون به من لبن وتمر ونحوه، دقوه وطبخوه واجتزؤا به على مافيه من الخشونة ، وسنق الفصيل من اللبن كفرح : بشم واتخم

والكسر بكسر الكاف الشقة السفلى من الخباء . ولقمان هو كما قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين هو لقمان بن عاد الأكبر . وكانت العرب تعظم شأنه فى النباهة والقدر وفى العلم وفى الحكم وفى اللسان وفى الحلم وهو غير لقمان المذكور فى القرآن العظيم الشأن .

ومنها (الهراوة) للريان بن حويص العبدى وكانت لاتدرك وتسمى (هراوة الاعزاب) لانه تصدق بها على أعزاب قومه فكان العزب منهم يغزو عليها فاذا استفاد مالاً وأهلاً دفعها الى آخر من قومه فكانوا يتداولونها كذلك فضربت مثلاً . قال لبيد:

لا تسقنى بيديك ان لم ألتمس ... نعم (الضجوعُ) بغارةٍ أسرابِ
تهدى أوائلهن كل طمرة ... جرداء مثل (هراوة الاعزاب)(١)

قال أبو محمد الاعرابى : سألت أبا الندى عن الضجوع فقال هو قتادة بن كعب ابن عوف بن عبد بن أبى بكر بن كلاب أخو جواب بن كعب . و قال عمرو المحاربى من عبد القيس :

سقى جدثَ الريان كل عشية ... من المزن وكاف العشىّ دلوحُ (٢)
أقام لفتيان العشيرة سهوة ... لهم منكح من جريها وصبوح(٣)
فيامن رأى مثل الهراوة منكحاً ... اذا بلّ أعطافَ الجياد جروح
وذى ابل لولا الهراوة لم يثب ... له المال ما انشق الصباح يلوح

وذكر أبو بكر محمد بن دريد أن الهراوة تسمى آوة وبعضهم يسميها الهراوة . وهذا الذى أوردناه ، كاف فيما قصدناه ، وهذا الباب ، بحر عُباب ، كم الف فيه من كتاب .

---

(١) الطمرة : المستعدة للعدو أو المستنفرة للوثب من الخيل ، والجرداء : السباقة ، والضجوع على مافى التاج موضع وقيل رحبة لهم ، وقيل الضجوع رملة بعينها معروفة (٢) الجدث محركة : القبر وتقول شر الاحداث ، نزول الاجداث ، والوكاف : المطر المنهل ، والمزن : السحاب الواحدة مزنة ، وسحابة دلوح كثيرة الماء (٣) السهوة الفرس السهلة ، والصبوح بالفتح شرب الغداة

طرف من أخبار مشاهير فرسان العرب

إعلم أن العرب فى الجاهلية لم يزالوا فى كر وفرّ وغارات ومحاربات . أرخصوا نفوسهم فى طلب العز واشادة المجد وهانت عليهم الحياة دون وصمة تلحقهم ، ومذلة تشينهم ، حتى اصبحوا كلهم فرسانا كماة ، بل ليوث غابات ، وكان قائلهم يقول (وهو النابغة الجعدى) :

وانا لَقَوْمٌ مانعوِّد خيلنا ... اذا ما التقينا أن تَحيدَ وتنفرا
وننكر يومَ الروع الوانَ خيلنا ... من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا[1]
وليس بمعروف لنا أن نردها ... صحاحاً ولا مستنكراً أنْ تعقرا

الى أن قال: —

حَسِبنا زماناً كلَّ بيضاء شحمةً ... ليالىَ اذ نغزو جُذاماً وحميرا[2]
الى أن لقينا الحيّ بكر بن وائل ... ثمانين ألفاً دارعين وحُسّرا[3]
فلما قرعنا النبعَ بالنبعِ بعضه ... ببعض أبتْ عيدانه أن تكسرا[4]
سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها ... ولكننا كنا على الموت أصبرا

واستيعابهم لا تقوم به متونُ الكتب المفصلات ولكننا نذكر طرفا من

---

(١) يوم الروع هو يوم الحرب ، والجون من الابل والخيل الادهم ، والاشقر الاحمر فى مغرة حمرة يحمر منها العرف والذنب ، والمغرة بالضم لون ليس بناصع الحمرة أوشقرة بكدرة ، ومعنى تحيد فى البيت الاول : تتنحى وتبعد (٢) يقول كنا نطمع فى أمر فوجدناه على خلاف ماكنا نظن وهذا من قولهم فى المثل : (ماكل بيضاء شحمة) ومثله (ماكل سوداء تمرة) وجذام بضم الجيم بطن من كهلان من القحطانية وحمير قبيلة من بنى سبأ من القحطانية وهم بنو حمير بن سبأ (٣) الدارع الذى عليه درع ، والحاسر من لامغفر له ولادرع أولا جنة (٤) النبع شجر صلب تعمل منه القسى ، وقوله عيدانه الضمير فيه عائد الى النبع وقيل عيدانه يعنى القوم الذين حاربوه لانه شهد لهم بالصبر ، ضرب ذلك مثلا لتكافؤ الفريقين جلادة وصبراً

هذا وقد نسب بعضهم هذا الشعر لابى الهذيل زفر بن الحرث الكلابى كبير قيس فى زمانه وهو فى الطبقة الاولى من التابعين من أهل الجزيرة وكان من الامراء وشهد وقعة صفين مع معاوية رضى الله عنه أميراً على أهل قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط تلك الوقعة المشهورة مع الضحاك ابن قيس ، قيل وفيها يقول هذا الشعر ، ومرج راهط بالاضافة موضع بالشام

أخبار بعض من اشتهر منهم بالفروسية ومقاومة الأقران ، وضربت به الأمثال وذكرته الشعراء عند المفاخرة والمنافرة وهم عدد كثيرون. منهم :

ربيعة بن مكدم

وهو من بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وكان يُعقَرُ على قبره فى الجاهلية ولم يعقر على قبرِ أحدٍ غيره . ومر على قبره حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه[1] فقال :

نَفَرَتْ قَلوصى من حجارةِ حرَّةٍ بُنيتْ على طَلْقِ اليدين وَهُوب[2]
لا تَنْفِرى يا ناقُ منه فانه شِرّيبُ خمرٍ مِسعَرٌ لحرُوب[3]
لولا السفارُ وطولُ قفرٍ مَهْمَهٍ لتركتُها تحبو على عُرقوبِ

وكان بنو فراس بن غنم بن كنانة انجدَ العرب . كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم وفيهم يقول على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه لاهل الكوفه: من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخْيَب أبدلكم الله بى من هو شر لكم وأبدلنى بكم من هو خير منكم ووددت والله أن لى بجميعكم وأنتم مائة ألف . ثلاثمائةً من بنى فراس بن غنم .

هنالك لودعوت اتاك منهم فوارسُ مثل ارميةِ الحميم[4]

---

(١) نسب هذا الشعر فى ديوان مختارات أشعار القبائل الى حفص بن الاخيف الكنانى وقال محمد بن سلام : الصحيح أن هذه الابيات لعمرو بن شقيق أحد بنى فهر بن مالك ، ومن الناس من يرويها لكرز بن حفص بن الاخيف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها ، وهذا الشعر قيل فى قتل ربيعة بن مكدم الكنانى أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتله نبيشة بن حبيب السلمى فى يوم الكديد ، وقبل هذا الابيات قوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادى قبره بذنوب

الغوادى جمع غادية وهى سحابة الصباح ، والذنوب بفتح الذال الدلو العظيمة استعيرهنا للغيث ، يتفجع على ربيعة ويدعو له بالرحمة والرضوان (٢) نفرت : فزعت ، والقلوص من النوق الشابة ، وقوله من (حجارة حرة) المراد بها قبر ربيعة والحرة أرض ذات حجارة سود (٣) مسعر على وزن منبر آلة في إيقاد الحرب ، والسفار : السفر ، والمهمه المفازة البعيدة الاطراف ، والحبو المشى على اليدين والبطن ، وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها (٤) الارمية جمع رمى كغنى قطع صغار من السحاب أو سحابة عظيمة القطر والوقع ، والحميم القيظ والمطر الذى يجىء بعد

ومنهم :

عنترة العبسي بن شداد

قال الكلبي : شداد جده غلب على اسم أبيه وانما هو عنترة بن عمرو بن شداد وقال غيره شداد عمه تكفله بعد موت أبيه فنُسب اليه . ويقال إن أباه ادعاه بعد الكبر وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها (زبيبة) وكانت العرب في الجاهلية اذا كان لاحدهم ولد من أمة استعبده وكان لعنترة اخوة من أمه عبيد وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس فاصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنترة فقال له أبوه كرّ ياعنترة فقال : « العبد لايحسن الكر انما يحسن الحلاب والصرّ » قال : كرّ وانت حر ، فقاتلهم واستنقذ مافي أيدي القوم من الغنيمة فادعاه أبوه بعد ذلك وهو أحد (أغربة العرب) وهم ثلاثة . والثاني خُفاف كغراب واسم أمه نَدْبة كتمرة . والثالث السُلَيْك بالتصغير واسم أمه السُلَكة بضم ففتح وأم الثلاثة سود . وكان عنترة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده وكان شهد حرب (داحس) و(الغبراء) وحمدت مشاهده فيها وقتل فيها ضمضما المرى أبا الحصين بن ضمضم وأبا أخيه هرم ولذلك قال في معلقته :

ولقد خشيتُ بان أموتَ ولم تَدُرْ للحرب دائرةٌ على ابنَيْ ضَمضمِ (١)
الشاتِمَيْ عِرْضي ولم أشتمهما والناذِرَيْن اذا لم القهُما دمي
إنْ يفعلا فلقد تركتُ أباهما جزرَ السباع وكل نَسْرٍ قَشْعَمِ (٢)

وهذا آخر المعلقة . قال أبو عبيدة : ان عنترة بعد ماأوت عبس الى غَطَفَان بعد يوم جبلة وحمل الدماء احتاج وكان صاحب غارات فكبر وعجز عنها وكان

إشتداد الحر (١) الدائرة اسم للحادثة سميت بها لانها تدور من خير الى شر ومن شر الى خير ثم استعملت في المكروهة دون المحبوبة (٢) النسر القشعم: الكبير المسن ، يقول ان يشتماني لم يستغرب منهما ذلك فاني قتلت اباهما وصيرته جزر السباع وكل نسر كبير مسن

له يد على رجل من غطَفان فخرج يتجازاه فمات فى الطريق . ونقل عن أبى عبيدة أيضاً : أن طيئاً تدعى قتلَ عنترة ويزعمون أن الذى قتله (الاسد الرهيص) وهو القائل :

أنا (الاسد الرهيص) قتلت (عمراً) و (عنترةَ الفوارس) قد قتلتُ

والله أعلم والعنتر فى اللغة الذباب الأزرق الواحد عنترة ونونه ليست بزائدة ومنهم :

ملاعب الاسنة

وهو عامر بن مالك وسمى ملاعب الاسنة بقول أوس بن حجر[1] :

ولاعب أطرافَ الاسنة عامرٌ فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمع[2]

قال ابن قتيبة : وملاعب الاسنة عم لبيد انتهى . وكان أخذ أربعين مرباعا[3] فى الجاهلية وهو من الفرسان الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة والاقدام . ومنهم :

زيد الخيل

هو كما قال صاحب الاستيعاب زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائى . قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد طيّ سنة تسع فاسلم وسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (زيدَ الخير) وقال له ما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الاسلام الا رأيته دون الصفة غيرك واقطع له أرضين فى ناحيته . يكنى (أبامكنف) وكان له أبنان مكنف وحريث وقيل حرث أسلما وصحبا النبى صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه . وكان زيد الخيل شاعراً محسناً خطيباً لسناً شجاعا بُهْمةً[4] كريما . وكان بينه وبين كعب

(١) حجر بفتحتين (٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش مجتمعة والجمع كتائب
(٣) مرباع ربع الغنيمة كان رئيس القوم يأخذه لنفسه فى الجاهلية ثم صار خمساً فى الاسلام
(٤) الشجاع لا يهتدى من أين يؤتى

ابن زهير هجاه لان كعباً اتهمه باخذ فرس له . مات زيد الخيل منصرَفَهُ من عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محموماً فلما وصل الى بلده مات . وكان قبل اسلامه قد أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته . هذا ماأورده صاحب الاستيعاب . وقيل له زيد الخيل لخمسة أفراس كانت له . وكان طويلاً جسيماً موصوفاً بطول الجسم وحسن القامة وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخطّ رجلاه فى الارض كأنه راكبٌ حماراً . وهو القائل : —

تمنى مزْيَدٌ زيداً فلاقى ... أخاثقةٍ إذا اختلف العوالى (١)

كمنيةِ جابرٍ اذ قال : ليتى ... أصادفه واتلف بعض مالى (٢)

تلاقينا فما كنا سواءً ... ولكن خرَّ عن حالٍ لحالِ (٣)

ولولا قولهُ يازيد قَدْنى ... لقد قامت نويرة بالمآلى (٤)

شككت ثيابه لما التقينا ... بمِطْرد المهزة كالخلال (٥)

ومزيد رجل من بنى أسد كان يتمنى أن يلقى زيد الخيل فلقيه زيد الخيل فطعنه فهرب منه . وجابر رجل من غطفان تمنى أن يلقى زيداً حتى صبحه زيد . فقالت له امرأته كنت تتمنى زيداً فعندك فالتقيا فاختلفا طعنتين وهما دارعان فاندق رمح جابر ولم يغن شيئاً وطعنه زيد برمح له كان على كعب من كعابه ضبةٌ من حديد فانقلب ظهراً لبطن وانكسر ظهره . فقالت امرأته وهى ترفعه منكسراً ظهره

---

(١) قوله اخاثقة أى صاحب وثوق بشجاعته وصبره فى الحرب ، والعوالي جمع عالية والعالية من الرمح مايلى الموضع الذى يركب فيه السنان يعنى وقت اختلاف الرماح ومجيئها أوذهابها للطعان

(٢) المنية بالضم اسم للتمنى وفي الاصل الشيء الذى يتمنى ويستشهد النحويون بهذا البيت على أن حذف نون الوقاية من ليتنى شاذ خاص بالضرورة وظاهر الخلاصة أنه نادر ، قال : وليتنى فشاوليتى ندرا . ولا يخفى أن النادر والشاذ بينهما فرق (٣) قوله خر أى سقط و(حال) الاول ظهر الفرس والثانى بمعنى فى الحال أى سقط من حاله (٤) نويرة اسم امرأة جابر ، والمآلى جمع مئلاة وهي الخرقة التى تكون مع النائحة تأخذ بها الدمع أى لولا ذلك لقتله

(٥) شككته بالرمح : طعنته ، والخلال : عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع ، والخلال العود الذى يخل به الثوب أى يثقب

« كنت تتمنى زيداً فلاقيت اخاثقة » ومعنى البيتين : أن مزيداً تمنى أن يلقى زيداً كما تمنى جابر ، وكلاهما لقى منه ما يكره . ومنهم :

عامر بن الطفيل

واسم جده مالك بن كلاب العامرى وهو ابن عم لبيد الصحابيّ ، وكنية عامر فى الحرب أبو عقيل ، وفى السلم أبو على . وكان أصيبت إحدى عينيه فى بعض الحروب . قال ابن الانبارى فى شرح المفضليات : كان عامرٌ من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدةً وأبعدها اسماً حتى بلغ أن قيصرَ كان اذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فان ذكر نسباً عظم عنده حتى وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له فقال ابن عم عامر بن الطفيل فغضب علقمة . وكان ذلك مما أوغر صدره (١) وهيجه الى أن دعاه الى المنافرة . وكان عمر بن معديكرب وهو فارس اليمن يقول : ما أبالى أىّ ظعينة لقيت على ماء من من أمواهِ معدٍّ مالم يلقنى دونها عبداها أو حراها . ويعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعىّ ، وعنى بالعبدين عنترةَ العبسى والسُلَيْك ابن السلكة . قال الاشرم : ويقال كانت المنافرة أن علقمة بن علاثه شرب الخمر فضربه عمر الحد فلحق بالروم فارتد ، فلما دخل على ملك الروم قال : انتسب فانتسب له علقمة . فقال : انت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ فقال الا أرانى لا أعرف ههنا الاّ بعامر فغضب فرجع فاسلم وتقدم (٢) بيان المنافرة عند الكلام على المفاخرات . ولما قدمت وفود العرب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسعٍ من الهجرة قدم وفد بنى عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد الصحابى لأمه وكانا رئيسىْ القوم ومن شياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدوّ الله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له

(١) أى ملأه غيظاً (٢) انظر الجزء الاول ص ٢٧٨

قومه : ياعامر إن الناس قد اسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت أن لا انتهى عن تتبع العرب عقبى فأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش . ثم قال لأربد : اذا قدمنا على الرجل فانى شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعْلُهُ بالسيف فلما قَدِما على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال له عامر أتجعل لى نصف ثمار المدينة وتجعلنى ولىّ الأرض بعدك فأسلم فأبى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرف عامر وقال : أما واللهِ لا ملأنها عليك خيلاً ورجالاً . فلما ولى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، فلما خرجا من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربدُ أين ما كنت امرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ أخوفَ عندى علىّ منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك لا تعجل على والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلتَ بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفا ضربك بالسيف وخرجا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله لله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول : يابنى عامر أغدة كغدة البكر (١) فى بيت امرأة من بنى سلول ثم خرج أصحابه حين واروه التراب حتى قدموا أرض بنى عامر فقالوا : ماوراءك يا أربد ؟ قال : لاشئ والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فارميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما . وقد أشار إلى ذلك أخوه لأمه لبيد العامرىّ بقوله يرثيه :

أخشى على (أربد) الحتوفَ ولا   أرهبُ نوءَ السماكِ والأسدِ (٢)

---

(١) الغدة لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك بالتحريك والغدة للبعير كالطاعون للانسان واغد البعير صار ذاغدة والبكر : الفتىّ من الابل (٢) الحتوف جمع حتف وهو الموت ،

فجعني البرق والصواعق بالفا رس يوم الكريهة النجد(١)

وروى ابن الانباريّ فى شرح المفضليات : لما مات عامر نصبت بنو عامر نصاباً ميلا فى ميل حِمًى على قبره لاتنشر فيه راعية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش . وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك غائباً فلما قدم قال : ماهذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حمى على قبر عامر . فقال : « ضيقتم على أبي علىّ إن أباعلى بانَ من الناس بثلاث كان لا يعطش حتى يعطش الجمل وكان لا يضل حتى يضل النجم وكان لا يجبن حتى يجبن السيل » . ولعامر وقائع فى مَذْحِج وخثعم وغَطَفَان وسائر العرب . ومنهم :

عمرو بن معد يكرب

ينتهى نسبه الى كهلان بن سبأ ، ومعدى اشتقاقه مثل اشتقاق معدان ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان ، وكرب يجوز أن يكون من الكرب الذى هو أشد الغم ومن كرب فى معنى قارب أومن اكربت الدلو اذا شددتها بالكرب وهو الحبل الذى يشد على العَرَاقى . قال ابن جنى : فسره ثعلب أنه عداه الكرب أى تجاوزه وانصرف عنه . وكنية عمرو أبو ثور وهو الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع فى الجاهلية والاسلام . قال فى الاستيعاب : وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسع . وقال الواقدى : فى سنة عشر فى وفد زبيد فاسلم انتهى . وأقام مدة فى المدينة ثم رجع الى قومه وأقام فيهم سامعاً مطيعاً وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد . قال النووىّ فى تهذيب الأسماء واللغات : ارتد مع الأسود العنسىّ فسار اليه خالد بن سعيد فقاتله فضربه خالد على عاتقه فانهزم وأخذ خالد سيفه فلما رأى عمرو الامداد من أبى بكر أسلم ودخل على المهاجر بن أبى أمية بغير أمان فأوثقه وبعث به إلى أبى بكر

والنؤ المطر ، والسماك الاعزل والرامح نجمان نيران ، والاسد أحد البروج الاثنى عشر
(١) يوم الكريهة يوم الحرب

فقال له أبو بكر : أما تستحى كل يوم مهزوماً أو مأسوراً لو عززت هذا الدين لرفعك الله تعالى . قال : لاجرم لأقبلن ولا أعود فأطلقه وعاد إلى قومه ثم عاد إلى المدينة فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك انتهى . وله فى اليرموك بلاء حسن وقد ذهبت فيه احدى عينيه ثم بعثه عمر إلى العراق وله فى القادسية أيضاً بلاء حسن وهو الذى ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزمت الأعاجم وكان سبب الفتح ومات سنة إحدى وعشرين من الهجرة . وفى كيفية موته خلاف : قيل مات عطشاً يوم القادسية ، وقيل قتل فيه ، وقيل بل مات فى وقعة نهاوند بعد الفتح ، وقيل غير ذلك ، وعمره يومئذ مائة وعشرون سنة وقيل مائة وخمسون ولم يذكره السجستانى فى المعمّرين . روى أن رجلا رآه وهو على فرسه فقال : لأنظر مابقى من قوة أبى ثور فادخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن لها عمرو فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس ولا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال له يا ابن أخى مالك ؟ قال : يدى تحت ساقك فخلى عنه وقال له ان فى عمك بقيةً ، وعمرو بن مَعْدِيكرب هو القائل :

ولما رأيت الخيل زُوراً كأنها ... جداول زرع أرسلت فاسبطرَّتِ
فجاشت الىَّ النفسُ أولَ مرةٍ ... فردتْ على مكروهها فاستقرتِ
علام تقول الرمحُ يُثْقِلُ عاتقى ... اذا أنا لم أطعنْ اذا الخيلُ كرَّتِ (١)
لحا الله جَرْماً كلما ذرَّ شارقٌ ... وجوه كلاب هارشتْ فازبأرَّتِ (٢)
فلم تُغْنِ جَرْمٌ نَهدَها إذ تلاقيا ... ولكنَّ جَرْماً فى اللقاء ابذعرت (٣)
ظَلِلْتُ كأنى للرماح دريئةٌ ... أقاتل عن أبناء جَرْمٍ وفَرَّتِ (٤)

(١) شرح المؤلف البيتين الاولين فكفانا مؤنتهما ، ولنأخذ بشرح الابيات الباقية : العاتق: موضع الرداء من المنكب أوهو مابين المنكب والعنق . وكرت الخيل : عطفت (٢) لحاه الله أى قبحه ، وجرم : قبيلة . وذرت الشمس : بداقرنها أول الطلوع ، والشارق : الشمس ، ووجوه كلاب نصب على الذم ، والمهارشة : المواثبة وأزبأرت : تهيأت للقتال (٣) نهد قبيلة، ومعنى ابذعرت : تفرقت (٤) دريئة أى عرضة

فلو أن قومى أنطقتنى رماحُهم   نطقتُ ولـكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ(١)

وقصة هذه الأبيات هو ما حكاه المفضل الطبرسى فى شرح الحماسة أن جرماً ونهداً وهما قبيلتان من قضاعة كانتا من بنى الحرث بن كعب فقتلت جرم رجلا من أشراف بنى الحرث فارتحلت عنهم وتحولت فى بنى زبيد فخرجت بنو الحرث فقرت جرم واعتلت بأنها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زَبيد فقال عمرو هذه الأبيات يلومها ثم غزاهم بعد فانتصف منهم . فقوله زوراً هو جمع ازور وهو المعوج الزَوْر بالفتح أى الصدر يقول لما رأيت الفرسان منحرفين للطعن وقد خلوا أعنة دوابهم وأرسلوها علينا كأنها أنهار زرع أرسلت مياهها فاسبطرت أى امتدت والتشبيه وقع على جرى الماء فى الانهار لا على الانهار فكأنه شبه امتداد الخيل فى انحرافها عند الطعن بامتداد الماء فى الأنهار وهو يطرد ملتويا ومضطرباً وهذا تشبيه بديع . وقوله فجاشت الخ جاشت ارتفعت من فزع وهذا ليس لكونه جباناً بل هذا بيان حال النفس ونفس الجبان والشجاع سواء فيما يدهمهما عند الوهلة الأولى ثم يختلفان فالجبان يركب نفرته والشجاع يدفعها فيثبت قال أبو عبيدة قال عبد الملك بن مروان وجدت فرسان العرب ستة نفر ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ثم صبروا وثلاثة لم يجزعوا . قال عمرو : —

فجاشت الىَّ النفس أول مرة   فردت على مكروهها فاستقرَّت

وقال ابن الاطنابة :

وقولى كلما جشـأت وجاشت   مكانَكِ تُحمدى أو تستريحى(٢)

---

(١) اجرت من الاجرار وهو شق لسان الفصيل لئلا يرضع أمه ويجعل فيه عويد ، يقول لو أنهم ابلوا فى الحرب بلاء حسناً لمدحتهم وذكرت بلاءهم ولـكنهم قصروا فاجروا لسانى فما أنطق بمدحهم والافتخار بهم (٢) يستشهد فى النحو بهذا البيت على أن العرب جزمت بعد الظرف — يعنى الواقع اسم فعل وهذا معنى بيت الخلاصة : —

والامر ان كان بغير افعل فلا   تنصب جوابه وجزمه اقبلا

قال فى التصريح : فجزم (تحمدى) فى جواب اسم الفعل وهو مكانك فانه فى معنى اثبتى ، وقوله مصدر مبتدأ خبره مكانك تحمدي على حد قولى لااله الا الله، وجشأت : ارتفعت وجاشت

وقال عنترة :

ان يتقون بى الاسنة لم اخم　　عنها ولكنى تضايق مقدمى (١)

فأخبر هؤلاء الثلاثة انهم هابوا ثم قدموا وقال عامر بن الطفيل : —

أقول لنفس ما أريد بقاءها　　اقلى المراحم اننى غير مدبر (؟)

وقال قيس بن الخطيم :

وانى فى الحرب الضروس موكل　　باقدام نفس ما أريد بقاءها (٢)

وقال العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى　　أحتفى كان فيها أم سواها (٣)

فأخبر هؤلاء أنهم لم يجزعوا . وشرح الابيات يطول . وربما عد فى مثل هذا المقام من الفضول . ومنهم :

دريد بن الصمة

روى ابو بكر بن دريد عن أبى عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة فى فوارس من بنى جُشَم حتى اذا كانوا فى واد لبنى كنانة يقال له الأخرم — وهم يريدون الغارة على بنى كنانة . رُفع لهم رجل فى ناحية الوادى ومعه ظعينة (٤) ، فلما رآه قال لفارس من أصحابه صِح به « خلّ الظعينة وانجُ أنت بنفسك وهم لا يعرفونه »

غشت من الغشيان ، وقوله مبتدأ الاظهر انه عطف بيان على وضربي فى البيت الذى قبله : —

أبت لى عفتى وابى ابائى　　واخذى الحمد بالثمن الربيح
واجشامى على المكروه نفسى　　وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت　　مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات　　واحمى بعد عن عرض صحيح

يقال ان معاوية رضى الله عنه يوم صفين هم بالفرار فما منعه الا هذه الابيات

(١) الاتقاء : الحجز بين الشيئين تقول اتقيت العدو بترسى أى جعلت الترس حاجزاً بينى وبين العدو ، والخيم : الجبن ، والمقدم : موضع الاقدام

(٢) الضروس : الشديدة ، وفلان موكل بكذا ملازم له ومقبل عليه (٣) الشدة بالفتح : الحملة فى الحرب ، والكتيبة : الطائفة من الجيش مجتمعة ، والحتف : الهلاك (٤) قال الفيومى : ويقال للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لان زوجها يظعن بها ويقال الظعينة الهودج وسواء كان

فانتهى اليه الفارس فصاح به وألح عليه . فلما رأى اباءه ألقى زمام الراحلة وقال للظعينة : —

سِيرِى على رِسْلِكِ سيرَ الآمنِ ... سيْرَ رَداحٍ ذاتِ جأشٍ ساكنِ (١)
إن انثنائى دون قرنى شائنى ... أَبْلِى بلائى واخبُرِى وعاينى (٢)

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه الظعينة ، فبعث دريدٌ فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه . فلما انتهى اليه ورآه صريعاً صاح به فتصامم عنه فظن أنه لم يسمع فغشيَهُ فألقى زمام الراحلة الى الظعينة ثم رجع وهو يقول:

خَلِّ سبيلَ الحرة المنيعه ... اِنك لاقٍ دونَها ربيعه
فى كفه خَطِّية مطيعه ... أو ، لا . فخذها طعنةً سريعه
فالطعنُ منى فى الوَغَى شريعه (٣)

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما ابطأ على دريد بعث فارساً ثالثاً لينظر ما صنعا . فلما انتهى اليهما رآهما صريعين ونظر اليه يقود ظعينته ويجر رمحه فقال له خلِّ سبيل الظعينة . فقال للظعينة اقْصِدِى قَصْدَ البيوت ثم اقبل عليه يقول : —

ماذا تريد من شَتيم عابسٍ ... ألم تر الفارسَ بعد الفارسِ ؟
ارداهما عاملُ رمحٍ يابسِ

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه . وارتاب دريد وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل . فلحق ربيعة وقد دنا من الحى ووجد أصحابه قد قتلوا . فقال أيها الرجل : إن مثلك لا يقتل ولا أرى معك رمحاً والخيلُ ثائرة بأصحابها فدونَكَ هذا الرمحَ فانى منصرف الى أصحابى فَمُثَبِّطهم (٤) عنك ، فانصرف

فيه امرأة أم لا والجمع ظعائن وظعن بضمتين ويقال الظعينة فى الاصل وصف للمرأة فى هودجها ثم سميت بهذا الاسم وان كانت فى بيتها لانها تصير مظعونة

(١) قوله على رسلك بالكسر أى على هينتك ، والرداح : الثقيلة الاوراك (٢) القرن وزان حمل من يقاومك فى علم أو قتال أو غير ذلك (٣) الخطية : الرمح المنسوب الى خط اسم أرض وقد مر تفسيرها ، والوغى مقصور: الجلبة والاصوات ومنه وغى الحرب ، وقال ابن جنى : الوعى بالمهملة الصوت والجلبة ، وبالمعجمة الحرب نفسها ، والشريعة : الدين (٤) ثبطه عن الامر عوقه

دريد وقال لأصحابه : إن فارس الظعينة قد حماها وقتل اصحابكم وانتزع رمحى ولا مَطْمَعَ لكم فيه فانصرفوا فانصرف القوم . فقال دريد فى ذلك : —

مااِنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... حامى الظعينة فارساً لم يُقْتَل
أردى فوارسَ لم يكونوا نُهزةً ... ثم استمرّ كأنه لم يفعَلِ (١)
مُتَهللاً تبدو أسرة وجهه ... مثلَ الحسام جَلَتْهُ كفُّ الصيقَل (٢)
يزْجى ظعينتَهُ ويسحَبُ ذيلَهُ ... متوجهاً يُمناه نحوَ المنزل (٣)
وترى الفوارسَ من مخافة رمحه ... مثلَ البغاثِ خشِينَ وَقْعَ الأجدل (٤)
ياليتَ شعرى من أبوه وأمه ... ياصاحِ من يكُ مثلَهُ لم يُجْهل

وقال ربيعة

اِن كان يَنْفَعُكِ اليقينُ فسائلى ... عنى الظعينةَ يومَ وادى الأخرمِ
اِذْ هِى لأول من أتاهـا نُهْبَةٌ ... لولا طعانُ ربيعةَ بن مكدَّمِ
إذ قال لى أدنى الفوارس مِيتةً ... خلِّ الظعينة طائعاً لاتندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوَه ... عمداً ليعلمَ بعضَ مالم يعلمِ
وهتكتُ بالرمح الطويل اهابَهُ ... فهوى صريعاً لليدَيْن وللفم (٥)
ومنحت آخَرَ بعـده جَيَّاشةً ... نجلاءَ فاغرةً كشِدْقِ الأضجم (٦)
ولقـد شفعتهما بآخَرَ ثالثٍ ... وأبى الفرارَ لىَ الغداةَ تكرمى

ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارتْ على بنى جشَم فقتلوا وأسروا دريدَ بن

وبطأ به عنـه كشمطه فيهما (١) النهزة بالضم الفرصة تجدها من صاحبك ويقال فلان نُهزة المختلس أى هو صيد لكل أحد (٢) تهلل الوجه : تلألأ ، والاسرة جمع سر وهو خط الوجه والجبهة ، والحسام : السيف القاطع أو طرفه الذى يضرب به ، والصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها (٣) قوله يزجى أى يسوق سوقاً رفيقاً ، راجع معنى الظعينة التى مر تفسيرها قريباً
(٤) البغاث من الطير مالا يصيد ولا يرغب فى صيده لانه لايؤكل ، والاجدل : الصقر
(٥) يقال هتك الستر وغيره يهتكه فانهتك وتهتك جذبه فقطعه من موضعه أو شق منه جزأ فبدا ماوراءه ، والاهاب ككتاب الجلد (٦) النجلاء : الطعنة الواسعة ، والفاغرة : الفاتحة ، والشدق : جانب الفم ، والضجم : عوج فى الفم وميل فى الشدق وقد يكون عوجاً فى الشفة والذقن والعنق

الصمة فأخفى نفسه فبينا هو عندهم محبوس إذ جاءه نسوة يتهادَيْنَ اليه فصرخَت احداهن فقالت هلكتم وأهلكتم ماذا جرّ علينا قومُنا هذا والله الذى أعطى ربيعةَ رمحه يوم الظعينة ، ثم القت عليه ثوبها وقالت يالفراسٍ أنا جارةٌ له منكم هذا صاحبنا يوم الوادى فسألوه من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة . فمن صاحبى ؟ قال : ربيعة بن مكدم . قال : وما فعل ؟ قال : قتلته بنو سُلَيْمَ . قال : فما فعلت الظعينة؟ قالت المرأة أناهِيَهْ وأنا امرأته فحبسه القوم وامروا أنفسهم ، فقال بعضهم لا ينبغى لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال آخرون واللهِ لا يخرج من أيدينا إلا برضى المُخارق الذى أسره فانبعثت المرأة فى الليل — وهى رَيْطة بنت جِذل الطعان — تقول : —

سَنَجزى دُرَيْداً عن ربيعةَ نعمةً ... وكلُّ امرئٍ يجزى بما كان قدما
فانْ كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وان كان شراً كان شراً مُذمما
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرةٍ ... باعطائه الرمحَ الطويلَ المقوَّما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يجزى الذى كان أنعَما
فلا تكفرُوه حق نُعماء فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما
فلو كان حياً لم يَضِقْ بثوابه ... ذراعاً غنياً كان أوْ كان مُعدِما
فَفكوا دريداً من إسار مُخارقٍ ... ولا تجعلوا البؤسَى الى الشر سُلَّما

فلما أصبحوا اطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه ، فلم يزل كافاً عن غزو بنى فراس حتى هلك . ومنهم :

زيد الفوارس

وهو ابن حصين بن ضرار الضبى وهو جاهلى وذكره الآمدى فى (المؤتلف والمختلف) ولم يرفع نسبه ولا ذكر له شيئاً من شعره . وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبى: زيد الفوارس بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ابن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . كان من أشهر الفرسان وطالت رياسته ،

وشهد يوم القرنتين ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه وزيد الفوارس كان فارسهم ، ولهذا قيل له زيد الفوارس وهو القائل :

دلهتِ ان لم تسألى أىّ امرئ ... بلوى النقيعة اذ رجالك غُيّبُ (١)
اذ جاء يوم ضوؤه كظلامه ... بادى الكواكب مقمطرٌ أشهب (٢)
عوذ وبُهثَةُ حاشدون عليهمُ ... حَلَق الحديد مضاعفاً يتلهبُ
ولّوا تكبهم الرماح كأنهم ... اثل جأفتَ أصوله او اثأب (٣)
لو غدوة حتى أغاث شريدهم ... جو العشاوة فالعيون فزُتقبُ
فتركت زراً فى الغبار كأنه ... بشقيقتى قدمية متلبب (٤)

قال أبو محمد الاعرابي كان سبب هذه الأبيات انه أغار زرين بن ثعلبة أحد بنى عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبْس فى بنى عبس وعبد الله بن غطفان فأصابوا نعماً لبنى بكر بن سعد بن ضبة فطردوها ، فأتاهم الصريخ ورئيسهم يومئذ زيد الفوارس حتى أدركوهم بالنقيعة تحت الليل فقتلوا زراً والجند بن تيجان من بنى مخزوم وابن أزنم من بنى عبد الله بن غطَفان . فقال زيد الفوارس هذه الأبيات فى ذلك . ومنهم :

أمية بن حرثان الكنانى

وينتهى نسبه الى مضر وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأثورة مذكورة وابنه كلاب بن أمية أدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم مع أبيه ثم هاجر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وروى صاحب الأغاني بسنده الى الزهرى عن عروة بن الزبير قال : —

(١) دلهه العشق والهم : حيره وأدهشه ودلهت المرأة على ولدها تدليها اذا فقدته

(٢) المقمطر الشديد العبوسة (٣) الاثل : شجر وهو نوع من الطرفاء ، والاثاب : شجر ينبت فى بطون الاودية بالبادية وهو على ضرب التين ينبت ناعماً كأنه على شاطىء نهر وهو بعيد من الماء . وجأف الشجرة : قلعها من أصلها (٤) القدمية محركة ضرب من الادم ، والمتلبب المتحزم بالسلاح وغيره وكل مجمع لثيابه متلبب

هاجر كلاب بن أمية بن الاسكر الى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب (رض) فأقام بها مدة ثم لقى ذات يوم طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام. فسألهما أى الأعمال أفضل فى الاسلام ؟ فقالا الجهاد فسأل عمر فاغزاه فى جيش وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لِمَن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله لو قبل الكتابا
أناديه فيعرض فى إباء ... فلا وأبى كلاب ما أصابا
إذا سجعت حمامة بطن وج ... الى بيضاتها دَعوا كلابا[1]
أتاه مهاجران تكنَّفاه ... ففارق شيخه خطأً وخابا
تركت أباك مرعشةً يداه ... وأمك لا تسيغ لها شرابا[2]
تمسح مُهره شفقاً عليه ... وتجنبه أباعرها الصِعابا[3]
فانك وابتغاء الأجر بعدى ... كباغى الماء يتّبع السَرابا[4]

فبلغت عمر رضى الله تعالى عنه فلم يردد كلاباً فاهتر أمية وخلط جزعاً عليه ثم أتاه يوماً وهو فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه وأنشأ يقول : —

أعاذلَ قد عذلتِ بغير علمٍ ... وما تدرينَ عاذلَ ما ألاقى
فاما كنتِ عاذلتى فردى ... كلاباً إذ توجه للعراق
ولم أقضِ اللبانةَ من كلابٍ ... غداةَ غدٍ وآذنَ بالفراق[5]
فتى الفتيان فى عسر ويسر ... شديد الركنِ فى يوم التلاق
فلا وأبيكَ ما باليت وجدى ... ولا شغفى عليك ولا اشتياقى

(١) سجعت الحمامة سجعاً : هدرت وصوتت ، ووج اسم واد بالطائف (٢) قوله لاتسيغ يقال ساغ الشراب يسوغ سوغاً سهل مدخله واسغته اساغة جعلته سائغاً ويتعدى بنفسه فى لغة وقوله تعالى ولايكاد يسيغه أى يتبلعه ، وقوله فى البيت المتقدم (تكنفاه) أى أحاطا به
(٣) المهر : ولد الخيل . والاباعر : الصعاب التى تركت ولم تركب (٤) السراب ماتراه نصف النهار كانه ماء وفى التنزيل (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً)
(٥) اللبانة بالضم : الحاجة . وآذنه الامر وبه اعلمه

وابقائى عليك اذا شتونا وضمك تحت نحرى واعتناقى
فلو فلق الفؤاد شديدُ وجد لهمّ سواد قلبى بانفلاق
سأستعدى على الفاروق ربًّا له رفع الحجيج إلى بُساق(١)
وادعو الله مجتهداً عليه ببطن الأخشبَين الى دُفاق(٢)
إنِ الفاروقُ لم يردد كلاباً الى شيخين هامهما زواقى(٣)

قال فبكى عمر بكاءً شديداً وكتب الى سعد بن أبى وقاص بالكوفة يأمره باقفال كلاب بن أمية الى المدينة فلما دخل عليه قال له : مابلغ من برّك بأبيك قال : كنت أكفيه أمره وكنت أعتمد اذا أردت أن أحلب لبناً أغزرَ ناقة فى إبله وأسمنها فأريحها فأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها (٤) حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه . فبعث عمر الى أمية فجاء يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له : وكيف أنت يا أبا كلاب ؟ فقال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال نعم ، أشتهى أن أرى كلاباً فأشمه شمةً وأضمه ضمة قبل أن أموت فبكى عمر وقال : ستبلغ فى هذا ماتحب ان شاء الله ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث اليه بلبنها ففعل فناوله عمر الاناء قال : دونك هذا يا أبا كلاب فلما أخذه وأدناه الى فمه قال لعمر : الله ! يا أمير المؤمنين ! إنى لأشم رائحة يَدىْ كلاب من هذا الاناء فبكى عمر ، وقال له : هذا كلاب عندك

---

(١) بساق بالضم ويقال بصاق بالصاد : جبل بعرفات وقيل واد بين المدينة والجار

(٢) الاخشبان : جبلامكة أبو قبيس والاحمر وجبلا منى ، ودفاق : واد (٣) الهام جمع هامة وهى الرأس والهامة الصدى والبومة وكانت العرب تقول أن عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة أى بومة فتطير فنفاه الاسلام ونهاهم عنه (التاج) وقال المسعودى : من العرب من يزعم أن النفس طائر ينبسط فى الجسم فاذا مات الانسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو أبدا مستوحش ويوجد فى الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وأنها لم تزل عند ولد الميت ومخلفه لتعلم مايكون بعده فتخبره انتهى ، والزواقي جمع زاق من زقا يزقى زقياً اذا صاح وكل صائح زاق ومنه قيل للديكة الزواقي (٤) جمع خلف وهو من ذوات الخف كالثدي للانسان وقيل الخلف طرف الضرع

حاضر قد جئناك به فوثب اليه ابنه فضمه اليه وقبله وجعل عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب : الزم أبويك ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما وأمر له بعطائه وصرفه الى أبيه فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبواه . وأمية الكناني هو القائل :

الا سائِلْ هوازنَ يوم لاقوا ... فوارسَ من كنانة معلمينا [١]
لدى شَرْبٍ وقد جاشوا وجشنا ... فأَوْعَبَ فى النفير بنو ابينا [٢]

ومنهم :

عمرو بن كلثوم

وهو صاحب المعلقة الشهيرة وينتهي نسبه الى تغلب بن وائل قال أبو عبيد البكري فى شرح نوادر القالي : عمرو بن كلثوم شاعر فارس جاهلي وهو أحد فُتّاكِ العرب وهو الذى فتك بعمرو بن هند الملك . وكنيته أبو الأسود وأخوه مرة هو الذى قتل المنذر بن النعمان وأمه اسماء بنت مهلهل بن ربيعة ولما تزوج مهلهلٌ هنداً بنت عتيبة ولدت له جارية فقال لأمها : اقتليها وغيبيها ، فلما نامَ هتف به هاتفٌ يقول * كم من فتى مؤمَّل *وسيدٍ شمرذل[٣] *وعددٍ لا يجهل * فى بطن بنت مهلهل * فاستيقظ فقال : أين بنتي ؟ فقالت : قتلتها . فقال : لا وآله ربيعة وكان أول من حلف بها ثم رباها وسماها (أسماء) وقيل (ليلى) وتزوجها كلثوم بن مالك . فلما حملت بعمروٍ أتاها آتٍ فى المنام فقال : * يالك ليلى من ولد * يقدم اقدام الأسد * من جشم فيه العدد * أقول قولا لا نفد . فلما ولدت عمراً أتاها ذلك الآتى فقال :

أنا زعيم لك أم عمروِ ... بماجدِ الجد كريم النحر

---

(١) قوله معلمينا من أعلم نفسه اذا وسمها بسيما الحرب (٢) قوله جاشوا أي فزعوا ، واوعب بنو فلان : جاؤا اجمعين وجاؤا موعبين اذا جمعوا ما استطاعوا من جمع ، وانطلق القوم فاوعبوا أى لم يدعوا منهم أحداً ، ونفروا الى الشيء اسرعوا اليه ويقال للقوم النافرين لحرب أو غيرها نفير تسمية بالمصدر كما فى المصباح (٣) لغة فى الشمرذل وهو الفتى السريع من الابل وغيرها الحسن الخلق

اشجع من ذى لبد هِزَبْرِ وقّاص أقرانٍ شديد الأُسر[1]

يسودهم فى خمسة وعشر

وكان كما قال سادهم وهو ابن خمس عشرة سنة ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة . وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : عمرو بن كلثوم جاهلى قديم وهو قاتل عمرو بن هند الملك وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمى ؟ قالوا : لا نعلمها الا ليلى أم عمرو بن كلثوم. قال : ولِمَ ذلك ؟ قالوا: لأن أباها مهلهلَ بن رَبيعة ، وعمَّها كليبَ وائل أعزُّ العرب وبعلها كلثوم بن مالك فارس العرب وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة فى جماعة من بنى تغلب وأقبلت ليلى فى ظعن من بنى تغلب وأم عمرو بن هند برواقه فضرب مابين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا ، ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ودخلت ليلى بنت مهلهل على هند قبتها ، وهند أم عمرو بن هند عمة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنت مهلهل هى بنت أخى فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس ، فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند : ياليلى ناولينى ذلك الطَبَق ! فقالت : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ! فأعادت عليها فلما ألحت صاحت ليلى واذ لاّه يالتغلب ! ! فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم فى وجهه فقام الى سيف لعمرو بن هند معلقٍ بالرواق وليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله ! ونادى فى بنى تغلب فانتهبوا جميع مافى الرواق واستاقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة ! وابنه عتاب بن عمرو بن كلثوم قاتل بشر بن عمرو بن عدس ، وأخوه مرة بن كلثوم قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر ولذلك قال الأخطل :

---

(١) ذولبد : كنية الاسد، والهزبر : الاسد، ووقص عنقه : كسره، والأسر : شدة الخلق

ابنى كليبٍ إن عَمّيَّ اللذا قتلا الملوكَ وفككا الاغلالا(١)

ومنهم :

الشنفرى الحارثى القحطانى

وكان من الفرسان المذكورين والشعراء المفلقين وهو كما فى الجمهرة وغيرها من بنى الحرث بن ربيعة بن الأواس بن الحَجْر بن الهَنْء بن الأزد ، وهو بفتح الشين وآخره ألف مقصورة هو اسمه والأواس بفتح الهمزة والحجر بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم والهنء بتثليث الهاء وسكون النون وبعدها همزة . وزعم بعضهم أن الشنفرى لقبه ومعناه عظيم الشفة وان اسمه ثابت بن جابر ، وهذا غلط كما غلط العينى فى زعمه أن اسمه (عمرو بن بَرّاق) بفتح الباء وتشديد الراء المهملة بل هما صاحباه فى التلصص . وكان الثلاثة أعدى العدائين فى العرب لم تلحقهم الخيل ، ولكن جرى المثل فى الشنفرى فقيل « أعدى من الشنفرى » ومن حديثه ما ذكره أبو عمرو الشيبانى كما نقله ابن الانبارى فى شرح المفضليات وحمزة الاصبهانى فى الدرة الفاخرة ، قال : أغار تأبط شراً وهو ثابت بن جابر ، والشنفرى الأزدى ، وعمرو بن براق على بجيلة بفتح الباء وكسر الجيم فوجدوا بجيلة قد أقعدوا لهم الماء رصداً فلما مالوا له فى جَوْفِ الليل قال لهم تأبط شراً : إن بالماء رصداً وانى لأسمع وجيبَ قلوبِ القوم أى اضطراب قلوبهم قالوا : والله ما نسمع شيئاً ولا هو الا قلبك يَجِبُ فوضع يده على قلبه فقال : والله ما يجبُ وما كان وجّاباً . قالوا : فلا والله ما لنا بدّ من ورود الماء فخرج الشنفرى . فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه فشرب ثم رجع الى أصحابه فقال والله ما بالماء أحد ولقد شربت

---

(١) البيت من قصيدة له يفتخر فيها بقومه ويهجو جريراً وعنى بعميه عمراً ومرة ابنى كلثوم وقيل عنى بهما ابن هبيرة التغلبى والهذيل بن عمران الاصغر وقيل غير ذلك وبنو كليب قوم جرير ، والاغلال : القيود واحدها غل ، ومن نسب البيت الى الفرزدق فقد أخطأت استه الحفرة لان رواة الاخبار اتفقوا على أن عميه اللذين افتخر بهما وقال انهما « قتلا الملوك وفككا الاغلال » على الاختلاف فيهما هما من بنى تغلب وتغلب قوم الاخطل لا قوم الفرزدق

من الحوض فقال تأبط شراً : بلى لا يريدونك ولكن يريدونني ثم ذهب ابن براق فشرب ثم رجع فلم يعرضوا له ، فقال : ليس بالماء أحد . فقال تأبط شراً : بلى لا يريدونك ولكن يريدونني . ثم قال للشنفرى : اذا أنا كرعت في الحوض فان القوم سيشدون على فيأسرونى فاذهب كأنك تهرب ثم ارجع فكن[1] فى أصل ذلك القرن[2] فاذا سمعتنى أقول « خذوا خذوا » فتعالَ فاطلقنى . وقال لابن براق : انى سآمرك ان تستأسر للقوم فلا تبعد منهم ولا تمكنهم من نفسك . ثم اقبل تأبط شراً حتى ورد الماء فلما كرع فى الحوض شدُّوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتر وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانحاز ابن براق حيث يرونه . فقال تأبط شراً يابجيلة هل لكم فى خير هل لكم أن تياسروا لنا فى الفداء ويستأسر لكم ابن براق ؟ فقالوا : نعم ويلك يا ابن براق إن الشنفرى قد طار فهو يصطلى نار بنى فلان وقد علمت الذى بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسر ويياسروننا فى الفداء ؟ فقال : أما والله حتى أروزَ[3] نفسى شوطاً أو شوطين ، فجعل يعدو فى قُبل[4] الجبل ثم يرجع ، حتى اذا رأوا أنه قد أعيا وطمعوا فيه اتبعوه . ونادى تأبط شراً « خذوا خذوا » فذهبوا يسعون فى أثره فجعل يطمعهم ويبعد عنهم ورجع الشنفرى الى تأبط شراً فقطع وثاقه فلما رآه ابن براق قد قطع عنه انطلق وكروا الى تأبط شراً فاذا هو قائم فقال : أعجبكم يامعشر بجيلة عدو ابن براق ؟ أما والله لأعدونّ لكم عدواً أنسيكموه ثم انطلق هو والشنفرى . انتهى .

« ومن المشهورين » فى العدو السُلَيْك بن السلكة وهو تميمى من بنى سعد والسليك بالتصغير فرخ الحجلة[5] والأنثى سُلكة بضم السين وفتح اللام وهى

---

(١) قوله كن أى استتر (٢) الاصل اسفل الشىء والقرن : الجبل الصغير أو قطعة تنفرد من الجبل (٣) أى أجرب ، ومن سجعات الاساس « كم رزته روزاً ، فلم أر عنده فوزاً » (٤) القبل من الجبل سفحه (٥) قال فى المصباح الحجل : طير معروف الواحدة حجلة وزان قصب وقصبة وجمعت الواحدة أيضاً على حجلى ولا يوجد جمع على فعلى بكسر الفاء الا حجلى وظربى انتهى ، ويعرف الآن (بالككلك) بضم فسكون ففتح وهى شائعة فى لسان البغداديين واظنها فارسية والله أعلم

اسم أمه وكانت سوداء واليها اسب . وذكر أبو عبيدة السليك فى المدائين مع المنتشر بن وهب الباهلى وأوفى بن مطر المازنى . والمثل للسليك من بينهم فقيل « أعدى من السليك» ومن حديثه فيما ذكره أبو عبيدة كما نقله حمزة الاصبهانى فى الدرة الفاخرة : أن السليك رأته طلائع[١] الجيش من بكر بن وائل جاؤا متجردين ليغيروا على بنى تميم ولا يعلم بهم فقالوا : إنْ علم بنا السليك أنذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يعدو كأنه ظبىٌ فطارداه يوماً أجمع ، ثم قالا : اذا كان الليل أعيا فيسقط فنأخذه . فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة وقد وثب وانحطمت قوسه فوجدا قطعة منها قد ارتزّت[٢] بالأرض ، فقالا : لعل هذا كان من أول الليل ، ثم فتر فتبعاه فاذا أثره متفاجاً قد بال فى الأرض وخدّها[٣] : فقالا : ماله قاتله الله ! ما أشد متْنَهُ ![٤] والله لا نتبعه ! فانصرفا . ووصل السليك الى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية وجاء الجيش فأغاروا عليهم .

رجعنا الى حديث الشنفرى ، روى الاصبهانى فى الأغانى وابن الأنبارى فى شرح المفضليات أن الشنفرى أسرته بنو شَبابة وهم حى من فهم بن عمرو ابن قيس عيلان وهو غلام صغير فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سَلامان بن مفرج (بسكون الفاء وآخره جيم) رجلاً من فهم ، ثم أحد بنى شَبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى فكان الشنفرى فى بنى سلامان يظن أنه أحدهم حتى نازعته ابنة الرجل الذى كان فى حجره وقد كان اتخذه ابناً فقال لها : اغسلى رأسى ياأخية فانكرت أن يكون أخاها فلطمته فذهب مغاضباً الى الذى هو فى حجره فقال له : اخبرنى من أنا ؟ فقال له : أنت من الأوس بن الحجر . فقال : أما انى سأقتل منكم مائة رجلٍ بما اعتديتمونى . ثم إن الشنفرى لزم دار فهم

(١) جمع طليعة وهى القوم يبعثون امام الجيش يتعرفون طلع العدو بالكسر أى خبره
(٢) أى ثبتت (٣) أي حفرها حفرا مستطيلا (٤) أى ظهره

وكان يُغير على بنى سلامان على رجليه فيمن تبعه من فهمٍ وكان يغير عليهم وحده أكثر وما زال يقتل منهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً حتى قعد له فى مكان أسيد بن جابر السلامانى بفتح الهمزة وكسر السين ومع اسيد ابن أخيه وحازم البقمى وكان الشنفرى قتل أخا أسيد بن جابر فمر عليهم الشنفرى فأبصر السواد بالليل فرماه . وكان لا يرى سواداً الا رماه ، فشك[1] ذراع ابن أخى أسيد الى عضده فلم يتكلم وكان حازم منبطحاً يرصده فقطع الشنفرى بضربة أصبعين من أصابع حازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه فأخذوا سلاح الشنفرى وأسروه وأدوه الى أهلهم . وقالوا له : أنشدنا . فقال : «انما النشيد على المسرة » فذهبت مثلاً . ثم ضربوا يده فقطعوها ثم قالوا له حين أرادوا قتله : أين نُقبرك ؟ فقال :

لا تُقبرونى إن قبرى محرَّمٌ عليكم ولكن أبشرى أمّ عامرٍ [٢]
إذا احتملت رأسى وفى الرأس أكثرى وغُودِر عند الملتقى ثَمَّ سائرى [٣]
هنالك لا أرجو حياة تسرنى سجيسَ الليالى مبسلاً بالجرائرِ [٤]

وكانت حلفة الشنفرى على مائة قتيلٍ من بنى سلامان فبقى عليه منهم رجل الى أن قتل فمر رجل من بنى سلامان بجمجمته فضربها برجله فعقرته . فتم به عدد المائة وذرع خطو الشنفرى يوم قتل فوجد أول نزوة نزاها احدى وعشرين خطوةً ، والثانية سبع عشرة خطوة ، والثالثة خمس عشرة خطوة . وكان حرام ابن جابر أخو أسيد بنِ جابر المذكور قتل أبا الشنفرى . ولما قدم مِنًى وبها حرام ابن جابر قيل للشنفرى هذا قاتل أبيك فشد عليه فقتله ثم سبق الناس على رجليه وقال : —

(١) أى طعن (٢) أم عامر كنية الضبع يقول : لا تدفنونى فانه محرم عليكم دفنى بل اتركونى يا كانى الضبع (٣) اذا ظرف لقوله ابشرى وثم ظرف أيضاً بدل من (عند الملتقى) ، والسائر بمعنى الباقى (٤) سجيس الليالى امتدادها ، قال ابن فارس فى كتابه الاتباع والمزاوجة : ولا أفعله سجيس عجيس يريدون الدهر انتهى ، وقال الاصمعى : لا آتيك سجيس عجيس أى الدهر وسجيسه آخره ومنه قيل للماء الكدر سجيس لانه اخر ما يبقى والعجيس تأكيد وهو فى معنى الآخر وروى أبو عمرو سديس عجيس وهو كما قيل للدهر الازلم الجذع ، والمبسل والجرائر : الجرائم

قتلتُ (حراماً) مهدياً بملبدٍ ببطن منًى وسطَ الحجيج المصوِّتِ

فرصد له أُسيد بن جابر فأمسكه مع ابن اخيه . وقيل فى سبب قتل الشنفرى غير هذا وهو مسطور فى شرح المفضليات والاغانى . ومنهم:

الحرث بن عباد الربعى

قال أبو رياش فى شرح الحماسة : كان الحرث بن عباد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . وكان اعتزل حرب بنى وائل وتنحى بأهله وولده وولد اخوته وأقاربه وحلّ وتر قوسه ونزع سِنانَ رمحه ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان فى آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عباد فى أثر ابل له نَدَّت[1] يطلبها فعرض له مهلهل فى جماعة يطلبون غرة بكر بن وائل فقال لمهلهل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم (وكان من أشراف بنى تغلب . وكان على مقدمتهم زمناً طويلا) : لا تفعل فوالله لئن قتلته ليقتلن منكم كبش لا يسأل عن خاله من هو وإياك أن تحقر البغى فان عاقبته وخيمة وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه فأبى مهلهل الاّ قتله فطعنه بالرمح وقتله وقال : بُوءْ بشِسْعِ[2] نعل كليب (يقال أبأت فلاناً بفلان فباء به اذا قتله به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثانى كفء للأول) فبلغ فعل مهلهل عم بجير وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً . فقال الحرث نعم القتيلُ قتيل أصلح بين ابنَىْ وائلٍ . فقيل له : انما قتله بشسع نعل كليب فلم يقبل ذالك . وأرسل الحرث الى مهلهل : إن كنت قتلت بجيراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين اخوانكم فقد طابت نفسى بذلك فأرسل اليه مهلهل : انما قتلته بشسع نعل كليب فغضب الحرث ودعا بفرسه . وكانت تسمى (النعامة) فجزّ ناصيتها وهلَبَ[3] ذنَبَها وهو أول من فعل ذلك بالخيل وقال : —

---

(١) ند البعير : نفر وذهب على وجهه شارداً (٢) قبال النعل (٣) هلب ذنب الفرس: جزه

قَرِّبا مربطَ (النعامة) منى ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيال

لا بجيرٌ أغنى قتيلاً ولا ره ... طُ كليب تزاجروا عن ضلالِ

لم أكُنْ من جُناتها عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وإنى لحرها اليوم صالى

قرّبا مربط (النعامة) منّى ... إنَّ قتلَ الغلامِ بالشِسْع غالى

(ولقحت حملت والحيال أن يضرب الفحل الناقة فلا تَحمل وهذا مثل ضربه لأن الناقة اذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد منها من الأمور التى لم تكن تحتسب) ثم ارتحل الحرث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل وعليهم يومئذ الحرث بن همام بن مرة بن ذهْل ابن شيبان بن ثعلبة فقال الحرْث بن عباد له : إن القوم مستقلّون قومك وذلك زادهم جرآءة عليكم فقاتلهم بالنساء ؛ قال له الحرث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلد كلّ امرأة اداوَةً من ماء وأَعْطِها هراوةً واجعل جمعهن من ورائكم فان ذلكم يزيدكم اجتهاداً وعلّموا بعلامات يعرفنها فاذا مرّت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأُتت عليه فأطاعوه . وحلقت بنو بكر يومئذ رؤسها استبسالاً للموت وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم واقتتل الفرسان قتالاً شديداً وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها واتبعهم سرعان[1] بكر بن وائل وتخلف الحرث بن عبادة . فقال لسعد بن مالك القائل :

يابؤسَ للحربِ التى ... وضعت أراهطَ فاستراحوا[2]

أتراني ممن وضعته ؟ قال : لا ، ولكن لا مخبأ لعطر بعد عروس . ومعناه ان لم تنصر قومك الآن فلمن تدخر نصرك . ومنهم :

---

(١) سرعان الناس محركة : أوائلهم ويسكن (٢) قوله يابؤس للحرب ، اللام فيه لتأكيد الاضافة أى يا بؤس الحرب ووضعت تركت ، والارامط جمع رهط : الجماعة من الناس والمعنى أسفاً على داهية الحرب التى تركها أراهط فاستراحوا من شدائدها المورثة للشدائد التى بها نيل المكارم وهذا البيت مطلع قصيدة سعد بن مالك بن ثعلبة جد طرفة بن العبد ، وهي قوله بعد البيت :

سعد بن مالك

وجدّه ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : كان سعد هذا أحدَ ساداتِ بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية وكان شاعراً وله أشعار جياد فى كتاب بنى قيس بن ثعلبة . قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الاقيصر القريعىّ أحد بنى قريع بن سَلامان بن مفرج . وكان فارساً شاعراً . ومنهم :

مهلهل بن ربيعة التغلبي

قال الآمدى اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب وهو الشاعر المشهور ويقال اسمه عدىّ انتهى . وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدى ابن ربيعة وسمى مُهلهلاً لأنه هلهل الشعر أى أرَقّه ، ويقال إنه أول من قصّد القصيد ، قال الفرزدق « ومهلهل الشعراء ذاك الأول » وهو خال امرئ القيس

والحرب لايبقى لجا حمها التخيل والمراح
الا الفتى الصبار فى النجـدات والفرس الوقاح
والنثرة الحصداء والبيض المكلل والرماح
وتساقط الاوشاظ والذنبات اذ جهد الفضاح
والكر بعد الفر اذ كره التقدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح
فالهم بيضات الخدو دهناك لا النعم المراح
بئس الخلائف بعدنا أولاد يشكر واللقاح
من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح
صبراً بنى قيس لها حتى تريحوا أو تراحوا
ان الموائل خوفها يعتاقه الاجل المتاح
هيهات حال الموت دو ن الفوت وانتضى السلاح
كيف الحياة اذا خلت منا الظواهر والبطاح
أين الاعزة والاسـنة عند ذلك والسماح

ابن حجر صاحب المعلقة انتهى . والصحيح هذا ويدل له انه ذكر اسمه فى شعره فقال : —

ضربَتْ صدرَها الىَّ وقالت   ياعدىٌّ لقد وَقَتْكَ الأواقى (١)

ولم يقل أحد قبله عشرة أبيات وقال الغزل وعُنِىَ بالنسيب فى شعره ويقال سمى مهلهلا بقوله « هلهلت أثأرُ مالكا أو صنبلا(٢) » قال ابن سلام : زعمت العرب أنه كان يتكثر ويدعى فى قوله بأكثر من فعله . وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعيد بن مالك . والمهلهل أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل . وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه فى العقد الفريد والأصبهانى فى الأغانى وقد تداخل كلام كل منهما فى كلام الآخر ؛ قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها الا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم عامر وربيعة وكليب وهو عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث وهو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مَذْحِج وسارت الى تهامة وهى أول وقيعة كانت من تهامة واليمن . والثانى ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن كعب وهو قائد معد يوم الميلان وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه (أعز من كليب وائل) وقاد معداً كلها ففض جموع اليمن وهزمهم فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قَسْم المَلِك وتاجه

---

(١) وقتك : حفظتك ، والاواقي جمع واقيــة وهى ما يقى الانسان ويحفظه من الاقدار السابقة أى لقد نجتك المقادير وحفظتك من القتل والمعنى ضربت هذه المرأة صدرها اشفاقا على من القتل كذا قال ابن سـيده ، قال الفهرى : والصحيح ما قاله غيره من انها ضربت صدرها متعجبة من كيده وقوته وهو من فعل النساء وكان مهلهل قد أسر فى تلك الحروب فنكر أمره ولم يعلم بمكانه وأخذ منهم ذمة وعهداً على أن لايقتلوه فلما رأته هذه وعلمت ما اخذ لنفسه من الذمة ضربت صدرها اليــه متعجبة من كيده وفوزه ونجاته وقالت لقد وقتك الاواق أى لقد نجاك الله من أمور عظام أشرفتك على الموت

(٢) اوله : « لما توغل فى الكراع هجينهم » ، هذه رواية القاموس ويقال ان الذى فى شعره توعر ، وقوله مالكا صوب بعضهم رواية جابر بدل مالك ، والكراع : انف الحرة

وتحيته وطاعته فغبر بذلك حيناً من دهره ثم دخله زهوٌ شديد وبغي على قومه ، حتى بلغ من بغيه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يحمى من المرعى مدى صوت كلب فيختص به ويشاركهم فى غيره ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته[1] ويقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج ولا يورد مع إبله أحد ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب (أعز من كليب وائل) . وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة وكان كليب قد تزوج بنت مرة بن ذهل ابن شيبان وأخوها جساس بن مرة وكانت لجساس خالة تسمى البسوس بنت منقذ التميمية جاورت ابن اختها جساساً وكان لها ناقة يقال لها (سراب) ولها تقول العرب (أشأم من سراب) و (أشأم من البسوس) فمر ابل كليب بسراب وهى معقولة بفناء البسوس فلما رأت سراب الابل خلخلت عقالها وتبعت ابل كليب فاختلطت بها حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض ومعه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فرماها بسهم فى ضرعها فنفرت سراب وولت حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب[2] دماً ولبناً فبرزت البسوس صارخة يدها على رأسها تصيح واذلاّه ! وأنشأت تقول :

لعمريَ لو أصبحت فى دار منقذٍ لما ضِيمَ سعدٌ وهو جار لابياتى
ولكننى أصبحت فى دار غربةٍ متى يَعْدُ فيها الذئب يَعْدُ على شاتى
فياسعدُ لا تغرر بنفسك وارتحل فانك فى قوم عن الجارِ أمواتِ

فلما سمع جساس صوتها سكنها وقال : والله ليقتلن غداً جمل عظيم أعظم عقراً من ناقتك فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتل عُلَيّان وهو فحل كريم له فقال :

---

(١) يقال خفر بالعهد يخفر من باب ضرب اذا وفى به وخفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه ، وخفرت بالرجل أخفر من باب ضرب غدرت به ، واخفرته بالالف نقضت عهده

(٢) أى يجرى ويسيل

« هيهات دون عليّان خرط القتاد » (١) ثم انتجع الحى (٢) فمروا على نهر يقال له (شبيث) فنهاهم كليب عنه ثم على آخر يقال له (الأحص) فنهاهم عنه حتى نزلوا على السائب فمر جساس بكليب وهو على غدير الذنائب منفرداً . فقال : طردت ابلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً. فقال كليب : ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون . فقال له جساس : هذا كفعلك بناقة خالتى . قال: أوقد ذكرتها لو وجدتها فى غير ابل مرة لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس فطعنه فأزراه ووجد الموت . فقال : ياجساس إسقنى فقال « هيهات تجاوزت شبيثاً والأحص (٣) » وروى أن البسوس لما صرخت وأحمت جساساً ركب فرساً له وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحمى فضربه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو بن الحرث من خلفه فقطع قطَنَه (٤) فوقع كليب يفحص برجله فلما فرغ من قتله جاء الى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليباً ثم هرب وكان همام بن مرة أخا جساس وكان ينادم المهلهل أخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً فجاءت أمة اليه فأسرت اليه قتل جساس كليباً فقال له مهلهل ما قالت لك ؟ فلم يخبره فذكره العهد فقال : أخبرت أن أخى قتل أخاك فقال است أخيك أضيق من ذلك فسكت وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلاً فانسلّ همام فأتى قومه بنى شيبان وقد قوّضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النِهيّ ولما ظهر قتل كليب وأفاق

---

(١) من امثال العرب فى الامر دونه مانع قولهم من دون ذلك خرط القتاد لان شوك القتاد مانع من خرط ورقه وشوك القتاد مضروب به المثل في الخشونة والشدة كما قال أبو تمام :

بنا خبر كأن القلب أمسى يجر به على شوك القتاد

(٢) انتجع : طلب الكلأ فى موضعه (٣) شبيث : ماء لبنى الاضبط ببطن الجريب فى موضع يقال له دارة شبيث ، والاحص : موضع هناك ، وقد مر ذكرهما في الجزء الاول ومعناه ليس حين طلب الماء ، يضرب لمن يطلب شيئاً فى غير وقته (٤) بالتحريك وهو ما بين الوركين

مهلهل اجتمعت اليه وجوه قومه فاستعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وأرسل الى بنى شيبان وهو فى نادى قومه فقالت الرسل : انكم أتيتم عظيماً بقتلكم كليباً بنابٍ[1] من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم ونحن نعرض عليكم أحد خلالٍ أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع . فقال مرة : ماهى ؟ قالوا : تحيي لنا كليباً أو تدفع الينا جساساً قاتله نقتله به أو هماماً فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء من دمه . فقال : اما احيائي كليباً فهذا ما لايكون . وأما جساس فانه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه . وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومه فلن يسلموه الىّ فادفعه اليكم ليقتل بجريرة غيره . وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولةً فأكونَ أولَ قتيلٍ فيها فما اتعجل من الموت ولكن لكم عندى احدى خصلتين ؛ أما احداها فهؤلاء بنىّ الباقون فعلقوا فى عنق من شئتم نسعة [2] وانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الخرُوف ، والا فالف ناقة سوداء المقلة أقوم لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل فغضب القوم وقالوا قد أسأت فى الجواب وسمتنا اللبن من دم كليب ووقعت الحرب بينهم ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها ودعت تغلب النمر بن قاسط فانضمت اليها وصاروا يداً معهم على بكر ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وعظموا قتل جساس كليباً بنابٍ من الابل فظعنت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحرث بن عباد فى أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة قال أبو المنذر : أخبرنى خراش أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب وكانت الشوكة فى شيبان واستحرّ القتل فيهم إلاّ أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مرة ثم التقوا

---

(١) الناب : الناقة المسنة (٢) بالكسر سير منسوج

بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة . وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وهو جد معن بن زائدة ، والحوفزان هو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس ابن شراحيل قتله عتاب بن قيس بن زهير بن جشم وقتل الحرث بن مرة بن ذهل ابن شيبان قتله كعب بن زهير بن جشم وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن مندوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وقتل من بنى تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله وعبد الله بن مالك بن تيم الله وقتل من بنى قيس بن ثعلبة وكان شيخاً كبيراً فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب ثم التقوا بواردات وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر ، فيومئذ قتل شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن حارث ابن سيار ، وفيه قتل همام بن مرة أخو جساس فمر به مهلهل مقتولاً فقال له : والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز علىّ فقداً منك وقتله ناشرة . وكان همام ربّاه وكفله كما كان ربى حذيفة بن بدر قرواشاً فقتله يوم الهباءة ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب ثم كان بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك الدائرة فيها لبنى تغلب على بنى بكر . وقال مهلهل يَصِفُ الأيام وينماها على بكر فى قصيدة طويلة أولها : —

أليلتَنا بذى حُسُم أنيرى اذا أنت انقضيت فلا تحُورى[1]

---

(١) قال أبو على (ذى حسم) : موضع ، وتحورى : ترجعي ، يقال ماله لا حار الى أهله أى لا رجع اليهم ويقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة والكور مأخوذ من كور العمامة كأنه رجع عما كان أحكمه من الخير وشده ومثل من امثالهم « حور فى محارة » يضرب مثلا للرجل ينقص بعد الزيادة وقال ابو عبيدة الحور الهلكة ، وها أنا ذاكر قصيدة المهلهل برمتها لما فيها من الفوائد التاريخية ولرقتها وجزالة تعبيرها وحسن اسلوبها قال بعد البيت المتقدم

فان يك بالذنائب طال ليلى فقد ابكى من الليل القصير!
وانقذنى بياض الصبح منها لقد أنقذت من شر كبير
كأن كواكب الجوزاء عوذ معطفة على ربع كسير

وقال مهلهل لما اسرف فى القتل

اكثرت قتلى بنى بكر بربهم حتى بكيت ومايبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم حتى ابهرج بكراً أينما وجدوا

قال أبو حاتم : ابهرج ادعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال المبهرج من الدراهم من هذا . وقال أيضاً : يالبكر انشروا لى كليباً . (١)

كأن الجدى فى مثناة ربق أسير أو بمنزلة الاسير
كأن النجم اذ ولى سحيرا نصال جلن فى يوم مطير
كواكبها زواحف لاغبات كأن سماءها بيدى مدير
كواكب ليلة طالت وغمت فهذا الصبح راغمة فنورى
وتسألنى بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلة ما ضميرى
فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير
بيوم الشعثمين لقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور
وانى قد تركت بواردات بجيراً فى دم مثل العبير
ينوء بصدره والرمح فيه ويخلجه خدب كالبعير
هتكت به بيوت بنى عباد وبعض القتل أشفى للصدور
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمين من النسور
على ان ليس عدلا من كليب اذا طرد اليتيم عن الجزور
على ان ليس عدلا من كليب اذا رجف العضاه من الدبور
على ان ليس عدلا من كليب اذا ماضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف المخوف من الثغور
على ان ليس عدلا من كليب غداة بلابل الامر الكبير
على ان ليس عدلا من كليب اذا برزت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب اذا علنت نجيات الامور
فدى لبنى الشقيقة يوم جاؤا كأسد الغاب لجت فى زئير
كأن رماحهم أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور
فلا وأبى جليلة ما أفأنا من النعم المؤبل من بعير
ولكنا نهكنا القوم ضرباً على الاثباج منهم والنحور
قتيل ما قتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير
تركنا الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدحض فى غدير
كأنا غدوة وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير
فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

تمامة « يالبكر أين أين الفرار » وقوله يالبكر بفتح اللام التي للتعجب أو التهديد

الأبيات وله أشعار كثيرة فى رثاء أخيه كليب . ثم إن المهلهل أسرف فى القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع . وكانت أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليباً وكان الحرث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب وقال « لا ناقة لى فى هذا ولا جمل » فذهبت مثلاً فاجتمعت قبائل بكر اليه فقالت : قد فنى قومك فأرسل بجيراً ابن أخيه الى مهلهل وقال له : قل له إنى قد اعتزلت قومى لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم وقد ادركت ثارك وقتلت قومك فأتى بجير اليه فقتله مهلهل كما تقدم شرحه . فبعد ذلك نهض الحرث للحرب فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب وكان أول يوم شهده الحارث بن عباد يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وفيه أسر الحارث بن عباد مهلهلا وهو لا يعرفه واسمه عدى بن ربيعة فقال له : دلنى على عدى وأخلى عنك فقال له : عليك العهد بذلك ان دللتك عليه . قال : نعم . قال : فانا عدى فجزّ ناصيته وتركه وقال فيه : —

لهفَ نفسى على عدىّ ولم أعـ رف عدياً اذ امكنتنى اليدان

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان قتلهما حجر بن ضبيعة . ثم أن مهلهلا فارق قومه ولم يزل مقيما فى أخواله بنى يشكر ضجراً من الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندى وهو جد امرؤ القيس بن حجر فى الصلح بينهم والتمليك عليهم وقد كانوا قالوا أن سفهاءنا غلبوا علينا وأكل القوى منا الضعيف فالرأى أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوى ويرد الظالم ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب ، فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخميين من بنى غسان ملوك الشام . وبقى مهلهل وحيداً عند أخواله الى أن مات . قيل : وجد ميتاً بين رجلى جمل هاج عليه وقيل بل مات أسيراً . وذلك أنه لما نزل اليمن

وحينئذ لا حذف فى الكلام ويحتمل انها لام الاستغاثة والمستغاث له محذوف تقديره لكليب ، وقوله انشروا بفتح الهمزة من انشر الرباعى وهو عبارة عن احياء الموتى واخراجهم من قبورهم والفرار الهروب

نزل فى بنى جَنْب وجنب من مذحج فخطبوا اليه ابنته فقال لهم انى طريد بينكم فمتى أنكحتكم قالوا اقتسَرُوه فأجبروه على تزويجها وساقوا اليه فى صداقها أدماً فقال :

انكحها فقدُها الاراقمَ فى جنبٍ وكان الحباء من أدم

من أبيات ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الا كبر فأسره فمات فى أسره : قال السكرى فى أشعار تغلب : أسر مهلهلا عوف بن مالك أحد بنى قيس بن ثعلبة ، أتوا عوف بن مالك أحد بنى قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلا فأرسله معهم فشرب فلما رجع جعل يتغنى بهجاء بكر بن وائل فسمعه عوف بن مالك فغاظه فقال : لاجرم إن لله علىّ نذراً أن لا يشرب عندى قطرة ماء ولا خمراً حتى يورد الخضير بمعجمتين مصغراً وهو بعير لعوف لا يرد الماء الا سبعاً فقال له أناس من قومه : بئس ما حلفت فبعثوا الخيول فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ومات مهلهل عطشاً . وقيل بالقتل وكان السبب فى قتله أنه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملاه وخرج بهما الى سفر فبينما هو فى بعض الفلوات عزما على قتله فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله وقيل أوصاهما :

من مبلغُ الحيين أن مهلهلاً لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده (قيل هى ابنته) : ان مهلهلا لا يقول مثل هذا الشعر وانما أراد : —

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلاً فى الفلاة مجدّلا(١)
لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يُقْتلا

فضربوا العبدين حتى أقرا بقتله والله أعلم بحقيقة الحال . ومنهم:

---

(١) قوله مجدلا يقال جدله وجدله فانجدل وتجدل رماه وصرعه على الجدالة أى الارض

معاذ بن صرم الخزاعى

كان فارس خزاعة فى وقته . ومن خبره أن أمه كانت من عَكّ (١) وكان يكثر زيارة أخواله فاستعارَ منهم فرساً وأتى قومه فقال له رجل يقال له جُحيش ابن سَوْدة وكان له عدواً : تسابقنى على أن من سبق صاحبه أخذ فرسه ، فسابقه فسبق معاذ وأخذ فرس جحيش وأراد أن يغيظه فطعن أيطل الفرس وهو الخاصرة بالسيف فسقط . فقال جحيش : لاام لك قتلتَ فرساً خيراً منك ومن والديك فرفع معاذ السيف فضرب مفرقه فقتله . ثم لحق باخواله وبلغ الحى ماصنع ، فركب أخ لجحيش وابن عم له فلحقاه فشد على أحدهما فطعنه فقتله . وشد على الآخر فضربه بالسيف فقتله وقال فى ذلك : —

قتلت جحيشاً بعدَ قتلِ جوادِهِ ... وكنتُ قديماً فى الحوادث ذافتكِ
قصدتُ لعمروٍ بعد بدرٍ بضربة ... نخرُّ صريعاً مثلَ عائرةِ النسك (٢)
لكى يعلمَ الأقوامُ أنىَ صارمٌ ... خُزاعة أجدادى وانمى الى عَكِّ
فقد ذقت ياجحش بن سَوْدة ضربتى ... وجرّبتنى ان كنت من قبل فى شكِّ
تركت جحيشاً ثاوياً ذانوائح ... خضيبَ دم جاراته حولَهُ تبكى
ترنّ عليه أمه بانتحابها ... وتقشر جلدَىْ محجرَيْها من الحك (٣)
ليرفع أقواماً حلولىَ فيهم ... ويزرى بقوم اِن تركتهم تركى (٤)
وحصنى سراة الطِرْف والسيف معقلى ... وعطرى غبار الحرب لا عَبَق المسك (٥)

---

(١) قال الجوهرى : عك بن عدنان أخو معد وهو اليوم فى اليمن ، وهو بعينه قول الليث ومثله فى معارف ابن قتيبة وطبقات محمد بن سلام وهذا قول لائمة النسب وقيل غير ذلك مما يطول ذكره

(٢) عائرة النسك : كان الرجل من العرب فى الجاهلية اذا بلغت ابله ألفاً عار عين بعير منها فأراد بعائرة النسك ألفاً من الابل تعور عين واحد منها (والنسك العبادة) كانهم كانوا يفعلون ذلك تعبداً

(٣) رن يرن رناً صاح عند البكاء ، وقال ابن الاعرابى : الرنة صوت فى فرح أو حزن ، والانتحاب : البكاء بصوت طويل ومد ، ومحجر العين ما داربها (٤) أزرى بالشىء ازراء : تهاون به (٥) الحصن : المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه ، والسراة : الظهر ومنه الحديث

تتوق غداةَ الروع نفسى الى الوغى   كتوق القطا تسمو الى الوشل الرك (١)

ولست برعديدٍ اذا راع معضلٌ   ولا فى نوادى القوم بالضيق المُسْك (٢)

وكم ملكٍ جدلتُهُ بمُهَنَّدٍ   وسابغةٍ بيضاء محكمة السكِ (٣)

فأقام فى أخواله زماناً ، ثم إنه خرج مع بنى أخواله فى جماعة من فتيانهم يتصيدون . فحمل معاذ على عَيْرٍ فلحقه ابن خال له يقال له الغضبان ، فقال خل عن العير فقال لا ولا نعمت عين . فقال له الغضبان أما والله لو كان فيك خير لما تركت قومك . فقال معاذ «زر غباً تزدد حباً» فأرسلها مثلا . ثم أتى قومه فأراد أهل المقتول قتله . فقال لهم قومه : لا تقتلوا فارسكم وان ظلم فقبلوا منه الدية ويروى هذا المثل عن النبى صلى الله عليه وسلم واليه أشار الشاعر : —

اذا شئت ان تقلى فزر متواتراً   وان شئت أن تزداد حباً فزُرغبا

« وقال آخر »

عليك باغباب الزيارة إنها   اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن القطر يُسأمُ دآئباً   ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

ومنهم :

فسح سراة البعير وذفراه ، والطرف : الكريم من الخيل العتيق قال الراغب وهو الذى يطرف من حسنه ، والمعقل وزان مسجد : الملجأ ، والعبق : الرائحة الطيبة الذكية (١) تاقت نفسه الى الشيء اشتاقت ونازعت اليه ، والوغى : الجلبة والاصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جنى : الوعى بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها ، والوشل محركة الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلا قليلا ولا يتصل قطره أو لا يكون ذلك الا من أعلى الجبل ، والرك بالفتح ويكسر المطر القليل الضعيف أو هو فوق الدث (٢) الرعديد : الجبان يرعد عند القتال جبناً وراع أفزع ، والمعضل : الامر السديد تضيق على الانسان به الحيل ، والنوادي جمع نادي وهو المجلس ما دام القوم مجتمعين فيه واذا تفرقوا عنه فليس بندى كما فى المحكم والصحاح وقيل غير ذلك وفى هذا رد على من زعم من لغويى العصر كابراهيم اليازجى ومن على شاكلته من كل ضيق العطن من ان النوادى غير مستعمل فى جمع النادى ، والمسك : العقل (٣) جدله : رماه وصرعه على الجدالة أى الارض ؛ والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند ، والسابغة : الدرع التامة الوافرة الطويلة ، والسك : الدرع الضيقة الحلق وفى العباب اللينة الحلق

بشامة بن حزن النهشلي (١)

وهو من الفرسان الحائزين قصب السبق فى كل ميدان . له وقائع كثيرة ، وهو القائل :

اِنا محيوكِ ياسلمى فحيينا ... وانْ سَقَيْتِ كرامَ الناسِ فاسقينا (٢)
وانْ دعوتِ الى جُلّى ومكْرُمَة ... يوماً سراة كرام الناس فادعينا (٣)
انا بنى نهشلٍ لاندعى لابٍ ... عنه ولا هو بالابناء يشرينا (٤)
إن تُبتدر غايةٌ يوماً لمكرمةٍ ... تلقَ السوابقَ منا والمصلينا (٥)
وليس يهلك منا سيدٌ ابداً ... الا افتلينا غلاماً سيداً فينا (٦)
نكفيه انْ نحن متنا أن يسبَّ بنا ... وَهُوْ اذا ذكر الآباء يكفينا
إنا لنرخص يوم الرَوْع أنفسَنا ... ولو نُسام بها فى الأمن اغلينا (٧)
بيضٌ مفارِقنا تَغْلى مراجِلُنا ... نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا (٨)
اِنا لمن معشر أفنى أوائِلهم ... قول الكماة ألا أين المحامونا ! (٩)
لو كان فى الألف منا واحد فدعوا ... «مَنْ فارسٌ» خالهم اياه يعنونا (١٠)

---

(١) قال البغدادى الظاهر انه اسلامي ولم أر له ترجمة فى كتب الانساب انتهى وفي القاموس وشرحه : وبشامة بن حزن النهشلى شاعر (٢) فحيينا من التحية بمعنى السلام وقيل معنى سقيت دعوت يعنى ان دعوت الكرام بالسقيا فادعى لنا أيضا (٣) الجلى تانيث الاجل ، والسراة جمع سرى وهو الشريف والكريم يقول : ان اشدت بذكر خيار الناس بجليلة نابت أو مكرمة عرضت فاشيدى بذكرنا أيضا وهذا الكلام القصد منه الوصول الى بيان شرفه ولا سقى ثم ولا تحية (٤) بنى نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعه لقال انا بنو نهشل ومعنى لاندعى لاب لا ننتسب لاب غير أبينا ، وقوله ولا هو بالاباء الخ معناه انه راض بنا كما نحن راضون به (٥) يقال ابتدرنا الغاية والى الغاية أى استبقنا اليها ، وقوله لمكرمة أى لاكتساب مكرمة والمصلى من أسماء خيل الحلبة وهى عشرة (٦) الافتلاء الافتطام والاخذ عن الام (٧) يوم الروع يوم الحرب ، والالف فى أغلينا للاشباع (٨) بياض المفارق كناية عن نقاء العرض وانتفاء الذم والعيب ، وتغلى مراجلنا أى حروبنا ، ونأسو : نداوي ومعناه انهم أغنياء لا يطمع الناس فى مقاصتهم بل يكتفون منهم بأخذ الدية (٩) الكماة جمع كام كما يقال غاز وغزاة وذلك من قولهم كمن نفسه فى السلاح اذا توارى فيه ، يقول انى من جماعة أفنتهم الاعانة والاغاثة والنجدة والاقدام فى الحروب (١٠) خالهم أى ظنهم معناه انهم لشدة بأسهم وقوة حماستهم لا يعترفون بشجاعة غيرهم

اذا الكماة تنحوا ان يصيبهم حدُّ الظباة وصلناها بأيدينا[1]
ولا تراهم وان جلّت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره أحياناً فيفرجه عنا الحِفاظ وأسيافٌ تواتينا[2]

والفرسان كثيرون لا يستوعبهم مثل هذا المقام . وقد ذكر أبو عبيدة فى كتاب (مقاتل الفرسان) شيئاً كثيراً من دلك وهو كتاب جليل لم يسبق اليه فمن أراد الاستيفاء فعليه بذلك الكتاب . فان فيه بغيته ، ويجد هنالك ضالته ، والله ولى التوفيق .

الكلام على نيران العرب فى الجاهلية

قد أولع العرب بايقاد النيران ينبهون بها على عوارض حدثت ، وحوادث عرضت ، وهى كثيرة .

منها (نار القرى) وهى نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل ، وتسمى أيضاً (نار الضيافة) وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر وربما يوقدونها بالمندلى الرطب (وهو عطر ينسب الى مندل وهو بلد من بلاد الهند ونحوه مما يتبخر بهَ) ليهتدى اليها العميان وأشعارهم ناطقة بذلك . وهذه النار عندهم أجل سائر النيران ، بسبب أنها تهدى الى بيوتهم الضيفان ، وكانوا يتمدحون بها فى شعرهم . قال الأعشى : —

لعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نار فى يفاعٍ تُحَرَّقُ[3]
تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يصطليانهـا وبات على النار الندى والمحلّق[4]

---

(١) الظباة جمع ظبة وهى حد السيف ، وقوله وصلناها بأيدينا هذا الكلام كناية عن علو همتهم في الحرب وطول باعهم فيها (٢) الكره المكروه وركوبه كناية عن وقوعهم فيه وقصدهم اليه ، والحفاظ المحافظة والذب عن المحارم ، وتواتينا : توافقنا

(٣) اليفاع مثل سلام ما ارتفع من الارض (٤) المقرور من أصابه القر بالضم البرد أو يختص بالشتاء وعنى بالمقرورين الندى والمحلق ، الندى الجود والمحلق لقب عبد العزى بن حنتم بن شداد ابن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب العامرى ، وضبطه صاحب اللسان كمحدث لأن حصانا له

ومنها (نار المزدلفة) وهى التى توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقد النار بالمزدلفة قصى بن كلاب وهى على مايقال باقية الى اليوم .

ومنها (نار التحالف) كانوا اذا أرادوا الحلف أوقدوا ناراً وعقدوا حلفهم عندها ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ، ويحل العقد ، وكانوا يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا للحالف « هذه النار تهددتك » فان كان مبطلاً نكل وان كان بريئاً حلف ولهذا سموها أيضاً (نار المهوّل) وانما خصوها لانها لاينتفع بها من بين أنواع الحيوان غير الانسان .

ومنها (نارالغدر) كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النار بمنًى أيام الحج على أحد الأخشبين (١) ثم صاحوا هذه غدرة فلان ليحذره الناس .

عضه فى خده وكانت العضة كالحلقة هذا قول أبى عبيدة ، أو أصابه سهم عزب فكوى بحلقة مقراض فبقى أثرها فى وجهه ، وهذا أحد من رفعه ماقيل فيه من الشعر بعد الخمول وذلك أن الاعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت له : إن الاعشى قدم وهو رجل مفوه مجدود فى الشعر مامدح أحداً الا رفعه ، ولا هجا أحدا الا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتالت لك فيها تشترى به شرابا يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فانزله ونحرله ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الاعشى واصحابه وكان فى عصابة قيسية قدم اليه الشراب واشتوى اليه من كبد الناقة واطعمه من اطايبها فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكاس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس فى كلامه وذكر البنات فقال الاعشى كفيت أمرهن واصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق   وما بى من سقم ومابى معشق

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لايدرى أين يريد الاعشى بقوله إلى ان سمع :

نفى الذم عن آل المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقى تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم   مع القوم ولدان من النسل دردق
لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة   إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها   وبات على النار الندى والمحلق
رضيعى لبان ثدى أم تحالفا   باسحم داج عوض لانتفرق
ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه   كما زان متن الهندوانى رونق

فما أتم القصيدة الا والناس ينسلون إلى المحلق يهنؤنه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تمس واحدة منهن الا فى عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف

(١) الاخشبان جبلا مكة وهما أبو قبيس وقعيقعان ويقال بل هما أبو قبيس والاحمر وقال ابن وهب الاخشبان جبلا منى اللذان تحت العقبة وكل خشن غليظ من الجبال فهو اخشب

ومنها (نار السلامة) وهى التى توقد للقادم من سفر سالماً غانماً .

ومنها (نار الطرد) كانوا يوقدونها خلف من يمضى ولا يشتهون رجوعه وكانوا يقولون فى الدعاء عليه « أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً أثره »

ومنها (نار الاهبة [١]) للحرب كانوا اذا أرادوا حرباً أو توقعوا جيشاً أوقدوا ناراً على جبلهم ليبلغ الخبر فيأتونهم .

ومنها (نار الصيد) وهى نار توقد للظباء لتعشى اذا نظرت اليها ويطلب بها أيضاً بيض النعام .

ومنها (نار الاسد) وهى نار يوقدونها اذا خافوه وهو اذا رأى النار استهالها فشغلته عن السابلة . وقال بعضهم : اذا رأى الاسد النار حدث له فكر يصده عن ارادته والضفدع اذا رأى النار تحير وترك النقيق .

ومنها (نار السليم) توقد للملدوغ اذا سهر وللمجروح اذا نزف وللمضروب بالسياط ولمن عضه الكلب الكَلِب لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر ويؤدى الى الهلاك .

ومنها (نار الفداء) وذلك أن الملوك اذا سبوا القبيلة خرجت اليهم السادة للفداء فكرهوا أن يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن ، وفى الظلمة يخفى قدر ما يحبسون لانفسهم من الصفىّ فيوقدون النار ليعرضن .

ومنها (نار الوسم) كانوا يقولون للرجل ما نارك ؟ على الاستخبار عن الابل أى ماسمتك وما علامتك فى ابلك فيبينها لهم . وحكى أن بعض لصوص العرب قرب إبلا للبيع فى (سوق عكاظ) فقيل له : ما نارك ؟ وكان أغار عليها من كل وجه وانما سئل عن ذلك لانهم يعرفون ميسم كل قوم وكرم إبلهم من لؤمها . فقال :

تسألنى الباعةُ أين نارها إذ زعزعتها فسمت أبصارها [٢]

(١) بالضم العدة واهبة الحرب عدتها (٢) الباعة جمع بائع ، والنار السمة والعرب تقول

كلُّ نَجارِ ابلٍ نجـارُها وكل نارِ العالمين نارُها [١]

ويروى أن البيتين هكذا : —

تسـألنى الباعة ما نجـارها إذ زعْزعوها فسمت أبصارها
فكل دار لا ناس دارهـا وكـل نار العالمين نارها

ومنها (نار الاستمطار) كانت العرب فى الجاهلية الأولى اذا احتبس عنهم المطر يجمعون البقر ويعقدون فى أذنابها وعراقيبها [٢] السلع [٣] والعُشَر [٤] ويصعدون بها فى الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون ان ذلك من أسباب المطر وسيأتى الكلام على هذه النار عند البحث عن عوائدهم التى جبها الاسلام .

وأما (نار الحرتين [٥]) فقد كانت فى بلاد عبس فاذا كان الليل فهى نار تسطع وفى النهار دخان يرتفع وربما بدر منها عنق فأحرق من مرّ بها فحفر لها خالد ابن سنان فدفنها فكانت معجزة له كذا فى الأوائل لاسمعيل الموصلى . وروى الكلبى أنه كان يخرج منها عنق مسيرة ثلاثة أيام لا يمر بشئ الا أحرقه وأن خالد ابن سنان أخذ من كل بطن من بنى عبس رجلاً فخرج بهم نحوها ومعه درَّة حتى انتهى الى طرفها وقد خرج منهـا عنق كأنه عنق بعير فاطط بهم فقالوا هلـكت

ما نار هذه الناقة ؟ أى ما سمتها سميت ناراً لانها بالنار توسم ويروى اين دارها موضع أين نارها ، والزعزعة : الحركة الشديدة ، وسما بصره : علا (١) النجار بالكسر والضم الاصل والحسب ويقال اللون ، وقوله كل نجار ابل نجارها مثل فى المخلط قال الجوهرى أى فيه كل لون من الاخلاق ولا يثبت على رأى واحد نقله عن أبى عبيدة ونصه وليس له رأى يثبت عليه . ومن أمثالهم (نجارها نارها) أى سمتها تدل على نجارها يعنى الابل (٢) جمع عرقوب بالضم وهو من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها (٣) محركة شجر مر ، قال أبو حنيفة الدينورى أخبرنى اعرابى من أهل الشراة أن السلع ينبت بقرب الشجرة ثم يتعلق بها فيرتقى فيها حبالا خضراً لا ورق لها ولكن قضبان تلتف على الغصون وتتشبك وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار فاذا أينع اسود فتأكله القرود فقط ولا يأكله ولا السائمة ، قال ولم اذقه وأحسبه مراً قال واذا قصف سال منه ماء لزج صاف له سعابيب (٤) كصرد شجر فيه حراق مثل القطن لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشى فى المخاد لنعومته وقال ابو حنيفة العشر من العضاه وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق ينبت صعداً فى السماء (٥) هى التى ذكرها الشاعر بقوله :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

واللهِ اشياخُ بنى عبس آخرَ الدهر . فقال خالد : كلا وجعل يضرب بهبالدِرَّةِ ويقول : بدا بدا كل هدى الله يودى أنا عبد الله خالد بن سنان فضرب حتى رجع فجعل يتبعه والقوم يتبعونه كأنه ثعبان ينحك فى حجارة الحوة [1] حتى انتهى الى قائب [2] فانساب [3] فيه فدخل خلفه طويلاً فقال ابن عم له يقال له عروة بن شبه لا أرى خالداً يخرج اليكم فخرج ينطف وهو يقول زعم ابن راعنة المعزىّ إنى لا أخرج فقيل لهم بنو راعنة المعزيّ

وأما (نار السعالى) فهو شئٌ يقع بالمتغرب والمتقفر قال أبو المضراب عبيد ابن أيوب : —

وللهِ درُّ الغول أى رفيقة لصاحب دوّ خائف متقفر [4]
أرنَّت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالىّ نيراناً تبوخ وتزهر [5]

وأما (نار الُحباحب) فكل نار لا أصل لها مثل مايقتدح من نعال الدواب وغيرها

وأما (نار اليراعة) فهى طائر صغير اذا طار بالليل حسبته شهاباً وضربٌ من الفراش اذا طار بالليل حسبته شراراً . وأول من أورى نارها أبو حباحب ابن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . فقالوا (نار أبى حباحب) ومن حديثه ماذكر عن ابن الكلبى قال كان أبو حباحب رجلا من العرب فى سالف الدهر بخيلاً لا توقد له نارٌ بليل مخافة أن يقتبس منها فان أوقدها ثم أبصرها مستضئٌ اطفأها فضربت العرب به المثل فى البخل والخلف

---

(١) بالضم سواد الى الخضرة والحوة جانب الوادى (٢) هو حفر فى الارض (٣) أى مشى مسرعاً وفى الحديث : ان رجلا شرب من سقاء فانسابت في بطنه حية ، فنهى عن الشرب من فم السقاء ، اى دخلت وجرت مع جريان الماء (٤) الغول بالضم احد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم كافى حياة الحيوان ، وقال الجوهرى هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان وكل مااغتال الانسان فاهلكه فهو غول ، والدو : الفلاة الواسعة البعيدة الاطراف ، والمتقفر : المتطلب والمتتبع ، وفى حديث يحيي بن يعمر « ظهر قبلنا ناس يتقفرون العلم » أى يتطلبونه

(٥) ارنت : صاحت ، واللحن : اللغة بلغة بنى كلاب وبه فسر قول عمر (رض) : تعلموا اللحن فى القرآن أى تعلموا كيف لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم كذا فى التاج وانشد هذا البيت وآخر قبله ، وباخت النار : سكنت وفترت ، وزهرت النار زهوراً أضاءت

فقالوا (اخلف من نار أبى حباحب) وقال ابن الشجرى فى أماليه : حباحب رجل كان لا ينتفع بماله لبخله فنسب اليه كل نار لا ينتفع بها فقيل لما تقدحه حوافر الخيل على الصفا نار الحباحب ، قال النابغة فى وصف السيوف : (ويوقدن بالصفاح نار الحباحب [١]) . وجعل الكميت اسمه كنية للضرورة فى قوله : —

يرى الراؤن بالشفرات منها كنار (أبى حباحب) والظبينا [٢]

وقال القطامى

الا انما نيران قيس اذا شتوا لطارق ليل مثل نار الحباحب [٣]

انتهى وهذا هو التحقيق لا ما ذكره الموصلى تبعاً للعسكرى فى أوائله قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى فى نار التحالف : كانوا يحلفون بالنار ، وكانت لهم نار يقال أنها كانت باشواف اليمن لها سدنة فاذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع بينهم وكان اسمها (هولة) و (المهولة) ، وكان سادنها إذا أتى برجل هيبه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا وقع فيها استشاطت وتنفضت فيقول « هذه النار قد تهددتك » فان كان مريباً نكل [٤] وان كان بريئاً حلف قال الكميت : —

هم خوفونا بالعمى هوّةَ الردى كما شب نارَ الحالفين المهولُ [٥]

وقال الكميت وذكر امرأة :

---

(١) الصفاح كرمان حجارة عراض دقاق الواحدة صفاحة (٢) الشفرات جمع شفرة وشفرة السيف : حده ، وظبة السيف : طرفه وأصلها ظبو والهاء عوض من الواو والجمع أظب فى أقل العدد مثل أدل وظبات وظبوْن بالواو والنون ومعنى البيت يرى الراؤن فى شفرات السيوف وحدها لماناً وبريقاً كنار هذا الطائر والظبينا معطوف على الشفرات ، وترك الشاعر صرف ابى حباحب لانه جعل حباحب اسماً لمؤنث وروى وقود موضع كنار و (منها) الضمير فيه للسيوف
(٣) شتا الرجل بالبلد أقام به شتاء وشتا القوم أجدبوا فى الشتاء خاصة ، والطارق : الآتى بالليل وسمى لحاجته الى دق الباب وفى الحديث نهى المسافر أن يأتى أهله طروقاً أى ليلا
(٤) نكص ورجع (٥) الهوة الوهدة العميقة والحفرة البعيدة القعر ، والردى : الهلاك ، وشب النار : أوقدها ، والمهول كمحدث المحلف وهو سادن النار الذى يطرح الملح فيها

فقد صِرْتُ عماً لها بالمشيب زوالاً لديها هو الأزول[1]

كهولةِ ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هولوا[2]

وقال أوس : [3]

إذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه كما صد عن نار المهول حالفُ

وقال أيضاً فى نار الأهبة : كانوا إذا أرادوا حرباً أو توقعوا جيشاً وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبل لتجتمع اليهم عشائرهم فاذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين وقال الفرزدق :

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين أشرفتا على النيران

وكانوا يضربون المثل بنار الغضا فى الحرارة لأن الغضا من بين سائر العيدان لا يصلح الا للوقود فكانه خلق للنار لا غير قيل إن جمره يبقى أكثر من يوم

(ونار الحلفى) يضرب بها المثل فى سرعة الايقاد والانطفاء

(ونار العرفج) وتسمى (نار الزحف) وذلك لأن العرفج اذا التهبت فيه النار أسرعت وعظمت فمن كان بقربها يزحف عنها . ثم لا يلبث أن تنطفىء من ساعتها فيحتاج الذى زحف عنها الى أن يرجع اليها من ساعته فلا يزال المصطلى بها كذلك ويضرب بها المثل فيمن لا يستقر على حال « ومن الاستعارات » فى النار (نار الشرف) و (نار المسرة) و (نار الحرب) وقد أولع الشعراء بوصفها فى أشعارهم قديماً وحديثاً .

صفة اقتداح العرب بالزند والزندة

لما ذكرنا نيران العرب ومذاهبهم فيها ناسب التنبيه على منشأ مادتها عندهم وقد ذكر أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات صفة الزند والزندة وكيفية القتل فلا بأس بايراده هنا . قال : أفضل ما اتخذت منه الزناد شجرتا المرخ والعَفَار بفتح

---

(١) عن اللحيانى هو يزول فى الناس اي يكثر الحركة ولا يستقر وزول ازول على المبالغة وقال ابو السمح الازول ان يأتيه امر يمنعه الفرار (٢) الهولة : نار السدنة التى يحلفون عليها (٣) وهو ابن حجر يصف حمار وحش

العين المهملة بعدها فاء فتكون الانثى وهى الزندة السفلى مرخاً ويكون الذكر وهو الزند الاعلى عفاراً . أخبرنى بعض علماء الاعراب أن لعفار شجر يشبه صغار شجر الغبيراء[1] منظره من بعيد كمنظره . وأما المرخ فقد رأيته ينبت قضباناً سمحة طوالاً لا ورق لها . ولفضل هاتين الشجرتين فى سرعة الورى وكثرة النار سار قول العرب فيهما مثلاً فقالوا : (فى كل الشجر نار . واستمجد المرخ والعفار) أى ذهبا بالمجد فكان الفضل لهما ولذلك قال الاعشى :

زنادك خير زناد الملو ك خالط فيهن مرخٌ عفارا

ويختار أن تكون الزندة من المرخ والزند من العفار . ومن فضيلة المرخ فى كثرة النار وسرعة الورى ماذكر أبوزياد الكلابي فانه قال ليس فى الشجر كله أورى زناداً من المرخ قال وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاًوهبت الريح فحكّ بعضه بعضاً فاورى فاحترق الوادى كله . ولم نر ذلك فى شيء من الشجر . ثم بعد أن ذكر الاشجار التى تتخذ منها الزناد قال : وصفة الزندة عود مربع فى طول الشبر أو أكثر وفى عرض أصبع أواشف وفى صفحاتها فُرَضٌ وهى نقر الواحدة منها فُرضة وتجمع فُراضاً أيضاً . والزند الأعلى نحوهاغير أنه مستدير وطرفه أرق من سائره « فاماوصف الاقتداح بها » فان المقتدح إذا أراد أن يقتدح بالزناد وضع الزندة ذات الفراض بالارض ووضع رجليه على طرفيها ثم وضع طرف الزندالاعلى فى فرضة من فراض الزنده وقد تقدم فهيأ فى الفرضة مجرى للنار الى جهة الارض بحز وقد حزه بالسكين فى جانب الفرضة ثم فتل الزند بكفه كما يفتل المثقب وقد التى فى الفرضة شيئاً من التراب يسيراً يبتغى بذلك الخشنة ليكون الزند أعمل فى الزندة وقد جعل الى جانب الفرضة عند مفضى الحزّرية تأخذ فيها النار فاذا فتل الزند لم يلبث الدخان أن يظهر ثم يتبعه النار فتنحدر فى الحز وتأخذ فى الرية وتلك النار هى السقط . انتهى كلامه باختصار كثير من لب اللباب ، والله الموفق .

(١) قال المجد : الغبراء نبات كالغبيراء أو الغبراء ثمرته والغبيراء شجرته أو بالعكس

الكلام على ملوك العرب فى الجاهلية

وما يناسب ذلك

كان للعرب فى الجاهلية ملوك واقيال ، وسادات يتولون أمورهم فى سائر الاحوال ، وانى ذاكر فى هذا المقام ، من ملوك النواحى ماخصه العلماء الأعلام .

ملوك اليمن

قال ابن قتيبة وغيره : أول من حيى بتحيه الملك (أبيت اللعن وانعم صباحاً) يعرب بن قحطان فولدله يشجب وولد ليشجب سبأ . وقيل إنه أول من سبى السبى من ولد قحطان واسمه عبد شمس وقيل عامر . وأول الملوك من ولده حمير بن سبا ملك حتى مات هرماً ولم يزل الملك فى ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن حتى مضت قرون وصار الملك الى الحرث الرائش وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً فخرج من اليمن وغزا وجلب الاموال فراش الناس وبذلك سمى . وفى عصره مات لقمان صاحب النسور وهو لقمان الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم يستسقى لها فلما اهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات سمر ، من أظبٍ عُفر [1] ، فى جبل وعر ، لا يمسها القطر ، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور . فكان آخر نسوره يسمى لبداً وقد ذكرته الشعراء قال النابغة :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد [2]

وسماه لبداً معتقداً فيه أنه أبد فلا يموت ولا يذهب ويزعمون أنه حين كبر قال له : أنهض لبد ، فانت نسر الابد ! ولقمان هذا هو ممن آمن بهود عليه السلام وهلك قومه لكفرهم به فأهلكهم الله تعالى بالريح سبع ليال وثمانية أيام حسوما ،

(١) أظب جمع ظبي وعفر جمع أعفر وهو ماتعلو بياضه حمرة أو الذي في سراته حمرة واقرابه بيض أو الابيض ليس بالشديد البياض (٢) يروى امست خلاء وامسى أهلها الخ ، وأخنى عليهم الدهر : أتى عليهم واهلكهم

فلم تدع منهم أحداً . وسلم هود ومن آمن معه وارسلت عليهم يوم الاربعاء فلم تدر الاربعاء وعلى الارض منهم حى . وأما لقمان المذكور فى القرآن فهو غيره . وكان ملك الرائش مائة وخمساً وعشرين سنة وذكر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم : انشد ابن قتيبة له : —

وأحمد اسمه ياليت انى أعمَّر بعد مبعثه بعام

ثم ابرهة ذو المنار بن الرائش وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ثم افريقيس ابن ابرهة وهو الذى بنى أفريقية وبه سميت وكان ملكه مائة وستين سنة . ثم العبد بن ابرهة وهو ذو الاذعار سمى بذلك لقوم سباهم منكرى الوجوه تزعم اليمن انهم النسناس وكان ملكه خمساً وعشرين سنة . ثم هدهاد بن شُرَحبيل بن عمرو بن الرائش وهو أبو بلقيس ملك سنة واحدة . ثم بلقيس الى أن أسلمت على يدى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . ثم ناشر بن عمرو بن يعفر بن شرحبيل وكان ملكه خمساً وثمانين سنة . ثم شمر بن افريقيس وهو الذى أخرب مدينة سمرقند وبه سميت شِمرُ كند ومعنى كنَد أخربها وهو الذى سمى يرعش لارتعاش كان به . وكان ملكه مائة وسبعاً وثلاثين سنة . ثم ابنه الأقرن بن شمر يرعش وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة . ثم ابنه كليكرب ولم يغز حتى مات وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة . ثم ابنه تبع بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها . ويقال انه آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القائل فيه :

شهدت على (احمد) أنه رسول من الله بارى النسم (١)
ولو مدّ عمرى الى عمره لكنت وزيراً له وابنَ عم

ومن شعره

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحشد

(١) قوله بارىء أى خالق ، والنسم جمع نسمة وهي نفس الروح

من بعده بِلقيس كانت عمّتي ملكتهم حتّى أتاها الهُدْهد

وكان إيمانه قبل أن يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسبعمائة سنة وهو الذى غزا جَدِيساً وقتل اليمامة التى سميت جو اليمامة وقصتها شهيرة . . ثم عمرو ابن تبع أخو حسان وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة . ثم عبد كلال بن مثوب وكان على دين عيسى عليه السلام يسرّ اِيمانه وكان ملكه أربعاً وسبعين سنة . ثم تبع ابن حسان وهو الأصغر وكان الحرث بن عمرو بن حجر جد امرئ القيس ابن أخته وتبع هذا هو الذى عقد الحلف بين ربيعة واليمن وهو الذى ادخل فى اليمن دين اليهود وكان ملكه ثمانى وسبعين سنة . ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال . وقيل مزيد وكان ملكه احدى وأربعين سنة . ثم ابنه وليعة بن مرثد ملك سبعاً وثلاثين سنة . ثم ابرهة بن الصباح ملك ثلاثا وسبعين سنة وكان يكرم معداً ويعلم ان الملك كائن فى ولد النضر بن كنانة . ثم حسان بن عمرو بن تبع بن كلى كرب ملك سبعاً وخمسين سنة ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شفعه فى أسارى من قومه ثم ذو الشناتر . واسمه لخينعة ينوف ولم يكن من أهل بيت المملكة لكنه من أبناء المقاول قتله ذو نؤآس . وكان غلاماً من أبناء الملوك حسن الوجه له ذؤابتان أراده على نفسه فرماه بخنجر كان قد أعده له فقتله ورضيته حمير لأنفسها لما أراحها من ذى شناتر . وذو نؤاس صاحب الأخدود الذى ذكره الله تعالى وكان يهودياً نخذ الأخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يدَىْ رجل من قبل آل جفنة دعاهم الى اليهودية فأبوا فحرقهم . ثم ظهرت الحبشة على اليمن فحاربوا ذانؤاس أشد حرب فلما أيقن بالهلاك اعترض بفرسه فكان آخر العهد به . ثم قام بعده ذوجدن فهزمته الحبشة واقتحم البحر فهلك . وملك اليمن ابرهة الأشرم وهو الذى زحف الى مكة بالفيل فهلك جيشه وابتلى بالآكلة فحمل الى اليمن فهلك بها . وملك بعده ابنه يكسوم وساءت سيرته باليمن واستجاش عليه سيف بن ذى يزن كسرى فجيش له جيشاً عظيماً وقد مات يكسوم . وولى بعده مسروق أخوه

وهو أخو سيف لأمه فقتلت الحبشة وسبيت نساؤهم وأقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده . ثم بُعِث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانكشفت به الظلمة ، واهتدت بهديه الأمة ، واستقر الملك فى نصابه ، بعد الخلفاء الاربعة من أصحابه ، ممن وجبت طاعته ، وصحت بيعته ، كذا فى عمدة ابن رشيق ببعض زيادة . وفى لب اللباب بعد أن تكلم فى الاذواء : ومنهم ذو الكلاع الاكبر وذو الكلاع الاصغر وأدرك الاصغر الاسلام كتب اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البَجَلى فأسلم وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد وهاجر بقومه فى أيام أبى بكر رضى الله عنه الى المدينة ثم سكنوا حمص (واشتقاق الكلاع بضم الكاف وفتحها من الكلع بالتحريك وهو شقاق ووسخ يكون فى القدم يقال منه كلعت رجله) . ومنهم ذو عثكلان (بفتح العين وسكون المثلثة وهو اسم مرتجل) . وذو ثعلبان بالضم (وهو ذكر الثعالب) وذو زهران وذو مكارب (أى ذو مفاصل شداد جمع مكرب كمكرم) وذ مناخ (بالضم) وكان نزل ببعلبك . وذو ظليم واسمه حوشب (وهو العظيم البطن والظليم ذكر النعام) وشهد ذو ظليم صفين مع معاوية . انتهى المقصود من نقله . وقد رأيت كتاباً حافلا فى ملوك اليمن وبيان ما كانوا عليه وماوقع لهم من الوقائع والحوادث والله أعلم .

ملوك الشام من العرب الجاهلية

كان بالشام سليح وهم من غسان ويقال من قضاعة . أول ملوكهم النعمان ابن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم ابنه عمرو بن مالك الى خروج مُزَيْقياء وهو عمرو بن عامر من اليمن فى قومه من الأزد وسمى مزيقياء لانه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود الى لبسها ثم يهبها وسمى عامر ماء السماء[1] لانه كان

(١) ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدى وهو أبو عمرو مزيقياء الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم فسمي بذلك لانه كان اذا أجدب قومه مانهم — أى احتمل مؤنتهم أى قوتهم —

يحتبى فى المحل فينوب عن الغيث بالرفد . ثم ابن حارثة الغطريف ابن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن قاتل الجوع . ثم دراء بن الأزد ومعه رجل يقال له جذع بن سنان فنزلوا بلاد عَكّ فقتل جذع ملك بلاد عك . وافترقت الأزد والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله فحارب جرهم واجلاهم عن مكة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا إحداثاً . وجاء قصى بن كلاب فجمع معداً وبذلك سمى مجمعاً واستعان ملك الروم فأعانه وحارب الأزد فغلبهم واستولى على ملكه دونهم فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ترحلت وانخزعت خزاعة[1] لولاية البيت وبذلك سميت فسار بعض الأزد الى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم وهو أبو جذيمة الأبرش ، وسار قوم الى يثرب وهم الأوس والخزرج وسار قوم الى عمان ، وسار قوم الى الشام وفيهم جذع بن سنان وأتاه عامل الملك فى خرج وجب عليه فدفع اليه سيفه رهناً ، فقال الرومى أدخله فى كذا من أم الآخر فغضب جذع وقنعه[2] به فقتله فقيل « خذ من جذع ما أعطاك » وسارت مثلا ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو ، ومحرق سمى بذلك لأنه أول من حرق العرب فى بيوتها وهو الحارث الاكبر يكنى أبا شمر . ثم أبنه الحارث بن

حتى يأتيهم الخصب فقالوا هو ماء السماء لانه خلف منه وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشام ، قال بعض الانصار :

انا ابن مزيقيا عمرو وجدى   أبوه عامر ماء السماء

وماء السماء أيضاً لقب أم المنذر بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى وهى ابنة عوف بن جشم من النمر بن قاسط وسميت بذلك لجمالها وقيل لولدها بنو ماء السماء وهم ملوك العراق قال زهير :

ولازمت الملوك من آل نصر   وبعدهم بنى ماء السماء

وفى حديث أبى هريرة أمكم هاجر يا بنى ماء السماء يريد العرب لانهم كانوا يتبعون قطر السماء فينزلون حيث كان (١) خزاعة بلا لام حى من الازد سموا بذلك لانهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا الى مكة تخزعوا عن قومهم أى تخلفوا عنهم وأقاموا بمكة ، وفى الصحاح : لأن الازد لما خرجت من مكة لتتفرق فى البلاد تخلفت عنهم خزاعة واقامت بها . قال الشاعر :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت   خزاعة عنا فى حلول كراكر

(٢) قنع رأسه بالسيف : غشاه به ضرباً

أبى شمر وهو الحارث الاعرج وأمه مارية ذات القرطين[1] وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث ين معاوية الكندى وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار[2] الكندى . عن أبى عبيدة قال : كان أبو قيس بن رفاعة يَفِد سنة إلى النعمان اللخمى بالعراق وسنة الى الحارث بن أبى شمر الغسانى بالشام . وقال له يوماً وهو عنده : يا ابن رفاعة بلغنى عنك انك تفضل النعمان على ؟ فقال : «وكيف أفضله عليك أبيت اللعن فوالله لقفاك أحسن من وجهه . ولامك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولحرمانك أجود من نداه ، ولقليلك أنفع من كثيره ، ولثمالك أغزر من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك أفضل من شهوره . ولشهرك أبر من دهوره ، ولزندك أورى من زنده ، ولجيدك أغر من خده ، وانك لمن غسان أرباب الملوك ، وانه لمن لخم الكثيرى النوك ، فكيف أفضله عليك ؟ »والى الحارث الاعرج زحف المنذر الاكبر فانهزم جيشه وقتل هو ثم الحرث الاصغر . ثم الحرث الاعرج بن الحرث الاكبر . ومن ولد الحرث الاعرج عمرو بن الحرث وكان يقال له أبو شمر الاصغر . وله يقول النابغة الذبيانى : —

علىَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمة   لوالده ليست بذات عقاربِ[3]

---

(١) القرط الشنف أو المعلق فى شحمة الاذن وفى المثل خذه ولو بقرطى مارية قال في التاج : هى بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية الكندى أم الحرث بن أبى شمر الغسانى وهى أول عربية تقرطت وسار ذكر قرطيها فى العرب وكانا نفيسى القيمة قيل أنهما قوما بأربعين ألف دينار وقيل كانت فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما وقيل هى امرأة من اليمن أهدت قرطيها إلى البيت يضرب فى الترغيب فى الشيء وايجاب الحرص عليه أي لايفوتنك على حال وان كنت تحتاج فى احرازه الى بذل النفائس

(٢) قال أبو عبيد أخبرنى ابن الكلبى أن حجراً انما سمى آكل المرار لان ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له ابن هبولة فقالت له ابنة حجر كأنك بأبى قد جاء كانه جمل آكل المرار يعنى كاشراً عن انيابه فسمى بذلك وقيل غير ذلك ، والمرار بالضم شجر مر من أفضل العشب وأضخمه اذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها فبدت أسنانها واحدته مرارة (٣) قوله ليست بذات عقارب أى هينة غير ممنونة والعقارب المنن على التشبيه وعيش ذو عقارب اذا لم يكن سهلا وقيل فيه شر وخشونة قال الاعلم :

حتى اذا فقد الصبو   ح يقول عيش ذو عقارب

والنعمان بن الحرث هو أخو الحرث الأصغر . وله يقول النابغة :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه　　مستقبل الخير سريع التمام

وللنعمان هـذا ثلاثة بنين عمرو وحجر والنعمان . ومن ولد الاعرج أيضاً المنذر والأيهم أبو جبلة ، وجبلة آخر ملوك غسان وكان طوله اثنى عشر شبراً وهو الذى تنصر [1] فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

ملوك الحيرة من العرب

الحيرة هى أرض فى العراق بلدة كانت قريبة من الكوفة . قال الهمدانى فى كتاب (جزيرة العرب) : سار تبع أبو كرب فى غزوته الثانية فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله وتخلف معه من ثقل من أصحابه فى نحو اثنى عشر ألفاً وقال تحيروا هذا الموضع فسمي الموضع الحيرة (وهو من قولهم تحير الماء اذا اجتمع وزاد وتحير المكان بالماء اذا امتلأ) ، فمالك أول ملوك الحيرة وأبوهم وكانوا يملكون ما بين الحيرة والانبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البرارى الغمير والقطقطانة وحفية وكان مكان الحيرة أطيب البلاد وأرقه هواء وأخفه ماء وأعذبه تربة واصفاه جواً قد تعالى عن عمق الارياف، واتضع عن حزونة الغائط واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام لانها كانت من ظهر البرية على مرفأ [2] سفن البحر من الهند والصين وغيرهما انتهى . . قال ابن رشيق فى العمدة : وملك بعد مالك بن فهم ابنه جذيمة بن مالك وهو الابرش والوضاح وكان ملكه ستين سنة . ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى

---

(١) حدثنا شيخنا المؤلف أنه عثر بعد تأليف هذا الكتاب وطبعه على نسخة مخطوطة قديمة من كتاب (ما اتحد لفظه واختلف معناه) لابن الشجرى، فرأى فيه تكذيب قصة جبلة مع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيه أن جبلة ارتد من نفسه ، وهذا الكتاب أرسله صاحبه بواسطة الاستاذ الى بعض الوراقين فى مصر للطبع فانكره عامله الله بعدله ويقال أنه قد باعه لبعض الافرنج والطامة أعظم ! والكتاب نفيس جم الفوائد كبير المنفعة فريد فى بابه نادر الوجود (٢) يقال رفأ السفينة يرفؤها رفأ ادناها من الشط والموضع مرفأ بالفتح ويضم كمكرم واختاره الصاغانى

وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الابرش وفيه قيل« شب عمرٌوعن الطوق [١] » ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدى . ويقال بل الحرث بن عمرو وانه هو الذى كان يدعى محرقاً . ثم النعمان بن امرئ وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخورنق ، وكانت له خمس كتائب الرهائن والصنائع والوضائع والأشاهب ودوسر أما (الرهائن)فانهم خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة، ثم يجئ بدلهم خمسمائة أخرى وينصرف أولئك الى احيائهم فكان الملك يغزو بهم ويوجههم فى أموره . وأما (الصنائع) فبنوقيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . وأما (الوضائع) فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب وكانوا أيضاً يقيمون سنة ثم يأتى بدلهم الف رجل وينصرف أولئك وأما (الأشاهب) فاخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم سموا الأشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه . وأما (دوسر) فانها كانت أخشن كتائبه وأشدها بطشاً ونكاية » وكانوا من كل قبائل العرب وأكثرهم من ربيعة سميت دوسراً اشتقاقا من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطئتها قال الشاعر :

ضربتْ (دوسرُ) فيهم ضربةً   أثبتت أوتادَ ملكٍ فاستقرْ [٢]

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك أيام الربيع تأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن وقد صير لهم أكلاً عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم ؛ (والآكال سادة الاحياء الذين يأخذون المرباع [٣]) . ثم المنذر بن امرىء القيس وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أبو النعمان الأكبر . ثم المنذر بن المنذر وهو الاصغر .

---

(١) يضرب مثلا للشيء يكبر عنه الانسان واياه عنى السرى بقوله :

تصابى فاضحى بعد سلوته شبا   وعاود عمرو طوقه بعد ماشبا

(٢) البيت للمثقب العبدى يمدح عمرو بن هند (٣) بكسر الميم ربع الغنيمة كان رئيس القوم يأخذه لنفسه فى الجاهلية ثم صار خمساً فى الاسلام

ثم أخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند وسمى محرقا أيضاً [١] لانه حرق بنى تميم . وقيل بل حرق نخل اليمامة . ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني وهو آخر ملوك لخم . ثم ولى بعده إياس بن قبيصة الطائى ثمانية أشهر . واضطرب ملك فارس وضعف وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله تعالى بالاسلام فعز أهله بالنبى عليه الصلوة والسلام .

قصة عمرو بن عدى اللخمى
أول ملوك الحيرة من لخم مع خبر عدى

ملك عمرو بن عدى الحيرة بعد خاله جذيمة مائة وثمان عشرة سنة وهو أول من ملك من ملوك لخم وكان مدة ملك لخم بالحيرة خمسمائة سنة ، وكان من حديث عدى أن جَذِيمَةَ قال ذات يوم لندمائه : لقد ذكر لى غلام من لخم فى اخواله من بنى إياد له ظرف وأدب فلو بعثت إليه ووليته كأسى ، والقيام على رأسى ، لكان الرأى . فقالوا : الرأى ما رآه الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال : من أنت ؟ قال : أنا عدى بن نصر فولاه مجلسه فعشقته رقاش بنت مالك أخت

---

(١) كان عمرو بن هند شديد البأس وكان له أخ مسترضع فى بنى تميم فخرج يوماً يتصيد فمر بابل لرجل من بنى تميم فرأى فيها ناقة حسنة فرماها فعقرها فجاء صاحبها فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله ، فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بنى تميم مائة بدلا منه فغزاهم يوم اوارة فسبى ما أصاب فى بلادهم واقبل يقتلهم على الثنية وآلى ليقتلنهم حتى يبلغ الدم الى الارض وليحرقنهم فقيل له أيها الملك لترفهن السيف أوقد أفنيتهم ! فقال والله لاتركنهم أو تأتونى بمائة رجل من خيارهم فطلبوا فلم يوجد منهم الا تسعة وتسعون رجلا فلما جىء بهم أمر بحفر زبية فاحتفرت له ، ثم قال اضرموا ناراً والقوا فيها الحطب فاججت نار عظيمة فقال القوا فيها رجلا رجلا وبقى واحد من نذره فبينماهم كذلك اذهم برجل راكب قد طلع عليهم وكان من البراجم فأبصر الدخان ووجد قتار لحومهم (أى ريح لحومهم وعظامهم المحرقة) على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس فاقبل نحوهم فلما بلغ ورأى مارأى جزع فقال عمرو انظروا من الرجل فأخذ فأتى به اليه فقال من أنت ؟ فقال أبيت اللعن انا وافد البراجم ، فقال عمرو : (ان الشقى وافد البراجم) ، ثم أمر به فقذف فى النار فتم نذره ، والبراجمة من بنى تميم ، وفى ذلك يقول جرير يعير الفرزدق :

واخزاكم عمرو كما قد خزيتم   وادرك عماراً شقى البراجم

جذيمة فقالت له : ياعدى اذا سقيت القوم فامزج لهم وعرق للملك (أى أمزج له قليلا كالعرق) فاذا أخذت الخمر منه فاخطبنى اليه فانه يزوجك فاشهد القوم ان فعل . ففعل الغلام وخطبها فزوجه واشهد عليه وانصرف اليها فعرفها فقالت : عرس بأهلك . فلما أصبح غدا متضمخاً بالخَلوق [١] فقال له جَذيمة : ماهذه الآثار ياعدىّ ؟ قال : آثار العرس . قال : وأى عرس ؟ قال . عرس رَقاشِ . فنخر [٢] وأكب على الأرض ورفع عدىٌّ جراميزَه [٣] فأسرع جذيمة فى طلبه فلم يجده وقيل بل قتله وبعث اليها : —

حدثينى وأنت لاتكذبينى　　أبحرٍ زنيتِ أم بهجين [٤]
أم بعبدٍ فأنت أهلٌ لعبد　　أم بدون فأنتِ أهلٌ لدونِ [٥]

فأجابته رقاش

أنتَ زوجتنى وما كنت أدرى　　وأتانى النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفاً　　وتماديك فى الصبا والمجُون [٦]

فنقلها جَذيمة اليه وحصنها فى قصره فاشتملت على حمل وولدت غلاماً فسمته عمراً حتى إذا ترعرع حلته وعطرته ثم ازارته خاله فاعجب به وألقيت عليه محبة منه . ثم ان جذيمة نزل منزلاً وأمر الناس أن يجتنوا له الكمأة فكان بعضهم إذا وجد شيئاً منها يعجبه آثر به نفسه على جذيمة وكان عمرو بن عدى يأتيه بخير مايجد فعندها يقول عمرو :

هذا جَناى وخيارُه فيه　　اذ كل جان يَدُه الى فيه

ثم ان الجن استهوته فطلبه جذيمة فلم يسمع له خبراً فكف عنه ثم أقبل رجلان

---

(١) التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر ، والخلوق على وزن صبور ضرب من الطيب
(٢) أى مد الصوت والنفس فى خياشيمه (٣) أى نكص وفر (٤) رواية القاموس : (حدثينى وأنت غير كذوب) ، والهجين : اللئيم (٥) عبد ولد من أمة أو من أبوه خير من أمه ، والدون : الخسيس (٦) المدامة : الخمرة ، وصرفاً أى لم تمزج ، والمجون : الهزل

من بنى القين يقال لأحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا فالج ويروى فارح[1] — من الشام وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها أم عمرو فنصبت لهما قدراً وهيأت لهما طعاماً فبينما هما يأكلان اذ أقبل رجل أشعث الرأس قد طالت أظفاره وساءت حاله ومدّ يده فناولته القينة طعاماً فأكله، ثم مدّ يده فقالت القينة أعطى العبد كراعاً فطلب ذراعاً فأرسلتها مثلا. ثم ناولت صاحبيها من شرابهما وأوكت سقاءها. فقال عمرو بن عدى :

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرٍو ... وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أمَّ عمرٍو ... بصاحبك الذى لا تُصبحينا[2]

ويروى هذا الشعر لعمرو بن كلثوم التغلبى. ويقال ان عمرو بن كلثوم أدخله فى معلقته فقال له الرجلان : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن عدى فقاما إليه وسلما عليه وقلما أظفاره وقصرا من شعره وألبساه من طرائف ثيابهما. وقالا : ما كنا نهدى الى الملك هدية هى أنفس عنده ولا هو عليها أحسن عطاء من ابن اخته قد رده الله عليه فلما وقفا بباب الملك بشراه فسرّ به وصرفه الى أمه وقال: لكما حكمكما. فقالا : حكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا. قال : ذلك لكما. فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة بقوله فى مرثيته لأخيه مالك بن نويرة

وكنا كندمانَىْ جذيمةَ حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا[3]

---

(١) فى القاموس ابنا فارج (بالراء والجيم) قال الشارح كذا في العباب ويقال ابنا فالج أيضاً باللام كما فى شرح الدريدية لابن هشام اللخمى (٢) قوله صددت المشهور صبنت أى صرفت وصبحت فلاناً أى ناولته صبوحاً من لبن أو خمر، وقد زعم بعض الرواة أن هذين البيتين لعمرو بن معديكرب وأخذهما عمرو بن كلثوم في معلقته (٣) الحقبة من الدهر مدة لا وقت لها، ويضرب المثل بمالك وعقيل لطول ما نادماه كما يضرب باجتماع الفرقدين، والبيتان من قصيدته المشهورة المتخيرة فى المراثى ونذكر بعضاً منها فمن ذلك قوله :

أقول وقد طار السنا فى ربابه ... وغيث يسح الماء حتى تريعا

سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ... ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا

وآثر سيل الواديين بديمة ... ترشح وسمياً من النبت خروعا

تحيته منى وان كان نائياً ... واضحى تراباً فوقه الارض بلقعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكاً   لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

وقال أبو خراش الهذلى يرثى أخاه عروة :

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا   نديما صفاء مالك وعقيل

وروى أن جذيمة كان لاينادم أحداً كبراً وزهواً وكان يقول : أنا أعظم من أن أنادم الا الفرقدين فكان يشرب كأساً ويصب لكل واحد منهما كأساً فلما أتى مالك وعقيل نادماه أربعين سنةً ماأعاداعليه حديثاً ثم ان أم عمرو جعلت فى عنقه طوقاً من ذهب لنذر كان عليها ثم أمرته بزيارة خاله فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال «شب عمرو عن الطوق »فذهبت مثلاً وأقام عمرو مع خاله جذيمة قد حمل عنه عامة أمره الى أن قتل

فما وجد اظآر ثلاث روائم   واين مجراً من حوار ومصرعا
يذكرن ذا البث الحزين ببثه   إذا حنت الاولى سجعن لها معا
بأوجع منى يوم فارقت مالكا   ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وفيها: وكنا كندمانى جزيمة الخ البيتين

وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا   أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فان تكن الايام فرقن بيننا   فقد بان محموداً أخى يوم ودعا
تقول ابنة العمرى مالك بعدما   أراك حديثا ناعم البال أفرعا
فقلت لها: طول الاسى اذ سألتنى   ولوعة حزن تترك لوجه أسفعا
وفقد بنى ام تداعوا فلم أكن   خلافهم ان استكين واضرعا
ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة   ورزءا بزوار القرائب أخضعا
ولا فرح ان كنت يوما بغبطة   ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا
ولكننى امضى على ذاك مقدماً   اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا
فعمرك الا تسمعينى ملامة   ولا تنكئى قرح الفؤاد فييجعا
وقصرك انى قد شهدت فلم أجد   بكفى عنه للمنية مدفعا
فلو ان ماألقى أصاب متالعا   أو الركن من سلمى اذاً لتضعضعا

وفيها :

لقد كفن المنهال تحت ردائه   فتى غير مبطان العشية أروعا
ولا برم تهدى النساء لعرسه   اذ القشع من برد الشتاء تقعقعا
لبيبا أعان اللب منه سماحة   خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا
تراه كنصل السيف يهتز للندى   اذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا
اذا ابتدر القوم القداح واوقدت   لهم نار ايسار كفى من تضجعا
بمثنى الايادى ثم لم تلف مالكا   على الفرث يحمى اللحم ان يتمزعا

قصة قصير مع الزباء وخبر قتل جذيمة

كان جذيمة من أفضل الملوك رأيا وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكايةً . وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق كما مر . وكانت منازله ما بين الانبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقُطقُطانة والحيرة فقصد فى جموعه عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العاملى من عاملة العماليق فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفض جموعه فانفلوا وملكوا بعده عليهم ابنته الزباء . وكانت من أحزم النساء ما رؤى فى نساء زمانها أجملَ منها ، وكانت كبيرة الهمة فخافت أن يغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقاً[1] فى حصن كان لها على شاطىء الفرات وسكرت الفرات فى وقت قلة الماء وبنت فى بطنه أُزجا[2] من الآجر[3] والكِلْس[4] متصلا بذلك النَفَق وجعلت نفقاً آخر فى البرية متصلا بمدينة أختها ثم أجرت الماء عليه فكانت اذا خافت عدوًّا دخلت النفق . فلما استجمع لها أمرها أرادت أن تغزو جذيمة ثائرة بأبيها فقالت لها أختها . وكانت ذات رأى وحزم : الرأىُ ابعثى اليه فاعلميه أنك قد رغبت فى ان تتزوجيه وتجمعى ملكك الى ملكه وسليه أن يجيبك فان اغتر ظفرت به بلا مخاطرة . فكتبت اليه بذلك فاستخفه الطمع وشاور أصحابه فكلٌّ صوّب رأيه فى قصدها واجابتها إلا (قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم) فقال : «هذا الرأى فاتر ، وغدر حاضر ، فان كانت صادقة فلتُقبل اليك والاّ فلا تمكنها من نفسك » فلم يوافق جَذيمة قوله ورحل اليها ، فلما دخل عليها أمرت بقطع

---

(١) محركة سرب فى الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه قوله تعالى فان استطعت أن تبتغى نفقاً فى الارض أوسلما فى السماء (٢) فى القاموس الازج محركة ضرب من الابنية وفى الصحاح والمصباح واللسان : الازج بيت يبنى طولا ويقال له بالفارسية أوستان (٣) هو اللبن بكسر الباء اذا طبخ بمد الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف الواحدة آجرة وهو معرب

(٤) بالكسر النورة وأخلاطها قال عدى بن زيد العبادى :

شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير فى ذراه وكور

رواهشه[١] ونزف دمه[٢] الى أن مات فخرج قصير الى عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة ، فقال : هل لك فى أن أصرف الجنود اليك على ان تطلب بدم خالك ، فجعل ذلك له فأتى القادة والاعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال والكنوز فانصرف اليه منهم بشر كثير وملكوا عمرو بن عدىّ فقال قصير : انظر ما وعدتنى به فى الزباء . قال : وكيف وهى (امنع من عُقاب الجو[٣]) فقال اذا أبيتَ فانى جادعٌ أنفى وأذنى ومحتال لقتلها فاعنّى وخَلاكَ ذمٌّ . فقال له عمرو : أنت أبصر فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء . فقال : أنا قصير لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد كان أنصح لجذيمة منى ولا أغش لك حتى جدع عمرو بن عدىّ أنفى وأذنى فعرفت أنى لم أكن مع أحد أثقل عليه منك . فقالت : أى قصير نقبل ذلك منك ونصرفك فى بضاعتنا فأعطته مالاً للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظن أنه يرضيها وانصرف اليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحت به وزادته ولم يزل بها حتى آنست به ، فقال لها يوماً إنه ليس من ملكة ولا ملك الا وينبغى لها ان تتخذ نفقاً تهرب اليه عند حدوث حادثة . فقالت : إنى قد فعلت ذلك تحت سريرى هذا يخرج الى نفق تحت سرير أختى وأرته إياه فأظهر سروراً بذلك وخرج فى تجارته كما كان يفعل وعرف عمرو بن عدىّ ما فعله فركب عمرو فى ألفَىْ دارع على ألف بعير فى جُوالق حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير ودخل على الزباء ، فقال : اصعدى حائط مدينتك فانظرى إلى مالكِ فانى قد جئت بمال صامت[٤] وقد كانت أمِنَتْه فلم تكن تتهمه . فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت وقيل انه مصنوع منسوب اليها :

(١) هى عروق ظواهر الكف (٢) أي سال دمه حتى افرط (٣) مثل يضرب فى الرفعة والمنعة ويقال ان أول من تكلم به هو عمرو بن عدى (٤) الصامت من المال الذهب والفضة والناطق منه الحيوان من الابل والغنم

ماللجمال مشيها وئيدا   أجندلاً يحملن أم حديدا[1]

الأبيات المشهورة . فلما دخلت الابل خرجوا من الجوالق فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف ودخلوا عليها قصرها فهربت تريد السرب فوجدت قصيراً قائماً عنده بالسيف فانصرفت راجعة واستقبلها عمرو بن عدى فضربها وقيل بل مصّت خاتمها ، وقالت « بيدى لا بيد عمرو » وخربت المدينة وسبيت الذرارى وغنم عمرو كل شئ كان لها ولأبيها وأختها ، والله مالك الأمر كله [2]

---

(١) مشى مشياً وئيداً أى على تؤدة ، والجندل مايقله الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله

(٢) قلت : وقد ذكر عدى بن زيد العبادى غدر الزباء بجذيمة الابرش فى قصيدة طويلة فاحببت أن أورد منها مايناسب المقام ، قال :

الا ياأيها المثرى المرجى   الم تسمع بخطب الأولينا
دعا (بالبقة) الامراء يوماً   (جذيمة) ينتحى عصباً ثبينا
فطاوع أمرهم وعصى (قصيراً)   وكان يقول لو تبع اليقينا
ودست فى صحيفتها اليه   ليملك بضعها ولأن تدينا
ففاجأها وقد جمعت فيوجاً   على أبواب حصن مصلتينا
فاردته ورغب النفس يردى   ويبدى للفتى الحين المبينا
وحدثت (العصا) الانباء عنه   ولم أر مثل فارسها هجينا
وقددت الاديم لراهشيه   والفى قولها كذباً ومينا
ومن حذر الملاوم والمخازى   وهن المندبات لمن منينا
أطف لانفه الموسى قصير   ليجدعه وكان به ضنينا
فاهواه لمارنه فاضحى   طلاب الوتر مجدوعاً مشينا
وصادفت امرءاً لم تخش منه   غوائله وما أمنت أمينا
فلما ارتد منها ارتد صلباً   يجر المال والصدر الضغينا
اتتها العيس تحمل مادهاها   وقنع في المسوح الدارعينا
ودس لها على الانفاق (عمراً)   بشكته وما خشيت كمينا
فجللها قديم الاثر عضباً   يصك به الحواجب والجبينا
فأضحت من خزائنها كأن لم   تكن (زباء) حاملة جنينا
وابرزها الحوادث والمنايا   وأى معمر لايبتلينا
اذا أمهلن ذا جد عظيم   عطفن له ولو فرطن حينا
ولم أجد الفتى يلهو بشئ   ولو اثرى ولو ولد البنينا

ألقاب الملوك الدائرة بين العرب

وما يناسب ذلك

كانت العرب تسمى (قيصر) لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم قال المسعودى فى كتابه مروج الذهب : وتفسير (قيصر) أى شق عنه وذلك أن أغستس الذى هو الثانى من ملوكهم ماتت أمه وهى حامل به فشق بطنها فكان هذا الملك يفتخر فى وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم انتهى . وتسمى من ملك الفرس (بكسرى) و (النجاشى) لمن ملك الحبشة و (المقوقس) لمن ملك الاسكندرية . و (فرعون) لمن ملك مِصْرَ كافراً . و (بطليموس) لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ذكرها الحافظ عماد الدين المعروف بابن كثير الدمشقى فى تاريخه المسمى بالبداية والنهاية . واذوآء اليمن بعضهم ملوك وبعضهم أقيال والقيل دون الملك . قال فى الصحاح : والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم والمرأة قيلة واصله قيل بالتشديد كأنه الذى له قول أى ينفذ قوله والجمع أقوال وأقيال أيضاً ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدداً والمقول بالكسر القيل أيضاً بلغة أهل اليمن والجمع المقاول . وفى القاموس : القيل الملك أو من ملوك حمير يقول ماشاء فينفذ كالقيل أو هو دون الملك الأعلى ، وفيه أيضاً أن التبابعة ملوك اليمن الواحد كسكر ولا يسمى به إلا اذا كانت له حمير وحضرموت . وفى كتاب أسرار اللغة : أرداف الملوك فى الجاهلية الوزراء فى الاسلام والردافة كالوزارة قال لبيد :

وشهدت أندية الافاقة عالياً   كعبى وارداف الملوك شهود

والاقيال لحمير كالبطاريق للروم والقواد للعرب انتهى . وفى لب اللباب : الردف بكسر فسكون هو الذى يجلس على يمين الملك فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك قعد الردف فى موضعه وكان خليفته على الناس

حتى ينصرف واذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة ، وكان لهم « عرفاء » والعريف عندهم القيم بأمر القبيلة والمحلة يلى أمرهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم ، وهو الذى عناه طريف بقوله :

أو كلما وردتْ عكاظَ قبيلةٌ ... بعثوا الىَّ عَريفهم يتوسمُ (١)

(١) كانت فرسان العرب اذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضاً تقنعوا حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريف بن تميم العنبرى هذا انه كان لا يتقنع كما يتقنعون فوافى عكاظ سنة وقد حشدت بكر بن وائل وكان طريف قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى فقال حصيصة بن شراحيل أرونى طريفاً فأروه اياه فجعل كلما مر به طريف تأمله ونظر اليه حتى فطن له طريف فقال له : مالك تنظر الى مرة بعد مرة ؟ فقال : اتوسمك لاعرفك فلله على لئن لقيتك فى حرب لاقتلنك أو لتقتلنى فقال طريف عند ذلك :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا الي عريفهم يتوسم ؟
فتوسمونى اننى انا ذالكم ... شاكى السلاح فى الحوادث معلم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة ... زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى أسيد والهجيم ومازن ... واذا حللت فحول بيتى خضم

ثم ان بنى عائذة حلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان خرج منها رجلان يصيدان فعرض لهما رجل من بنى شيبان فذعر عليهما صيدهما فوثبا عليه فقتلاه فثارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هانىء بن مسعود وهو رئيسهم : يابنى ربيعة ان اخوانكم قد أرادوا ظلمكم فانحازوا عنهم ففار قومهم فسازوا حتى نزلوا بمنابض ماء لهم فأبق عبد لرجل من بنى ربيعة وسار الى بلاد تميم فاخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على منابض وهم بنو ربيعة والحى الجريد المنتقى من قومه فقال طريف : هؤلاء ثارى يا آل تميم انما هم أكلة رأس وأقبل فى بنى عمرو بن تميم فانذرت بهم بنو ربيعة فانحاز بهم هانىء بن مسعود رئيسهم الى علم منابض وأقاموا عليه وسرحوا بالاموال والسرح وصبحتهم تميم فقال لهم طريف : افزعوا من هؤلاء الاكلب يصف لكم ماوراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : اتقاتل أكلباً أحرزوا أنفسهم وتترك اموالهم ماهذا برأى ! وأبوا عليه ، وقال هانىء لاصحابه لا يقاتل رجل منكم فلحقت تميم بالنعم والعيال فأغاروا عليهما فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هانىء لاصحابه : احملوا عليهم فهزموهم وقتل يومئذ طريف بن العنبرى قتله حصيصة الشيبانى ابن شراحيل وقال فى ذلك

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل ... سفهاً وأنت بمعلم قد تعلم
واتيت حياً فى الحروب محلهم ... والجيش باسم ابيهم يستهزم
فوجدت قوماً يمنعون ذمارهم ... بسلا اذا هاب الفوارس اقدموا
واذا دعوا ببنى ربيعة شمروا ... بكتائب دون النساء تلملم
حشدوا عليك وعجلوا بقراهم ... وحموا ذمار ابيهم ان يشتموا
سلبوك درعك والأغر كليهما ... وبنو أسيد اسلموك وخضم

يريد أن له على كل قبيلة جناية فاذا وردوا عكاظ طلبه الكافل بأمرهم وهذا مدح فى العرب للجرىء منهم . وقيل انما بمشوا اليه لأنه لايتم اظهار مفاخرهم الا بحضرته لانه الرئيس على كل شريف ، والقاضى على كل مجد منيف ، وقد جاء ذكر العريف فى حديث رواه أبو داود فى سننه قال حدثنا مسدد حدثنا بشر بن الفضل حدثنا غالب بن القطان عن رجل عن أبيه عن جده : انهم كانوا على منهل من المناهل فلما بلغهم الاسلام جعل صاحب الماء لقومه مائة من الابل على أن يسلموا فأسلموا وقسم الابل بينهم وبدا له أن يرتجعها منهم فأرسل ابنه إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ائت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقل له أبى شيخ كبير وهو عريف الماء وانه يسألك أن تجعل لى العرافة بعده فأتاه فقال إن أبى يقرئك السلام . فقال : عليك وعلى أبيك السلام . فقال : إن أبى جعل لقومه مائة من الابل على أن يسلموا فأسلموا وحسن اسلامهم ثم بدا له أن يرتجعها منهم أفهو أحق بها أم هم ؟ قال : ان بدا له أن يسلمها اليهم فليسلمها وان بدا له أن يرتجعها منهم فهو أحق بها منهم فان أسلموا فلهم اسلامهم وان لم يسلموا قوتلوا على الاسلام . فقال : إن أبى شيخ كبير وهو عريف الماء وانه يسألك أن تجعل لى العرافة بعده فقال ان العرافة حق ولابد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار . قوله العرافة حق يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقاً فى الأمور ألا ترى أنه قال ولابد للناس من عرفاء . وقوله العرفاء فى النار معناه التحذير من التعرض للرئاسة والتأمر على الناس لما فى ذلك من المحنة والفتنة وانه اذا لم يقم بحقه ولم يؤد الامانة فيه أثم واستحق من الله سبحانه العقوبة وخيف عليه دخول النار « وأما الرائد » فهو الذى كان يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ للنزول عليه . وكان لكل قبيلة من العرب رائد له بصر وخبرة بمجال الأراضى والمياه وغير ذلك . قال الشاعر :

وقال رائدهم : ارسوا نزاولها فكل حتف امرىء يجرى بمقدار

أى أقيموا نقاتل فان موت كل نفس يجرى بقدر الله تعالى لا الجبن ينجيه ولا الاقدام يرديه .

شروط السؤدد عند العرب

قال الجاحظ فى كتاب شرائع المروة : كانت العرب تسود على أشياء أما مضر فتسود ذا رأيها ، وأما ربيعة فمن أطعم الطعام ، وأما اليمن فعلى النسب ، وكان أهل الجاهلية لا يسوّدون الامن تكاملت فيه ست خصال : السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان وصار فى الاسلام سبعاً . وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سُدْتَ قومك ؟ قال ببذل الندى وكفّ الأذى ونُصرة المولى ، وتعجيل القِرَى . وقد يسود الرجل بالعقل والعفة والادب والعلم . قال بعضهم : السؤدد اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة . وروى عن أبى بكر قال أخبرنى الرياحى عن العتبىّ عن رجل من الانصار من أهل المدينة قال قال معاوية لعَرَابة بن اوْس ابن حارثة الانصارى : بأى شئ سدت قومك يا عرابةُ ؟ قال اخبرك يامعاوية بأنى كنت لهم كما قال حاتم . قال: وكيف ؟قال فأنشده :

فاصبحتُ فى أمر العشيرة كلها ... كذى الحلم يرضى مايقول ويعرف
وذلك أنى لا أُعادى سراتهم ... ولا عن أخى حراتهم اتنكف[1]
وانى لأعطى سائلى ولربما ... أُكاف ما لا أستطيع فاكلف
وانى لمذموم اذا قيل حاتم ... نبا نبوةً انّ الكريم يعنف

وانى — والله — لأعفو عن سفيههم ، وأحلم عن جاهلهم ، وأسعى فى حوائجهم وأعطى سائلهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل

---

(١) السراة الاشراف ، ونكف عنه : انف منه وامتنع ، ورواية البيت فى ديوان حاتم المطبوع فى لندن سنة ١٨٧٢ م :

وانى أرمى بالعداوة أهلها ... وانى بالاعداء لااتنكف ... (فليحقق)

منى ، ومن قصر عن فعلى فأنا خير منه . فقال معاوية : لقد صدق الشماخ اذ يقول فيك : —

رأيت عَرَابة الأوسىَّ يسمو الى الخيرات منقطعَ القرين
اذا ماراية رُفعتْ لمجدٍ تلقاها عَرَابةُ باليمين[1]

وقال الاصمعى : ذكر أبو عمرو بن العلاء عيوبَ جميع السادة وما كان فيهم من الخلال المذمومة الى أن قال : مارأيت شيئاً يمنع من السؤدد الا قدرأيناه فى سيدٍ ، وجدنا الحداثة تمنع السودد وساد أبوجهل بن هشام وماطر شاربه ودخل دار الندوة [2] وما استوت لحيته ووجدنا البخل يمنع السؤدد ، وكان أبو سفيان بخيلا عاهراً . وكان عامر بن الطفيل بخيلا قاهراً وكان سيداً والظلم يمنع من السؤدد ، وكان كليب بن وائل ظالماً وكان سيد ربيعة ، وكان حذيفة بن بدر ظالماً وكان سيد غطفان والحمق يمنع السؤدد ، وكان عيينة بن حصن أحمق وكان سيداً وقلة العدد تمنع السؤدد ، وكان شبل بن معبد سيداً ولم يكن بالبصرة من عشيرته رجلان والفقر يمنع السؤدد . وكان عتبة بن ربيعة مملقاً [3] وكان سيداً . وينبغى أن الذى يسوده قومه لايسودونه الا لشىء من الخصال الجميلة والامور المحمودة رآها قومه فيه فسودوه لأجلها والله الموفق .

---

(١) ذكر المبرد وابن قتيبة ومحمد بن سعد أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقيه عرابة بن أوس فسأله عما اقدمه المدينة فقال : أردت ان امتار لاهلى وكان معه بعيران فأوقرهما عرابة تمراً وبراً وكساه واكرمه فخرج من المدينة وامتدحه بالقصيدة التى يقول فيها :
رأيت عرابة الاوسي يسمو الخ ...

(٢) هى بمكة معروفة بناها قصى بن كلاب لانهم كانوا يندون فيها أى يجتمعون للمشاورة كما فى الصحاح وقال ابن الكلبي وهى أول دار بنيت بمكة بناها قصي ليصلح فيها بين قريش ثم صارت لمشاورتهم وعقد الالوية فى حروبهم ، وكانت الجارية اذا حاضت ادخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف درعها ثم درعها اياه وانقلب بها اهلها فحجبوها ولا يعذر غلام اى يختن الافيها وكانت مخصوصة بولد عبد الدار ايضاً (٣) من الاملاق وهو الفقر

بيوتات العرب

إعلم أن كل أحد يدعى لنفسه سابقة ويمتّ (١) بفضيلة غير أن الصحيح ما انفق عليه العلماء وتداولته الرواة . قال ابن الكلبي : كان أبي يقول « العدد من تميم فى بنى سعد ، والبيت فى بنى دارم والفرسان فى يربوع والبيت من قيس فى غطفان ثم فى بنى فزارة والعدد فى بنى عامر والفرسان فى بنى سُليم والعدد من ربيعة ، والبيت والفرسان فى شيبان » قال ابن سلام الجمحى : كان يقال« اذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة وكاثر بسعد وحارب بعمرو . واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن وحارب بسليم . واذا كنت من بكر ففاخر بشيبان وكاثر بشيبان وحارب بشيبان » . قال أبو عبيدة : ليس فى العرب أربعة اخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر فرساناً من بنى ثعلبة بن عكابة . وكان يقال له الأغر والحصن وبنوه شيبان وذهل وقيس وتيم الله . قال : وفارس غطفان الربيع بن زياد العبسى وفاتكها الحارث بن ظالم وحكمها هرم بن قطبة وجوادها هرم بن سنان المرى وشاعرها النابغة الذبيانى . وفارس بنى تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بنى يربوع . وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبرى . وفارس دارم عمرو بن عمرو بن عدس . وفارس سعد فدكى بن المنقرى . وفارس الرباب زيد الفوارس ابن حصين الضبى . وفارس قيس عامر بن الطفيل . وفارس ربيعة بسطام بن قيس . قال أبو عبيدة : بيوتات العرب ثلاثة : فبيت قيس فى الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر . وبيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين . وبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة . وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بنى سعد اليوم آل الزبرقان بن بدر من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد . وبيت بنى ضبة بنو ضرار بن عمرو الرديم . وبيت بنى عدى بن عبد مناة آل شهاب من

(١) المت التوسل والتوصل بقرابة او حرمة او غير ذلك

بنى ملكان . وبيت التيم آل النعمان بن جساس . قال الجمحى : فارس اليمن فى بنى زبيد عمرو بن معد يكرب . وشاعرها امرؤ القيس وبيتها فى كندة الاشعث ابن قيس لايختلف فى هذا وانما اختلف فى نزار . قال : وأما الشرف ما كان قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واتصل فى الاسلام وقال أبو أياس البصرى كان بيت قيس فى آل عمرو بن الظرب العدوانى . ثم فى غنىّ فى آل عمرو بن يربوع ثم تحول الى بنى بدر فجاء الاسلام وهو فيهم . وقال الاخفش : على بن سليمان فرعا قريش هاشم وعبد شمس . وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوذان وسيار بن عمرو بن جابر . وفرعا حنظلة رباح وثعلبة ابنا يربوع . وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وأبو بكر ابنا كلاب . وفرعا قضاعة عذرة والحرث بن سعد ، قاله ابن رشيق فى العمدة . ومن كان له شرف فى الجاهلية لم يغيره الاسلام وعلى ذلك ورد الحديث: الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فَقُهوا . ووجه التشبيه ان المعدِن لما كان اذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لاتتغير فى ذاتها بل من كان شريفاً فى الجاهلية فهو بالنسبة الى أهل الجاهلية رأس فان أسلم استمر شرفه ، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفينْ فى الجاهلية . وأما قوله اذا فَقُهوا ففيه اشارة الى أن الشرف الاسلامى لايتم الا بالتفقه فى الدين ، وعلى هذا فتنقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها . الاول شريفٌ فى الجاهلية أسلم وتفقه ويقابله مشروف فى الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه . الثانى شريف فى الجاهلية اسلم ولم يتفقه ويقابله مشروف فى الجاهلية لم يسلم و تفقه . الثالث شريف فى الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه ويقابله مشروف فى الجاهلية أسلم ثم تفقه . الرابع شريف فى الجاهلية لم يسلم وتفقه ويقابله مشروف فى الجاهلية أسلم ولم يتفقه . فأرفع الاقسام من شرف فى الجاهلية ثم أسلم وتفقه ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم وتفقه ، ويليه من كان شريفاً فى الجاهلية ثم أسلم ولم يتفقه ، ويليه من كان مشروفاً ثم أسلم ولم يتفقه . وأما من لم يُسلم فلا اعتبار به سواء كان شريفاً أو مشروفاً وسواء تفقه أو

لم يتفقه . والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفا بمحاسن الاخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها متوقياً لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها

أول من سن الجوائز من ملوك العرب

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل مايجيزه ليذهب الى وجهه وكان الرجل إذا ورد ماء قال . لقيمه : أجزنى ؛ أى اعطنى ماء حتى اذهب لوجهى وأجوزعنك ثم كثر حتى جعلت الجائزة عطية . قال الراجز : —

ياقيِّم الماء فدتك نفسى أحسنْ جوازى وأقلْ حبسى

وقال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز انقطن بن عوف[1] بن أصرم من بنى هلال بن عامر بن صعصعة أحد رؤساء العرب ولى فارس لعبد الله بن عامر فمر به الأحنف بن قيس فى جيشه غازيا الى خراسان فوقف لهم على قنطرة الكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه فكان يعطيهم مائة مائة فلما كثروا عليه قال أجيزوهم فأجيزوا فهو أول من سن الجوائز . قال الشاعر :

فِدًى للأكرمين بنى هلالٍ على علاّتهم عمى وخالى
همُ سنوا الجوائزَ فى معدٍّ فصارت سنةً أخرى الليالى

وكان كثيراًمَّا تكون الجائزة بالبدرة وهى عشرة آلاف درهم سميت بذلك لوفورها . قال بعضهم : ومنه سمى القمر ليلة أربع عشرة بدراً لتمامه وامتلائه من النور . ويقال: بل لمبادرته الشمس . وقيل : بل البدرة جلد السخلة إذا فطمت أو الجذع من المعز يملأ مالاً فسمى المال بدرة باسم الوعاء مجازاً . والصلة ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ثم كثر ذلك حتى قيل لهبة الملك صلة . والله أعلم .

---

(١) وفى عمدة ابن رشيق (ج ٢ ص ٢٤٢) : عبد عوف

دراهم العرب فى الجاهلية

اعلم أن الدراهم كانت فى الجاهلية على نوعين مختلفين بغلية وطبرية نوع عليه نقش فارس ، والآخر نقش الروم . فالبغلية نسبة الى ملك يقال له رأس البغل وهى السود ، كل درهم منها ثمانية دوانيق والطبرية نسبة الى طبرية الشام وزن كل درهم منها أربعة دوانيق وهى العتق وفى هذا المقام تفصيل ذكره الامام الماوردى فى الاحكام السلطانية وكذا غيره من العلماء الاعلام

تحية ملوك العرب فى الجاهلية

وما يناسب ذلك

إعلم أن عادة الناس الجارية بينهم أن يحيى بعضهم بعضاً عند لقائه وكل طائفة لهم فى تحيتهم ألفاظ وأمور اصطلحوا عليها ، فكان العرب يقولون فى تحيتهم بينهم فى الجاهلية « أنعم صباحاً وانعموا صباحاً » فيأتون بلفظ انعموا من النَعمة بفتح النون وهى طيب العيش والحياة ويصلونها بقولهم (صباحاً) لأن الصباح أول النهار فاذا حصلت فيه النعمة استصحب حكمها واستمرت اليوم كله فخصوها باوله ايذاناً بتعجيلها وعدم تأخرها الى أن يتعالى النهار . وكذلك يقولون «أنعموا امساء». فان الزمان هو صباح ومساء فالصباح من أول النهار الى ما بعد انتصافه والمساء من بعد انتصافه الى الليل . ولهذا يقول الناس « صبحك الله بخير ومساك الله بخير » فهذا هو معنى « أنعم صباحاً ومساء » الا أن فيه ذكرَ الله . وفى اللب عند شرح قوله :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى وهل يَعِمَنْ من كان فى العصر الخالى

قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب يقال «عم صباحاً وعم مساء وعم ظلاماً » والصباح من نصف الليل الثانى الى الزوال . والمساء من الزوال

الى نصف الليل الاول . قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : يقال وعم يَعِمُ كوعد يعد وومق يمق ، وذهب قوم الى أن يعم محذوف من ينعم وأجازوا عم صباحا بفتح العين وكسرها كما يقال أنعم صباحاً وأنعم ، وزعموا أن بعض العرب أنشأ « ألا عَمْ صباحاً أيها الطلل البالى » بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة (وعمى صباحاً دارَ عبلة واسلمى)(١) فقال هو من نعم المطر اذا كثر ونعم البحر اذا كثر زبده كأنه يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير وقال الاصمعى والفراء : انما هو دعاء بالنعيم والاهل وهو المعروف وما حكاه يونس نادر غريب انتهى « وكان الفرس » يقولون فى تحيتهم « هزار صال بمانى » أى تعيش ألف سنة . وكل أمة لهم تحية من هذا الجنس أوما أشبهه ولهم تحية يخصون بها ملوكهم من هيآت خاصة عند دخولهم عليهم كالسجود ونحوه ، وألفاظ خاصة يتميز بها تحية الملك من تحية السُوقة ، كما كان العرب فى الجاهلية يخصون ملوكهم عند التحية بقولهم « أبيت اللعن » أى أبيت أن تأتى من الأخلاق المذمومة ما تلعن عليه وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها . وتحية ملوك غسان « ياخير الفتيان » وكانت منازلهم الشام . وتحية بعض القبائل « اسلم كثيراً » وحكى ثعلب عن الفراء أن المشيخة كانوا يضيفون أبيت الى اللعن على الغلط لانه اذا أضافه خرج ذماً فيقول أبيت اللعن كأنهم شبهوه بالاضافة على الغلط وقال : أراد بيت اللعن أى يامن هو بيت اللعن والقول هو الاول . والمقصود من كل التحايا الحياة ونعيمها ودوامها ولهذا سميت تحية وهى تفعلة من الحياة ليلزمه من الكرامة لكن ادغم المِثْلان فصار تحية . وقد شرع الملك القدوس السلام تبارك وتعالى لأهل الاسلام تحية بينهم « سلام عليكم » . وكانت أولى من جميع تحيات الأمم التى منها ماهو محال

(١) صدره : (يادار عبلة بالجواء تكلمى) والجواء بلد فى نجد والبيت من معلقته الشهيرة

وكذب نحو قولهم « تعيش ألف سنة »وما هو قاصر المعنى مثل« أنعم صباحاً »
ومنها مالا ينبغى الا لله مثل السجود . فكانت التحية بالسلام أولى من
ذلك كله لتضمنها السلامة التى لاحياة ولا فلاح الا بها فهى الاصل المقدم على
كل شئ ومقصود العبد من الحياة انما يحصل بشيئين بسلامته من الشر
وحصول الخير كله . والسلامة من الشر مقدمةعلىحصول الخير وهى الاصل
ولهذا انما يهتم الانسان بل كل حيوان بسلامته أولا ثم غنيمته ثانياً . على
أن السلامة المطلقة تتضمن حصول الخير فانه لوفاته حصل له الهلاك والعطب
والنقص والضعف . ففوات الخير يمنع حصول السلامة المطلقة فتضمنت
السلامة نجاته من كل شر وفوزه بالخير فانتظمت الاصلين اللذين لاتتم الحياة
الا بهما مع كونها مشتقة من اسمه السلام ومتضمنة له وحذف التاء منها لما
ذكرنا من ارادة الجنس لا السلامة الواحدة . ولما كانت الجنة دار السلامةمن
كل عيب وشر وآفة بل قد سلمت من كل ماينغص العيش والحياة كانت
تحية أهلها فيها سلام والرب يحييهم فيها بالسلام والملائكة يدخلون عليهم من كل
باب « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

أديان العرب قبل الاسلام

اعلم أن العرب من عدنان وقحطان كانوا قبل ظهور عمرو بن لحى الخزاعى
فيهم على بصيرة من أمرهم يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وقد تلقوها من ولده نبى الله تعالى اسماعيل عليه السلام وهى
الحنيفية التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يعتقدون أن الله تعالى واحد
لاشريك له ولا وزير ، ولا معين ولا ظهير . موصوف بصفات الكمال من
الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرها من الصفات
التى أثبتها لنفسه فى كتبه وجاءت على لسان رسله سالكين الطريق المستقيم فهو

موصوف بما وصف به نفسه كما يليق بجلال قدسه وأن ذاته لاتشبه الذوات كما أن صفاته لاتضاهى الصفات ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وانه تبارك وتعالى منزه عن كل مالا يليق به من صفات الأجسام وحوادث الأعيان والاجرام وانه المتفرد بملك الضرّ والنفع والعطاء والمنع وغير ذلك من خواص الالوهية التى لايملكها إلا الآله ، عالمين أن لا معبودَ بحق فى الوجود سواه فهو الآله الواحد الملتجأ فى جميع الامور اليه ، المتوكل فى كل الشؤون عليه ، يستحيل وصفه بالظلم اذ هو المالك المقسط العدل ولا يجب عليه شئ بل هو المتفضل على خلقه وله الفضل تعالى عن كل شبيه ومعارض عالٍ على عرشه دانٍ بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور ، وأنفذ فى خلقه سابق المقدور ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فالخلق عاملون بسابق علمه لايملكون لأنفسهم من الطاعة نفعاً ، ولا يجدون الى صرف المعصية عنها دفعاً ، خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به ولم يزالوا يترددون من قدر الى قدر ، وأمره سبحانه نافذ فيهم فلا ينجيهم حذر ، والناس بآجالهم ميتون ، وبعد الضغطة فى القبور مسؤولون ، وبعد البلاء منشورون ويوم القيامة الى ربهم يحشرون ، وكما بدأهم له من شقاء وسعادة يومئذ يعودون وقد آمنوا بكل ما أنزل على نبيهم عليه الصلوة والسلام ، من أصول وفروع وأحكام ، وكانوا يصلون ويصومون ، ويحجون ويزكون ويصلون الارحام ، ويعينون على نوائب الحق ويكرمون الأضياف كل الاكرام ، الى غير ذلك من الأخلاق الحميدة ، والاعمال المرضية السديدة ، فلما طال الامد وبعدوا عن زمن النبوة كثر فيهم الجهل وقلت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى والدين المبين وجروا على شهوات أنفسهم واتبعوا كل ناعق وراجت عليهم الآراء الفاسدة ، والمذاهب الخبيثة الكاسدة ، حتى افترقت كلمتهم كل الافتراق سيما بعد أن ظهر فيهم الخزاعى وشرع لهم من الدين مالم يأذن به الله مما سيأتى

بيانه إن شاء الله تعالى ، فهناك انقسمت العرب فى التعبد الى أقسام ، وافترقوا الى أصناف حسبما أدت بهم الوساوس والاوهام .

الموحدون من العرب

وهم من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله وتوحيده ، ولم يدرك دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بل بقى على أصل فطرته ونظر بعين بصيرته فلم يغير ولم يبدل وهم البقايا ممن كان على عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ملتزمين ما كانوا عليه من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة(١) والوقوف على عرفة وهدى البدن(٢) والاهلال(٣) بالحج والعمرة وغير ذلك وهؤلاء افترقوا فمنهم من بقى على أصل التوحيد وما استفاض من أفراد الله تعالى فى عبادته التى تظافرت على الارسال به جميع الرسل . ومنهم من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته كعيسى بن مريم عليه السلام . وهذا الصنف نزر يسير لم يكونوا إلا عدداً معلوماً فى كل عصر الى زمن البعثة المحمدية .

---

(١) هى الحج الاصغر مأخوذة من الاعتمار وهو الزياره ، والتفصيل في الكتب الفقهية

(٢) جمع بدنة قالوا هى ناقة أو بقرة وزاد الازهري أو بعير ذكر قال ولا تقع البدنة على الشاة وقال بعض الائمة البدنة هى الابل خاصة ويدل عليه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها سميت بذلك لعظم بدنها وانما ألحقت البقرة بالابل بالسنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم : تجزى البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ففرق الحديث بينهما بالعطف اذ لوكانت البدنة فى الوضع تطلق على البقرة لماساغ عطفها لان المعطوف غير المعطوف عليه وفى الحديث ما يدل عليه قال اشتركنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج والعمرة سبعة منا في بدنة فقال رجل لجابر أنشترك فى البقرة مانشترك فى الجزور فقال ماهى الا من البدن والمعنى فى الحكم اذ لوكانت البقرة من جنس البدن لما جهلها أهل اللسان ولفهمت عند الاطلاق أيضاً (٣) أهل الملبى رفع صوته بالتلبية وأهل المحرم بالحج اذا لبى ورفع صوته ، وقال الليث : المهل يهل بالاحرام اذا أوجب الحرم على نفسه تقول أهل بحجة أو بعمرة فى معنى أحرم بها وانما قيل للاحرام اهلال لرفع المحرم صوته بالتلبية وأصل الاهلال رفع الصوت وقال الراجز :

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

عبدة الأصنام

. وهم الذين أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الأصنام وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك[١] والمشاعر[٢] وأحلوا وحرموا وهم الدهماء من العرب وإقرارهم بالخالق هو الذى يسمى توحيد الربوبية . وهو الذى أقرت به الكفار جميعهم ولم يخالف أحد منهم فى هذا الأصل إلا الثَنَوية وبعض المجوس. وسيأتى الكلام عَلى ما قالوه فيما يناسب من الأصناف . وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم ومجيرهم واحد لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره . كما قال سبحانه وتعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله » « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » «قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله » « قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّنْ يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله » . وكانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة . فرقة قالت : ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا اليه تعالى كما قال حكاية عنهم « ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » . وفرقة قالت الملائكة ذوو جاه ومنزلة عند الله فاتخذنا أصنامنا على هيئة الملائكة ليقربونا الى الله . وفرقة قالت جعلنا الأصنام قبلة لنا فى عبادة الله تعالى كما أن الكعبة قبلة فى عبادته . وفرقة اعتقدت أن على كل صنم شيطاناً موكلا بأمر الله فمن عبد الصنم

---

(١) جمع منسك بفتح السين وكسرها يكون زماناً ومصدراً ويكون اسم المكان الذى تذبح فيه النسيكة وهى الذبيحة وزنا ومعنى وفى التنزيل «ولكل أمة جعلنا منسكا» بالفتح والكسر فى السبعة ومناسك الحج عباداته وقيل مواضع العبادات ومن فعل كذا فعليه نسك أى دم يريقه

(٢) مواضع المناسك

حق عبادته قضى الشيطانُ حوائجه بأمر الله . والا أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله وهذا الصنف هم الذين أخبر عنهم التنزيل فى قوله سبحانه «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً» فرد عليهم سبحانه بقوله «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق» . وشبهات العرب كانت مقصورة على إنكار البعث وجحد ارسال الرسل . فعلى الأول قالوا « ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءانا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » الى غير ذلك من الآيات وذكروا ذلك فى أشعارهم . قال قائلهم :

حياةٌ ثم موت ثم نشر　　حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمرو[1]

وقال شداد بن الأسود بن عبد شمس بن مالك يرثى كفار قريش يوم بدر لما قتلوا وألقاهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى القَليب (وهى البئر التى لم تطو[2]) :

وماذا بالقَليبِ قليبِ بَدْرٍ　　من الشيزى تزين بالسنام
وماذا بالقليب قليب بدر　　من القَينات والشَّرْب الكرام
تحيينا السلامة أم بكر　　فهل لى بعد قومى من سلام
يحدثنا الرسول بان سنحيا　　وكيفَ حياةُ أصداءٍ وهامِ

والشيزى بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها زاى مقصور ؛ وهو شجر

---

(١) النشر احياء الميت ، وخرافة : رجل من بنى عذرة استهوته الجن فلما خلت عنه رجع الى قومه وجعل يحدثهم بالاعاجيب التى رآها فكذبوه فكانت العرب اذا سمعت حديثاً لا أصل له قالت حديث خرافة ثم كثر هذا فى كلامهم حتى قيل للاباطيل والترهات خرافات ، وخرافة كثمامة ولا يدخله الالف واللام لانه معرفة اى ان تريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل ، ونسب بعضهم هذا البيت لابن الزبعرى (٢) أى لم تبن قال الشاعر :

فان الماء ماء أبى وجدى　　وبئرى ذو حفرت وذو طويت

أى الذى حفرته وبنيته بالحجارة

يتخذ منه الجفان. والقصاع : الخشب التى يعمل فيهـا الثريد · وقال الأصمعى : هى من شجر الجوز تسودّ بالدسم . والشيزى جمع شيز والشيز يغلظ حتى ينحت منه فأراد بالشيزى ما يتخذ منها ، وبالجفنة صاحبها كأنه قال : ماذا بالقليب من أصحاب الجفان الملأى بلحوم أسنمة الابل وكانوا يطلقون على الرجل المِطْعام جفنة لكثرة إطعامه الناس فيها . وأغرب الداودى فقال الشيزى الجمال ! قال : لأن الابل اذا سمنت تعظم أسنمتها ويعظم جمالها ، وغلطه ابن التين . قال : وانما أراد أن الجفنة من الثريد تزين بقطع اللحم من السنام . والقينات : جمع قينة بفتح القاف وسكون التحتانيـة بعدها نون هى المغنية وتطلق أيضاً على الأمة مطلقاً . والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء: جمع شارب والمراد بهم الندامى وأصداء : جمع صدى ، وهو ذكر البوم . وهام جمع هامة وهو الصدى أيضاً وهو عطف تفسيرى . وقيل الصدى الطائر الذى يطير بالليل . والهامة جمجمة الرأس وهى التى يخرج منها الصدى بزعمهم . وأراد الشاعر انكار البعث بهذا الـكلام كأنه يقول إذا صار الانسان كهذا الطائر كيف يصير مرة أخرى انساناً . وقال أهل اللغة كان أهل الجاهلية يزعمون أن روح القتيل الذى لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو وتقول اسقونى اسقونى . واذا أدرك بثأره طارت فذهبت. قال الشاعر :

ياعمرو ان لاتدع شتمى ومنقصتى ... اضربْك حتى تقولَ الهامة اسقونى !

ويروى أنه اذا مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ أو أجزاء منه فانتصب طيرا هامة فرجع الى رأس القبر كل مائة سنة . ولا يخفى أن هذا نوع من القول بالتناسخ المبرهن على بطلانه وقد ورد لا هامة ولا طيرة ولا عدوى ولا صفر .

وأما على الثانى فكان انكارهم لبعث الرسل فى الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل بقوله تعالى « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا ابعث الله بشراً رسولا » الى غير ذلك من الآيات ، فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه

ملك ، ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هى الاصنام المنصوبة . أما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل بزعمهم وكثير من الآيات القرآنية ترد عليهم أتم رد ، ومحل ذلك كتب التفسير ونحوها .

ذكر شيء من أخبار الأصنام وسبب اتخاذ العرب لها وكيف أزالها النبى صلى الله عليه وسلم

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى فى كتاب الاصنام : حدثنى أبى وغيره ان اسماعيل بن ابراهيم صلى الله تعالى عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثيرة حتى ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا فى البلاد والتماس المعاش وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة صبابة بها وحباً وهم على ارث أبيهم اسماعيل من تعظيم الكعبة والحج والاعتمار ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم كقوم نوح وفيهم بقايا على دين أبيهم اسماعيل مع ادخالهم فيه ما ليس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحمى الحامى (١) عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة بن عمرو بن عامر الازدى وهو أبو خزاعة . وكان الحرث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهما ببنى اسماعيل ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت (٢) ثم انه مرض

---

(١) راجع بحث السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي فى أوائل الجزء الثالث

(٢) سدانته وتولى حفظه وفى الحديث قالت بنو قصى فينا الحجابة ، والمفاتيح تكون بايديهم

مرضاً شديداً فقيل له أن بالبلقاء من الشام حَمَّةً (١) ان أتيتها برأت فاتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال : ما هذه ؟ فقالوا : نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة ؛ وحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٢) ان أسافاً رجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم ، وكان يتعشقها فى أرض اليمن فاقبلوا حجاجاً فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فوجدوهما مسيخين فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت من العرب . وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل وغيرهم سموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل هذيل بن مدركة اتخذوا «سُواعاً (٣) » فكان لهم (برهاط) من أرض ينبع وكانت سدنته بنى لحيان يعبده من يليه من مضر . وفى ذلك يقول رجل من العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً ... كما عكفت (هذيلُ) على سُواع (٤)

واتخذت مذحج وأهل جرش « يغوث » وكان باكمة اليمن بيدأنعم بن عمرو المرادى واتخذت خيوان « يعوق» فكان بقرية لهم يقال لها خيوان من صنعاء على ليلتين ، تعبده همدان ومن والاها من اليمن . واتخذت حمير « نسراً » فعبدوه بارض يقال لها بلخع وكان بيد رجل من ذى رعين يقال له معديكرب تعبده حمير ومن والاها فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نؤاس ، ولم أسمع حميراً سمت به أحداً ولم أسمع له ذكراً فى أشعارها ولا أشعار العرب . وأظن ذلك كان

(١) بالفتح وتشديد الميم : كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى به الاعلاء (٢) أبو صالح لم ير ابن عباس ، قالوا : واوهي الطرق عن ابن عباس طريقة الكلبي عن ابى صالح فان انضمت اليه رواية محمد بن مروان السدى الصغير فذلك سلسلة الكذب (٣) بالضم في قوله تعالى (لا تذرن ودا ولا سواعا) والفتح لغة فيه وبه قرأ الخليل (٤) يروى قبلهم بدل قبلتهم كما فى التاج وبعده :

يظل جنابه برهاط صرعى ... عتائر من ذخائر كل راع

لانتقال حمير أيام تبع عن عبادة الاصنام الى اليهودية . وكان لحمير أيضا بيت بصنعاء يقال له « رئام » بهمزة بعد الراء المكسورة يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه . فلما انصرف تبع من مسيره الذى سار فيه من العراق قدم معه الحبران اللذان صحباه من المدينة فامراه بهدم رئام وتهود تبع وأهل اليمن فمن ثم لم اسمع بذكر رئام ولا نسر فى شيء من الاشعار ولا الاسماء ولم تحفظ العرب من أشعارها الا ما كان قبيل الاسلام . قال أبو المنذر : ولم أسمع فى رئام وحده شعراً وقد سمعت فى البقية . هذه الخمسة الاصنام التى كان يعبدها قوم نوح وذكرها الله تعالى فى كتابه بقوله (ولا تذرنّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) فلما صنع هذا عمرو بن لحى دانت العرب للاصنام ، فكان أقدمها مناة [1] وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان منصوباً على ساحل البحر بناحية (المشلل) بقديد بين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله وكان أشد اعظاماً له الأوس والخزرج . وكان أولاد معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ومناة هى التى ذكرها الله تعالى بقوله (ومناة الثالثة الأخرى) وكانت هذيل وخُزاعة وجميع العرب تعظمها الى أن خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث علياً فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث ابن أبي شمر ملك غسان أهداهما : أحدهما اسمه (مخذم) والآخر (رسوب) فوهبهما لعلى فيقال أن ذا الفقار سيف على

(١) وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وفى الحديث لاوالدمى لاأرى بماتقول بأساً وكذلك مناة الطاغية التى كانوا يهلون اليها بقديد والحظ من هذا المطلع مافي قوله تعالى « ومناة الثالثة الاخرى » من الفائدة جعلها ثالثة للات والعزى واخرى بالاضافة الى مناة التى كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه فهما مناتان واحداهما من الاخرى بالاضافة الى صاحبها

أحدها ويقال ان علياً وجدها فى (الفَلْس) صنم لطىء حين بعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهدمه. ثم اتخذوا اللات بالطائف وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يَلتُّ عندها السويق (١) وكان سَدَنتها من ثقيف وكانوا بنوا عليها بناء . وكانت قريش وسائر العرب تعظمها وسمت زيد اللات وتيم اللات . وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى لليوم فلم تزل كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار (٢) ثم اتخذوا العزى وسمى بها عبد العزى بن كعب وكان الذى اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بواد من نخلة الشامية عن يمين المُصْعِد الى العراق من مكة فوق ذات عِرق بتسعة أميال فبنى عليها بيتاً وكانوا يسمعون فيه الصوت وكان أعظم الأصنام عند قريش وكانت تطوف بالكعبة وتقول «واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فانهن الغرانيق العُلَى (٣) وان شفاعتهن لترتجى» وكانوا يقولون « بنات الله » تعالى

---

(١) لت الرجل السويق لتاً من باب قتل بله بشيء من الماء وهو أخف من البس، والسويق مايعمل من الحنطة والشعير معروف (٢) روى بعض من الف فى السير أن المغيرة قال لابي سفيان : ألا أضحكك من ثقيف فقال بلى فاخذ المعول وضرب به اللات ضربة ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سروراً بأن اللات قد صرعت المغيرة واقبلوا يقولون « كيف رأيتها يامغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها ويحكم ألا ترون ماتصنع » فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم ياخبثاء والله ماقصدت الا الهزء بكم ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها وأقبلت عجائز ثقيف تبكى حولها وتقول (اسلمها الرضاع اذ كرهوا المصاع) أى أسلمها اللئام حين كرهوا القتال ورويت فى ذلك روايات أخرى ، فان احببت الوقوف عليها فعليك بالسير

(٣) هى الاصنام وهى في الاصل الذكور من طير الماء وقال ابن الانبارى : الغرانيق الذكور من الطير واحدها غرنوق وغرنيق قال أبو خيرة سمى به لبياضه وقيل هو الكركى شبهت الاصنام التى تعلو وترفع فى السماء على زعمهم . . واعلم أن حديث الغرانيق الذي صار مشهوراً عند المتأخرين لوجوده فى اكثر كتب التفسير التى تتناولها الايدى ، هو من مفتريات الاعاجم ومختلقات الملبسين المفسدين ولو صح لكان أكبر شبهة على الدين فكن على حذر — وقد ينفع الحذر — مما تراه فى كتب الاعاجم واياك والتقليد الاعمى فانه رأس البلاء، وأصل كل داء ، واحسن من تكلم على هذا البحث هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده (رض) فانه نفى الشك والارتياب واتى بالحكمة وفصل الخطاب فعليك به ولا تسمع قول عمرو وزيد ففى جوف الفرا كل الصيد

الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهن يشفعن اليه فلما بعث الله رسوله أنزل عليه (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؟ ألكم الذكر وله الانثى تلك اذاً قسمة ضيزى[١]) وحمت لها قريش شعباً[٢] من وادى حُراض[٣] يقال له سُقام[٤] يضاهون به حرم الكعبة وكان لها منحر ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل وكان قد تأله فى الجاهلية وترك عبادة الاصنام :

تركتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمَىْ بنى غنم أزورُ
ولا هبلاً أزور وكان ربًّا لنا فى الدهر إذ حلمى صغير

وكان سدنة العزى بنى شيبان من بنى سُليم . وكان آخر من سدنها دبية[٥] فلم تزل كذلك حتى بعث الله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعاب الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش فلما كان يوم الفتح دعا خالد بن الوليد فقال انطلق إلى شجرة بطن نخلة فاعضدها[٦] فانطلق فقتل دبية وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس . قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات[٧] ببطن نخلة ، فلما بعث النبى خالد بن الوليد قال له ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فأتاها فعضدها فلما جاء اليه عليه الصلاة والسلام فقال هل رأيت شيئاً قال لا . قال فاعضد الثانية فعضدها ثم أتى النبى

(١) أى جائرة (٢) الطريق فى الجبل (٣) كغراب موضع قرب مكة بين المشاش والغمير فوق ذات عرق الى البستان قيل كانت به العزى وقيل بالنخلة الشامية وقد جاء ذكره فى الحديث ، قال الفضل بن العباس اللهبي :

وقد كانت وللايام صرف تدمن من مرابعها حراضا

كذا فى القاموس وشرحه التاج (٤) بالضم وقد يفتح (٥) كسمية وهو دبية بن حرمى السلمى (٦) عضد الشجرة عضداً من باب ضرب قطعها وفى حديث تحريم المدينة نهى أن يعضد شجرها أى يقطع (٧) السمر بضم الميم : شجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس فى العضاه شىء أجود خشباً من السمر ينقل الى القرى فتغمى به البيوت واحدتها سمرة بهاء

صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل رأيت شيئاً قال لا . قال فاعضد الثالثة فأتاها فاذا هو بخنّاسة نافشة شعرها واضعة ثديها على عاتقها تصرف بانيابها [١] وخلفها دبيّة السلمى ، فلما نظر الى خالد قال :

فياعزُّ شدّى شدةً لا تكذّبى   على خالدٍ ألقى الخمارَ وشمرى

فانك ان لاتقتلى اليوم خالداً   تبوئى بذل عاجلاً وتُنصَّرى

« فقال خالد رضى الله تعالى عنه »

ياعزّ كفرانك لاسبحانك   انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هى حُمَمة [٢] ، ثم عضد الشجرة وقتل دبيّة ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره . فقال (تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب) قال أبو المنذر : ولم تكن قريش ومن بمكة يعظمون شيئاً من الأصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة . فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وكانت ثقيف تخص اللات . وكانت الأوس والخزرج تخص مناة وكلهم كان معظماً للعزى ولم يكونوا يرون فى الخمسة الاصنام التى رفعها عمرو بن لحى كرأيهم فى هذه . وكانت لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها . وكان أعظمها (هُبَل) عندهم وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من الذهب وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة وكان يقال لها هبل خزيمة . وكان قدامه سبعة أقداح مكتوب فى أولها صريح والآخر ملصق ، فاذا شكّوا فى مولود اهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح الحقوه وان كان ملصقاً رفعوه ، وقدحا على الميت وقدحا على النكاح وثلاثة لم تفسر لى فاذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده فما خرج عملوا به وانتهوا اليه . وكان لهم (أساف) و (نائلة) لما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس

---

(١) صرف الانسان والبعير نابه وبنابه يصرف صريفاً حرقه فسمعت له صوتاً

(٢) وزان رطبة مااحرق من خشب ونحوه والجمع بحذف الهاء

بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة الى الآخر وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما . فلما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتح مكة دخل المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بِسِيَةِ قوسه [١] فى عيونها ووجوهها ويقول (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم اخرجت من المسجد فحرقت. فقال فى ذلك راشد بن عبد الله السلمى :

قالت: هلمّ الى الحديث فقلت : لا يأبى الاله عليك والاسلامُ
أوما رأيت محمداً وقبيله بالفتح حين تكسر الاصنام؟
لرأيت نور الله اضحى ساطعاً والشرك يغشى وجهه الاظلام

وكان لهم أيضاً «مناف» وسمت به عبد مناف ولا أدرى أين كان ولا من نصبه ولم تكن الحيّض من النساء تدنو من أصنامهم ولا تمسح بها انما كانت تقف ناحيةً منها وكان لاهل كل دار من مكة صنم فى دارهم يعبدونه فاذا اراد أحدهم السفر كان آخر مايصنع فى منزله ان يتمسح به واذا قدم من سفره كان أول مايصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاهم بتوحيد الله وعبادته قالوا (أجعل الآلهة الهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب) يعنون الأصنام واشتهرت العرب فى عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً . ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب فاذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان وسموا طوافهم (الدوار) . فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه رباً وجعل الثلاث اثافى لقدره واذا ارتحل غيره فاذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون اليها وهم على ذلك

(١) سية القوس خفيفة الياء ولامها محذوفة وترد في النسبة فيقال سيوىّ والهاء عوض عنها ، طرفها المنحنى

عارفون بفضل الكعبة عليها . وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون ن ، وفيهم نزلت (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وكان من تلك الأصنام « ذو الخلصة[1] » وكان مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج وكان له بيت بين مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمه وتهدى له خثعم ودوس وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة . قال رجل منهم :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا   مثلى وكان شيخُك المقبورا

لم تنهَ عن قتل العداة زورا[2]

وكان أبوه قُتِلَ فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم ينهيه عن ذلك فقال هـذه الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندى . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجرير ألا تكفينى ذا الخلصة فسار اليه بمائة وخمسين راكباً من أحمس[3] فقاتله خثعم وباهلة

(١) قال السهيلى : هو بيت دوس والخلص فى اللغة نبات طيب الريح يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب وجمع الخلصة خلص قال ووقع فى كتاب أبى الفرج ان امرأ القيس بن حجر حين وترته بنو أسد بقتل أبيه استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام وهى الزاجر والآمر والمربص فخرج له الزاجر فسب الصنم ورماه بالحجارة وقال له اعضض ببظر أمك وقال : (لوكنت ياذا الخلص الموتورا) الى آخره ولم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعد حتى جاء الاسلام وموضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم ذكره المبرد عن أبى عبيدة انتهى وذو الخلصة محركة ويقال بضمتين وحكى ابن دريد فتح الاول واسكان الثانى وضبطه بعضهم بفتح أوله وضم ثانيه والاول الاشهر عند المحدثين (٢) نصب زوراً على الحال من المصدر الذى هو النهى اراد نهياً زوراً وانتصاب المصدر على هذه الصورة انما هو حال أو مفعول مطلق فاذا حذفت المصدر واقمت الصفة مقامه لم تكن الاحالا والدليل على ذلك أنك تقول ساروا شديداً وساروا رويداً فان رددته الى مالم يسم فاعله لم يجز رفعه لانه حال ولو لفظت بالمصدر فقلت ساروا سيراً رويداً لجاز أن تقول فيما لم يسم فاعله سير عليه سير رويد هذا كله معنى قول سيبويه فدل على أن حكمه اذا لفظ به غير حكمه اذا حذف والسر فى ذلك ان الصفة لاتقوم مقام المفعول اذا حذف لاتقول كلمت شديداً ولاضربت طويلا يقبح ذلك اذا كانت الصفة عامة والحال ليست كذلك لانها تجرى مجرى الظرف وان كانت صفة فموصوفها معها وهو الاسم الذى هى حال له ومن هذا الباب قوله تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » ، والموتور من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه ، والعداة جمع عدو (٣) فى القاموس وشرحه : بنو احمس بطن من ضبيعة كما فى العباب وبطن آخر من بجيلة وهو ابن الغوث بن انمار

فظفر بهم وهدم بيت ذى الخلصة وأضرموا فيه النار وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة . وكان لمالك وملكان ابنى كنانة بساحل جدة صنم يقال له «سعد» وكان صخرة طويلة فأقبل رجل من بنى ملكان بابل له مؤبلة(١) ليقفها عليه ابتغاء بركته فيما يزعم فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق(٢) عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه فغضب ربها فتناول حجراً فرماه به وقال (لا بارك الله فيك آلهاً انفرت على أبلى) ثم خرج فى طلبها حتى جمعها . ثم انصرف وهو يقول :

أتينا الى (سعد) ليجمع شملنا فشتتنا (سعد) فلا نحن من سعد
وهل (سعد) إلا صخرة بتنوفةٍ من الارض لا يدعو لغى ولا رشد(٣)

وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بنى سلمة وشريفاً من أشرافهم وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له «مناة» أيضاً فلما أسلم فتيان بنى سلمة معاذ بن جبل وابنه ومعاذ بن عمرو وغيرهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون(٤) بالليل على صنم عمرو فيحملونه فيطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة وفيها عذرات(٥) الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال (ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟) قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه . ثم قال : والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيته فاذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك فيغدو يلتمسه فيجد به مثل ما كان من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له (والله انى لا أعلم من يصنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك) فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس فغدا عمرو فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج

(١) كمعظمة اتخذت للقنية (٢) أى يصب (٣) التنوفة : المفازة والقفر من الارض وقيل الارض الواسعة البعيدة ما بين الاطراف أو الفلاة التى لا ماء فيها ولا انيس وان معشبة والجمع تنا ئف
(٤) يقال أدلج ادلاجاً مثل أكرم اكراماً سار الليل كله فهو مدلج فان خرج آخر الليل فقد أدلج بالتشديد (٥) أى خروئهم وغائطهم

يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصره من أمره ويشكر الله تعالى إذ أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة :

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن ... أنت وكلب وسطَ بئرٍ فى قَرَن[1]

أفٍّ لملقاك آله مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن[2]

الحمد لله العلى ذى المنن ... الواهب الرازق ديان الدين[3]

هو الذى انقذنى من قبل أنْ ... أكونَ فى ظلمة قبر مرتهن

وكان لدوس ثم لبنى منهب بن دوس صنم يقال له « ذو الكفين » فلما أسلموا بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسى فحرقه وهو يقول :

ياذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا أكبر من ميلادكا

انى حشوت النار فى فؤآدكا

وكان لبنى الحرث بن يشكر من الازد صنم يقال له « ذو الشرى » وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم فى مشارف الشام يقال له « الاقيصر »

---

(١) القرن : الحبل ، وفى الحديث : الحياء والايمان فى قرن أى مجموعان فى حبل (٢) أف : كلمة تضجر ، ومستدن : من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه ، والغبن فى الرأى يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه فنصبوا لأن المعنى خسر نفسه واوبقها وافسد رأيه ونحو هذا (٣) قوله ديان الدين : جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضاً قال بن الطثرية واسمه يزيد :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم ... له عند ليلى (دينة) يستدينها

فالقيت سهمى بينهم حين اوخشوا ... فما صار لى فى القسم الا ثمينها

ويجوز ان يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على (الدين) لانها ملل ونحل كما قالوا فى جمع الحرة حرائر لانهن فى معنى الكرائم والعقائل وكذلك مرائر الشجر وان كانت الواحدة مرة ولكنها فى معنى فعيلة لانها مسيرة فى الذوق وشديدة على الاكل وكريهة اليه ... ويروى بعد الابيات هذا الشطر :

بأحمد المهدى النبى المرتهن

وكان لمزينة صنم يقال له « نهم » وبه سمت عبد نهم . وكان سادنه خُزاعى بن عبد نهم من مزينة فلما سمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثار الى الصنم فكسره وأنشأ يقول :

ذهبت الى (نهْم) لأذبح عنده عتيرة نسك كالذى كنتُ أفعل[1]
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها : أهذا آله أبكمٌ ليس يعقل ؟
أبيت ! فدينى اليوم دين (محمد) آله السماء الماجد المتفضل

ثم لحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة وكان لازد السَراة صنم يقال له « عائم » بالهمزة وكان لعنزة صنم يقال له « سُعَيْر » فخرج ابن أبى خلاّس الكلبى على ناقته فمرت به وقد عترت عنده عتيرة فنفرت ناقته منه . فأنشأ يقول :

نَفَرتْ قَلوصى من عتائر صرعت حولَ (السُعَير) يزوره ابنا يَقْدُم[2]
وجموعُ يذكُرَ مهطعين جنابةً ما إن يحير اليهم بتكلم[3]

قال أبو المنذر يقدم ويذكر ابنا عَنَزَة فرأى بنى هؤلاء يطوفون حول السعير . وكان لبكر بن وائل صنم يقال له « عوض » قال قائلهم :

حلفت بمائرات حول (عوض) وأنصابٍ تركن لدى (السُعَيْر) .

فقد حلف بالدماء المائرات أى الجاريات على وجه الارض حول عوض . ومن عادة المشركين أنهم كانوا يذبحون ذبائح لاصنامهم فلولا أن (عوضاً) صنم لما ذبح له شئٌ ولما حلف بالدماء التى حوله تعظيما له ويدل على كونه صنما ذكره مع (السُعَيْر) وهو بالتصغير . والبيت قائله رُشَيْد بن رُمَيْض (بالتصغير فيهما) العنزى . وبعده :

---

(١) العتيرة : شاة كانوا يذبحونها فى رجب لاصنامهم فنهى الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله : (لا فرع ولا عتيرة) والجمع عتائر، والنسك : التطوع بقربة (٢) القلوص كصبور : الناقة الشابة ، والصرع : الطرح على الارض (٣) أهطع : مد عنقه وصوب رأسه كاستهطع ، وكمحسن من ينظر فى ذل وخضوع لا يقلع بصره

أجوب الأرض دهراً أبر عمرٍو ولا يلفى بساحته بعيرى

وكان لِخَوْلان صنم يقال له « عُمْيانس » يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم من حق الله الذى سموه له تركوه . وفيهم نزل فيما بلغنا (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) وكان لجديلة طىّء صنم يقال له « اليعبوب » وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا اليعبوب بعده قال عبيد :

فتبدلوا (اليعبوبَ) بعد آلههم صنماً فقروا يا (جديل) وأعذبوا

أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا . وكان للأزد فى الجاهلية ومن جاورهم من طىء وقضاعة صنم يقال له « باجَر » بالموحدة وبالجيم المفتوحة وربما كسرت وكانوا يعبدونه الى غير ذلك مما يطول . وعن أبى رجاء العطاردى قال : لما بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار قال : وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجراً أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم نجد حجراً جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به . وقال أيضاً كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه . وعن أبى عثمان النهدى يقول : كنا فى الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادى : يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا رباً ! قال : فخرجنا كلّ صعب وذلول فبينا نحن كذلك نطلبه اذا نحن بمناد ينادى: انا قد وجدنا ربكم أو شبهه ! واذا حجر فنحرنا عليه الجزور .

ولما فتح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما فجعل يطعن بسية قوسه فى وجوهها وعيونها ويقول : (جاء الحق وذهب الباطل ان الباطل كان زهوقاً) وهى تتساقط على رؤوسها ثم أمر بها فأخرجت

من المسجد وحرقت . وكان لبنى الحرث كعبة بنجران يعظمونها وكان برهة الاشرم بنى بيتاً بصنعاء سماها (القَلّيس) بفتح القاف وكسر اللام وضبطه صاحب القاموس بضم القاف وفتح اللام المشددة بناها بالرخام وجيد الخشب المذهب وكتب الى ملك الحبشة : انى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها أحد ولست تاركاً العربَ حتى أصرف حجهم عن الكعبة . فبلغ ذلك بعض نَسَأة الشهور فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يخرجا حتى يتغوطا فيها ففعلا فلما بلغه ذلك غضب وخرج بالفيل والحبشة فكان من أمره ما أسلفناه فى أوائل الجزء الاول من هذا الكتاب . وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كما تطوف بالكعبة وتنحر عندها كما تنحر عند الكعبة . قال أبو المنذر : المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن . هذا ملخص ماذكره من الأصنام . ولأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب الأصنام أيضاً وقد أبدع فيه . وفى تاريخ مكة للامام الازرقى تفصيل كيفية عبادة العرب لها على أتم وجهٍ . وكتب السير لاتخلو عن شئ من ذلك .

أسباب أُخر لعبادة الأصنام

قال ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان) : وتلاعب الشيطان بالمشركين فى عبادة الأصنام له أسباب عديدة ، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الاصنام على صورهم كما يروى عن هشام عن أبيه ، أنه قال : كان ود وسُواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم ذوو أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل: ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير انى لا أقدر أن

أجعل فيها أرواحاً ؟ قالوا : نعم ! فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وكانت عملت على عهد برد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم . ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشدّ من تعظيم القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا : ماعظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله ! فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله اليهم (ادريس) فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً عليًّا ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن اربعمائة سنة وثمانين سنة فدعاهم الى الله فى نبوته عشرين ومائة سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله أن يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاث مائة سنة وخمسين سنة فكان بين آدم ونوح الفاسنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض (جدة) فلما نضب الماء بقيت على الشط ونسفت الريح عليها حتى وارتها

قلت : ظاهر القرآن يدل على خلاف هذا وان نوحاً لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاماً وأن الله أهلكهم بالغرق بعد أن لبث فيهم هذه المدة . . قال الكلبي : وكان عمرو بن لحى كاهناً وله رَئِى [1] من الجن فقال (عجل السير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت جدة ، تجد فيها أصناماً معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب) فاتى نهر جدة فاستثارها فحملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة فاجابه عوف بن عذرة ابن زيد اللات فدفع اليه وداً فحمله فكان بوادى القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمى به وجعل عوف ابنه عامراً سادناً فلم يزل بنوه

(١) على وزن غنى ويكسر : جني يتعرض للرجل يريه كهانة أو طباً وفي حديث قال اسواد بن قارب: أنت الذى أتاك رئيك بظهور رسول الله ، قال : نعم

مسدنين حتى جاء الله بالاسلام . قال الكلبي : فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودًّا قال وكان أبي يبعثني باللبن اليه فيقول (اسقه آلهك) فاشربه . قال : ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذاذاً [1] . وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهده وكسره . قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة «صف لي ودًّا حتى كأني أنظر اليه» قال : كان تمثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال قد زبر (أي نقش) عليه حلتان متزر بحلة مرتد باخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء وقصعة فيها نبل يعني جعبة . . وأجابت عمراً المذكور كثير من القبائل وقد ذكرنا قريباً ما يغني عن الاعادة . ولهذا لعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتخذين على القبور المساجدَ والسُرُج ونهى عن الصلوة الى القبور وسأل ربه سبحانه أن لايجعل قبره وثناً يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال : اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل [2] فأبى المشركون الا خلافه في ذلك كله اما جهلاً واما عناداً لاهل التوحيد ولم يضرهم ذلك شيئاً . وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين وأما خواصهم فانهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم وجعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجاباً وحجاً وقرباناً ولم تزل هذه في الدنيا قديماً وحديثاً فمنها بيت على رأس جبل باصبهان كان به أصنام أخرجها

---

(١) أي فتاتاً ، ومنه قيل للسويق الجذيذ ، ويقال : جذ الله دابرهم أي استأصلهم (٢) ليعتبر المسلمون في أقطار الارض بكلام نبيهم الاعظم ! فاين هو من عنايتهم اليوم بتشييد القباب على القبور ؟ واين هو من تعظيمهم الموتى تعظيماً يأباه العقل والشرع ؟ واين هو من السجود على أعتاب المشاهد والتبرك بالاحجار ؟ واين هو من سوق الهدايا والقرابين إلى مشاهد الاولياء ؟ فاهذا الضلال المبين ؟ وماهذا المروق من الدين ؟ فهل أبيتم أيها المسلمون الاخلاف أوامر نبيكم فصار عملكم عمل أهل الجاهلية عباد اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى . . أم أضلكم أحباركم احبار السوء فانتم على آثارهم مهتدون ؟

لا يعجبنك ماترى من قبة ضربوا على موتاهم وطراف
هجموا على الحق المبين بباطل وعلى سبيل القصد بالاسراف

بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار . ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم . وأشد الأمم فى هذا النوع من الشرك الهند قال يحيى بن بشر : إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له (برهمن) ووضع لهم أصناماً وجعل أعظم بيوتها بيتاً بمدينة من مدائن السند وجعل فيه صنمهم الاعظم وزعم انه بصورة الهيولى الاكبر وفتحت هذه المدينة فى أيام الحجاج واسمها الملتان فاراد المسلمون قلع الصنم فقيل (ان تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من المال) فامر عبد الملك بن مروان أن يتركه ، فالهند تحج اليه من نحو ألفى فرسخ ولا بد لمن يحجه أن يحمل معه من النقد ما يمكنه من مائة الى عشرة آلاف لايكون أقل من هذا ولا أكثر فيلقيه فى صندوق هناك عظيم ويطوف بالصنم فاذا ذهبوا ورجعوا الى بلادهم قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه . وأصل هذا المذهب من مشركى الصابئة وهم قوم إبراهيم الذين ناظرهم فى بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه وآلهتهم بيده فطلبوا تحريقه وهو مذهب قديم فى العالم وأهله طوائف شتى .

فمنهم عباد الشمس

زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل وهى أصل نور القمر والكواكب وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها وهى عندهم ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء . ومن شريعتهم فى عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات فى اليوم ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعونه ويستشفون

به . وهم اذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها واذا غربت واذا توسطت الفلك ولهذا يقارنها الشيطان فى هذه الاوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له ولهذا نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن تحرى الصلاة فى هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك وعبادة الاصنام .

وطائفة أخرى اتخذت القمر صنما

وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هـذا العالم السفلى ومن شريعة عبادته انهم اتخذوا له صنماً على شكل عجل وبيد الصنم جوهرة يعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر ثم يأتون اليه بالطعام والشراب والفرح والسرور . فاذا فرغوا من الاكل أخذوا فى الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه . ومنهم من يعبد أصناما اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيتها بزعمهم وبنوا لها هيا كل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر فى كتاب (السر المكتوم فى مخاطبة النجوم) المنسوب الى ابن خطيب الرى تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها . وكل هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمر لهم طريقة الا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون اليه ويعكفون عليه . ومن ههنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورتها فوضع الصنم انما كان فى الاصل على شكل معبود غائب فجعل الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه ، والا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه آلهه ومعبوده .

(ومن أسباب عبادة الاصنام) أيضاً أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض مايخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشياطين فجهلتهم وسقطتهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب وعقلاؤهم يقولون ان

تلك روحانية الاصنام وبعضهم يقول : انها الملائكة وبعضهم يقول إنها العقول المجردة وبعضهم يقول هى روحانيات الاجرام العلوية وكثير منهم لا يسأل عما عهد بل اذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه آلها ولا يسأل عما ورآء ذلك . وبالجملة فأكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاوثان ولم يتخلص الا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم وعبادتها فى الارض من قبل نوح كما تقدم وهيا كلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة فى شرائع عبادتها طبق الارض قال امام الحنفاء صلى الله تعالى عليه وسلم (واجنبنى وبنىّ أن نعبد الاصنام ربِّ انهن أضللن كثيراً من الناس) . والامم التى أهلكها الله بانواع الهلاك كلهم كانوا يعبدون الاصنام كما قص الله تعالى ذلك عنهم فى القرآن وانجى الرسل واتباعهم من الموحدين ويكفى فى معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الارض ماصح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون . وقد قال تعالى (فابى أكثر الناس الا كفورا) وقال (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) . وقال (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) . وقال (وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ولو لم تكن الفتنة بعبادة الاصنام عظيمة لما قدم عبادها على بذل النفوس وأموالهم وأبنائهم ، فهم يشاهدون مصارع اخوانهم وماحل بهم وما يزيدهم ذلك الاحباً لها وتعظيما ويوصى بعضهم بعضاً بالصبر عليها وتحمل أنواع المكاره فى نصرتها وعبادتها وهم يسمعون أخبار الامم التى فتنت بعبادتها وماحل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها . ففتنة الاصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها . والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة فى الدنيا والآخرة وهو يشاهد مايحل باصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر غير ماأعد الله تعالى له فى الآخرة وفى البرزخ ولا يزيده ذلك الا اقداماً وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته . فهكذا الفتنة بعبادة الاصنام وأشد فان تأله القلوب بها أعظم من تألهها للصور التى

يراد منها الفاحشة بكثير. والقرآن بل وسائر الكتب الالهية من أولها الى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وانهم أعداء الله تعالى ورسله وانهم أولياء الشيطان وعباده وأنهم هم أهل النار الذين لايخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات [1] ونزلت بهم العقوبات . وان الله سبحانه برئ منهم هو وجميع رسله وملائكته وانه سبحانه لايغفر لهم ولايقبل لهم عملا . وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف وقد أباح الله لرسوله واتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبناءهم وأمرهم بتطهير الارض منهم حيث وجدوا وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم باعظم أنواع العقوبة فهؤلاء فى شق ورسل الله فى شق . (ومن أسباب عبادة الاصنام) الغلو فى المخلوق وأعطاؤه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الآلهية وشبهوه بالله سبحانه وهذا هو التشبيه الواقع فى الامم الذى ابطله الله سبحانه وبعث رسله وانزل كتبه فانكاره الرد على أهله فهو سبحانه ينفى وينهى أن يجعل غيره مثلاً له ونداً له وشبهاً له لاأن يشبه هو بغيره اذ ليس فى الامم المعروفة أمة جعلته سبحانه مِثْلا لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق . فهذا لايعرف فى طائفة من طوائف بنى آدم وانما الاول هو المعروف فى طوائف أهل الشرك غَلَوْا فيمن يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الالهية بل صرحوا أنه الآله وانكروا جعل الآلهة آلها واحداً وقالوا (اصبروا على آلهتكم) وصرحوا بانه آله معبود يرجى ويخاف ويعظم ويسجد له ويحلف باسمه وتقرب له له القرابين الى غير ذلك من خصائص العبادة التى لاتنبغى الا لله فكل مشرك فهو مشبه لآلهه ومعبوده بالله سبحانه وان لم يشبهه به من كل وجه حتى ان الذين وصفوه سبحانه بالنقائص والعيوب كقولهم ان الله فقير وان يدالله مغلولة وانه استراح لما فرغ من خلق العالم والذين جعلوا له ولداً وصاحبة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً لم يكن قصدهم ان يجعلوا المخلوق أصلا ثم يشبهون به الخالق

(١) المثلات: العقوبات واحدها مثلة ، ويقال المثلات : الاشياء والامثال مما يعتبر به

تعالى بل وصفوه بهذه الاشياء استقلالاً لاقصد أن يكون غيره أصلاً فيها وهو مشبه به . ولهذا كان وصفه سبحانه بهذه الامور من أبطل الباطل لكونها فى نفسها نقائص وعيوبا ليس جهة البطلان فى اتصافه بها هو التشبيه والتمثيل فلا يتوقف فى نفيها عنه على ثبوت انتفاء التشبيه كما يفعله بعض أهل الكلام الباطل حيث صرحوا بانه لايقوم دليل عقلى عل انتفاء النقائص والعيوب عنه وانما تنفى عنه لاستلزامها التشبيه والتمثيل .

وأطال الكلام ابن القيم فى هذا المقام الى ان قال : والمقصود أنه لم يكن فى الامم من مثله بخلقه وجعل المخلوق أصلا ثم شبهه به . وانما كان التمثيل والتشبيه فى الأمم حيث شبهوا أوثانهم ومعبوديهم به فى الآلهية وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأصنام والقرآن مملوء من ابطال أن يكون فى المخلوقات من يشبه الرب تعالى أو يماثله فهذا هو الذى قصد بالقرآن ابطالاً لما عليه المشركون والمشبهون العادلون بالله غيرَهُ قال تعالى(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) . وقال (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً للخالق والند الشِبْه يقال فلان ند فلان وند نده أى شبهه ومثله . ومنه قول حسان :

أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء (1)

« وقال جرير »

أينا تجعلون الىَّ ندا وماتيمٌ لذى حسب نديد

ثم قال بعد كلام : فتبين أن المشبهة هم الذين يشبهون المخلوق بالخالق فى

---

(1) الاستفهام للانكار ، أى ما كان ينبغى لك أن تهجوه ولست من اكفائه ونظرائه فلم تنصفه ، وقوله فشركما لخيركما الفداء مع علمه أن رسول الله (ص) خيرهما بلا ريبة — جار على أسلوب الكلام المنصف وهو أن ينصف المتكلم من نفسه او ممن يتكلم من جهته فيضطر السامع الى الاذعان له ولا يجد سبيلا لانكاره والمنازعة فيه . نحو (انا واياكم لعلى هدى او فى ضلال المبين) فان من المعلوم ان المتكلم ومن معه على هدى وان المخاطبين فى ضلال وانما ابهم الامر بين الفريقين ليكون ادعى للمخاطب الى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وانصفه

العبادة والتعظيم والخضوع والحلف به والنذر له والسجود له والعكوف عند بيته وحلق الرأس له والاستغاثة به والتشريك بينه وبين الله تعالى فى قولهم ليس الا الله وأنت وأنا متكل على الله وعليك وأنا فى حسب الله وحسبك وماشاء الله وشئت وهذا لله ولك وأمثال ذلك فهؤلاء هم المشبهة ، فمن تدبر هذا الفصل حق التدبر تبين له كيف وقعت الفتنة فى الارض بعبادة الاصنام وتبين له سر القرآن فى الانكار على هؤلاء المشبهة الممثلة والله سبحانه الهادى الى سواء الطريق .

وصنف من العرب دهريون

وهؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم (ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) وهؤلاء فرقتان : فرقة قالت « ان الخالق سبحانه خلق الافلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فاحرقته ولم يقدر على ضبطها وامساك حركتها » وفرقة قالت « ان الأشياء ليس لها أول البتة وانما تخرج من القوة الى الفعل فاذا خرج ما كان بالقوة الى الفعل تكونت الاشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شىء آخر » وقالوا « ان العالم لم يزل ولا يزال ولا يتغير ولا يضمحل ولا يجوز أن يكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل الا وهو يبطل ويضمحل مع فعله وهذا العالم هو الممسك لهذه الاجزاء التى فيه » وهؤلاء هم المعطلة حقاً . وفى كتاب الملل والنحل للشهرستانى عند الكلام على الدهرية ما حاصله : وهم قوم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد بقوله تعالى (ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) اشارة الى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر . ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون . فاستدل عليهم بضروريات فكرية فقال عز وجل (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين

أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض أولم ينظروا الى ما خلق الله . قل أأنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين . يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقو الله الذى تساءلون به والارحام) . فثبتت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة . وقال سبحانه (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم [1] قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال عز اسمه (افعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) . وفى كتاب (مفتاح دار السعادة) رداً لقول من يقول بالطبيعة : وكانى بك أيها المسكين تقول هذه المكونات كلها من فعل الطبيعة وفى الطبيعة عجائب وأسرار فلو أراد الله أن يهديك لسألت نفسك بنفسك وقلت اخبريني عن هذه الطبيعة أهى ذات قائمة بنفسها لها علم وقدرة على هذه الافعال العجيبة أم ليست كذلك بل عرض وصفة قائمة بالمتبوع تابعة له محمولة فيه ؟ فان قالت لك هى ذات قائمة بنفسها لها العلم التام والقدرة والارادة والحكمة فقل لها هذا هو الخالق البارىء المصور فلم تسميه طبيعة فهلا سميته بما سمى به نفسه على ألسن رسله ودخلت فى جملة العقلاء السعداء فان هذا الذى وصفت به الطبيعة صفته تعالى . وان قالت لك بل الطبيعة عرض محمول مفتقر الى حامل وهذا كله فعلها بغير علم منها ولا ارادة ولا قدرة ولا شعور أصلا وقد شوهد من آثارها ما شوهد فقل لها هذا مالا يصدقه ذو عقل سليم كيف تصدر هذه الافعال العجيبة والحكم الدقيقة التى تعجز عقول العقلاء عن معرفتها وعن القدرة عليها ممن لافعل له ولا قدرة ولا حكمة ولا شعور وهل التصديق بمثل هذه الادخول فى سلك المجانين والمبرسمين [2] ، ثم قل لها بعدُ ولو ثبت لك ما ادعيت فمعلوم أن هذه الصفة

---

(١) اى بالية ، يقال : رم العظم اذا بلى (٢) البرسام علة يهذى فيها ، وهو ورم حار يعرض

ليست بخالقة لنفسها ولا مبدعة لذاتها فمن ربها ومبدعها وخالقها ؟ مَنْ طبعها وجعلها تفعل ذلك ؟ فهى إذاً من أدل الدليل على باريها وفاطرها وكمال قدرته وعلمه وحكمته فلم يجدك تعطيلك رب العالم وجحدك لصفاته وأفعاله الا لمخالفتك لموجب العقل والفطرة ولو حكمناك الى الطبيعة لأريناك انك خارج عن موجبها فلا أنت مع موجب العقل ولا الفطرة ولا الطبيعة ولا الانسانية أصلا وكفى بذلك جهلا وضلالا . فان رجعت الى العقل وقلت لا يوجد حكمة الا من حكيم قادر عليم ولا تدبير متقن محكم الا من صانع قادر مختار مدبّر عليم بما يدبر قادر عليه لا يعجزه ولا يصعب عليه ولا يؤوده . قيل لك : فقد أقررت ـ ويحك ـ بالخلاق العظيم الذى لا إله غيره ولا رب سواه فدع تسميته طبيعة أو عقلا فعالاً أو موجباً بذاته وقل هذا هو الخالق البارئ المصور رب العالمين وقيوم السموات والارضين رب المشارق والمغارب الذى أحسن كل شئ خلقه وأتقن ماصنع فمالك جحدت أسماءه وصفاته بل وذاته وأضفت صنعه الى غيره وخلقه الى سواه مع انك مضطر الى الاقرار به واضافة الابداع والخلق والربوبية والتدبير اليه ولا بد فالحمد لله رب العالمين انتهى . وللآمدى كلام لطيف مع القائلين بالطبيعة فى كتابه (أبكار الافكار) فارجع اليه . ولولا أن هذا الداء قد سرى فى أكثر أقطار الأرض لما تعرضنا لرده فان ذلك ليس من موضوع الكتاب . ومن قال بالدهر أثبت له صفات الكمال كالعلم والقدرة وغير ذلك . قال قائلهم (٢) :

مَنَعَ البقاءَ تقلبُ الشمسِ ... وطلوعُها من حيث لا تُمسى
وطلوعُها حمراءَ صافيةً ... وغروبُها صفراءَ كالورس (٣)
تجرى على كَبِدِ السماءِ كما ... يجرى حِمامُ الموتِ فى النفس (٤)

للحجاب الذى بين الكبد والامعاء ثم يتصل الى الدماغ ، وقد برسم الرجل فهو مبرسم وكأنه مركب من (بر) و (سام) وبر بالفارسية الصدر وسام هو الموت نقله الازهرى (١) أى لا يثقله ولا يشق عليه (٢) قيل : القائل تبع بن الاقرن ، وقال القالى : هو روح بن رياح ، وقيل غيرهما (٣) الورس : نبت اصفر يزرع باليمن ويصبغ به . وقيل : صنف من الكركم . وقيل يشبهه (٤) حمام الموت : قضاء الموت وقدره

أليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس[١]

وبمقتضى ما تقرر أنه لا فرق بين القائلين بالدهر والطبيعيين ، وبعضهم يفرق ففى (شرح المقاصد) للسعد التفتازانى فى تفصيل فرق الكفار : قد ظهر أن الكافر اسم لمن لا ايمان له فان أظهر الايمان خُصّ باسم المنافق وان طرأ كفر بعد الاسلام خص باسم المرتد لرجوعه عن الاسلام فان قال بآلهين أو أكثر خص باسم المشرك لاثباته الشركة فى الألوهية وان كان متدينا ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص بالكتابى كاليهودى والنصرانى وان كان يقول بقدم الدهر واسناد الحوادث إليه خص باسم الدَّهْرِيّ وان كان لا يثبت البارى سبحانه خص باسم المعطل وان كان مع اعترافه بنبوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واظهار عقائد الاسلام يبطن عقائد هى كفر بالاتفاق خُصّ باسم الزنديق وهو فى الاصل منسوب الى (زند) اسم كتاب أظهره (مزدك) فى أيام (قباد) وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذى جاء به (زراد شت) الذى يزعمون أنه نبيهم انتهى . وهو اصطلاح جديد ولا مشاحة فيه .

وصنف من العرب يصبو الى الصابئة

وهم من يعتقد فى الانواء[٢] اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنَوْء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا وسيجيء تفصيل ذلك عند الكلام على علومهم . والصابئة أمة كبيرة من الامم الكبار ، وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل اليهم من معرفة دينهم وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر . قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى

---

(١) اليوم : منصوب على الظرفية بفى مقدرة وهو متعلق بأعلم وهو على تقدير لا اعلم وامس فاعل مضى محله رفع وهذا مذهب الحجازيين لتضمنه معنى لام التعريف والكسرة فيه لالتقاء الساكنين ولبنائه عندهم شروط ليس هذا محل ذكرها ، والبيت من شواهد النحو (٢) جمع نؤ وهو النجم مال للغروب ، أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق

والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فذكرهم فى الامم الأربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناجٍ وهالك . وذكرهم أيضاً فى الامم الست الذين انقسمت جملتهم الى ناج وهالك كما فى قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) فذكر الامتين اللتين لا كتاب لهم ولا ينقسمون الى شقى وسعيد وهم المجوس المشركون فى آية الفصل ولم يذكرهم فى آية الوعد بالجنة وذكر الصابئين فيهما ، فعلم أن فيهم الشقى والسعيد وهؤلاء كانوا قوم ابراهيم الخليل عليه السلام وهم أهل دعوته وكانوا بحران فهى دار الصابئة وكانوا قسمين صابئة حنفاء وصابئة مشركين . والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشرَ ويصورونها فى هياكلهم . ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة وهى المتعبدات الكبار كالكنائس للنصارى والبِيَع لليهود ، فلهم هيكل كبير للشمس ، وهيكل للقمر وهيكل للزُهرة ، وهيكل المشترى ، وهيكل للمريخ ، وهيكل لعُطارد ، وهيكل لزحل ، وهيكل للعلة الأولى ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة ويصورونها فى تلك الهياكل ويتخذون لها أصناماً تخصها ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس فى اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين

وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون فى صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج اليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون من القرابات فى النكاح مايحرم المسلمون وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد منهم هلال بن المحسن الصابىء صاحب الديوان الانشائى وصاحب الرسائل المشهورة وكان يصوم مع المسلمين ويعبد معهم ويزكى ويحرم المحرمات وكان الناس يعجبون من موافقته للمسلمين وليس على دينهم . « وأصل دين هؤلاء » فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبيح ماهم عليه قولاً

وعملاً ولهذا سموا صابئة أى خارجين فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيله الا ما رأوه فيه من الحق . وكانت كفار قريش تسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صابئاً والصحابة الصباة يقال صبأ الرجل بالهمز اذا خرج من شيء الى شيء وصبا يصبو اذا مال. ومنه قوله تعالى (والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن) أى أميل : والمهموز والمعتل يشتركان فالمهموز ميل عن الشيء والمعتل ميل اليه . واسم الفاعل من المهموز صابيء بوزن قاريء ومن المعتل صاب بوزن قاض وجمع الاول صابئون كقارئون والثانى صابون كقاضون وقد قريء بهما . والمقصود أن هذه الامة قد شاركت جميع الامم وفارقتهم . والحنفاء منهم شاركوا أهل الاسلام فى الحنيفية والمشركون شاركوا عباد الاصنام ورأوا أنهم على صواب وأكثر هذه الامة فلاسفة والفلاسفة يأخذون بزعمهم بمحاسن ما دلت عليه العقول ، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الانبياء وشرائعهم وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرمه وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك ولهذا لم يكن هؤلاء ولا الصابئة من الامم المستقلة التى لها كتاب ونبى" وان كانوا من أهل دعوة الرسل فما من أمة الا وقد أقام الله سبحانه عليها حجة وقطع عنه حجتها لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وتكون حجته عليهم . والمقصود ان الصابئة فرق : فصابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، وصابئة فلاسفة ، وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ولا نحلة ، ثم منهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف فى التفصيل ، ومنهم من يقر" بها جملةً وتفصيلاً ، ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلاً وهم يقرون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن العيوب والنقائص . ثم قال المشركون منهم « ولا سبيل لنا الى الوصول الى جلاله الا بالوسائط فالواجب علينا ان نتقرب اليه بتوسطات الروحانيات القريبة منه » وهم الروحانيون والمقربون المقدسون عن المواد الجسمانية وعن القوى الجسدانية ، بل قد جبلوا على الطهارة فنحن نتقرب اليهم ونتقرب

بهم اليـه فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عنـد رب الأرباب واله الآلهة فما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالواجب علينا ان نطهر نفوسـنا عن الشهوات الطبيعية ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الغضبية حتى تحصل المناسبة بيننا وبين الروحانيات وتتصل أرواحنا بهم فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصبو فى جميع أمورنا اليهم فيشفعون لنا الى آلهنا وآلههم ، وهذا التطهير والتهذيب لايحصل الا باستمداد من جهة الروحانيات وذلك بالتضرع والابتهال بالدعوات من الصلوات والزكوات وذبح القرابين والبخورات والعزائم ، فحينئذ يحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة الرسل بأن نأخذ من المَعْدِن الذى أخـذت منه الرسل فيكون حكمنا وحكمهم واحداً ونحن وإياهم بمنزلة واحدة قالوا « والانبياء أمثالنا فى النوع وشركاؤنا فى المادة وأشكالنا فى الصورة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب وما هم الا بشر مثلنا يريدون ان يتفضلوا علينا » . فهؤلاء كفروا بالاصلين اللذين جاءت بهما جميع الرسل والانبياء من أولهم الى آخرهم . أحدهما عبادة الله وحده لاشريك له والكفر بما يعبـد من دونه من آله ، والثانى الايمان برسله وما جاؤا به من عند الله تصديقاً واقراراً وانقياداً وامتثالا . وليس هذا مختصاً بمشركى الصابئة كما غلط فيه كثير من أرباب المقالات بل هذا مذهب المشركين من سائر الامم لكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات . ولذلك ناظرهم امام الحنفاء صلوات الله وسلامه عليه فى بطلان آلهيتها بما حكاه سبحانه فى سورة الانعام أحسنَ مناظرة وابينَها ظهرت فيها حجته ودحضت فيها حجتهم ، فقال بعد ان بين بطلان الهيـة الكواكب والقمر والشمس بافولها وان الآله لايليق به ان يغيب ويأفل لايكون الا شاهداً غير غائب — كما لايكون الا غالباً قاهراً غير مغلوب ولا مقهور ، نافعاً لعابده يملك لعابده الضر والنفع فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ويدفع عنه كل مايضره ويؤذيه ، وذلك ليس الا الله وحده فكل معبود سواه باطل فلما رأى امام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست بهذه المثابة

صمدمنها الى خالقهاوفاطر ها ومبدعها فقال (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض) . وفى ذلك اشارة الى أنه سبحانه خالق أمكنتها ومحالها التى هى مفتقرة اليها ولا قوام لها الا بها فهى محتاجة الى محل تقوم به وفاطر يخلقها ويدبرها ويربّها والمحتاج المخلوق المربوب المدبر لايكون آلهاً فحاجّهُ قومه فى الله ومن حاج فى عبادة الله فحجته داحضة فقال ابراهيم (أتحاجونى فى الله وقد هدانى) وهذا من أحسن الكلام أى أتريدون أن تصرفونى عن الاقرار بربى وتوحيده وعن عبادته وحده وتشككونى فيه وقد أرشدنى وبين لى الحق حتى استبان لى كالعيان وبين لى بطلان الشرك وسوء عاقبته وان آلهتكم لاتصلح للعبادة وان عبادتها توجب لعابدها غاية الضرر فى الدنيا والآخرة فكيف تريدون منى ان أنصرف عن عبادته وتوحيده الى الشرك به وقد هدانى الى الحق وسبيل الرشاد فالمحاجة والمجادلة انما فائدتها طلب الرجوع والانتقال من الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن العمى الى الابصار ، ومجادلتكم اياى فى الاله الحق الذى كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك — فخوفوه بآلهتهم أن تصيبه بسوء كما يخوف المشرك الموحد بآلهه الذى يألهه مع الله ان يناله بسوء . فقال الخليل (ولا أخاف ماتشركون به) فان آلهتهم أقل وأحقر من أن تضر من كفر بها وجحد عبادتها . ثم رد الأمر الى مشيئة الله وحده وانه هو الذى يخاف ويرجى فقال (الا ان يشاء ربى شيئاً) والمعنى لاأخاف آلهتكم فانها لامشيئة لها ولا قدرة لكن ان شاء ربى شيئاً نابنى وأصابنى لاآلهتكم التى لاتشاء ولا تعلم شيئاً وربى له المشيئة النافذة قد وسع كل شىء علماً ، فمن أولى بأن يخاف ويعبد هو سبحانه أم هى ؟ ثم قال (أفلاتتذكرون) فتعلمون بطلان ماأنتم عليه من اشراك من لامشيئة له ولا يعلم شيئاً بمن له المشيئة التامة والعلم التام . ثم قال (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا) وهـذا من أحسن قلب الحجة وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله وبطلان مذهبه فانهم خوفوه بآلهتهم التى لم ينزل الله عليهم سلطانا بعبادتها وقد تبين بطلان آلهيتها

ومضرة عبادتها ومع هـذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى فأىّ الفريقين أحق بالامن وأولى بأن لا يلحقه الخوف فريق الموحدين أم فريق المشركين ؟ فحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذى لاحكم أصح منه فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم « أى بشرك » أولئك لهم الامن وهم مهتدون) . ولما نزلت هذه الآية شق أمرها على الصحابة وقالوا : يارسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال « انما هو الشرك ألم تسمعوا قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم » فحكم سبحانه للموحدين بالهدى والامن وللمشركين بضد ذلك وهو الضلال والخوف. ثم قال (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) قال أبو محمد بن حزم : وكان الذى ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الأرض والغالب على الدنيا الى أن أحدثوا الحوادث وبدلوا شرائعه فبعث الله اليهم ابراهيم خليله بدين الاسلام الذى نحن عليه اليوم وتصحيح ماأفسدوه وبالحنيفية السمحة التى أتانا بها محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عند الله وكانوا فى ذلك الزمان وبعده الحنفاء . قلت : هم قسمان صابئة مشركون وصابئة حنفاء وبينهم مناظرات وقد حكى الشهرستانى بعض مناظراتهم ، والله ولى الهداية والتوفيق .

وصنف من العرب زنادقة

وهم طائفة من قريش . قال ابن قتيبة فى (كتاب المعارف) عند الكلام على أديان العرب فى الجاهلية : وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الحيرة . وفى القاموس : الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أومن لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أى دين المرأة والاسم الزندقة . وقد ألف ابن الكمال رسالة فى بيان معنى هـذا اللفظ قال فيها : وأما الذى ذهب اليه صاحب القاموس من أنه معرب زن دين فلا وجه

له كما لايخفى و (زند) اسم كتاب أظهره (مزدك) رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية فى زمن كسرى بن أنوشروان والمزدكية غير المانوية أصحاب مانى الحكيم [1] الذى ظهر فى زمن سابور بعد بعث عيسى عليه الصلاة والسلام . ثم قال بعد كلام طويل ، قال فى الصحاح : الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة والهاء عوض عن الياء المحذوفة وأصله الزناديق والاسم الزندقة أو نافيا للصانع الحكيم قائلا لو كان له وجود لما كان الأمر كذا . والذى يظهر لى أن مراد ابن قتيبة من الزندقة التى نسبها الى بعض العرب اعتقاد الثنوية أو القائل بالنور والظلمة بمقتضى قوله أخذوها من الحيرة فانها كما أسلفنا فى الكلام على ملوك الحيرة من بلاد الفرس وان كان سكنتها وملوكها من العرب المتدينين بدين الفرس أو دين المسيح ولو كان مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لأخذها من الحيرة وجه فان كثيراً من قبائل العرب كانوا كذلك فتعين أن مراده ما ذكرنا فلابد من بيان ما كان عليه الثنوية والقائلين بالنور والظلمة ليتبين المقصود .

بيان معتقدات الثنوية

وهم طائفة قالوا : الصانع اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين مدركين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فالنور فاضل حسن نقى طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخيرات والمسرات والصلاح وليس فيها شئ من الضرر ، والظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص و نتن الريح وقبيح المنظر و نفسها نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة مضرة منها الشر

(١) هو رجل يقول: الخير من النهار والشر من الليل ، وانتحل هذا المذهب وقد رد عليه المتنبى فقال :

وكم لظلام الليل عندى من يد ... تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسرى إليهم ... وزارك فيه ذو الدلال المحجب

والفساد ، ثم اختلفوا فقالت فرقة منهم : ان النور لم يزل فوق الظلمة . وقالت فرقة : بل كل واحد منهما الى جانب الآخر . وقالت فرقة : النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال والظلمة منحطة في الجنوب ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه وزعموا أن لكل واحد منهما أربعة أبدان وخامس هو الروح ، فأبدان النور الأربعة الماء والنور والريح والماء وروحه السَيْح ولم يزل متحركا في هذه الأبدان ؛ وابدان الظلمة الأربعة الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت وبعضهم يقول : الظلمة تولد شياطين ، والنور يولد ملائكة ، والنور لا يقدر على الشر ولا يجيء منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجيء منها . ولهم مذاهب سخيفة جداً وفرض عليهم صوم سبع العمر وأن لا يؤذى أحد منهم ذا روح البتة . ومن شريعتهم أن لا يدخروا الا قوت يوم وتجنب الكذب والبخل والسحر وعبادة الأوثان والزنى والسرقة ، واختلفوا هل الظلمة قديمة أو حادثة فقالت فرقة منهم : هي قديمة لم تزل مع النور ، وقالت فرقة : بل النور هو القديم ولكنه فكر فكرة رديئة حدثت منها الظلمة . فدار مذهبهم على أصلين من أبطل الباطل . أحدهما : أن شر الموجودات وأخبثها وأردأها كفء لخير الموجودات وضد له ومناوئ له يعارضه ويضاده ويناقضه دائما ولا يستطيع دفعه وهذا أعظم من شرك عباد الأصنام الذين عبدوها لتقربهم الى الله فانهم جعلوها مملوكة له مربوبة مخلوقة كما كانوا يقولون في تلبيتهم «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك» الأصل الثاني انهم نزهوا النور أن يصدر منه شر ثم جعلوه منبع الشر كله وأصله ومولده وأثبتوا آلهين وربين وخالقين فجمعوا بين الكفر بالله وأسمائه وصفاته ورسله وأنبيائه وملائكته وشرائعه وأشركوا به أعظم الشرك . وحكى أرباب المقالات عنهم أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طينة العالم كانت طيبة حسنة ، وكانت تحاكي جسم النور الذي هو البارئ عندهم زماناً فتأذى بها فلما طال ذلك

عليه قصد تنحيتها عنه فتحول فيها واختلط بها فتركب من بينهما هـذا العالم المشتمل على الظلمة والنور فما كان من جهة الصلاح فمن النور وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة . قال : وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون انهـم يحسنون اليهم بذلك وانهم يخلصون الروح النورانية من الجسـد المظلم . وقال بعضهم : إن البارىءسبحانه لما طالت وحدته استوحش ففكر فكرة سوء فتجسمت فكرته فاستحالت ظلمة فحدث منها ابليس فرام البارىء ابعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخلق الجنود والخيرات فشرع ابليس فى خلق الشر ، وأصـل عقد مذهبهم الذى عليه خواصهم اثبات القدماء الخمسة البارىء . والزمان . والخلاء . والهيولى[1] . وإبليس . فالبارىء خالق الخـيرات . وإبليس خالق الشروز ، وكان (محمد بن زكريا الرازى) على هذا المذهب لـكنه لم يثبت ابليس فجعل مكانه النفس وقال بقدم الخمسة مع رشحة به من مذاهب الصابئة والدهرية والفلاسفة والبراهمة فكان قد أخذ من كل دين شر مافيه ، وصنف كتاباً فى ابطال النبوات ورسالة فى ابطال المعاد فركب مذهباً مجموعاً من زنادقة العالم وقال أنا أقول إن البارئ والنفس والهيولى والزمان والمكان قدماء وان العالم محدث . قيل له : فما العلة فى احداثه ؟ قال : إن النفس اشتهت ان تتخيل فى هذا العالم وحركتها الشهوة لذلك ولم تعلم مايلحقها من الوبال اذا انحلت فيه فاضطربت وحركت الهيولى حركات مشوشة مضطربة على غير نظام وعجزت عما أرادت فأعانها البارئ على احداث العالم وحملها على النظام والاعتدال . وعلم انها اذا ذاقت وبال ما اكتسبته عادت الى عالمها وسكن اضطرابها وزالت شهوتها واستراحت فأحدثت هذا العالم بمعاونة البارى لها . قال : ولولا ذلك لما قدرت على احداث هذا العالم ولولا هذه العلة لما حدث هذا العالم ! نسأله سبحانه العصمة من الخذلان .

(١) هى فى كلام المتكلمين أصل الشيء قال فى المزهر : فان يكن (أى لفظ الهيولى) من كلام العرب فهو صحيح فى الاشتقاق ووزنه فعولى ، وقيل هو مخفف هيئة اولى . والصواب انه لفظ

وصنف من العرب عبدوا الملائكة

وهم أفراد من العرب قد رد الله تعالى عليهم بقوله (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) . وقال تعالى (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول : ءأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟ قالوا : سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا[1] فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) وقد تكلم المفسرون على هذه الآيات بما لا يسعنا ايراده فمن أرادها فليرجع الى كتب التفاسير

ومنهم صنف عبدوا الجن

وهم شرذمة قليلون من أهل البوادى قد حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى كبراً وعتواً أو غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم . فان الرجل كان اذا أمسى بقفر قال « أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه » وقال تعالى (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) وقال تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) يعنى قد استكثرتم من اضلالهم واغوائهم . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم : أضللتم منهم كثيراً فيجيبه سبحانه أولياؤهم من الانس بقولهم

يونانى بمعنى الاصل والمادة . وفى الاصطلاح جوهر فى الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال محل للصورتين النوعية والجسمية (١) البور : الهلاك .

(ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنون استمتاع كل نوع بالنوع الآخر فاستمتاع الجن بالانس طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به من الكفر والفسوق والعصيان فان هذا أكبر أغراض الجن من الانس فاذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم مناهم واستمتاع الانس بالجن أنهم أعانوهم على معصية الله والشرك به بكل مايقدرون عليه من التحسين والتزيين والدعاء وقضاء كثير من حوائجهم واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها فاطاعتهم الانس فيما يرضيهم من الشرك والفواحش والفجور واطاعتهم الجن فيما يرضيهم من التأثيرات والاخبار ببعض المغيبات فتمتع كل من الفريقين بالآخر.. وفى كتاب (آكام المرجان فى أحكام الجان) حدثنا الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأعمش عن ابراهيم عن أبى معمر قال قال عبد الله بن مسعود : كان نفر من الانس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك هؤلاء بعبادتهم فأنزل الله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون .

وصنف منهم عبدوا النار

وهم أشتات من العرب وكأن ذلك سرى اليهم من الفرس والمجوس وقد قيل إن عبادة النار كانت فى الأرض من عهد قابيل كما ذكره أبو جعفر بن جرير انه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم أتاه ابليس فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدمها ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها وسرى هذا المذهب فى المجوس فبنوا لها بيوتاً كثيرة واتخذوا الوقوف والسدنة والحجاب فلايَدَعونها

تخمد لحظة واحدة فاتخذ لها (أفريدون) بيتاً (بطوس) وآخر (ببخارى) ، واتخذ لها (بهمن) بيتاً (بسجستان) واتخذها (أبو قتادة) بيتاً (بناحية بخارى) واتخذت لها بيوت كثيرة . وعباد النار يفضلونها على التراب ويعظمونها ويصوبون رأى ابليس وقد رمى بشار بن برد[1] بهذا المذهب لقوله فى قصيدته

الأرضُ سافلةٌ سوداءُ مظلمةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ

ويقولون : إنها أوسع العناصر خيراً وأعظمها جرماً وأوسعها مكانا وأشرفها جوهراً والطفها جسماً ولا كونَ فى العالم الا بها ولا نموّ ولا انعقاد الا بممازجتها . ومن عبادتهم لها أن يحفروا لها اخدوداً مربعاً فى الأرض ويطوفون به . وهم أصناف مختلفة « فمنهم » من يحرم القاء النفوس فيها واحتراق الأبدان بها وهم أكثر المجوس « وطائفة أخرى » منهم تبلغ بهم عبادتهم لها أن يقربوا أنفسهم وأولادهم لها وهؤلاء أكثر ملوك الهند واتباعهم ولهم سنة معروفة فى تقريب نفوسهم والقائهم فيها فيعمد الرجل الذى يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده أو حليلته فيجمله ويلبسه أحسن اللباس وأفخر الحلىّ ويركب أعلى المراكب وحوله المعازف والطبول والبوقات فيزف الى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه حتى اذا ما قابلها ووقف عليها وهى تأجج طرح نفسه فيها فضج الحاضرون صيحة واحدة بالدعاء له وغبطه على ما فعل فلم يلبث الا يسيراً حتى يأتيهم الشيطان فى صورته وهيئته وشكله لا ينكرون منه شيئاً فيأمرهم بأمره ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين ويخبرهم أنه صار الى الجنة ورياض وأنهار وأنه لم يتألم بمس النار له فلا يهولنهم ذلك ولا يمنعنهم أن يفعلوا مثله « ومنهم » زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين

(١) هو الشاعر العربي الشهير ، محله فى الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورئاسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك — يغني عن وصفه . وهو من شعراء مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية ، ولد أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الاشياء فى شعره بعضها ببعض فيأتى بما لا يقدر البصراء ان يأتوا بمثله ... قال الجاحظ : كان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الامم ويصوب رأى ابليس عليه اللعنة فى تقديم عنصر النار على الطين وذكر ذلك في شعره فقال :

الارض سافلة سوداء مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

عاكفين عليها . ومن سنتهم الحث على الاخلاق الجميلة كالصدق والوفاء وأداء الامانة والعفة والعدل وترك اضدادها ولهؤلاء شرائع فى عبادتها ونواميس وأوضاع لا يخلون بها « ومن عجائب العقول وتناقضها » فان طائفة أخرى تعبد الماء من دون الله وتسمى (الحلبانية) وتزعم أن الماء لما كان أصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة وما من عمل فى الدنيا الا يحتاج الى الماء ، ومن شريعتهم فى عبادته أن الرجل منهم اذا أراد عبادته تجرد وستر عورته ثم دخل فيه حتى يصير الى وسطه فيقيم هناك ساعتين أو أكثر بقدر ما أمكنه ويكون معه ما يمكنه أخذه من الرياحين فيقطعها صغاراً فيلقيها فيه شيئاً فشيئاً وهو يسبحه ويمجده فاذا أراد الانصراف حرك الماء بيده ثم أخذ منه فيضعه على رأسه وجسده ثم يسجد وينصرف قال ابن قتيبة فى (كتاب المعارف) وكانت المجوسية فى تميم منهم زرارة ابن عدس التميمى وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم . ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسياً . وأبو الأسود جد وكيع بن حسان كان مجوسياً انتهى . وما ذكر أن حاجب بن زرارة تزوج ابنته ليس من عوائد العرب ولا من مذاهبهم وقد سرى لحاجب هذا المنكر من المجوسية والعرب كانوا يتحرجون من نكاح المحارم على اختلافهم فى المذاهب والمشارب ، وهذا الذى ذكره ابن قتيبة ذكره غيره أيضاً ، قال الامام الماوردى فى (اعلام النبوة) : حكى أن حاجب بن زرارة وهو سيد بنى تميم نكح بنته وأولدها وقد كان سماها (دختنوس) باسم بنت كسرى وقال فيها حين نكحها مرتجزاً :

يا ليت شعرى عنك دختنوس ... اذا أتاها الخبر المرموس (١)

أتسحب الذيلين أم تميس ... لا بل تميس انها عروس (٢)

---

(١) الخبر المرموس : المكتوم

(٢) تسحب : تجر ، وتميس : تتبختر ، وقد نسب هذين البيتين الزمخشرى فى الاساس والزبيدى فى التاج والاصبهانى فى الاغانى الى لقيط بن زرارة ، قال الاصبهانى (الاغانى ج ١٠ ص ٣٨) :

وهـذا فى قريش من الفواحش انتهى . وترجمة زرارة وابنه والاقرع بن حابس وأبى الاسود مذكورة فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصبهانى وكتاب لب لباب لسان العرب . والاقرع بن حابس اسلم وكان من الصحابة . قال ابن حجر فى (الاصابة) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمى المجاشعى الدارمى قال ابن اسحق : وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن اسلامه . وقال الزبير فى (النسب) كان الأقرع حكماً فى الجاهلية وفيه يقول جرير وقيل غيره لما تنافر اليه هو والفرافصة أو خالد بن أرطاة :

يأقرعَ بن حابس ياأقرعُ ... انك ان يصرعْ أخوك تصرعُ (١)

دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكانت تحت عمرو بن عدس ا وفي تاج العروس (ج٤ ص١٤٧) :
دختنوس كعصفور بنت لقيط بن زرارة التميمى وهى معربة أصلها دخترنوش أى بنت الهنى . سماها أبوها باسم ابنة كسرى قلبت الشين سيناً لما عربت قال لقيط :

ياليت شعرى اليوم دختنوس ... اذا اتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون ام تميس ... لا بل تميس انها عروس . . . اه

وليس فى الاصول التى بايدينا مايشعر بانها ابنة حاجب وانه قال فيها هذين البيتين حين نكحها مرتجزاً ! بل المشهور ان لقيطاً قالهما يوم شعب جبلة عند موته ، وجعلت بنو عامر يضربونه وهو ميت فقالت دختنوس :

الا يالها الويلات ويلة من بكى ... لضرب بنى عبس (لقيطا وقد قضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة ... وماتحمل الضيم الجنادل من ردى
فلو انكم كنتم غداة لقيتم ... (لقيطاً) ضربتم بالاسنة والقنا
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب ... اضاءت لها القناص من جانب الشرا
فما ثأره فيكم ولكن ثأره ... (شريح) اأردته الاسنة أو هوى
فان تعقب الايام من فارس تكن ... عليكم حريقاً لايرام اذا سما
ليجزيكم بالقتل قتلا مضعفاً ... ومافى دماء الخمس يامال من بوا
ولو قتلتنا (غالب) كان قتلها ... علينا من لعار المجدع للعلى
لقد صبرت للموت (كعب) وحافظت ... (كلاب) وما انتم هناك لمن رأى

(١) حرك مجزوم (إن) بالضم للضرورة الشعرية ، قال سيبويه رحمه الله : وقد تقول ان اتيتنى آتيك أى اتيك ان تأتينى ، قال زهير :

وان أتاه خليل يوم مسألة ... يقول لاغائب مالى ولا حرم

ولا يحسن ان تأتينى اتيك من قبل ان اذهى العاملة وقد جاء فى الشعر قال جرير : ياأقرع بن

قال ابن دريد : اسم الأقرع بن حابس فراس وانما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه وكان شريفاً فى الجاهلية والاسلام . وروى ابن شاهين انه لما أصاب عيينة بن حصين بنى العنبر قدم وفدهم فذكر القصة وفيها فكلم الاقرع بن حابس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى السبى وكان بالمدينة قبل قدوم السبى وفى ذلك يقول الفرزدق يفخر بعمه الأقرع :

وعند رسول الله قام (ابن حابس) بخطة أسوار الى المجد حازم
له أطلق الاسرى التى فى قيودها مغللة أعناقها فى الشكائم [1]

وصنف من العرب عبدوا الشمس

وهم عرب حمير قبل أن يتهودوا ومنهم قوم بلقيس صاحبة القصة مع سليمان عليه السلام وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه العزيز فى قوله (وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أوليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) . روى ان سليمان عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى صنعاء ظهراً فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقعاً فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ماحكى. ولعل فى عجائب قدرة الله تعالى وما خص به من خاصة عباده أشياء أعظم من

حابس .... البيت . أى انك تصرع ان يصرع اخوك الخ وقد خرج الرضى البيت على خلاف ماخرجه سيبويه فجعل تصرع جواب الشرط مع مبتدأ محذوف مع الفاء الرابطة والتقدير فانت تصرع والجملة الشرطية خبر (ان) وسيبويه جعل تصرع خبر ان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ماقبله . وهذا الرجز لجرير ويقال : انه لعمرو بن الخثارم (١) الشكائم جمع شكيمة وهى فى اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفأس كما هو نص الجوهرى وفأس اللجام هى الحديدة القائمة فى اللجام اذا كان ذا عارضة وجد

ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها . (انى وجدت امرأة تملكهم) يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان . (وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم) قيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضاً وسمكاً أو ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر . (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون . الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ماتخفون وما تعلنون الله لااله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت ياأيها الملأ إنى ألقى إلىّ كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو علىّ وائتونى مسلمين . قالت ياأيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدونى . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين) الى آخر الآيات الواردة فى هذه القصة . وقد آل الأمر بها الى الايمان كما يدل عليه قوله (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام . (انها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح[1] فلما رأته حسبته لجة[2] وكشفت عن ساقيها) روى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى قصراً صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنت ماء راكداً فكشفت عن ساقيها (قال انه صرح ممرد من قوارير[3] . قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقد اختلف فى أنه تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان . وتفصيل ما كان فى كتب التفسير والتواريخ وقد ذكرنا سابقا سبب عبادة الشمس وما كان يزعمه فيها عبادها وشريعتهم فى عبادتها فلاحاجة الى الاعادة

---

(١) القصر ، وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح (٢) اللجة : معظم البحر
(٣) ممرد : مملس ، والقوارير جمع قارورة وهى ماقر فيه الشراب أو يخص بالزجاج ، وقوارير من فضة : أى من زجاج فى بياض الفضة وصفاء الزجاج عند المؤولة من المفسرين

وصنف من العرب عبدوا الكواكب

وهم طائفة من تميم عبدوا (الدبران) من النجوم ومن زعمهم الكاذب ان (العيوق) عاق الدبران لما ساق الى الثريا مهراً وهي نجوم صغار نحو عشرين نجماً فهو يتبعها أبداً خاطبا لها ولذلك سموا هذه النجوم (القلاص) وعليه قول الشاعر :

اما ابن طوق فقد أوفى بذمته　　كما وفى (بقلاص النجم) حاديها[1]

وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا (الشعرى العبور) وأول من سن ذلك لهم أبو كبشة وجزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف أبو آمنة أم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث الرسول وخالف قريشاً وغيرهم من العرب في عبادة الاوثان كانوا يسمونه ابن أبي كبشة لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لهم في عبادة الشعرى وهي التي عناها الله تعالى بقوله (وانه هو رب الشعرى) وخصها بالذكر لعبادة من ذكرنا لها أو ان تخصيصها للاشعار بأن النبي عليه السلام وان وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضاً في عبادتها . وفي الكواكب (شعرى الغميصاء) أيضاً ، أما العبور فانها من نجوم الجوزاء وهي من النجوم التي في العظم الاول وأصحاب الصور يرسمونها في (السرطان) . ويسمى (كلب الجبار) وسميت (بالعبور) لأنها على ما حكاه أصحاب اللغة في أكاذيب العرب وخرافاتها كانت و (الغميصاء) و (سهيل) مجتمعة ولذلك يقال للشعريان (أختا سهيل) فانحدر سهيل فصار يمانياً وتبعته العبور فعبرت (المجرة) وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت . والغمص في العين نقص وضعف والشعرى العبور أشد ضياء من الغميصاء . والغميصاء من نجوم الذراع المبسوطة وبينها وبين العبور المجرة

---

(١) حاديها هو الدبران ، قال ذو الرمة :

قلاص حداها راكب متعمم　　هجائن قد كادت عليه تفرق

وأصحاب الصور يعدونها فى صورة الكلب الاكبر وهى تقطع السماء عرضاً وليس غيرها من الكواكب كذلك . وبعض طيء عبدوا (الثريا) وهى عدة كواكب مجتمعة . وبعض قبائل ربيعة عبدوا (المرزم) كنبر ، والمرزمان نجمان مع الشعريين والرزم بمعنى الجمع ورزم الشتاء رزمة برد وبه سمي نوء المرزم . ويقال ان أحد المرزمان يتبع الشعرى العبور وأصحاب الصور يسمونه (كف الكلب) والآخر هو الكوكب الاخفى من كوكبى الذراع المبسوطة . والقمر عبدته كنانة وقد ذكرنا شرائعهم فى عبادة كل ذلك

وصنف منهم على دين اليهود

كانت اليهودية فى حمير بعد ان كان الغالب من المجوس وعبدة الشمس ونحو ذلك ، والسبب فى ذلك أن (تبع الاصغر) وهو تبع حسان بن تبع بن كليكرب بن تبع الاقرن وهو آخر التبابعة لما ملك وكان مهيباً ـ بعث ابن اخته الحرث بن عمرو بن حجر الكندى وهو جد امرئ القيس الشاعر الى معد وملكه عليهم وسار الى الشام وملوكها غسان فاعطته المقادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانية وصاروا الى ابن اخته الحارث بن عمرو وهو بالمشقر من ناحية هجر فاتاه قوم كانوا وقعوا الى يثرب ممن خرج مع عمرو بن عامر مزيقياء وخالفوا اليهود بيثرب فشكوا اليهود وذكروا سوء مجاورتهم له ونقضهم الشرط الذى شرطوه لهم عند نزولهم ومتّوا[1] اليه بالرحم فأحفظه[2] ذلك فسار اليه يثرب ونزل فى سفح أُحُد[3] وبعث الى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلا صبرا وأراد اخرابها فقام اليه رجل من اليهود قد أتت له مائتان وخمسون سنة فقال له : أيها الملك لا تقتل على الغضب ولا تقبل قول الزور وأمرك أعظم من أن يطير بك برق أو يسرع بك لجاج وانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم ؟

(١) المت : التوسل (٢) احفظه : اغضبه (٣) سفح الجبل : مثل وجهه وزناً ومعنى

قال : لانها مهاجر نبى من ولد اسماعيل يخرج من عند هذه البنية [١] يعنى البيت الحرام فكف تبع عن ذلك ومضى يريد مكة ومعه هذا اليهودى ورجل آخر من اليهود عالم وهما الحبران فاتى مكة وكسا البيت وأطعم الناس وهو القائل :

فكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معظماً وبرودا [٢]

ويقول قوم : ان قائل هذا هو تبع الاوسط. ثم رجع الى اليمن ومعه الحبران وقد دان بدينهما وآمن بموسى وما نزل فى التوراة وبلغ ذلك أهل اليمن فاختلفوا عليه وامتنعوا من متابعته على دينه فحاكمهم الى النار بان دخلها الحبران وقوم منهم فأحرقتهم وسلم الحبران والتوراة فانقادوا له وتابعوه فبذلك دخلت اليهود اليمن و(تبّع)هذا هو الذى عقد الحلف بين اليمن وربيعة وكان ملكه ثمانى وسبعين سنة . وكانت اليهودية أيضاً فى بنى كنانة وكندة وبنى الحرث بن كعب . ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم فى يثرب وخيبر وغير ذلك .

وصنف منهم على دين النصارى

فقد كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم فقد كان العرب يكثرون التردد الى بلادهم للتجارة وقد اجتمع على النصرانية فى الحيرة قبائل شتى من العرب يقال لهم (العِباد) بكسر العين وتخفيف الباء منهم عدىّ بن زيد العبادى وسيأتى ذكره وخبره قريباً . وكان بنو تغلب أيضاً من نصارى العرب وكانت لهم شوكة وقوة يد . وقد صالح عمر بن الخطاب

(١) البنية على فعيلة الكعبة اشرفها اذهى اشرف مبنى يقال : لاورب هذه البنية ما كان كذا وكذا ، وفى حديث البراء بن معرور : رأيت ان لاأجعل هذه البنيه منى بظهر ، يريد الكعبة ، وكانت تدعى بنية ابراهيم عليه السلام لانه بناها وقد كثر قسمهم برب هذه البنية (٢) الملاء جمع ملاءة بالضم والمد وهى الريطة ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق ، و (معظماً) صوابه : (معضداً) كمعظم وهو ثوب له علم فى موضع العضد ، وقيل ثوب معضد مخطط على شكل العضد وقال اللحيانى هو الذى وشيه فى جوانبه ، وفى الاساس ثوب معضد : مضلع

رضى الله تعالى عنه فى أيام خلافته على ان لا يغمسوا أحداً من أولادهم فى النصرانية ويضاعف عليهم الصدقة فاذا وجب على المسلم شيء فى ذلك فعلى النصرانى التغلبى مثله مرتين . ونساؤهم كرجالهم فى الصدقة فاما الصبيان فليس عليهم شيء وكذلك أرضوهم التي كانت بايديهم يوم صولحوا فيؤخذ منهم ضعف مايؤخذ من المسلم . واما الصبى والمعتوه فيؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ولا يؤخذ من ماشيته ولا شيء عليهم فى بقية أموالهم ورقيقهم . وكان أهل نجران أيضاً من نصارى العرب وقدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم السيد وهو الكبير والعاقب وهو الذى يكون بعده وصاحب رأيهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أسلما . قالا : أسلمنا . قال : ماأسلمتما . قالا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتما يمنعكما من الاسلام ثلاث فيكما عباد تكما الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكما أن لله ولداً ونزل: ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . فلما قرأها عليهم قالوا : مانعرف ماتقول . ونزلت آية المباهلة وهى (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل [1] فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن الله تعالى قد أمرنى ان لم تقبلوا هذا أن اباهلكم . فقالوا : ياأبا القاسم بل نرجع فننظر فى أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض وتصادقوا فيما بينهم . قال السيد للعاقب : قد والله علمتم أن الرجل نبى مرسل ولئن لاعنتموه لاستأصلكم ، وما لاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم فان انتم لن تتبعوه وأبيتم الا الف

(١) أى نتباهل فالافتعال هنا بمعنى المفاعلة وافتعل وتفاعل اخوان فى كثير من المواضع كاشتور وتشاور واجتور وتجاور والاصل فى البهلة بالضم والفتح فيه كاقيل اللعنة والدعاء بها ثم شاعت فى مطلق الدعاء كما يقال فلان يبتهل الى الله تعالى فى حاجته ، وقال الراغب بهل الشيء والبعير اهماله وتخليته ثم استعمل فى الاسترسال فى الدعاء سواء كان لعناً اولا الا انه هنا يفسر باللعن لانه المراد الواقع كما يشير اليه قوله تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أى فى أمر عيسى عليه السلام فانه معطوف على نبتهل مفسر للمراد منه اى نقول لعنة الله على الكاذبين او اللهم العن الكاذبين ، انتهى من روح المعانى .

دينكم فوادعوه وارجعوا الى بلادكم . وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ومعه عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أنا دعوت فأمنوا أنتم فابوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية وهى الف حُلّة فى صَفَر والف فى رجب ودراهم . وروى أنهم صالحوه على ان يعطوه فى كل عام ألفَيْ حلة ، وثلاثاً وثلاثين درعاً وثلاثة وثلاثين بعيراً وأربعاً وثلاثين فرساً وكتب لهم بذلك كتاباً وبعث اليهم عمرو بن حزم وكتب له حين بعثه الى نجران: بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من الله ورسوله ياآيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن آمره بتقوى الله فى أمره كله وان يفعل ويفعل [1] ويأخذ من المغانم خمس الله جل ثناؤه وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من الثمار . وان نسخة كتاب النبى عليه السلام لهم التى هى فى أيديهم . بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ما كتب محمد النبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران اذ كان له عليهم حكمة فى كل ثمرة وفى كل صفراء وبيضاء ورقيق فافصل ذلك عليهم واترك ذلك كله لهم على الفى حلة من حلل الاواقى فى كل رجب الف حلة وفى كل صفر الف حلة مع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج أو نقصت عن الاواقى فبالحساب وما قضوا من دروع أوخيل أوركاب أوعروض أخذ منهم بالحساب . وعلى نجران مؤنة رسلى ومبعثهم ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك ولا تحبس رسلى فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيراً اذا كان كيد باليمن ومعرة ، وماهلك مما أعاروا رسلى من دروع أو خيل أوركاب أو عروض فهو ضمين على رسلى حتى يؤدوه اليهم ، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ماتحت أيديهم من قليل أوكثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليهم ربابة ولا دم

(١) العرب تقول « فعل به وفعل » أى أحسن اليه

جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم جزيتهم نسهمهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن أكل منهم ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر . وعلى ما فى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله حتى يأتى الله بامره ما نصحوا واصلحوا ماعليهم غير منقلبين بظلم . شهد أبوسفيان بن حرب . وغيلان بن عمرو . ومالك بن عوف من بنى نصر . والاقرع بن حابس الحنظلى . والمغيرة بن شعبة ، وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبى بكر وكتب لهم بعد ذلك كل من الخلفاء الراشدين أيام خلافته مثل ذلك.

ذكر بعض من اشتهر أنه كان على دين من العرب فى الجاهلية

كان جمع من عقلاء العرب وحكمائها غير موافقين لعمرو بن لحى فيما ابتدع من الدين ولا متبعين ما شرع من عبادة الاصنام وغير ذلك من المنكرات ، بل كانوا مخالفين له فيما ذهب اليه من الزيغ والباطل الذى سوّلته له نفسه ، وتعبدوا بما ترتضيه العقول وتظاهره الشرائع المقررة وهم أفراد من القبائل المتفرقة متفاوتون فى الطبقة والاحكام . نذكر بعض من وقفنا على حاله فى الكتب المعتبرة ، وما لا يُدرك كله لا يترك كله ، ليكون الكتاب بمحلٍّ من نظر الأدباء والله الموفق لما يرضاه . منهم :

قس بن ساعدة الايادى

واياد بكسر الهمزة من معدّ بن عدنان . قال الذهبى : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة وكذلك قال ابن حجر فى الاصابة ذكره أبو على ابن السكن وابن شاهين وعبدان المروزى وأبو موسى فى الصحابة . وصرح ابن السكن بانه مات قبل البعثة . وفى سيرة ابن سيد الناس بسنده الى ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : قَدِم الجارود بن عبد الله وكان سيداً فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى

الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول فانا أشهد أن لا إله إلا الله وانك محمد رسول الله ، قال : فآمن الجارود وآمن من قومه كل سيد فسر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهم . وقال : ياجارود هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً قالوا كلنا نعرفه يارسول الله وأنا من بين القوم كنت أقفو أثره كان من أوساط العرب فصيحاً عمر سبعمائة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب (أى تعبد) كأنى أنظر اليه يُقْسِمُ بالرب الذى هو له ، ليبلغن الكتاب أجله . وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادّكارُ　　　وليالٍ خلا لهنّ نهارُ

(فى أبيات آخرها)

والذى قد ذكرت دل على الله　　　نفوساً لها هدى واعتبارُ

فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : على رسْلِكَ (١) ياجارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق (٢) وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . فقال أبو بكر : يارسول الله فانى أحفظه كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته : أيها الناس اسمعوا وعوا ، فاذا وعيتم فانتفعوا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آتٍ آت . إن فى السماء لخبرا . وإن فى الارض لعبرا ، مهادٌ موضوع . وسقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تمور ، وبحارٌ لن تغور ، ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ، أقسم قُسٌّ قسما حتماً لئن كان فى الارض رضى ليكونن بعده سخطاً ، وان لله — عزت قدرته — ديناً هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ، مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فاقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ ثم أنشد أبو بكر شعراً له كان يحفظه :

فى الذاهبينَ　الأولين من القرون لنا بصائر

---

(١) بالكسر أى على هينتك (٢) الاورق : الذى لونه كلون الرماد

لمـا رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر [1]
ورأيت قومى نحوها يسعى الأكابرُ والاصاغر
لا يرجِـع المـاضى الىَّ ولا من الباقين غابر [2]
أيقنتُ أني لا محا لةَ حيث صار القوم صائر [3]

والذى فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى : عاش قس بن ساعدة ثلاثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وسَمِع النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية وأول من توكأً على عصا وأول من قال أما بعد وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب الى فلان ابن فلان . وقال المرزبانىّ : ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة . وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين قساً وقومه قال : إن له ولقومه فضيلةً ليست لأحد من العرب لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعُكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز منه الأمانى وتنقطع دونه الآمال . وإنمـا وفق الله تعالى ذلك لقس لا حتجاجه للتوحيد ولا ظهاره الاخلاص وإيمانه بالبعث وَمِنْ ثمَّ كان قس خطيبَ العرب قاطبةً . وفى نسبه خلاف فقيل : قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر . وقيل : حذافة بن زهر بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى ابن مالك بن ايدعان بن النمر بن وآئلة بن الطشان بن عوذ بن مناة بن يقدم ابن أفصى بن دعمى بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدى ابن مالك والله تعالى اعلم . ومنهم :

---

(١) الموارد جمع مورد وهو محل الورود أى الاتيان . والمصادر جمع مصدر وهو موضع الصدور أى الانصراف والرجوع (٢) الغابر : الماضى (٣) أى ايقنت انى منتقل حيث انتقل القوم ، فصائر خبر ان وصار بمعنى انتقل والقوم فاعله . ولا محالة ، بفتح الميم أى لا تغيير ولا تبديل وأنى بفتح الهمزة وأيقنت جواب لما

زيد بن عمرو بن نفيل

قال صاحب الاستيعاب كان زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشي العدوى يطلب دين الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يذبح للانصاب ولا يأكل الميتة والدم. قال ابن حجر فى الاصابة ذكر البغوى وابن منده وغيرهما زيداً هذا فى الصحابة وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين ولكنه يجيء على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى وهو انه من رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمناً به هل يشترط فى كونه مؤمناً به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك أو يكفى كونه مؤمناً به أنه سيبعث كما فى قصة هذا وغيره. وقد ذكر ابن اسحق أن أسماء بنت أبى بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره الى الكعبة يقول « يامعشر قريش والذى نفسى بيده ما اصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى » وأخرج الفاكهى بسند له الى عامر بن ربيعة قال لقيت زيد بن عمرو وهو خارج من مكة يريد (حراء) فقال: ياعامر إنى قد فارقت قومى واتبعت ملة ابراهيم وما كان يعبد اسمعيل من بعده كان يصلى الى هذه البنية [1] وأنا انتظر نبياً من ولد اسمعيل ثم من ولد عبد المطلب وما أرانى أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبى الحديث. زاد الواقدى فى حديث نحوه فان طالت بك مدة فاقرأه منى السلام. وفيه: ولما اسلمت اقرأت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه السلام فرد عليه وترحم عليه وقال رأيته فى الجنة يسحب ذيولا. وروى الواقدى عن ابنه سعيد بن زيد قال: توفى أبى وقريش تبنى الكعبة وكان ذلك قبل المبعث بخمس سنين. وأما سعيد بن زيد المذكور فقد كان من السابقين الى الاسلام

(١) مضى تفسيرها قريباً

وهاجر وشهد أحداً والمشاهد بعدها ولم يكن بالمدينة زمان بدر فلذلك لم يشهدها وهو أحد العشرة المبشرة وكان اسلامه قديماً قبل عمر . وكان اسلام عمر عنده فى بيته لأنه كان زوج أخته فاطمة . قال الواقدى توفى بالعقيق فحمل الى المدينة وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقيل احدى وخمسين وقيل سنة اثنتين . وعاش بضعاً وسبعين سنة وزعم الهيثم بن عدى انه مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبة قال وعاش ثلاثاً وسبعين سنة . وزعم العلامة الدوانى فى شرح (ديباجة العقائد العضدية) وتبعه السيد عيسى الصفوى فى (شرح الفوائد الغيائية) أن زيد بن عمرو المذكور نبى أوحى اليه لتكميل نفسه ، وهذه عبارته : النبى انسان بعثه الله الى الخلق لتبليغ ماأوحاه اليه . وعلى هذا لايشمل من أوحى الله مايحتاج اليه لكماله فى نفسه من غير أن يكون مبعوثاً إلى غيره كما قيل فى زيد بن عمرو بن نفيل اللهم الا أن يتكلف . أقول : هذا غير صحيح فانه لم يقل أحد من المؤرخين والمحدثين انه نبى أو ادعى النبوة وأمره مشهور وكان حياً فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليس فى عصره نبى غيره . قال الذهبى زيد بن عمرو بن نفيل هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث أمة وحده وكان على دين ابراهيم ورأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وتوفى قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان دخل الشام والبلقاء ، وكان نفر من قريش زيد وورقة وعثمان بن الحرث وعبيد بن جحش خالفوا قريشاً وقالوا لهم : انكم تعبدون ما لايضر ولا ينفع من الاصنام ولا يأكلون ذبائحهم واجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة وقال له : انى شاممت النصرانية واليهودية فلم أر فيها ما أريد فقصصت ذلك على راهب فقال لى : انك تريد ملة ابراهيم الحنيفية وهى لاتوجد اليوم فالحق ببلدك فان الله تعالى باعث من قومك من يأتى بها وهو أكرم الخلق على الله انتهى . ومنه تعلم أن ما قاله الدوانى لايليق بمثله أن يذكره . وكذا ما فى (حواشى الكازرونى) من أنه يجوز أن يكون زيد مبعوثاً الى الخلق بدليل انه كان يسند ظهره الى

الـكعبة ويقول : أيها الناس هلمو إلىّ فانه لم يبق على دين ابراهيم غيرى ويعلم من هذا أنه يجوز أن يكون نبياً فلا ينتقض به التعريف انتهى . وهذا مما يقضى منه التعجب وكذا جميع ماذكره هنا أرباب حواشيه . وذكره البيضاوى عند تفسير قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) وقال هو موحد الجاهلية انتهى . وهو القائل فى فراق دين قومه وما كان لقى منهم : —

أربًّا واحداً أم الفَ ربٍ ... أدينُ اذا تقسمت الامورُ
عزلت اللات والعُزّي جميعاً ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيْها ... ولاصنَمَيْ بنى عمرو ازور
ولاغنماً أدين وكان ربًّا ... لنا فى الدهر اذحلمى يسير
عجبت وفى الليالى معجبات ... وفى الايام يعرفها البصير
بان الله قد افنى رجالاً ... كثيراً كان شأنهم الفجور
وابقى آخرين ببرِ قوم ... فيربل منهم الطفل الصغير (١)
وبينا المرء يعثر ثاب يوماً ... كما يتروح الغصن المطير (٢)
ولـكن أعبد الرحمن ربى ... ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها ... متى ماتحفظوها لاتبور
ترى الابرار دارهم جنان ... وللـكفار حامية سعير (٣)

« ومما يروى له وقد خالف فى ذلك ابن هشام »

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا ... وقولاً رضياً لا ينى الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه ... آلهٌ ولارب يكون مدانيا
الاأيها الانسان اياك والردى ... فانك لاتخفى من الله خافيا (٤)

---

(١) يقال ربل الطفل يربل اذا شب وعظم (٢) أى كما ينبت ورق الغصنْ بعد سقوطه (٣) نصب حامية على الحال من السعير لان نعت النكرة اذا تقدم عليها نصب على الحال وانشد فى مثله : لمية موحشاً طلل (٤) قوله الا ايها الانسان الخ تحذير من الردى والردى هو الموت فظاهر اللفظ متروك وانما هو تحذير مما يأتى به الموت ويبديه ويكشفه من جزاء الاعمال ولذلك قال : فانك لاتخفى من الله خافيا

وإياك لاتجعلْ مع الله غيره   فان سبيل الرشد أصبح باديا
حنانَيْكَ ان الجن كانت رجاءهم   وأنت الهى ربنا ورجائيا[1]
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى   أدين آلها غيرك الله ثانيا[2]
وأنت الذى من فضل منٍّ ورحمة   بعثت الى (موسى) رسولاً مناديا
فقلت له : اذهب وهارون فادعُوَا   الى الله (فرعون) الذى كان طاغيا[3]
وقولا له : آأنت سويت هذه   بلاوتدٍ حتى اطمأنت كما هيا ؟
وقولا له : آأنت رفعت هذه   بلا عمد ارفقْ اذا بك بانيا ؟
وقولا له : آأنت سويت وسطها   منيراً اذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة   فيصبح مامست من الارض ضاحيا؟
وقولا له: من ينبت الحب فى الثرى   فيصبح منه البقل يهتز رابيا ؟
ويخرج منه حبه فى رؤسه   وفى ذاك آيات لمن كان واعيا ؟
وأنت بفضل منك نجيت يونساً   وقدبات فى أضعاف حوت لياليا[4]
وانى ولو سبحت باسمك ربَّنا   لأكثر الاماغفرت خطائيا[5]

---

(١) حنانيك بلفظ التثنية . قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان كأنهم ذهبوا الى التضعيف والتكرار لا الى القصر على اثنين خاصة دون مزيد وقال بعض الائمة : ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا وحنانا فى الآخرة واذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة : (حنانيك بعض الشر اهون من بعض) فانما يريد حنان دفع وحنّان نفع ، لان كل من أمل ملكا فانما يؤمله ليدفع عنه ضيراً ، أو ليجاب اليه خيراً (٢) قوله فلن أرى ادين الها أى لاله فحذف اللام وعدى الفعل لانه فى معنى أعبد آلها . وقوله (غيرك الله) برفع الهاء اراد ياالله . وهذا لايجوز فيما فيه الالف واللام الا ان حكم الالف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الاسماء الا ترى انك تقول ياأيها الرجل ولا ينادى اسم (بيا أيها) ؟ وتقطع همزته فى النداء فتقول (يا الله) ولا يكون ذلك فى اسم غيره الى احكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الاسماء المعرفة . وفيها بيت حسن لم يذكره وذكره أبو الفرج فى أخبار (زيد) وهو :

ادين الها يستجيب ولاأرى   أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

(٣) قوله اذهب وهرون عطفا على الضمير فى اذهب وهو قبيح اذلم يؤكد ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً (٤) بعده بيت لم يذكره ووقع في جامع إبن وهب وهو :

وانبت يقطينا عليه برحمة   من الله لولاذاك اصبح ضاحيا

(٥) معنى البيت انى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا الا ماغفرت و(ما) بعد (الا) زائدة . وان سبحت اعتراض بين اسم (ان) وخبرها كما تقول انى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا الا

فربَّ العباد ألقِ سيباً ورحمةً   عليَّ وبارك فى بنيَّ وماليا[1]

وعن ابن اسحق أنه قال حدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال : لبيك حقاً حقا ، تعبداً ورقّا ، عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذقال :

إنى لك اللهم عانٍ راغمُ   مهما تجشمنى فانى جاشم

وقال أيضاً على ماروواه ابن اسحق

وأسلمت وجهى لمن أسلمت   له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما رآها استوت   على الماء أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت   له المزن تحمل عذباً زُلالا

إذا هى سيقت إلى بلدة   أطاعت فصبت عليها سِجالا

وقد كان الخطاب آذى زيداً حتى أخرجه الى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لهم : لاتتركوه يدخل مكة فكان لايدخلها الا سراً منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراق ماهم عليه . فقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه :

لاهُمَّ إنى محرمٌ لاحله   وان بيتى أوسط المحله[2]

عند الصفا ليس بذى مضله

ثم خرج يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل والجزيرة ثم أقبل فجال الشام

والله يغفر لى لاأفعل كذا . والتسبيح هنا بمعنى الصلاة أى لااعتمد — وان صليت — الاعلى دعائك واستغفارك من خطاياى (١) السيب : العطاء (٢) لاهم — العرب تحذف اللام من اللهم وتكتفي بما بقى وكذلك تقول : لاه أبوك . وتريد لله أبوك . وكذلك تقول : لاهنك . وتريد والله انك وهذا لكثرة دورهذا الاسم على الالسنة وقد قالوا فيما هودونه في الاستعمال : اجنك تفعل كذا وكذا ، أى من أجل انك الخ . وقوله انى محرم لاحله : محرم ساكن الحرم ، والحلة : أهل الحل يقال للواحد والجميع حلة

كلها حتى انتهى الى راهب بميفَعَة (١) من أرض البلقاء كان ينتهى اليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية فقال له ما قال فخرج سريعاً يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يبكيه :

رشِدت وأنعمت ابن عمرو وانما   تجنبت تنوراً من النار حاميا(٢)
بدينك رباً ليس رب كمثله   وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وادراكك الدين الذى قد طلبته   ولم تكُ عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها   تعلّل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليلَ اللهِ فيها ولم تكن   من الناس جباراً إلى النار هاويا
وقد تدْركُ الانسان رحمةُ ربهِ   ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

وذكر البخارى فى صحيحه أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال : إني لعلىّ أن أدين دينكم فأخبرنى . فقال : لاتكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ قال زيد : ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيعه فهل تدلنى على غيره ؟ قال : ماأعلمه الا أن يكون حنيفاً . قال زيد : وما الحنيف ؟ قل : دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياولا يعبد إلا الله فخرج فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله . فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ؛ قال : ما أفر إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبداً وأنا أستطيع فهل تدلنى على غيره ؟ قل : ما اعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال : وما الحنيف ؟ قال : دين ابراهيم لم يكن يهودياًولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم انى أشهدك انى على دين ابراهيم . ومنهم :

(١) تروى بكسر الميم والقياس فيها الفتح لانه اسم موضع أخذ من اليفاع وهو المرتفع من الارض
(٢) رشدت : أى بالغت فى الرشد كما يقال امعنت النظر وانعمته والابيات واضحة

امية ابن ابى الصلت

واسمه عبد الله بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى . قال الاصمعى : ذهب امية فى شعره بعامة ذكر الآخرة وعنترة بعامة ذكر الحرب . وقد صدقه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض شعره ، وفى صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال ردفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شىء ؟ قلت : نعم . قال : هيه . فانشدته بيتاً فقال : هيه حتى انشدته مائة بيت . فقال : كاد ليُسلم . وفى رواية : كاد ليسلم فى شعره . وفى رواية : آمن شعره وكفر قلبه . وفى الاصابة عن ابن عباس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنشد قول أمية :

رجل وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد

فقال : صدق وهذه صفة حملة العرش . وفى شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال أن حملة العرش ثمانية رجل وثور ونسر وأسد هذه أربعة وأربعة أخرى فأما اليوم فهم أربعة فاذا كان يوم القيامة ايدوا باربعة أخرى فذلك قوله تعالى (ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية) كذلك بلغنى والله أعلم . ويقال : ان الذى فى صورة رجل هو الذى يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، وأما الذى فى صورة نسر فهو الذى يشفع للطير فى أرزاقهم وبلغنى أيضاً أن لكل ملك منهم أربعةَ وجوه وجه رجل ووجه ثور ووجه أسد ووجه نسر انتهى . وفى الاغانى بسنده لما انشد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قول أمية ابن أبى الصلت :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها مملوءة طبق الآفاق اشطانا
ألا نبىٌّ لنا منا فيخبرنا مابعد غايتنا من رأس مجرانا
بينا يربينا آباؤنا هلكوا وبينما نقتنى الاولاد ابلانا

وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا ... ان سوف تلحق اخرانا باولانا
وقد عجبت وما بالموت من عجب ... مابال أحيائنا يبكون موتانا

« الى أن قال »

يارب لاتجعلنى كافراً أبداً ... واجعل سريرة قلبى الدهر ايمانا
واخلط به بنيتى واخلط به بشرى ... واللحم والدم ماعمرت انسانا
انى أعوذ بمن حج الحجيج له ... والرافعون لدين الله أركانا
مسلّمين اليه عند حجهم ... لم يبتغوا بثواب الله اثمانا

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : آمن شعره وكفر قلبه . وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : وكان أمية يخبر أن نبياً يخرج قد أظل زمانه وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي فلما بلغه خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفر به حسداً . ولما أنشدَ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعره قال : آمن لسانه وكفر قلبه : واتى بالفاظ كثيرة لاتعرفها العرب وكان يأخذها من الكتب منها قوله : —

بآية قام ينطِقُ كلُّ شئٍ ... وخانَ أمانةَ الديك الغُرابُ

وزعم أن الديك كان نديماً للغراب فرهنه على الخمر وغدر به وتركه عند الخمار فجعله الخمار حارساً . ومنها قوله :

قمر وساهورٌ يسل ويغمد (١)

وزعم أهل الكتاب أن (الساهور) غلاف القمر يدخل فيه اذا انكسف وقوله فى الشمس :

ليست بطالعة لهم فى رسلها ... الا معذبة والا تجلد

وكان يسمى السموات صاقورة وحاقورة ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة على الكتاب ولما حضرته الوفاة قال : —

كل عيش وان تطاول يوماً ... صائرٌ مرة الى أن يزولا

(١) يقول : القمر وغلافه مختلفان فمرة ينزع من غلافه فيكون بدراً كاملا ومرة يرد الى غلافه حتى يكون مستترا ثم يبدو هلالا فيتزايد الى ان يعود بدراً

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى　　فى رؤس الجبال أرعى الوعولا [1]

قال شارح ديوانه فى شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو قال أبو بكر الهذلى ، قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أرأيت ما بلغنا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأمية ابن أبى الصلت آمن شعره وكفر قلبه فقال هو حق وما انكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا أنكرنا قوله : —

والشمس تُصبحُ كلَّ آخر ليلة　　حمراء يصبح لونهـا يتورد

ليست بطالعة لهم فى رسلها　　الا معذبة والا تجلد

فمـا شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذى نفسى بيده ما طلعت الشمس حتى ينخسها سبعون الف ملك يقال لهـا اطلعى ! فتقول : لا أطلع على قوم يعبدونى من دون الله فيأتيها ملكان حتى تستقل لضياء العباد فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع على قرنيه فيحرقه الله تحتها وما غربت قط الاخرت لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها ! فذلك قول النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم تطلع بين قرنَىْ شيطان وتغرب بين قرنَىْ شيطان . وفى الاغانى عن الزبير بن بكار قال حدثنى عمى قال : كان أمية فى الجاهلية نظر الكتب وقرأها ولبس المسوح [2] تعبداً وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعاً فى النبوة لانه كان قد قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث فى الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو فلما بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حسده وكان يحرض قريشاً بعد وقعة بدر ويرثى من قتل فيها . فمن ذلك قصيدته الحائية التى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روايتها التى يقول فيها

ماذا ببدرٍ　　فالعقنـــقل من مرازبة جحاجح [3]

(١) الوعول : جمع وعل وهو الشاة الجبلية (٢) جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ

(٣) المرازبة جمع مرزبان وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، والجحاجح جمع

لأن رؤس من قتل بها عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وهما ابنا خاله لأن أمه رقية بنت عبد شمس . وفى الاصابة ذكر صاحب المرآة فى ترجمته عن ابن هشام قال كان أمية آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين ياأبا عثمان ، فقال :أريد أن أتبع محمداً فقيل له : هل تدرى ما فى هذا القليب ؟ قال لا . قيل : فيه شيبة وربيعة وفلان وفلان . فجدع (١) أنفَ ناقته وشق ثوبه وبكى وذهب الى الطائف فمات بها ذكر ذلك فى حوادث السنة الثامنة والمعروف أنه مات فى السنة التاسعة ولم يختلف أصحاب الاخبار انه مات كافراً وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر . وقيل إنه الذى نزل فيه قوله تعالى (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) وقيل إنه مات سنة تسع من الهجرة فى الطائف كافراً قبل أن يُسلم الثقفيون ورأيت فى ديوانه قصيدة مدح بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولها :

لك الحمد والمن رب العبا ... دِ أنت المليك وأنت الحكم

« إلى أن قال »

ودنْ دين ربك حتى التقى ... واجتنبنْ الهوى والضجم (٢)
(محمد) أرسله بالهدى ... فعاش غنياً ولم يهتضم
عطاء من الله أعطيته ... وخص به الله أهل الحرم
وقد علموا انه خيرهم ... وفى بيتهم ذى الندى والكرم
يعيبون ما قال لما دعا ... وقد فرج الله أحدى البُهَم (٣)
به وهو يدعو بصدق الحديث ... الى الله من قبل زيغ القدم
أطيعوا الرسول عباد الآله ... تنجون من شر يوم الم
تنجون من ظلمات العذاب ... ومن حر نار على من ظلم
دعانا النبى به خاتم ... فمن لم يجبه أسرَّ الندم

جحجح وهو السيد السمح وقيل الكريم ولا توصف به المرأة . وبدر والعقنقل : موضعان
(١) أى قطع (٢) الضجم : الاختلاف (٣) البهم جمع بهمة بالضم : الخطة الشديدة

نبي هدى صادق طيب رحيم رؤف بوصل الرحم
به ختم الله من قبله وسن بعده من نبي ختم
يموت كما مات من قد مضى يرد الى الله بارى النسم
مع الأنبيا فى جنان الخلود هم أهلها غير جل القسم
وقدس فينا بحب الصلاةِ جميعاً وعلّم خط القلم
كتاباً من الله نقرا به فمن يعتديه فقد ما اثم

وله

الأ كل شئٌ هالك غير ربنا ولله ميراثُ الذى كان فانيا
ولىّ له من دون كل ولاية اذا شاء لم يمسوا جميعاً مواليا
وان يكُ شئٌ خالداً ومعمّراً تأملْ تجدْ من فوقِهِ اللهَ باقيا
له مارأت عين البصير وفوقه سماء الالهِ فوق سبع سمائيا

وهذه قصيدة عظيمة تشتمل على توحيد الله تعالى وقصص بعض الأنبياء كنوح ويوسف وموسى وداود وسليمان عليهم السلام . ويعجبنى منها قوله :

الا لن يفوتَ المرءَ رحمةُ ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
يعالى وتدركه من الله رحمة ويضحى ثناء فى البرية زاكيا

وقوله فى آخرها

وانت الذى من فضل سيبٍ ونعمة بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقال اعنى يا ابن أمى ! فانني كثير به يارب صل لى جناحيا
وقلت لهارون : اذهبا فتظاهرا على المرء فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له آأنت سويت هذه بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له آأنت سويت وسطها منيراً اذا ماجنه الليل ساريا
وقولا له من أخرج الشمس بكرة فاصبح مامست من الارض ضاحيا

وقولا له من أنبت الحب فى الثرى ... فاصبح منه البقل يهتز رابيا

فاصبح منه حبه فى رؤوسه ... ففى ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وقد سبق أن بعض الادباء نسب هذه القصيدة الى زيد بن عمرو بن نفيل وهو غير صحيح فانها مثبتة فى ديوان أمية وهى أنسب بشعره وعليه الشارحون ، والله ولى التوفيق . ومنهم :

ارباب بن رئاب

قال ابن قتيبة فى (كتاب المعارف) عند الكلام على من كان على دين قبل مبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : ارباب بن رئاب هو من عبد القيس من شن وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى خير أهل الارض ثلاثة رئاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا طشاً على قبره انتهى . وكان هذا النداء من هتوف الجن فقد كثر قبيل البعثة النبوية . وذكر الامام الماوردى فى كتاب (اعلام النبوة) شيئاً كثيراً من ذلك قال يروى عن رجل من خثعم قال : كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد أصناما فبينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه فى أمر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح :

يا أيها الركب ذوو الاحكام ... ما انتم وطائشو الاحلام

ومسندو الحكم الى الاصنام ... يصدع بالحق وبالاسلام

هذا نبيّ سيدِ الأنامِ ... أعدل ذى حكم من الاحكام

ويتبع النور على الاظلام ... سيعلين فى البلد الحرام

قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمى : ففزعنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم . ومن هتوفهم ما حكاه أبو عيس قال : سمعت قريش فى الليل هاتفاً على جبل (أبى قبيس) يقول :

ان يسلم (السعدان) يصبحْ بمكة (محمد) لايخشى خلافَ المخالِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان فى الليلة الثانية سمعوه يقول :

ياسعدُ سعدَ الأوسِ كن أنت ناصراً ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارف[1]

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا على الله فى الفردوس منية عارف

فان ثواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات زخارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة انتهى واستيعاب ذلك كله فى الكتاب المذكور وسائر كتب السير . ومنهم :

سويد بن عامر المصطلقى

روى السيد المرتضى فى أماليه أن مسلم الخزاعى ثم المصطلقى قال : شهدت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر :

لا تأمنن وان أمسيت فى حرمٍ إن المنايا بكفّىْ كل انسان

واسلك طريقك تمشى غير مختشعٍ حتى يبينَ مايمنى لك المانى

فكل ذى صاحب يوماً يفارقه وكل زاد وانْ أبقيتهُ فانى

والخير والشر مقرونان فى قَرَنٍ بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لو أدركته لأسلم انتهى . وذلك لان هذه الأبيات تنبىء انه كان يميل الى الحنيفية ، والملة الابراهيمية . ومنهم :

---

(١) جمع غطريف وهو السيد الشريف والسخى السرى

أسعد أبو كرب الحميرى

قال ابن قتيبة : كان أسعدُ آمنَ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال :

شهدتُ على احمد أنه ... رسولٌ من الله بارى النَسَمْ[1]
فلو مد عمرى الى عصره ... لكنت وزيراً له وابنَ عَم

وهذا تُبَّعُ الأوسط أكثر الغزوَ ولم يدع مسلكا سلكه آباؤه الا سلكه وكان يغزو بالنجوم ويسير بها ويمضى أموره بدلالتها وطالت مدته واشتدت وطأته وملته حمير وثقل عليهم ما كان يأخذهم به من الغزو فسألوا ابنه حسان بن تبع أن يمالئهم[2] على قتله ويملكوه فأبى ذلك عليهم فقتلوه ، ثم ندموا على قتله فاختلفوا فيمن يملكون بعده حتى اضطرتهم الامور الى أن يملكوا ابنه حسانا فملكوه واخذوا عليه موثقاً أن لا يؤاخذهم بما كان منهم فى أبيه . ويقال : ان تبعاً هذا أول من كسا الانطاعَ والبرودَ البيتَ وهو القائل :

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً ... ملكاً تدين له الملوكُ وتحشدُ
من بعده بلقيسُ كانت عمتى ... ملكتهم حتى أتاها الهُدْهُدُ

ومنهم :

وكيع بن سلمة بن زهير الايادى

قال ابن الكلبى كان وكيع بن سلمة ولى أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحاً باسفل مكة وجعل فيه امة يقال لها (حزورة) وبها سميت حزورة مكة وجعل فى الصرح سلماً ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله تعالى وكان ينطق بكثير من الخير ، وكان علماء العرب يزعمون أنه صديق من الصديقين . وكان من قوله (مرضعة وفاطمة ووادعة وقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلم) ومن

---

(١) انظر ص١٧٠ :(٢) أى يساعدهم ويشايعهم

كلامه (زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا . وبالشر عقابا . إن من فى الارض عبيد لمن فى السماء . هلكت جرهم وربلت اياد . وكذلك الصلاح والفساد) . فلما حضرته الوفاة جمع ايادا فقال لهم : اسمعوا وصيتى (الكلام كلمتان . والامر بعد البيان . من رشد فاتبعوه . ومن غوى فارفضوه . وكل شاة برجلها معلقة) فارسلها مثلا . قال ومات وكيع فنعي على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى :

ونحن اياد عباد الآلهِ   ورهط مناجيه فى سلم

ونحن ولاة الحجاب العتيق   (زمان النخاع) على جرهم

يقال ان الله تعالى سلط على جرهم داء يقال له النخاع فهلك منهم ثمانون كهلاً فى ليلة واحدة سوى الشباب . وفيهم قال بعض العرب :

هلكت جرهم الكرام فعالاً   وولاة البنية الحجاب (١)

نخعوا ليلة ثمانين كهلاً   وشباباً كفى بهم من شباب

ومنهم :

عمير بن جندب الجهنى

كان هذا الرجل ممن يوحد الله تعالى فى الزمن الجاهلى ولا يشرك بربه أحداً وله قصة عجيبة ذكرها صاحب القاموس فى مادة فصل (٢) من كتابه . فقال : روينا عن اسمعيل ابن أبى خالد قال : مات عمير بن جندب من جهينة قبيل الاسلام فجهزوه بجهازه اذ كشف القناع عن رأسه . فقال : أين القُصَل ؟ و (القصل أحد بنى عمه) قالوا : سبحان الله مر آنفاً فما حاجتك اليه ؟ فقال : أتيت فقيل لى (لامك الهَبَل (٣) ألا ترى الى حفرتك تنتثل . وقد كادت أمك تَثْكَلْ . أرأيت ان حولناك الى مُحوَّل . ثم غيَّبَ فى حُفرتك القُصَل . الذى مشى فاحزألَّ (٤)

(١) البنية : مضى تفسيرها قريباً (٢) وكان الاولى ذكرها فى : ق ص ل وهى كانرا اها عجيبة ! وعجيب من صاحب القاموس وغيره ان يوردها فى كتاب !! (٣) الهبل : الثكل وهو الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد (٤) احزأل البعير فى السير احزئلالا : ارتفع ، قال:

اذا احزألت زمر بعد زمر

ثم ملأناها من الجندل[1] أتعبد ربك وتُصَلِ. وتترك سبيلَ من أشرك وأضل ؟)
فقلت : نعم . قال : فأفاق ونكح النساء وولد له أولاد . ولبث القُصَّل ثلاثاً ثم
مات ودفن فى قبر عمير . ومنهم :

عدى بن زيد العبادى

كان عدىّ بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . قال صاحب الأغانى : وكان أيوب هذا أول من سمى من العرب أيوبَ وكان عدى شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية وكان نصرانياً وكذلك أبوه وأمه وأهله فقد كانوا على دين المسيح أيضاً . قال : وكان سبب نزول آل عدى الحيرة أن جده أيوب كان منزله اليمامة فأصاب دماً فى قومه فهرب الى أوس بن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء فأكرمه وابتاع له موضع دار بثلاثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتى أوقيـة ذهبا ، وأعطاه مائتين من الابل برعاها وفرسا وقينة واتصل بملوك الحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب فلم يكن منهم ملك يملك الا ولولد أيوب منه جوائز . ثم ان زيداً نكح امرأة من (آل قلام) فولد له حماد فخرج زيد بن أيوب يوما للصيد فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذى كان له الثأر فاغتال زيداً وهرب ، ومكث حماد فى أخواله حتى ايفع[2] وعلمته أمه الكتابة فكان أول من كتب من بنى أيوب فخرج من أكتب الناس حتى صار كاتب النعمان الأكبر فلبث كاتبا حتى ولد له ولد فسماه زيداً باسم أبيه . وكان لحماد صديق من دهاقين[3] الفرس اسمه فروخ ماهان . فلما حضرت الوفاة حماداً أوصى بابنه زيد الى الدهقان وكان من المرازبة فأخذه اليه وكان زيد قد حذق الكتابة وعلمه الدهقان الفارسية

---

(١) هو مايقله الرجل من الحجارة (٢) ايفع الغلام : راهق العشرين وهو يافع لا موفع
(٣) جمع دهقان بفتح الدال وكسرها فارسى معرب (ده خان) اى رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم ولذلك تسب به العرب كما يقولون علج

وكان لبيبا فأشار الدهقان الى كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه فولاه وبقى زمانا . ثم ان النعمان هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه الى أن يعقدالأمر كسرى لرجل منهم فأشار المرزبان عليهم بزيد بن حماد فكان على الحيرة الى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ونكح زيد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عديًّا وولدللمرزبان ابن وسماه (شاهان‌مرد) فلما أيفع عدىّ أرسله المرزبان مع ابنه الى كُتّاب الفارسية وتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمى بالنشاب وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة[1] وغيرها . ثم ان المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : ان عندى غلاما من العرب هو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فأحضر المرزبان عدى بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فرغب فيه فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة الى عدى ورهبوه ولم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى معظما وأبوه زيد كان حيا الى أن خمل صيته بذكر ابنه عدى

ثم لما هلك المنذر اجتهد عدى عند كسرى حتى ملك النعمان بن المنذر الحيرة ثم بعد مدة افتروا على عدى وقالوا للنعمان إن عدياً يزعم أنك عامله على الحيرة فاغتاظ منه النعمان وأرسل الى عدى بأنه مشتاق اليه ليستزيره فلما أتى اليه حبسه وبقى فى الحبس الى أن جاء رسول كسرى ليخرجه فخاف النعمان من خلاصه فغمه حتى مات وندم النعمان على قتله وعرف أنه غلب على رأيه ثم إنه خرج يوماً الى الصيد فلقى ابناً لعدى يقال له زيد فلما رآه عرف شبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدى فكلمه فاذا هو غلام ظريف ففرح به فرحاً شديداً فقربه واعتذر اليه من أمر أبيه . ثم كتب الى كسرى يربيه ويشفع له مكان

(١) جمع صولجان بفتح الصاد واللام وهو العود المعوج ، فارسي معرب ، والهاء لمكان العجمة قال ابن سيده: وهكذا وجد اكثر هذا الضرب الاعجمى مكسرا بالهاء وفي التهذيب : الصولجان عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب

أبيه فولاه كسرى وكان يلى المكاتبة عند آل ملوك العرب وفى خواص أمور الملك وكانت لملوك العجم صفة النساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون فى تلك الأرضين تلك الصفة فاذا وجدت حملت الى الملك غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب . فلما كتب كسرى فى طلب الصفة قال له زيد بن عدى أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان بين بناته واخواته و بنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة فابعثنى مع ثقة من رجالك يفهم العربية حتى ابلغ ما تحبه فبعث معه رجلا فطناً وخرج به زيد فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة فلما دخل على النعمان قال له : إن كسرى قد احتاج الى نساء لنفسه ولولده وأراد كرامتك بصهره فبعث اليك فقال النعمان لزيد والرسول يسمع : أمافى مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية ما المها ؟ فقال له بالفارسية كاوان أى البقر فأمسك الرسول. وقال زيد للنعمان : انما أراد الملك أن يكرمك ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب اليك به فانزلهما عنده يومين . ثم كتب الى كسرى : أن الذى طلب الملك ليس عندى . وقال لزيد : اعذرنى عنده فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول : اصدق الملك عما سمعت فانى سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه فلما دخلا الى كسرى قال زيد : هذا كتابه فقرأه عليه فقال له كسرى : واين الذى كنت خبرتنى به ؟ قال : قد كنت خبرتك ببخلهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعرى على الشبع والرياش وإيثارهم السموم على طيب أرضك حتى إنهم ليسمونها السجن فسلْ هذا الرسول الذى كان معى عما قال فانى أكرم الملك عن مشافهته بما قال ؟ فقال للرسول وما قال النعمان ؟ فقال له الرسول : انه قال ؛ أما كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ماعندنا ؟ فعرف الغضب فى وجهه وسكت كسرى أشهراً وسمع النعمان غضبه ثم كتب اليه كسرى ان أقبل فان لى حاجةً بك فخاف النعمان وحمل سلاحه وما قدر عليه ولجأ الى قبائل العرب فلم يُجِرْهُ أحد وقالوا : لا طاقة

لنـا بكسرى حتى نزل بذى قار فى بنى شيبان سراً فلقى هانئ بن قبيصة فأجاره وقال : لزمنى ذمامك وإنى ما نعك مما امنع نفسى وأهلى وان ذلك مهلكى ومهلكك وعندى رأى لست أشير به لأدفعك عمـا تريده من مجاورتى ولـكنه الصواب فقال : هاته ، قال : إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة (١) والموت نازل بكل أحد وَلأَنْ تموت كريماً خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعـد الملك امض الى صاحبك واحمل اليه هدايا ومالاً وألق نفسك بين يديه فاما أن يصفح عنك فعدت ملـكا عزيزاً واما أن يصيبك فالموت خير من أن تتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها . قال : فكيف بحرمى وأهلى ؟ قال : هن فى ذمتى ولا يخلص اليهن حتى يخلص الى بناتى فقال : هذا وأبيك الرأى . ثم اختار خيلاً وحُللا من عصب اليمن وجواهرَ وطُرَفاً كانت عنده ووجه بها الى كسرى وكتب اليه يعتذر ويعلمه أنه صائر اليه فقبلهـا كسرى وأمره بالقدوم فعاد اليه الرسول وأخبره بذلك وانه لم ير له عند كسرى سوءاً فمضى اليه حتى اذا وصل الى (ساباط) لقيه زيد بن عدى فقال له : انجُ نعيم ان استطعت النجاء ! فقال له النعمان : أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط ! فقال له زيد : قد والله آخيت لك آخية لا يقطعها المُهر الأَرِن[٢]. فلما بلغ كسرى انه بالباب غدر به[٣] وذلك قبيل الاسلام بمدة وغضبت له العرب حينئذ فكان قتله سبب وقعة ذى قار . ومنهم :

---

(١) السوقة خلاف الملك وهم الرعية التى تسوسها الملوك . سموا سوقة لان الملوك يسوقونهم فينساقون لهم . وكثير من كتاب العصر يظن ان السوقة أهل الاسواق

(٢) الآخية بالمد والتشديد عروة تربط الى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة واصلها فاعولة والجمع الاواخى ... والمهر ولد الخيل ، والارن كنشط وزناً ومعنى (٣) ويقال بل انه لما بلغه انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه ، وقال حماد الراوية والكوفيون : بل مات بساباط فى حبسه . وقال ابن الكلبى : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات واحتجوا بقول الاعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محزرق

قال : المحزرق : المضيق عليه . وانكر هذا من زعم انه مات بخانقين ؛ وقالوا : لم يزل محبوساً

أبو قيس صرمة بن أبي انس

قال ابن قتيبة : وهو من بنى النجار وكان ترهب ولبس المسوح [1] وفارق الأوثان وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال : اعبد رب ابراهيم . فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة أسلم وحسن اسلامه . وهو القائل فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :

ثوى فى قريش بضعَ عشرةَ حجةً بمكة لو يلقى صديقاً مواتيا

« وهو القائل فى الجاهلية »

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
يا بنىّ الأرحامَ لا تقطعوها وصلوها قصيرةً من طوال
يا بنىّ النجوم لا تظلموها إن ظلم النجوم داء عضال

ومنهم :

سيف بن ذى يزن

قال الامام الماوردى فى (اعلام النبوة) لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنين أتى وفود العرب واشرافها وشعراؤها لتهنئته ومدحه وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وامية بن عبد شمس وعبد الله بن جُدْعان وأسد بن خويلد بن عبد العزى فى ناس من أشراف قريش فلما قدموا عليه اذا هو فى رأس قصر يقال له (غمدان) وهو الذى يقول فيه أمية بن أبى الصلت :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس (غُمْدان) دار منك محلالا

قال : فاستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه ، فاذا الملك مضمخ بالعنبر [2]

مدة طويلة وانه انما مات بعد ذلك بحين قبيل الاسلام ... (الاغانى : ج٢ س٢٩) (١) مضى تفسيرها قريباً (٢) الضمخ : لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر

يرى وبيص الطيب من مفرقه[١] عليه بردان متزر بأحدهما مرتد بالآخر سيفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول[٢] قال : فدنا عبد المطلب واستأذن فى الكلام . فقال : ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فتكلم فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب (ان الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخا باذخا ، وأنبتك منبتا طابت ارومته[٣]، وعزت جرثومته[٤]، وثبت أصله ، وبسق فرعه[٥] ، فى اكرم موطن ، وأطيب معدن ، وأنت أبيت اللعن[٦] ملك العرب وربيعها الذى يخصب به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى اليه تنقاد ، وعمودها الذى عليه العماد ؛ ومعقلها الذى تلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا اليك الذى أبهجنا لكشف الكَرْب الذى فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة)

فقال ابن ذى يزن فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن اختنا؟ قال : نعم ابن أختكم . قال : ادنُ فادناه على القوم وعليه ، فقال (مرحباً وأهلا وناقة ورحلا . ومستناخاً سهلا . وملكاً رِبَحلا . يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتكم . وعرف قرابتكم . وقبل وسيلتكم . فأنتم أهل الليل وأهل النهار لكم الكرامة ما أقمتم . والحباء اذا ظعنتم) قال : ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهراً لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف . قال : ثم انتبه انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فاخلاه وأدنى مجلسه وقال : ياعبد المطلب إنى مفوض اليك من سر علمى مالو كان غيرك لم أبح له ولكن رأيتك مَعْدِنَهُ واطلعتك عليه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ فيه أمره . إنى أجد فى الكتاب المكنون ،

---

(١) الوبيص : اللمعان . ومفرق الرأس مثال مسجد حيث يفرق فيه الشعر (٢) جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس وهو دون الملك (٣) الارومة بالفتح والضم : الاصل (٤) جرثومة الشىء : أصله (٥) بسق النخل بسوقاً : طال (٦) ابيت اللعن : من تحيات ملوك العرب فى الجاهلية راجع ص١٩٢ من هذا الجزء

والعلم المخزون ، الذى اخترناه لأنفسنا ، واحتجبناه دون غيره ، خبراً عظيما ، وخطراً جسيما ، فيه شرف الحياة . وفضيلة الوفاة . للناس عامة . ولرهطك كافة . ولك خاصة . قال عبد المطلب : أيها الملك فمثلك من سر وبر ، فما هو فداك أهل الوبر ، زمراً بعد زمر . قال (اذا ولد بتهامة . غلام بين كتفيه شامة . كانت له الامامة ولكم به الزعامة . الى يوم القيمة) فقال له عبد المطلب (أبيت اللعن لقد أتيت بخبر ما أتى بمثله وافد . فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من بشارته إياى ما ازداد به سروراً) قال ابن ذى يزن (هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد اسمه احمد . يموت أبوه وأمه . ويكفله جده وعمه . قد ولدناه مراراً . والله باعثه جهاراً . وجاعل منا له انصاراً . يعز بهم أولياؤه . ويذل بهم اعداؤه . يضرب بهم الناس عن عرض . ويستفتح بهم كرائم الأرض . تكسر الأوثان . وتخمد النيران . ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان . قوله فصل . وحكمه عدل . يأمر بالمعروف ويفعله . وينهى عن المنكر ويبطله) قال عبد المطلب (أيها الملك عز جدك وعلا عقبك . وطاب ملكك . وطال عمرك فهل الملك سارّى بافصاح . فقد أوضح بعد الايضاح ؟) فقال ابن ذى يزن (والبيت ذى الحجب . والعاملات على النصب . إنك ياعبد المطلب لجده غير الكذب) قال : فخر عبد المطلب ساجداً . فقال ابن ذى يزن (ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك . فهل احسست شيئاً مما ذكرت لك) فقال (نعم أيها الملك كان لى ابن وكنت به معجبا رفيقا أو رقيقا فزوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب ابن عبد مناف فاتت بغلام سميته محمداً مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . بين كتفيه شامة . وفيه كلما ذكرت من علامة) قال ابن ذى يزن (ان الذى قلت لك لكما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا . فاطو ما ذكرته دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فانى لست آمن ان يداخلهم النفاسة . من أن تكون لك الرياسة . فيبغون له الغوائل .

وينصبون له الحبائل . وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا انى أعلم ان الموت يجتاحنى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه ، فانى أجد فى الكتاب الناطق . والعلم السابق . ان يثرب استحكام أمره . وأهل نصرته وموضع قبره . ولولا انى اقيه الايات . واحذر عليه العاهات . لاعلنت على حداثة سنه ذكره . واوطيت أسنان العرب عقبه . ولكنى صارف ذلك اليك . بغير تقصير ممن معك) ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة اعبد وعشرة اماء سود ، وحلتين من حلل البرود ، وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة وكرشاً مملوءة عنبراً . واعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال له : اذا حال الحول فأتنى بامره . وما يكون من خبره . قال : فمات ابن ذى يزن قبل ان يحول الحول . قال : فكان عبدالمطلب كثيراً يقول : يامعشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كان كثيراً فانه الى نفاد ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه فاذا قيل له : وماذاك ؟ قال : ستعلمون ماأقول لكم ولو بعد حين انتهى . وهذا من هواجس النفوس من الهام العقول . فان العقل ينذر بالخواص الكائنة حدساً . ويعلم بعدالوجود حساً . فقل حادث الاتقدم نذيره . وبحسب خاطره يكون تأثيره . ومنهم :

ورقة بن نوفل القرشى

وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى يجتمع مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جدجده . قال الزبير بن بكار : كان ورقة قد كره عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها تسأله عن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لها : ماأراه الا نبىّ هذه الامة الذى بشر به موسى وعيسى . وقال ابن كثير : قال ابن اسحق : وكانت خديجة

بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى ذكرت لورقة وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ماذكر لها غلامها (يعنى ميسرة) من امر الراهب فى السفرة التى سافرها لخديجة الى الشام مانزل تحت هذه الشجرة الا نبى وما كان ميسرة يرى منه اذ كان الملكان يظلانه . فقال ورقة : إن كان حقاً ياخديجة أن محمداً النبىّ هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبى ينتظر هذا زمانه قال فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول حتى متى ؟ وقال فى ذلك :

لججتَ وكنتَ فى الذكرى لجوجا ... لهمٍّ طالما بعث النشيجا(١)

ووصف من (خديجة) بعد وصف ... فقد طال انتظارى يا (خديجا)

ببطن المكتيْن على رجائى ... حديثك أن أرى منه خروجا(٢)

بما خبرتنا من قول (قُسٍّ) ... من الرهبان أكره أن يعوجا(٣)

---

(١) اللجاج : التمادى فى الامر ، والنشيج : مثل بكاء الصبي اذا ضرب فلم يخرج بكاؤه ورددهه فى صدره . وعن ابن الاعرابى : النشيج من الفم والنخير من الانف . وفي التهذيب : وهو اذا غص البكاء فى حلقه عند الفزعة (٢) قال الامام المحدث أبو القاسم الخثعمي السهيلى فى الروض الانف) : ثنى مكة وهى واحدة لان لها بطاحاً وظواهر . وللعرب مذهب فى اشعارها في تثنية البقعة الواحدة وجمعها نحو قوله : « وميت بغزات » يريد بغزة . وبغادين فى بغداد . واما التثنية فكثير نحو قوله :

« بالرقمتين له أجر واعراس » « والحمتين سقاك الله من دار »

وقال زهير « ودار لها بالرقمتين » وقول ورقة من هذا « ببطن المكتين » لامعنى لادخال الظواهر تحت هذا اللفظ وقد اضاف اليها البطن كما أضافه المبرق حين قال « ببطن مكة مقهور ومفتون » وانما مقصد العرب فى هذا الاشارة إلى جانبي كل بلدة أو الاشارة إلى اعلى البلدة واسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وقد قالوا « صدنا بقنوين » وهو قنا اسم جبل . وقول عنترة « شربت بماء الدحرضين » هو من هذا الباب فى اصح القولين . وقال عنترة أيضاً : « بعنيزتين واهلنا بالعيلم » وعنيزة : اسم موضع . وقال الفرزدق : « عشية سال المربدان كلاهما » وانما هو مربد البصرة . وقولهم : « تسألنى برامتين سلجما » وانما هو رامة . وهذا كثير وأحسن ماتكون هذه التثنية اذا كانت فى ذكر جنة وبستان فتسميها جنتين فى فصيح الكلام أشعاراً بأن لها وجهين وانك اذا دخلتها ونظرت اليها يميناً وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين مايملأ عينيك قرة وصدرك مسرة . وفى التنزيل « عن يمين وشمال » الى قوله سبحانه « وبدلناهم بجنتيهم جنتين » وفيه « جعلنا لاحدهما جنتين » الآية . وفى آخرها « ودخل جنته » فأفرد ماثنى وهى هي . وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه « ولمن خاف مقام ربه جنتان » والقول فى هذه الاية يتسع والله المستعان (٣) قس : هو ابن ساعدة الايادى خطيب العرب الموحد المشهور وقد تقدمت ترجمته قريباً

بأن (محمداً) سيسود يوماً ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتى اذا ما كان ذاكم شهدتُ وكنتُ أوَّلهم ولوجا(١)
ولوجا فى الذى كرهت قريش ولوعجت بمكتها عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعاً إلى ذى العرش ان سفلوا عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبقَ تكنْ أمورٌ يضج الكافرون لها ضجيجا
وان أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلفةً خروجا

ومات ورقة فى فترة الوحى رضى الله تعالى عنه قبل نزول الفرائض والاحكام وقال الزبير فى كتاب نسب قريش : ورقة بن نوفل لم يعقب . وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لاتسبوا ورقة فانى رأيته فى ثياب بيض . وهو الذى يقول

ارفع ضعيفك لايحربك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قدنما
يجزيك أو يثنى عليك وإن من اثنى عليك بمافعلت كمن جزى

ومر ببلال بن رباح رضى الله عنه وهو يعذب برمضاء مكة فيقول احد احد فوقف عليه فقال احد احد والله يابلال ونهاهم عنه فلم ينتهوا فقال : والله لئن قتلتموه لاتخذن قبره حناناً وقال :

لقد نصحتُ لأقوام وقلت لهم : أنا النذير فلا يغرركم أحدُ
لاتَعْبُدُنّ إلهاً غير خالقكم فان دُعيتم فقولوا دونه حَدَدُ(٢)
سبحان ذى العرش لاشئ يعادله رب البرية فرد واحد صمد

(١) قوله «فياليتى» بحذف نون الوقاية وحذفها مع ليت نادر وهو فى لعل أحسن منه لقرب مخرج اللام من النون . قال ابن مالك فى الالفية :

وليتنى فشا وليتى ندرا ومع لعل اعكس ... ...

(٢) الحدد : بفتح الحاء والدال المهملتين : المنع

سبحانَهُ ثم سبحاناً نعوذ به | وقبلنا سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ (١)
مسخر كلُّ من تحت السماء له | لاينبغى أن يناوى ملكه أحد
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُهُ | والخُلْدَ قد حاولت عادٌ فما خلَدُوا
ولا سليمانُ إذ دان الشعوبُ له | والجنُّ والأنس تُجرى بينها البُرُدُ (٢)
لاشىء مما ترى تبقى بشاشتهُ | يبقى الآله ويودى المال والولد

قال السهيلى : قوله حناناً أى لا تخذن قبره منسكا ومترحماً والحنان الرحمة وقد الف أبو الحسن برهان الدين ابراهيم البقاعى الشافعى تأليفاً فى إيمان ورقة بالنبى وصحبته له صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد أجاد فى جمعه وشدد الانكار على من أنكر صحبته وجمع فيه الاخبار التى نقلت عن ورقة بالتصريح بايمانه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسروره بنبوته والاخبار الشاهدة له بأنه فى الجنة وما نقله العلماء من الأحاديث فى حقه وماذكروه فى كتبهم المصنفة فى أسماء الصحابة ، وسمى تأليفه (بذل النصح والشفقه . للتعريف بصحبة السيد ورقه) وحاصل ما ذكره البقاعى فى شأن ورقة بن نوفل : أنه ممن وحد الله فى الجاهلية نخالف قريشاً وسائر العرب فى عبادة الأوثان وسائر أنواع الاشراك وعرف بعقله الصحيح أنهم اخطؤا دين ابراهيم الخليل عليه السلام ووحد الله تعالى واجتهد فى طلب الحنيفية دين ابراهيم ليعرف أحب الوجوه الى الله تعالى فى العبادة فلم يكتف بما هداه اليه عقله بل ضرب فى الارض ليأخذ علمه عن أهل العلم بكتب الله تعالى المنزلة من عنده الضابطة للأديان فأداه سؤاله أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم الى أن اتبع الذى أوجبه الله تعالى فى ذلك الزمان وهو الناسخ لشريعة موسى عليه السلام دين النصرانية ولم يتبعهم فى التبديل بل فى التوحيد ، وصار يبحث عن النبى

(١) وروى الرياشى « نعوذله » بالدال المهملة واللام أى نعاوده مرة بعد أخرى ، والجمد بضم الجيم والميم وتخفيف الميم أيضاً بالسكون : جبل تلقاء اسنمة واسنمة بفتح الالف وسكون السين وضم النون وقيل بضم الهمزة والنون : رملة باسفل الدهناء على طريق فلج (٢) ويروى :
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له . والانس والجن فيما بينها ترد

صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بشر به موسى وعيسى عليهما السلام . فلما أخبرته ابنة عمه الصديقة الكبرى خديجةُ رضوان الله تعالى عليها بما رأت وأخبرت به فى شأن النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم من المخايل باظلال الغمام ونحوها ترجى أن يكون هو المبشر به ، وقال فى ذلك أشعاراً يتشوق فيها غايةَ التشوق الى إنجاز الأمر الموعود لينخلع من النصرانية الى دينه لأنه كان قال لزيد بن عمرو بن نفيل لما قال لهم العلماء إن أحب الدين الى الله تعالى دين هذا المبشر به : أنا استمر على نصرانيتى إلى أن يأتىَ هذا النبى . فلما حقق الله الأمر وأوقع الارهاصات[1] بالسلام من الأحجار والأشجار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمناداة اسرافيل عليه السلام للنبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم مع الاستتار وخاف النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك فاشتد خوفه فنقل ذلك الى ورقة رضى الله تعالى عنه فاشتد سروره بذلك وثبته وشدّ قلبه وشجعه ، فلما بدا له الأمر بفراغ نوبة اسرافيل وأتاه جبريل عليه السلام وفعل ما أمره الله به من شق صدره الشريف وغسل قلبه وايداعه الحكمة والرحمة وما يشاء الله تعالى وتبدى له جبريل وأنزل عليه بعضَ القرآن وأخبره به قفّ شعر ورقة وسبح الله وقدسه وعظم سروره بذلك وشهد أنه أتاه الناموس[2] الاكبر الذى كان يأتى الأنبياء قبله عليهم السلام وشهد أنه الذى أنزل عليه كلام الله وشهد أنه نبى هذه الأمة وتمنى أن يعيش الى أن يجاهد معه . هذا مع ما له بالنبى عليه الصلاة والسلام وزوجته الصديقة خديجة من أعظم القُرْب والانتساب الموجب للحب رضى الله تعالى عنه وأرضاه . ومن شعره :

---

(١) الارهاص : الاثبات . يقال ارهص الشىء إذا اثبته واسسه وهو مجاز ومنه ارهاص النبوة

(٢) ولفظ البخارى : فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذع ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الاعودى وان يدركنى يومك انصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى

أتبكر أم أنت العشيةَ رائحُ ... وفى الصبر من اضمارك الحزن قادحُ
لفرقة قومٍ لا أُحبُّ فِراقَهم ... كأنك عنهم بعد يومَيْنِ نازحُ[(١)]
واخبار صدق خبرتْ عن (محمدٍ) ... يخبرها عنه اذا غاب ناصحُ
فتاكِ الذى وجهتِ ياخيرَ حرةٍ ... بغور وفى النجدَيْن حيثُ الصحاصحُ[(٢)]
الى سوق بُصرى فى الركاب التى غدت ... وهنَّ من الأحمال قُعصٌ ذوائحُ[(٣)]
يخبرنا عن كل حَبْرٍ بعلمه ... وللحق أبوابٌ لهن مفاتحُ
بأن ابنَ (عبدِ الله أحمد) مرسل ... الى كل من ضمت عليه الأباطحُ
وظنى به أن سوف يبعث صادقاً ... كما أرسل العبدانِ (هود) و(صالحُ)
و(موسى) و(ابراهيم) حتى يرى له ... بهاء ومنشور من الذكر واضحُ
ويتبعه حيا (لؤىِّ بن غالب) ... شبابهم والأشيبون الجحاجحُ[(٤)]
فان ابقَ حتى يدركَ الناسُ أمره ... فانى به مستبشرُ الودِ فارحُ
والا فانى يا (خديجةُ) فاعلمى ... عن ارضك فى الارض العريضة سائحُ

ومن شعره أيضاً

وان يكُ حقاً يا (خديجةُ) فاعلمى ... حديثك إياها (فأحمد) مرسلُ
و(جبريلُ) يأتيه و(ميكال) فاعلمى ... من الله وحىٌ يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز فيها بتوبةٍ ... ويشقى به العانى الغرير المضلل
فريقانِ منهم فرقةٌ فى جنانه ... وأخرى بأجواز الجحيم تغلل
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ... ومن هو فى الأيام ما شاء يفعل

---

(١) نزح نزوحاً اذا بعد (٢) الصحاصح : جمع صحصح وهو ما استوى من الارض وجرد . وارض صحاصح وصحصحان ليس بها شىء ولا شجر ولا قرار للماء (٣) بصرى فى موضعين بالضم والقصر أحداهما بالشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ذكرها كثير فى اشعارهم . وبصرى أيضاً من قرى بغداد قرب عكبراء كما فى معجم البلدان . وقعصه وأقعصه اذا قتله قتلا سريعاً . وقوله ذوائح صوابه دوالح من دلح البعير اذا مر بحمله مثقلا . وقال الازهرى : الدالح البعير اذا دلح وهو تثاقله فى مشيه من ثقل الحمل وناقة دلوح مثقلة حملا أو موقرة شحماً (٤) جمع جحجح هو السيد السمح وقيل الكريم

ومَنْ عرشه فوق السموات كلها   واقضاؤه في خلقه لا تبدل

ومن شعره أيضاً

يالرجال وصرف الدهر والقدر   وما لشيء قضاهُ اللهُ من غير (١)
جاءت (خديجةُ) تدعوني لأخبرَها   وما لنا بخفيّ الغيب من خبر
جاءت لتسألني عنه لأخبرها   أمراً اراه سيأتي الناس من اخر
فخبرتني بأمرٍ قد سمعتُ به   فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن (احمدَ) يأتيه فيخبره   (جبريلُ) أنك مبعوثٌ الى البشر
فقلت : علَّ الذي ترجين ينجزه   لك الآله فرجي الخير وانتظرى
وأرسليه الينا كَيْ نسائله   عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقاً عجباً   يقفُّ منه أعالي الجلد والشعر :
أني رأيت أمينَ الله واجهني   في صورةٍ أكملت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوفُ يذعرني   مما يُسلِّم ما حولي من الشجر
فقلت : ظني وما أدرى أيصدقني   أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك ان اعلنتَ دعوتهم   من الجهاد بلا منٍّ ولا كدر

ومنهم :

عامر بن الظرب العدواني

كان من حكماء العرب وخطبائهم كما سبق في فصلهم . وله وصية طويلة يقول في آخرها : إني مارأيت شيئاً قطُّ خلق نفسه ولارأيت موضوعاً إلا مصنوعا ولا جائياً الا ذاهبا ، ولو كان يميت الناسَ الداء لاحياهم الدواء . ثم قال : إني أرى أموراً شتى وحتى . قيل له : وما حتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حيًّا ، ويعود اللاشيءُ شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين . وقال :

---

(١) الغير : اسم من التغير عن اللحياني وانشد :
إذ أنا مغلوب قليل الغير

وَيَلْمُنَّها (١) نصيحةً لو كان من يقبلها . وقد سبق لعامر هذا ذكر فى غير موضع من الكتاب وذكرنا بعضاً من أحواله وسنذكر بعضها فيما يناسب. ان شاء الله ومنهم:

عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة

كان يؤمن بالخالق عز وجل وبخلق آدم عليه السلام وقال فى ذلك شعراً وهو هذا :

ادعوك ياربِّ بما أنت أهلُه ... دعاء غريق قد تشبَّث بالعُصَمْ
لأنك أهلُ الحمد والخيرِ كله ... وذو الطَّوْل لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت الذى لم يحيه الدهر ثانياً ... ولم يرَ عبدٌ منك فى صالح وجم
وأنت القديم الأول الماجد الذى ... تبدأتَ خلق الناس فى ا كتم العدم
وأنت الذى احللتنى غيبَ ظلمةٍ ... الى ظلمة فى صُلْب (آدم) فى ظلم

ومنهم :

علاف بن شهاب التميمى

كان أيضاً يؤمن بالله ويوم الحساب . وفى ذلك يقول وقد أحسن وأجاد فى مقاله :

---

(١) قوله ويلمها مدح خرج بلفظ الذم والعرب تستعمل لفظ الذم فى المدح فتقول : اخزاه الله ماأشعره ولعنه الله مااجرأه وكذلك يستعملون لفظ المدح فى الذم فيقولون للاحمق ياعاقل وللجاهل ياعالم ومعنى هذا ياأيها العاقل عند نفسه أو عند من يظنه عاقلا فسموه عاقلا على مايعتقده فى نفسه وأما قولهم أخزاه الله ماأشعره ونحو ذلك من المدح الذى يخرجونه بلفظ الذم فلهم فى ذلك غرضان أحدهما ان الانسان اذا رأى الشيء فأثنى عليه ونطق باستحسان فربما اصابه بعين وأضر به فيعدلون عن مدحه إلى ذمه لئلا يؤذوه والثانى انهم يريدون أنه قد بلغ غاية الفضل وحصل فى حد من يذم ويسب لان الفاضل يكثر حساده والمعادون له والناقص لايلتفت اليه ولذلك كانوا يرفعون انفسهم عن مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه ولذلك قال الفرزدق :

وان حراماً أن أسب مقاعساً ... بآبائك الشم الكرام الخضارم
ولكن نصفاً لوسببت وسبنى ... بنوعبدشمس من مناف وهاشم

وقال أبو الطيب :

صغرت عن المديح فقلت : أهجى ... كأنك ماصغرت عن الهجاء

هذا وقد بقى كلام فى اعراب الكلمة (ويلمها) يطلب من الاقتضاب

ولقد شَهِدتُ الخصمَ يومَ رفاعةٍ فأخذت منـه خِطةَ المغتال
وعلمت أن الله جازٍ عبـدَهُ يومَ الحسابِ بأحسن الاعمال

ومنهم :

المتلمس بن أمية الكنانى

فقد كان يخطب العرب بفناء الكعبة ويقول : أطيعونى ترشدوا . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إنكم قد تفردتم بآلهة شتى وإنى لأعلم ما اللهُ راضٍ به وان الله تعالى رب هذه الآلهة وانه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعموا أنه على دين بنى تميم . ومنهم :

زهير ابن أبى سلمى

وكان يمر بالعِضاه [1] وقد أورقت بعد يُبس فيقول : لولا أن تسبنى العرب لآمنتُ أن الذى أحياك بعد يُبس سيحيي العظامَ وهي رميم . وقال فى معلقته :

ألا أبلغ الأحلافَ عنّى رسالةً وذُبيانَ هَلْ أقسمتُمُ كل مُقسَمِ

الأحلاف : أسَدٌ وغَطَفانُ [2] هنا واحدهم حلف وفلان حلف بنى فلان اذا منعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأن يكون عوناً على غيرهم . ومعنى هل أقسمتم كل مقسم : أى كل أقسام . يقول أبلغ ذبيانَ وحلفاءها وقل لهم : قد حلفتم على ابرام حبل الصلح كل حلف فتحرجوا من الحنث وتجنبوا .

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما فى نفوسكم ليخفى ومها يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ

يقول : لا تكتموا الله ما صرتم اليه من الصلح وتزعمون انكم لم تحتاجوا الى الصلح وانا لم نملّ الحرب فان الله يعلم من ذلك ما تكتمونه من الغدر كما فعل حصين بن ضمضم اذ قتل العَبْسى بعد الصلح . وتفسير الزوزنى أوضح من هذا حيث قال : أى لا تخفوا من الله ما تضمرون من الغدر ونقض العهد ليخفى على

(١) كل شجر له شوك (٢) أقول : وطيء أيضاً

الله ومهما يكتم من الله شيء يعلمه . يريد أن الله عالم بالخفيات والسرائر ولا يخفى على الله شيء من ضمائر العباد فلا تضمروا الغدر ونقض العهد فانكم لو أضمرتموه علمه الله تعالى .

يؤخَّرْ فيوضَعْ فى كتابٍ فَيُدَّخَرْ ليوم الحسابِ أو يعجّل فينقَمِ

أى لا تكتمن الله ما فى نفوسكم فيدخر ذلك الى يوم الحساب فيحاسبكم به الله أو يعجل لكم النقمة فى الدنيا . وفى شرح الزوزنى : يقول يؤخر عقابه ويرقم فى كتابه فيدخر ليوم الحساب أو يعجل العقاب فى الدنيا قبل المصير الى الآخرة فينتقم من صاحبه يريد لا مخلص من عقاب الذنب عاجلاً وآجلا انتهى . فقد اعترف فى هذه الأبيات بوجود البارئ عز اسمه وأثبت له سبحانه صفات الكمال كالعلم والحياة والقدرة ، وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب والحَفَظة وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية البيضاء ، وهذا أدلُّ دليلٍ على يقينه وإيمانه . ومنهم :

خالد بن سنان بن غيث العبسى

كان مقراً بتوحيد الربوبية والالوهية ، ناهجاً منهج الملة الحنيفية وكثير من الناس ذهب الى أنه كان نبياً . وفى الحديث (ذاك نبى أضاعه قومه) وذلك أنه قال لقومه (ادفنونى فاذا جاءت الظباء بعد ثلاث فاخرجونى فسأنبئكم بما أمرت) فجاءت الظباء الى قبره بعد ثلاث فلم يخرجوه وقالوا تتحدث العرب عنا انا نبشنا موتانا . وأتت بنته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله أحد فقالت : قد كان أبى يقرأ هذا . وأهل هذا القول اختلفوا فى الزمن الذى كان فيه فالكثير على أنه كان فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام . ومنهم من قال : كان قبل عيسى والبنت التى جاءت الى الرسول ليست بنته الصلبية بل كانت من ذريته ونسله . وقد وقع فى بعض بلاد الحجاز فى الجاهلية

نار عظيمة فقام فى أمرها خالد بن سنان حتى اخمدها ومات بعد ذلك فى قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى فى (كتاب الجماجم) وأوردها الحاكم فى المستدرك من طريق يعلى بن مهدى عن أبى عوانة عن أبى يونس عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلا من بنى عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إنى أطفئ عنكم نار الحدثان فذكر القصة. وفيها: فانطلق وهى تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة اشجع فذكر القصة فى دخوله الشق والنار كأنها جبل سقر فضربها بعصاه حتى ادخلها وخرج وقد ذكرتُ طرفا من هذه القصة فى مبحث نيران العرب.

ويقال: إن خالد بن سنان هذا هو الذى دعا على العنقاء فذهبت وانقطع نسلها. والأصح أن الذى دعا عليها حنظلة بن صفوان وكان نبياً بعثه الله تعالى الى أهل الرس (والرس البئر) فكذبوه وقتلوه فأوحى الله تعالى الى نبى كان مع بخت نصر يقال له ارميا بن برخيا: مُرْ بخت نصر يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم. قال الزمخشرى فى أمثاله عند قولهم « طارت به عنقاء مُغْرِب »: زعموا أنها طائر كان على عهد حنظله بن صفوان الحميرى نبى أهل الرس عظيم العنق. وقيل: كان فى عنقه بياض ولذلك سمى عنقاء وكان أحسن طائر خلقه الله تعالى فاختطف غلاما فأغرب به ولذلك سمى المغرب فدعا عليه حنظلة فرمى بصاعقة انتهى. وقال الدميرى فى حياة الحيوان هو طائر غريب تبيض بيضاً كالجبال وتبعد فى طيرانها سميت بذلك لأنه كان فى عنقها بياض كالطوق. وقال القزوينى أنه أعظم الطير جثةً وأكبرها خلقةً تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر وكانت قديماً بين الناس فتأذوا منها الى أن سلبت يوماً عروساً بحليها فدعا عليها حنظلة النبى فذهب الله بها الى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء. وهى جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركدن والجاموس والبَبْر والسباع وجوارح الطير. وعند طيرانها يسمع لأجنحتها دوىٌّ كدوى الرعد القاصف والسيل وتعيش الفى سنة وتزاوج اذا

مضى لها خمسمائة عام . وقال العكبرى فى شرح المقامات كان لأهل الرس جبل شامخ فيه طيور شتى منها العنقاء وهى طائر عظيم الخلق طويل العنق ووجهه وجه انسان من أحسن الطير شكلاً وكانت تأكل الطير فجاعت مرة فأخذت صبياً ثم جارية فاشتكوها لنبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها حنظلة فذهبت وانقطع نسلها . وقيل : أصابتها صاعقة فاحترقت . وكان حنظلة فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام . وسميت العنقاء لطول عنقها . وقيل انها كانت فى زمن موسى . وفى المثل (كالعنقاء تسمع بها ولا تُرى كالغول) والمراد عدم رؤيتها بعد الانقراض المذكور . وسميت مُغْرِبا بزنة اسم الفاعل من أغرب لأنها كانت تجىء بالغرائب . وقد وقع استعمالها فى هذا المثل بدون الوصف . ومنه يعلم جواز استعمالها بدون الوصف كقول الشاعر :

لما رأيت بنى الزمان وما بهم … خلٌّ وفىٌّ للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيلَ ثلاثةٌ … الغولُ والعنقاء والخلُّ الوفىّ

وكان القاضى الفاضل ينشد كثيراً :

واذا السعادة أحرستك عيونها … نَمْ فالمخاوف كلهن أمان
واصطَدْ بها العنقاء فهى حبالةٌ … واقتد بها الجوزاء فهى عنان

« وقال غيره »

الجود والغول والعنقاء ثالثة … أسماء أشياء لم توجد ولم تكُنِ

وقد أورد ابن حجر العسقلانى طرفا من ترجمة خالد بن سنان فى كتابه فى الصحابة فعليك به . ومنهم :

عبد الله القضاعى

وهو ابن تغلب بن وبرة بن قضاعة وكان يؤمن بالله واليوم الآخر وكان من حكماء العرب وفضلائها الشهيرين ينهج فى ديانته منهج الحنيفية كاضرابه السابقين

دل على ذلك ما روى من كلامه . وبليغ نظامه ، ومثل اسمه لم يكن فى الجاهلية الا نادراً بناء على ما اتخذوه من القاعدة والعادة فى وضع أسمائهم . وسيأتى ذلك عند الكلام على مذاهبهم فى أعمالهم وأفعالهم . ومنهم :

عبيد بن الابرص الاسدى

كان عبيد هذا ينتهى نسبه الى خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وشعره يدل على توحيده قال : —

ولتأتينْ بعدى قرون جمة ... ترعى محارم ايكة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف ... والنجم يجرى أنحساً وسعودا
حتى يقال لمن تعرق دهره : ... ياذا الزمانة هل رأيت عَبيدا ؟
مائتى زمان كاملين وبضعة ... عشرين عشت معمَّراً محمودا
أدركت أول ملك نصر ناشئاً ... وبناء شداد وكان أبيدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتنى ... ركضاً وكدت بان أرى داودا
ما تبتغى من بعد هذا عيشة ... الا الخلودَ وان تنال خلودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما ... الا الآله ووجهه المعبودا

وكان من فحول شعراء الجاهليــة جعله ابن سلام الجمحى فى الطبقة الرابعة وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة . قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء عاش عبيد هذا أكثر من ثلثمائة سنة . وكان المنذر بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر له يوم بؤس ويوم نعيم . وكان يقتل أول من رأى فى يوم بؤسه فخرج المنذر فى يوم بؤسه فلقى عبيد بن الأبرص فقتله . فى قصة طويلة لا يسعها المقام (1) . ومنهم :

كعب بن لؤى بن غالب

وهو أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكرنا فى المجتمعات

(١) أنظرها فى الجزء الاول من هذا الكتاب

ماحكاه الزبير بن بكار من خطبته لقريش ، واجتماعهم عليه في كل جمعة فكان يأمرهم فيها بالاطاعة والفهم والتعلم والتفكر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وتقلب الأحوال والاعتبار بما جرى على الاولين والآخرين ويحثهم على صلة الارحام ، وافشاء السلام ، وحفظ العهد ومراعاة حق القربة والتصدق على الفقراء والأيتام ، ويذكرهم بالموت وأهواله واليوم الموعود وأحواله ، ويبشرهم ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ان ادركوه وانه يخرج من بيت الله الحرام . وينشد شعراً يذكر فيه ذلك ويتشوق الى مشاهدة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما يعد من فطن الالهامات ، وصادق التخيلات وهذا من أوضح البراهين على تمسكه بدين ابراهيم عليه السلام وأخذه بالحنيفية والاسلام . وذهب كثير من العلماء الى أن جميع أصول النبي عليه الصلاة والسلام من الآباء والأمهات كانوا موحدين في اعتقادهم مؤمنين بالبعث والحساب ، وغير ذلك مما جاءت به الحنيفية من الاحكام . والى ذلك يشير كلام الماوردى (فى أعلام النبوة) فانه قال : لما كان انبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم من اكرم العناصر ، وأمدهم بأوكد الأواصر[1] ، حفظاً لنسبهم من قدح ، ولمنصبهم من جرح ، لتكون النفوس لهم أوطا ، والقلوب لهم أصغى فيكون الناس الى اجابتهم أسرع ، ولأوامرهم أطوع . انتهى . وقد كان عبد المطلب يتلألأ من وجهه النور وتلوح في أساريره علامات الخير . وكان يأمر ولده بترك البغي والظلم ، ويحثهم على مكارم الاخلاق ، وينهاهم عن سفاسف الأمور . وكان يقول في وصاياه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم ولم تصبه عقوبة . فقيل لعبد المطلب في ذلك ؛

---

(١) الاواصر : جمع آصرة وهي ما عطفك على الرجل من الرحم والقرابة والمعروف والمنة . يقال ماتأصرني على فلان آصرة أي مانعطفني عليه منة ولا قرابة قال الحطيئة :

عطفوا عليّ بغير آ صرة فقد عظم الأواصر

أي عطفوا علي بغير عهد قرابة

ففكر وقال : والله ان وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه . ويعاقب فيها المسيء باساءته . . وكان مجاب الدعوة ، وقد حرم الخمر على نفسه ، وهو أول من تعبد بحراء . وكان إذا رأى هلال رمضان صعد الى حرآء يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش فى رؤوس الجبال . وكان يفوح منه رائحة المسك الاذفر ، وكانت قريش إذا أصابهم قحط يستسقون به فيسقيهم الله تعالى غيثاً هطلها . وانتقلت السقاية[1] والرفادة[2] والرئاسة الى عبد المطلب وأخذ عهداً من ملوك الشام واقيال حمير باليمن وصارت رحلته اليها وحفر عبد المطلب حين قوى واشتد بئر زمزم وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحرث الجرهمى من غزالَيْ الكعبة وحجر الركن فضرب الغزالين صفائح ذهب على باب الكعبة ووضع الحجر فى الركن وصار عبد المطلب سيداً عظيم القدر ، مطاع الأمر نجيب النسل ، حتى مر به اعرابى وهو جالس فى الحجر وحوله بنوه كالأسد . فقال : إذا أحب الله انشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء فانشأ الله تعالى لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الأنام ، وصاروا الاعلام ، وصار كل من قرب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آبائه أعظم رياسة وتنوهاً ، وأكثر فضلا وتألهاً .

(وأما هاشم) فقد كان يحمل ابن السبيل ويؤدى الحقوق وكان نور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلألأ فى وجهه لا يراه أحد إلاقبل يده ولا يمر بشئ إلا سجد له . وكان يضرب بجوده المثل وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف . وأراد أمية بن عبد شمس أن يتشبه بهاشم فى صنيعه فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصى :

---

(١) هى ما كانت قريش تسقيه للحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء (٢) الرفادة : شيء كانت تترافد به قريش فى الجاهلية فتخرج فيما بينها مالا وتشترى به للحجاج طعاماً وزبيباً للنبيذ فلايزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام موسم الحج

تحمل هاشم ماضاق عنه   وأعيا أن يقوم به بريض
أتاهم بالغرائر متقلات   من الشام بالبر البغيض [١]
فأوسع أهل مكة من هشيم   وشاب اللحم باللحم الغريض [٢]

وكان اسمه عمراً فسمى هاشماً [٣] لأنه أول من هشم الثريد لقومه فى مكة فى سنة لزبة قحطة رحل فيها إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق وقدم به الى مكة ونحر الجزر وجعلها ثريداً عم به أهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر :

يا أيها الرجل المحول رحله   هلاّ نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها   الراحلون لرحلة الايلاف
والرائشون وليس يوجد رائش   والقائلون هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم   حتى يكون فقيرهم كالكافى
عمرو العلى هشم الثريد لقومه   ورجال مكة مسنتون عجاف

(وأما عبدمناف) فقد كان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله واسمه المغيرة وعن الزبير رضى الله تعالى عنه أنه وجد حجراً منقوشاً عليه أنا المغيرة بن قصى أوصى قريشاً بتقوى الله وصلة الرحم وكان يبغض الأصنام وكان يلوح عليه نور

---

(١) الغرائر : جمع غرارة بهاء ولاتفتح وهى الجوالق (٢) لحم غريض : طرى (٣) قال السهيلى : المعروف فى اللغة أن يقال ثردت الخبز فهو ثريد ومثرود فلم يسم ثرداً وسمى هاشماً . وكان القياس كما لا يسمى الثريد هشيماً . بل يقال فيه ثريد ومثرود أن يقال فى اسم الفاعل أيضاً كذلك ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى بيان : ذكر أصحاب الاخبار أن هاشماً كان يستعين على اطعام الحاج بقريش فيرفدونه بأموالهم ويعينونه ثم جاءت ازمة شديدة فكره ان يكلف قريشا امر الرفادة فاحتمل الى الشام بجميع ماله واشترى به اجمع كعكا ودقيقاً ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشما ودقه دقاً ثم صنع للحاج طعاماً شبه الثريد فبذلك سمي هاشما لان الكعك اليابس لا يثرد وانما يهشم هشما فبذلك مدح حتى قال شاعرهم فيه وهو عبد الله بن الزبعرى

كانت قريش بيضة فتفقأت   فالمح خالصه لعبد مناف
الخالطين فقيرهم بغنيهم   والظاعنين لرحلة الايلاف
والرائشين وليس يوجد رائش   والقائلين : هلم للاضياف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه   قوم بمكة مسنتين عجاف

انتهى ماأريد نقله . والمح بالضم صفرة البيض

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان اسمه المغيرة فدفعته أمه إلى (مناف) وكان من أعظم أصنام مكة تعظيما له فغلب عليه عبد مناف واستحكمت رئاسته بعد أبيه لجوده وسياسته حتى قال فيه الشاعر :

كانت قريش بيضة فتفقأت فالمُحُّ خالصه لعبد مناف

(وأما قصى) فكان عالم قريش وأقومها للحق وكان يجمع قومه يوم العروبة ويذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم بأنه سيبعث فيه نبي وكان ينهى عن عبادة الاصنام وخلصت الرئاسة فى مكة لقصى بعد أن اجلى خزاعة عنها فجمع قريشاً وهم فى أوزاع بنى كنانة فمنعت بنو كنانة منهم فحاربهم بمن اطاعه حتى أفردهم منهم وجمعهم بمكة فسمى (مجمعاً) وفيه يقول شاعرهم :

أبونا قصى كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

فلما اجتمعوا أنزلهم بطحاء مكة فى الشعاب ورؤس الجبال وقسمها رباعاً بين قومه وأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها . وكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء (١) وصارت سنة فى قريش كالدين الذى لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية وجدد بناء الكعبة ، وهو أول من بناها بعد ابراهيم واسمعيل وبنى دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور وهى أول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون فى جبالها ثم بنى القوم دورهم بها فتمهدت لهم الرياسة ، وظهرت فيهم السياسة . وبالجملة اذا خبرت حال نسبه ،

(١) الحجابة : سدانة البيت أى خدمته وهي مما احدثه قصى . والحجابة عندهم منصب شريف تكون مفاتيح الكعبة عند من تقلد هذا المنصب وهو المسؤل عن ما فى الكعبة من الامانات ، والاموال المهداة ، وهى بيد آل شيبة ، والندوة : من محدثات قصى أيضاً وهى بمنزلة قصر الامارة ودار الحكومة وكانوا يجتمعون فيها لابرام امرهم وتشاورهم والندوة الجماعة ودار الندوة دار الجماعة وقيل فى وجه التسمية غير ذلك . وكانت الجارية إذا حاضت ادخلت دار الندوة ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف درعها ودرعها اياه وانقلب بها أهلها فحجبوها ولا يعذر غلام (أى يختن) الا فيها . واللواء : منصب احدثه قصى أيضاً وهو بمنزلة وزير الحرب فى عصرنا فاذا اخرجه من كان بيده اجتمعت عنده صناديد قريش لا يتخلف أحد منهم عنه وذلك اذا نابتهم نائبة . وغيره لا يمكن من ذلك اللواء وكان هذا المنصب مخصوصاً ببنى عبد الدار . اما السقاية والرفادة فقد مضى تفسيرهما فى ص ٢٨٣

وعرفت طهارة مولده ، علمت أنه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا فأنه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن لؤىّ ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وليس فى هؤلاء خامل مسترذل ، ولا مغمور مستذل ، كلهم سادة قادة اشتهروا بأحسن المكارم والفضائل . وقد ذكر ذلك مفصلاً فى كتب السير ولا يسعنا إيراده فى مثل هذا المقام . ومات أبوه عبد الله بمكة وهو حمل ، وأما أمه آمنة فماتت عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين ، والله اعلم .

بيان ما كان العرب عليه من العبادات والاعمال فى الجاهلية

اعلم أن العرب قبل ظهور الاسلام لم يكونوا مكلفين بشريعة من الشرائع لا شريعة ابراهيم ولا غيرها من شرائع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لقوله سبحانه (لِتُنْذِرَ قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) وقد ذكر المفسرون فى هذا المقام أنه لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بل كانوا فى فَتْرة وهى الزمن بين الرسولين والمراد بالقوم هنا العرب لوجودهم فى فترة بين اسماعيل ومحمد عليهما السلام وهى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة بناء على ان دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببنى اسرائيل لما فى الصحيحين (أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهُنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شهر وجُعِلَتْ لى الارض مسجداً وطَهُوراً فأيما رجلٍ من أُمتى أدركته الصلاة فليصلّ وأُحلت لى الغنائم ولم تحلّ لاحد قبلى وأُعطيت الشفاعةَ وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة) ولا ينافى كون اسماعيل عليه السلام مرسلاً اليهم القول بعدم تكليفهم ، فان التكليف إنما يبقى اذا لم تندرس شريعة الرسول وههنا قد اندرست كما سبق . ومعلوم أن الانبياء هم رسل الله تعالى الى

عباده بأوامره ونواهيه زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها والزاماً لما جوزته من مباحاتها لما أراده الله تعالى من كرامة العاقل وتشريف أفعاله، واستقامة أحواله، وانتظام مصالحه، حين هيأه للحكمة، وطبعه على المعرفة، ليجعله حكيما، وبالعواقب عليما، لان الناس بنظرهم لا ينكرون مصالحهم بانفسهم ولا يشعرون لعواقب أمورهم بغرائزهم ولا ينزجرون مع اختلاف هممهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين، وأخبار القرون الماضين، فتكون آداب الله فيهم مستعملة، وحدوده فيهم متبعة، وأوامره فيهم ممتثلة، ووعده ووعيده فيهم زاجراً، وقصص من غبرَ من الامم واعظا، فان الاخبار العجيبة اذا طرقت الاسماع والمعانى الغريبة اذا أيقظت الاذهان استمدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها، وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً، وأكثرهم علماً أكثرهم عملا، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل، ولا منهم فى انتظام المصالح بدل، فلما خلت أمة العرب فى تلك المدة المديدة من النذير اختلت أفعالهم، وتشوشت أحوالهم، ومع ذلك بقيت فيهم بقايا من سنن ابراهيم وشرائعه، وكان لهم بعض عبادات وأعمال من ذلك العهد وان عرض لبعضها تغيير بزيادة أو نقصان. وقد أسلفنا شيئاً منها ونذكر هنا بعضها: « فمن ذلك » أنهم كانوا مداومين على طهارات الفطرة التى ابتلى بها ابراهيم عليه السلام فى قوله سبحانه (واذ ابتلى ابراهيمَ ربُّه بكلمات فاتمهن) وهى الكلمات العشر: خمس فى الرأس وخمس فى الجسد. فأما التى فى الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك. وأما التى فى الجسد فالاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان. فلما جاء الاسلام قررها سنة من السنن. وفى كتب الحديث تفصيل ذلك « ومن ذلك » أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم. قال الأفوه الأودى:

الا عللانى واعلما أننى غرر ... فما قلت ينجينى الشقاق ولا الحذر

وما قلت يجديني ثوابي إذا بدت مفاصل أوصالي وقد شخص البصر

وجاؤا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غبر

وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفنه ثم يقول عليك رحمة الله . وقال رجل من كايب في الجاهلية لابن ابن له :

أعمرو ان هلكت وكنت حياً فاني مكثر لك من صلاتي

واجعل نصف مالي لابن سام حياتي ان حييت وفي مماتي

« ومن ذلك » أن قريشاً كانوا في الجاهلية يصومون يوم عاشوراء ولعلهم تلقوه من الشرع السالف ولهذا كانوا يعظمون هذا اليوم بكسوة الكعبة فيه وغير ذلك ويقال ان قريشاً أذنبت ذنباً في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك . وفي بعض الأخبار أنهم كانوا أصابهم قحط ثم رفع عنهم فصاموه شكراً « ومن ذلك » أنهم كانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ، قال زهير بن أبي سلمى :

جعلنَ القنَانَ عن يمين وحزنهُ وكم بالقَنان من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ (١)

وكانوا يطوفون بالبيت سبعاً ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال أبو طالب :

وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة ومخايل

وكانوا يلبون الا أن بعضهم كان يشرك في تلبيته فيقول « لبيك اللهم لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » . وكانوا يقفون المواقف كلها وبذلك نطقت أشعارهم . وكانوا يهدون الهدى ويرمون الجمار

(١) القنان جبل لبني اسد ، والحزن ماغلظ من الارض ، والمحل الذي لاعهد ولاذمة له ولا جوار ، والمحرم الذي له حرمة وذمة من أن يغار عليه ، وقيل المحل الذي دخل في اشهر الحل ، والمحرم الذي دخل في اشهر الحرم ، والمعنى ان هؤلاء الظعن لما تحملن جعلن عن ايمانهن حزن القنان ومن اقام به من عدو محل من نفسه وصديق محرم

ويروى عن أبى مجلز : أن أهل الجاهلية كان الرجل منهم إذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر[١] وقيل كان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء[٢] شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء ، وكانوا لا يغيرون فى الاشهر الحرم وينصلون فيها الأسنة ويهرع الناس فيها إلى معائشهم ولا يخشون أحداً وقد توارثوا ذلك على ماقيل من دين اسماعيل عليه السلام . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى زيد قال : كان الناس كلهم فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض ولم يكن فى العرب ملوك كذلك فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياماً يدفع به بعضهم عن بعض فلو لقى الرجل قاتل أبيه أو ابنه عنده ماقتله . وقد كانت قريش ابتدعت رأى الحمس[٣] رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة[٤] وولاة البيت وقطان[٥] مكة وسكانها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ماتعرف لنا فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعترفون ويقرون أنهما من المشاعر والحج ودين ابراهيم عليه السلام . ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها الا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم مايحل لهم ويحرم عليهم مايحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك . ويروى عن أبى عبيدة النحوى : أن بنى عامر بن صعصعة دخلوا معهم فى ذلك أيضاً . وقال عمرو بن معد يكرب

(١) الاذخر بكسر الهمزة والخاء المعجمة : نبات معروف زكى الرائحة واذا جف ابيض (٢) اللحاء : بالكسر والمد والقصر لغة ما على العود من قشره (٣) الحمس : التشدد (٤) فى نسخة : الحرم (٥) القطان : السكان

أعباس لو كنت شياراً جيادنا (بتثليث) ما ناصيت بعدى الاحامسا

وتثليث موضع من بلادهم والشيار الحسان . يعنى بالاحامس بنى عامر بن صعصعة وعباس هو ابن مرداس السلمى وكان أغار على بنى زبيد بتثليث . وقال لقيط بن زرارة الدارمى فى (يوم جبلة) :

أجذم اليك أنها بنو عبس المعشر الحلة فى القوم الحمس[1]

لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة ويوم جبلة يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وبين بنى عامر بن صعصعة فكان الظفر فيه لبنى عامر على بنى حنظلة . ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم حتى قالوا : لاينبغى للحمس أن يأتقطوا الأقِط[2] ولا يسلؤا السمن[3] وهم حرم ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا ان استظلوا إلا فى بيوت الادم ما كانوا حرماً ، ثم رفعوا ذلك فقالوا لاينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاؤا حجاجاً أو عماراً ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم الا فى ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة ، فان تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً[4] . وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى[5] فحملوا على ذلك العرب

---

(١) أجذم : زجر معروف للخيل وكذلك أرحب وهب وهقط وهقب (٢) الاقط : يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها مثل تخفيف كبد نقله الصاغانى عن الفراء (٣) سلأ السمن يسلؤه سلأً : طبخه وعالجه فأذاب زبده قال ابن هرمة :

ان لنا صرمة مخيسة نشرب ألبانها ونسلؤها

(٤) ذكر الحلة وهم ماعدا الحمس وانهم كانوا يطوفون عراة ان لم يجدوا ثياب الحمس وكانوا يقصدون فى ذلك طرح الثياب التى اقترفوا فيها الذنوب عنهم . ولم يذكر الطلس من العرب وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس : كانوا يأتون من اقصى اليمن طلساً من الغبار فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس فسموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب (٥) هو الثوب الذى يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد

فدانت به ، ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة . أما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه . فقالت امرأة(١) من العرب وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليومَ يبدو بعضهُ أو كلُّه وما بدا منـه فلا أحلّه

أخثم مثل القعب بادٍ ظله كأن حمّى خيبر تمله(٢)

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه :

كفى حزناً كرّى عليها كأنها لقى بين أيدى الطائفين حريم(٣)

يقول لاتمس فكانوا كذلك الى البعثة النبوية فنزل « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » فامر قريشاً بالافاضة من حيث أفاض العرب ونزل ابطالاً لما ابتدعوه من تحريم الطعام والملبوس عند البيت حين طافوا عراةً وحرموا ماجاؤا به من الحل من الطعام . قوله تعالى « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » فوضع الله تعالى أمر الحمس

---

(١) يذكر ان هذه المرأة هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشير وذكر محمد بن حبيب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كبداً وحزناً على ذلك . قال السهيلى : ان كان صح هذا فما أخرها عن ان تكون أماً للمؤمنين . وزوجاً لرسول رب العالمين . الا قولها « اليوم يبدو بعضه أو كله » تكرمة من الله لنبيه وعلماً منه بغيرته والله أغير منه

(٢) الاحثم : صوابه الاخثم وهو الركب المرتفع الغليظ والركب محركة العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره أو الركبان أصل الفخذين عليهما لحم الفرج أو خاص بهن . و القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى

(٣) قوله (حريم) أى محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به وكل شىء مطرح فهو لقى قال الشاعر يصف فرخ قطا :

تروى لقى القى فى صفصف تصهره الشمس فما ينصهر

تروى بفتح التاء أى تسق له . ومن اللقى حديث فاختة أم حكيم بن حزام وكانت دخلت الكعبة وهى حامل متم بحكيم بن حزام فجاءها المخاض فلم تستطع الخروج من الكعبة فوضعته فيها فلفت فى الانطاع هى وجنينها وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها فجعلت لقى لا تقرب

وما كانت قريش ابتدعت منه وجعل الناس كلهم فى الافاضة من عرفات والوقوف عليها سواء

« ومن ذلك » انهم كانوا يقطعون يد السارق اليمنى اذا سرق . وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق ، وكانوا يأخذون فى دية النفس مائة من الابل ، ويحكمون بايقاع الطلاق اذا كان ثلاثا وللزوجة الرجعة فى الواحدة والاثنتين وتفريق الفراش فى وقت الحيض وفى القرآن « واعتزلوا النساء فى المحيض ولاتقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » فجاء الشرع بتأكيد ما كان والقصاص فى الجروح والرجم للزانى المحصن والزانية المحصنة واتباع الحكم فى المبال فى الخنثى وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر والنسب . وكانوا يتواصون بدفع الظلم والوفاء بالعهود واكرام الجار والضيف . وهذه أمور مشهورة عندهم نطقت بها أشعارهم وخطبهم يحتاج ذكرها لمزيد بسط اغنى عنه ماذكره أهل الحديث والتفسير والتاريخ « ومن ذلك » أنهم كانوا يعتبرون القَسامة وهي بفتح القاف وتخفيف المهملة اليمين وهى فى عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الاثبات أوالنفى وهى مأخوذة من قسمة الايمان على الحالفين . وأول قسامة كانت فى الجاهلية لفينا بنى هاشم كان رجل من بنى هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ اخرى فانطلق معه فى ابله فمر به رجل من بنى هاشم قد انقطعت عروة جُوالقه (وهو الوعاء من جلود وثياب وغيرها وهو معرب) فقال اغثنى بعقال اشد به عروة جوالقي لاتنفر الابل فاعطاه عقالاً فشد به عروة جوالقه فلما نزلوا عقلت الابل الا بعيراً واحداً فقال الذى استأجره ماشأن هذا البعير لم يعقل من بين الابل قال ليس له عقال قال فاين عقاله قال مرّ بى رجل من بنى هاشم قد انقطع عروة جوالقه واستغاث بى فاعطيته فحذفه (أى رماه) بعصاً كان فيها أجله فمر به رجل من أهل اليمن قال اتشهد الموسم أى موسم الحج قال ما اشهد وربما شهدته . قال هل أنت مبلغ عنى رسالة من الدهر قال نعم ذلك . قال فكتب

اذا أنت شهدت الموسم فناديا آ ل قريش فاذا أجابوك فناديا آ ل بنى هاشم فان اجابوك فاسأل عن أبى طالب فاخبره ان فلانا قتلنى فى عقال . ومات المستأجر بعد ان أوصى اليمانى بما أوصاه ، فلما قدم الذى استأجره أتاه أبو طالب فقال مافعل صاحبنا قال مرض فاحسنت القيام عليه فوليت دفنه . قال : قد كان أهل ذاك منك فمكث حيناً فانهم صدقوه ولم يظنوا بهغير ذلك . ثم ان الرجل الذى أوصى اليه أن يبلغ عنه وافى الموسم فقال يا آل قريش قالوا هـذه قريش قال يابنى هاشم قالوا هذه بنو هاشم قال من أبو طالب قال هـذا أبو طالب قال أمرنى فلان ان أبلغك رسالة ان فلانا قتله فى عقال فاتاه أبو طالب فقال له اختر منا احدى ثلاث ان شئت ان تؤدى مائة من الابل فانك قتلت صاحبنا وان شئت حَلَفَ خمسون من قومك انك لم تقتله فان ابيت قتلناك به . فاتى قومه فقالوا نحلف فاتته امرأة من بنى هاشم كانت تحت رجل منهم وهو عبد العزى ابن أبى قيس العامرى قد ولدت له واسم ولدها منه حويطب . فقالت ياابا طالب احب أن تجيز ابنى هذا برجل من الخمسين ولا تصبر يمينه حيث تصبر الايمان أى لا تلزمه ان يحلف باعظم الايمان وهو اليمين بين الركن والمقام ففعل فأتاه رجل منهم فقال ياابا طالب أردت خمسين رجلاً ان يحلفوا مكان مائة من الابل يصيب كل رجل بعيران هذان بعيران فاقبلهما عنى ولا تصبر يمينى حيث تصبر الايمان فقبلهما ، وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا بين الركن والمقام ان خداشاً برئ من دم المقتول . قال ابن عباس فوالذى نفسى بيده ماحال الحول ومن الثمانية والاربعين عين تطرف أى تتحرك . زاد ابن الكلبى وصارت رباع الجميع لحويطب فبذلك كان أكثر من بمكة رباعاً ، وروى الفاكهى من طريق ابن أبى نجيح عن أبيه قال حلف ناس عند البيت قسامة على باطل ثم خرجوا فنزلوا تحت صخرة فانهدمت عليهم . ومن طريق حويطب أن أمة فى الجاهلية عاذت بالبيت فجاءتها سيدتها فجذبتها فشلت يدها . ومن طريق طاووس قال : كان أهل الجاهلية لا يصيبون فى الحرم شيئاً إلا عجلت لهم عقوبته . وفى كتاب (مجابى الدعوة)

لابن أبي الدنيا فى قصة طويلة فى معنى سرعة إجابة الدعوة فى الحرم للمظلوم فيمن ظلمه ، قال فقال عمر كان يفعل بهم ذلك فى الجاهلية ليتناهوا عن الظلم لأنهم كانوا لا يعرفون البعث فلما جاء الاسلام اخر القصاص الى يوم القيمة . قال وروى الفاكهى من وجه آخر عن طاووس قال : يوشك أن لا يصيب أحد فى الحرم شيئاً إلا عجلت له العقوبة فكأنه أشار الى أن ذلك يكون فى آخر الزمان عند قبض العلم وتناسى أهل ذاك الزمان الأمور الشرعية فيعود الأمر غريباً كما بدا. والله الهادى الى سواء السبيل

« ومن ذلك » أن منهم من كان يحرم الخمر على نفسه تكرماً وصيانة لأنفسهم وهم أناس كثيرون ، قال أبو القاسم عبد الرحمن السعدى الأندلسى وتوفى بمصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فى كتاب (مساوى الخمرة) وهو كتاب ضخم فى مجلدين . قال فيه : وقد حرم الخمر والقمار والزنى على نفسه فى الجاهلية عفيف ابن معديكرب الكندى عم الأشعث بن قيس وقال فى ذلك :

فلا والله لا ألفى وشَرْباً ... أنازعهم شراباً ماحَييتُ
أبى لى ذاك آباء كرام ... وأخوال بعزهم رَبيت

وقال أيضاً

وقالت لى : هلمّ الى التصابى ... فقلت : عففت عما تعلمينا
وودّعت القداح وقد أرانى ... لها فى الدهر مشغوفاً رهينا (١)
وحرمت الخمور علىَّ حتى ... أكونَ بقعر ملحود دفينا

أنت ترى كيف تفهم مافى القمار من المشاركة للزنى والخمر فى سوء الذكر ولا تنس قوله وحرمت الخمور فأتى بها بلفظ الجمع إشارة الى اختلاف أجناسها

(١) قوله مشغوفاً صوابه مشعوفاً والشعف حرقة يجدها الرجل مع لذة فى قلبه ولذلك قال امرؤ القيس :

أيقتلنى وقد شعفت فؤادها ... كما شعف المهنوءة الرجل الطالى

لان المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة

كالخمر المتخذة من ماء العنب ونبيذ الزبيب والتمر والذرة والشعير والحنطة والعسل وأمثال هذه إذ الكل خمور مختلفة الألوان والطعوم والأمزجة. وقد قال ابن شبرمة منبهاً على اشتراك هذه كلها فى المعنى :

يا اخلاء إنما الخمر ذيب ... وأبو جعدة الطلاء المريب

ونبيذ الزبيب ما اشتد منه ... فهو للخمر والطلاء نسيب

وقال عبيد بن الابرص :

هى الخمر تكنى الطلاء ... كما الذئب يكنى أبا جعده

وقال أبو الاسود الدؤلى :

دع الخمر تشربْها الغواةُ فاننى ... رأيت أخاها مجزئاً لمكانها

فقيل له فنبيذ الزبيب فقال :

فالا يَكُنْها اوتكنْهُ فانه ... أخوها غذته أمه بلبانها

وقد أودع فى كتابه هذا من مساوى الخمرة ومفاسدها ما يكفى اللبيب عبرة إذا وقف على بعض منها وأورد قصصاً عجيبة فى ذلك يطول الكلام بذكر شئ منها . وكان عامر بن الظَرِب الذى أسلفنا ذكره قد حرم الخمر على نفسه فيمن حرمها وقال فيها :

ان أشربِ الخمر أُشرَبْها للذتها ... وان ادعها فانى ماقتٌ قالى

لولا اللذاذة والقينات لم أَرَهَا ... ولا رآنى إلا من مديً عالى

سآلةٌ للفتى ماليس فى يده ... ذهابة بعقول القوم والمال

تورث القوم اضغاناً بلا إِحَنٍ ... مزرية بالفتى ذى النجدة الحالى

أقسمت بالله اسقيها وأشربها ... حتى تمزق ترب الارض أوصالى

وممن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى وقال فى ذلك

لعمرك إن الخمرَ مادمت شارباً ... لَسَالبة مالى ومُذهِبة عقلى

وتاركة بين الضيوف قراهم ومورثةحربَ الصديق بلاقتل[1]

وحرمها صفوان بن امية بن محرّب[2] الكناني . وقال فى ذلك :

رأيت الخمر صالحةً وفيها مناقبُ تفسد الرجل الحليما

فلا والله اشربها حياتى ولا أشفى بها أبداً سقيما

وابن قتيبة يروى هذين البيتين لقيس كما سيأتى وما ذكرته رواية ابن دريد

وقال آخر وقد حرم الزنى والخمر أيضاً فى الجاهلية :

سالمت قومى بعد طول مضاضة والسلم أبقى فى الامور واعرف

وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف[3]

وعففت عنه يا أميم تكرماً وكذاك يفعل ذو الحجى المتعففُ

وحرمها سويد بن عدى الطائى وقد أدرك الاسلام وقال فى ذلك :

تركتُ الشعرَ واستبدلتُ منه كتابَ اللهِ ليس له شَريكُ

وقال أيضاً

اذا داعى مُنادى الصبح قاما وودعت المُدامة والندامى

وحرّمت الخمور وقد أرانى بها سَدِكاً وان كانت حراما[4]

قال ابن قتيبة فى كتاب الخمرة ويسمى أيضاً كتاب الاشربة : وقد كان كثير من أصحاب رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم حرموا الخمر على أنفسهم فى الجاهلية لعلمهم بسوء مصرعها وكثرة جناياتها . وقالت عائشة رضى الله عنها « ماشرب أبو بكر خمراً فى جاهلية ولا اسلام » وقال عثمان رضى الله تعالى عنه « ماتغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا اسلام ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله صلى تعالى وسلم » وقيل للعباس بن مرداس فى الجاهلية:

---

(١) رواه القالى فى اماليه :

وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل

(٢) صوابه : محرث (٣) الراح : الخمر ، والمومسات جمع مومسة وهى الفاجرة وتجمع على مواميس أيضاً (٤) قوله سدكا أى مولعاً

لم لاتشرب الخمر فانها تزيد في جرآءتك ؟ فقال « ما أنا بأخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي وأصبح سيد قومي وأمسى سفيههم » وقيل له بعد ما أسن وأسلم : قد كبرت سنك ودق عظمك فلو أخذت من هذا النبيذ شيئاً يقويك ! فقال « أصبح سيد قومي وأمسى سفيههم آليت أن لا يدخل رأسي مايحول بيني وبين عقلي » وكان قيس بن عاصم يأتيه في الجاهلية تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمار في جواره حتى ينفد ماعنده فشرب قيس ذات يوم فسكر سكراً قبيحاً فجذب ابنته وتناول ثوبها ورأى القمر فتكلم بشيءٍ ثم نهب ماله ومال الخمار وأنشد وهو يضربه :

عن تاجرٍ فاجر جاء الالهُ به — كأنَّ لحيتهُ أذنابُ أجمالِ
جاء الخبيث (بتيسانية) تركت — صحبي وأهلي بلا عقل ولا مالِ[1]

فلما صحا أخبرته ابنته بما صنع وما قال فآلى لا يذوق الخمر وقال : —

رأيتُ الخمرَ صالحةً وفيها — خصالٌ تُفْسِدِ الرجلَ الحليما
فلا واللهِ أشربها صحيحاً — ولا أشفي بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي — ولا أدعو لها أبداً نديما

وكان عثمان بن مظعون حرَّم الخمر في الجاهلية وقال : لا أشرب شراباً يذهب بعقلي ويضحك بي من هو أدنى مني وأزوج كريمتي من لا أريد فبينا هو بالعوالي إذ أتاه آتٍ فقال : أشعرت أن الخمر حرمت وتلا عليه الآية في المائدة فقال : تبًّا لها لقد كان بصري بها نافذاً . وكان العرب في الجاهلية يشتدون على النساء في شرب الخمر حتى لم يحفظا ن امرأة سكرت . وعن الاصمعي قال : كان عقيل ابن علقمة المري غيوراً . فكان يسافر ببنت له يقال لها (الجرباء) فسافر بها مرة فقال :

---

(١) قوله (بتيسانية) صوابه (بيبسانية) بالفتح ثم السكون وهي الخمر المنسوبة الى بيسان مدينة بالاردن بالغور الشامي قال حسان :

من خمر بيسان تخيرتها — ترياقة توشك فتر العظام

قضت وطراً من دير سَعْدٍ وربما على عرَض ناطحنه بالجماجم (١)

ثم قال لابن له يقال له عملس (٢) اجز فقال :

فأصبحن بالموماة يحملن فتيةً نشاوَى من الادلاج ميلَ العمائمْ (٣)

ثم قال لابنته : أجيزى ياجرباء . فقالت : —

كأن الكرى سقاهم صرخَدِيَّةً عُقاراً تمشت بالمطا والقوائم (٤)

فقال لها : ما وصفتها هذه الصفة إلا وقد شربتها ثم أحال عليها يضربها فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فخلوا فخذه بسهم فقال :

إن بنيَّ ضرَّجونى بالدمِ من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكْلمِ
شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أخْزَمِ (٥)

وقد كفانا الله تعالى فيها بقوله سبحانه (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) قال ابن قتيبة فى كتاب الخمرة : وقد فضح الله بالشراب أقواماً من الاشراف وحدّوا ودونت بالكتب أخبارهم ، ولحقت تلك السبة أعقابهم . ثم

(١) ديرسعد : بين بلاد غطفان والشام ، والجماجم ديربظاهر الكوفة ، والوطر : الحاجة
(٢) العملس لغة القوى على السير السريع والذئب الخبيث وكلب الصيد (٣) الموماة : المفازة الواسعة ونشاوى : سكارى ، والادلاج : سير الليل كله

(٤) الكرى : النعاس ، والصرخدية : الخمر المنسوبة الى صرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . قال الشاعر :

ولذّ لطعم الصرخدى تركته بأرض العدى من خشية الحدثان

اللذ : ههنا النوم .. والمطا : الظهر مقصور يكتب بالالف (٥) ضرجه بالدم : ادماه ، ويكلم : يجرح ، والشنشنة : الطبيعة والعادة أى اشبهوا أباهم فى العقوق وهو مثل يضرب فى قرب الشبه ، وهو كقولهم : ان العصا من العصية ويروى نشنشة وكأنه مقلوب شنشنة . وفى الحديث أن عمر قال لابن عباس (رض) حين شاوره فأعجبه اشارته : شنشنة اعرفها من اخزم ويروى : نشنشة اعرفها من اخشن وذلك انه لم يكن لقرشي مثل رأي العباس فشبهه بأبيه فى جودة الرأى . وقال الليث : الاخزم الذكر وكرة خزماء قصر وترها وذكر اخزم . وكان لاعرابى بنى يعجبه فقال يوماً : شنشنة من اخزم . أى قطران الماء من ذكر اخزم

أخذ يعددهم فقال : منهم ومنهم مما يطول ذكره وقال بعد ذلك وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة وسقوط المرتبة وتلف النفس فان الرجل ربما استخلصه السلطان لمنادمته وأدخله موضع أنسه فيزين له الكأس غمزة القينة والعبث بالخادم والتعرض للحرمة . وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة أشياء ، افشاء السر ، والقدح فى الملك ، والتعرض للحرم . وقد بلغك من ذلك ما لا احتياج الى ذكره . وقديماً بلى المعاقرون بمثل هذا من جرائر الكأس وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة بن العبد لمنادمته فبيناهو يوماً معه يشرب أشرفت أخته عليهما فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده فقال :

ألا يا أيها الظبي الـ ـذى تتفرق شفتاه [1]

ولولا الملك القاعد قد الثمنى فاه

فسمعه عمرو بن هند فكتب له كتاباً لعامله بالبحرين وأوهمه أنه أمر له فيه بجائزة وأمر العامل بقتله فلما ورد على العامل سقاه من الراح حتى أثمله ثم فصد له من عرق الأكحل حتى نُزِفَ [2] فمات وقبره هناك مشهور يشرب عنده الاحداث ويصبون فضل كؤوسهم عليه . . وروى أن رجلاً من طيء نزل به رجل من شيبان يقال له المكاء فذبح له الطائى شاة وسقاه من الخمر فلما سكر الطائى قال للشيبانى : هلم أفاخرك أطيّ أكرم أم شيبان ؟ فقال له الشيبانى : حديثٌ حسن ومنادمة كريمة أحبُّ الينا من الفخار . فقال الطائي : لا والله ما مدّ رجل يداً أطولَ من يدى ومد يده . فقال له الشيبانى : أما والله لئن أعدتَها لاحصبنَّها من كوعها [3] فاعاد فضرب به الشيبانى فقتله . فقال أبو زبيد فى ذلك لبنى شيبان :

---

(١) هكذا اورده المؤلف وهو — كما ترى — محرف وغير مستقيم الوزن وصوابه :

الا يأتى لى الظبي الـ ـذى يبرق شنفاه

(٢) قال المجد : الاكحل عرق فى اليد اوهو عرق الحياة ولا تقل عرق الاكحل ، ونزف دمه كعنى : سال حتى يفرط فهو منزوف ونزيف (٣) الكوع : طرف الزند الذى يلى الابهام أو غير ذلك . واخضبنها ادمينها

خبرتنا الركبان أن قد نحرتم وفرحتم بضربة (المكاء)
ولعمرى لعارُها كان أدنى لكمُ من تقى وحق وفاء
ظلّ ضيفاً أخوكمُ لاخينا فى صَبُوح ونعمة وشِواء (١)
ثم لما رآه ثابتْ به الخمـــر الا تريبه باتقاء
لم تهب حرمة النديم وحقت ياَلقَوْمى للسَّوْأة السوءآء (٢)

وذكر ابن قتيبة للخمرة أنواعا من المفاسد والمساوى ونبذة مما كان أهل الجاهلية يعدونه من المنافع وهى كما ورد فى القرآن « ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » وقد اتفق جميع أهل الملل والنحل على قبحها بالمرة . . وقد رأيت فى بعض الصحف العربية المطبوعة فى دار السلطنة العثمانية مانصه : قد رأينافى البشير تحت عنوان (نتائج المشروبات المسكرة) ما نصه : كتب فى التقاويم الاخيرة أن المشروبات المسكرة تقتل فى المانيا فى السنة أربعين ألفاً ، وفى روسية عشرة آلاف ، وفى بلجيكا أربعة آلاف ، وفى فرانسة ألف وخمسمائة وأما فى أمريكا فقد مات ثلاثمائة ألف نفس فى الولايات المتحدة فى مدة ثمان سنوات فيكون عدد الذين تقتلهم الخمور فى أمريكا سنويا تسعاً وثلاثين ألفاً وخمسمائة نسمة . وقتلى الخمر فى الممالك المذكورة فى كل سنة ثلاثاً وتسعين ألف نفس انتهى ما هو المقصود . فهل ينبغى للاريب أن يوقع نفسه فى مثل هـذه المهالك سيما إن كان ممن يتعبد بالاجتناب عنهـا والعرب لم يكونوا مكلفين بالنهى عنها ومع ذلك قد سمعت ما ذكرناه من كلام عقلائهم فيها ، هذا وقد بقى من أعمالهم الموافقة لما جاءت به الحنيفية مايطول بيانه وهى مذكورة فى غالب أبواب العلم من حديث وفقه وغير ذلك فمن جدّ وجد والله الموفق .

---

(١) الصبوح بالفتح شرب الغداة (٢) السوءة السوآء : الخصلة القبيحة . وانظر القصة فى الاغانى (ج ١١ ص ٢٤)

بيان ما كان عليه العرب فى الجاهلية

من الاعمال التى أبطلها الاسلام

اعلم أن ههنا نكتاً ممتعة من مذاهب العرب وتخيلاتها قد نسخها الاسلام وأبطلها وقد ساقنا الموضع الى ذكرها . أنشد هشام بن الكلبى لامية ابن أبى الصلت :

سنة أزمة تبرح بالناس ترى للعضاهِ فيها صريرا (١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طُحرورا (٢)
ويسوقون باقر السهل للطود مهازيلَ خشية أن تبورا (٣)
عاقدين النيران فى ثُكن الأذنابْ منها لكى تهيجَ البحورا (٤)
سُلَعٌ مّا ومثله عُشَرٌ مّا عائلٌ مّا وعالت البيقورا (٥)

يروى : أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت . ويقال : إن الأصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى اثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر والبيقور البقر وعائل غالب أو مثقل « وكانت العرب » إذا اجدبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا الى السلع والعشر فحزموهما وعقدوهما فى أذناب البقر وأضرموا فيها النيران وأصعدوها فى جبل وعر واتبعوها يدعون الله تعالى ويستسقونه وإنما يضرمون النيران فى أذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار . وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات وقال اعرابى :

---

(١) سنة ازمة : شديدة ، وتبرح بالناس : تجهدهم (٢) قال أبو حنيفة : نوّ النجم هو اول سقوط يدركه بالغداة اذا همت الكواكب بالمصوح وذلك فى بياض الفجر المستطير . وفى التهذيب ناء النجم ينوء نوءاً اذا سقط ... والطحرور بالحاء والخاء : اللطخ من السحاب القليل (٣) وباقر : جماعة البقر (٤) الثكن جمع ثكنة وهى القلادة والجماعة ... (٥) البيقور : البقر ، والسلع بالتحريك شجر مر ، والعشر شجر فيه حراق مثل القطن لم يقتدح الناس فى اجود منه ويحشى فى المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر يقال له سكر العشر وفيه شىء من مرارة

شفعنا ببيقور الى هاطل الحيا … فلم يُغْنِ عنا ذاك بل زادنا جَدْبا
فعدنا الى رب الحيا فأجارنا … وصير جدب الأرض من عنده خصْبا (١)

وقال آخر :

قل لبنى نهشل أصحاب الحور … أتطلبون الغيث جهلاً بالبقر ؟
وسلع من بعد ذاك وعُشَر … ليس بذا يجلل الارض المطر

ويمكن أن يحمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه ، وغالتهم غول يعنى المنية . ومنه : الغضب غول الحلم .

وقال آخر

لما كسونا الأرض اذناب البقر … بالسلع المعقود فيها والعُشَرْ

وقال آخر

يا (كَحَلُ) قد اثقلتَ اذنابَ البَقَرْ … بسلع يعقد فيها وعُشَرْ
فهل تجودين ببرقٍ ومَطَرْ ؟

وقال آخر (٢) يعيب العرب بفعلهم هذا :

لادَرَّ درُّ أناسٍ خاب سعيهمُ … يستمطرون لدى الاعسار بالعُشَرِ
أجاعلٌ انت بيقوراً مسلّعةً … ذريعةً لك بين اللهِ والمطرِ (٣)

وقال بعض الأدباء : كل أمة قد اتخذوا فى مذاهبها مذاهب ملة أخرى وقد كانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها فى الأرض وإن

---

(١) الحيا : المطر، والهاطل المتتابع المتفرق العظيم القطر، والجدب : المحل، والخصب بكسر فسكون: ضده (٢) هو وداك الطائى (٣) اعلم ان صاحب القاموس ادعى فى مادة (س ل ع) ان فى هذا البيت تسعة اغلاط ولم يذكرها . ولا يكاد يسلم وجود ذلك فى هذا البيت كما قد بسط الكلام عليه شيخ مشايخنا الامام أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الالوسى المفسر الشهير فى كتابيه غرائب الاغتراب ، والاجوبة العراقية عن الاسئلة الايرانية فراجعهما ان شئت .. ومعنى الذريعة الوسيلة والمسلعة ثيران وحش عاق عليها السلع كما فى شرح شواهد المغنى للسيوطى نقلا عن أئمة اللغة

لها عنده حرمةً وكانوا يلطخون الابدان بأخثائها ويغسلون الوجوه ببولها ويجعلونها مهور نسائهم ويتبركون بها فى جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو وانتهجوا هذا المسلك .

وللعرب فى البقر خيال آخر

وذلك أنهم اذا أوردوها فلم ترد ضربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم البقر بعده ويقولون أن الجن تصد البقر عن الماء وان الشيطان يركب قرنى الثور . وقال قائلهم :

إنى وقتلى سُلَيْكاً حين اعقله   كالثور يُضْرَبُ لما عافتِ البَقَرُ (١)

وقال نهشل بن جرى

كذاك الثور يضْرَبُ بالهراوى   اذا ما عافتِ البقر الظماء (٢)

وقال آخر

كالثور يضرب للورو   د اذا تمنعتِ البَقَرْ

فان كان ليس إلا هذا فليس ذاك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدور والأخبية حتى يتقدمها الكبش أو التيس وكالنحل تتبع اليعسوب (٣) والكراكى تتبع أميرها ولكن الذى يدل عليه اشعارهم أن الثور يرد ويشرب ولا يمتنع ولكن البقر تمتنع وتعاف الماء وقد رأت الثور يشرب فحينئذ يضرب الثور مع اجابته الى الورد فتشرب البقر عند ضربه وهذا هو العجب

---

(١) يروى بدل قوله (حين أعقله) : ثم أعقله . وبعد البيت :

غضبت للمر إذ نيكت حليلته   واذ يشد على وجعائها الثفر

وهما لرجل اسمه انس يقول أهل الاخبار انه قالهما عند قتله السليك بن السلكة وكان السليك مر بامرأة في بيت وحدها فاغتصبها فلما علم بذلك هذا تبعه فقتله وأبى ان يعطى ديته فقال : انى وقتلى سليكا ... الخ وقوله ثم أعقله بالنصب على تقدير ان المصدرية عطفاً على وقتلى . ولما عافت البقر : أى لما كرهت شرب الماء الخ .. يقول ان قتل سليك كان بحق فالعقل يكون ظلماً كضرب الثور عند امتناع البقر (٢) الهراوى بفتح الهاء جمع هراوة بكسرها وهى العصا (٣) هو أمير النحل وذكرها

قال الشاعر

فانى اذاً كالثور يضرب جنبه اذا لم يَعفْ شرباً وعافت صواحبُه

وقال آخر

فلا تجعلوها كالبقير ونحلها يكسر ضرباً وهو للورد طائع

وما ذنبه انْ لم تَرِدْ بَقَراته وقد فاجأتها عندذاك الشرائع

وقال الاعشى

لكالثور و (الجنّى) يضرب وجهه وما ذنبه ان عافت المـاء باقر (١)

وما ان تعاف الماء الالتضربا

قالوا فى تفسيره : لما كان امتناعها يتعقبه الضرب حسن أن يقالَ عافت الماء ليضرب وهذه اللام هى لام العاقبة كقوله :

له ملك ينادى كلَّ يومٍ لِدُوا للموت وابنُوا للخرابِ

وعلى هـذا فسر أصحابنا قوله سبحانه (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) (٢)

ومن مذاهب العرب أيضاً

تعليق الحلى والجلاجل على اللديغ يرون أنه يُفيق بذلك ويقال إنه انما يعلق عليه لأنهم يرون ان نام يسرى السم فيه فيهلك فشغلوه بالحلىّ والجلاجل واصواتها عنّ النوم وهذا قول نضر بن شميل . وبعضهم يقولّ : انه اذا علق عليه حلى الذهب برأ وان علق الرصاص أوحلى الرصاص مات . وقيل لبعض الاعراب : أتريدون سهره ؟ فقال : ان الحلىّ لاتسهر ولكنها سنة ورثناها . وقال النابغة :

فَبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلةٌ من الرُقْش فى أنيابها السُمُّ ناقعُ (٣)

يسهد من ليل التِمام سليمُها بحلى النساء فى يَدَيْه قعاقع (٤)

(١) أراد بالجنى اسم راع (٢) معنى ذرأنا : خلقنا (٣) تساورنى : تواثبنى وتقاتلنى ، والضئيلة : الحية الدقيقة ، والرقش الحيات المنقطة بسواد وبياض (٤) فلان يسهد : لا يترك ان ينام

وقال بعض بنى عذرة

كأنى سليمٌ نالَهُ كلم حيةٍ ترى حوله حلى النساء موضعا

وقال آخر

وقد عللوا بالبطل فى كل موضعٍ وغروا كما غر السليم الجلاجل

وقال جميل وظرف فى قوله ولو قاله العباس بن الاحنف لكان ظريفاً :

اذا مالديغ ابرأ الحلى داءَهُ فحليكِ امسى يابثينة دائيا

وقال عويمر النبهانى وهو يؤكد قول النضر بن شميل :

فَبتُّ معنَّى بالهموم كأننى سَليمٌ نفى عنهالرقاد الجلاجلُ

ومثله قول الآخر

كأنى سَليمٌ سَهَّدَ الحلىَ عينَهُ فراقَبَ من ليل التِمام الكواكبا

(وشبه مذهبهم فى ضرب الثور) مذهبهم فى العُرّ يصيب الابل فيكوى الصحيح ليبرأ السقيم وقال النابغة :

وكلفتنى ذنب امرىءٍ وتركته كذى العُرّ يُكْوَىغيرُه وهو راتعُ

وقال بعض الاعراب

كمن يكوى الصحيح يروم برءاً به من كل جرباء الاهاب

وهذا البيت يبطل رواية من روى بيت النابغة كذى العر بضم العين لان العر بالضم قروح فى مشافر الابل غير الجرب والعر بالفتح الجرب نفسه فاذا دل الشعر على انه يكوى الصحيح ليبرأ الاجرب فالواجب ان يكون بيت النابغة كذى العَرّ بالفتح ومثل هذا البيت قول الآخر :

فالزمتنى ذنباً وغيرى جَرّهُ حنانَيْكَ لاتكْوِ الصحيحَ باجربا

الا ان يكون اطلاق لفظ الجرب على هذا المرض المخصوص من باب المجاز

لمشابهته له . وفى كتاب لب لباب لسان العرب عند الكلام على شرح قصيدة النابغة التى منها :

أتوعد عبداً لم يخنك أمانةً وتترك عبداً ظالماً وهو ظالع

حملت علىَّ ذنبه وتركته كذى العرِّ يكوى غيره وهو راتع

مانصه ؛ قال الأصمعى : العربالفتح الجرب نفسه وانشد « كالعريكمن حيناً ثم ينتشر » والعر بالضم قرح يأخذ الابل فى مشافرها وأطرافها شبيه بالقرع وربما تفرق فى مشافرها مثل القُوَباء يسيل منه ماء أصفرُ ، قال ابن السيد فى شرحه لادب الكاتب : فى معناه خمسة أقوال « أحدها » أن هذا امر كان يفعله جهال الاعراب كانوا اذا وقع العر فى ابل أحدهم اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الابل فكووا مشفره وعضده وفخذه يرون أنهم اذا فعلوا ذلك ذهب العر عن ابلهم كما كانوا يعلقون على انفسهم كعوب الأرانب خشيةَ العطب ، ويفقؤن عين فحل الابل لئلا تصيبها العين وهذا قول الاصمعى وابى عمرو وا كثر اللغويين .

« ثانيها » قال يونس سألت رؤبة بن العجاج عن هذا فقال: هذا وقول الآخر « كالثور يضرب لما عافت البقر » شىء كان قديماً ثم تركه الناس ويدل عليه قول الراجز:

وكان شكرُ القوم عند المنن كىَّ الصحيحات وفقءُ الاعين

« ثالثها » قيل انما كانوا يكوون الصحيح لئلا يتعلق الداء به لاليبرأ السقيم حكى ذلك ابن دريد « رابعها » قال أبو عبيدة : هذا لم يكن وانما هو مثل لا حقيقة أى أخذت البرىءَ وتركت المذنب فكنت كمن كوى البعير الصحيح وترك السقيم لو كان هذا مما يكون . قال : ونحو من هذا قولهم : « يشرب عجلان ويسكر ميسرة » ولم يكونا شخصين موجودين « خامسها » قيل اصل هذا أن الفصيل كان اذا اصابه العر لفساد فى لبن أمه عمدوا الى أمه فكووها فتبرأ ويبرأ فصيلها ببرئها لأن ذلك الداء انما كان سرى اليه فى لبنها وهذا أغرب الأقوال وأقربها الى الحقيقة ، ومن روى كذى العر بفتح العين فقد غلط لان العر الجرب ولم يكونوا يكوون من الجرب

وانما يكوون من القروح التى تخرج فى مشافر الابل وقوائمها خاصة وهذا ضربه مثلا لنفسه يقول أنا برئ وغيرى سقيم فحملتنى ذنب السقيم وتركته وقد قال الكميت :

ولا أكوى الصحاح براتعاتٍ بهن العرّ قبلى ما كوينا

قال ابن أبى الاصبع انشد ابن أبى شرف القيروانى ابن رشيق :

غيرى جنى وأنا المعاقبُ فيكم فكأننى سَبّابة المتندم

وقال له : هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال : سمعته وأخذته أنت وأفسدته . فقال : ممن ؟ فقال : من النابغة الذبيانى حيث يقول :

وكلفتنى ذنب امرئٍ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتعُ

أما فساده فلأنك قلت فى صدر بيتك : انك عوقبت بجناية غيرك ولم يعاقب صاحب الجناية ثم قلت فى عجز بيتك : ان صاحب الجناية قد شركك فى العقوبة فتناقض معناك وذلك أنك شبهت نفسك بسبابة المتندم وسبابة المتندم تألم فى المتندم ثم يشركها المتندم فى الألم فانه متى تألم عضو من الحيوان تألم كله لأن المدرك من كل مدرك حقيقته وحقيقته على المذهب الصحيح هى جملته المشاهدة منه والمكوى من الابل يألم وما به عر وصاحب العر لا يألم جملة فمن ههنا أخذت المعنى وأفسدته انتهى ، وهذا تدقيق فلسفىٌ لا مدخلَ له فى الشعر

(فأما مذهبهم فى البلية) وهى ناقةٌ تعقل عند القبر حتى تموت فمذهب مشهور والبلية أنهم إذا مات منهم كريم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها فى حفيرةٍ لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت وملئ جلدها ثُماماً . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن كانت له بلية حشر راكباً على بليته قال حريبة ابن الأشيم الفقعسى لابنه

ياسعدُ إما أهلكنَّ فاننى أوصيك أن أخا الوصاة الأقربُ

لا أعرفنّ أباك يحشر خلفكم تعباً يخرّ على اليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح وتقى الخطيئة انه هو أصوب
ولعل لى مما جمعتُ مطية فى الحشر أركبها إذا قيل: اركبوا!

وقال حربية أيضاً

إذا متّ فادفنى بجرّاء مابها سوى الاصرخين أو يفوّز راكب[1]
فان أنت لم تعقر علىَّ مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب
ولا تدفننى فى صوىً وادفننى بديمومة تنزو عليها الجنادب[2]

قال ابن أبى الحديد: وقد ذكرت فى مجموعى المسمى (بالعبقرىّ الحسان). أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله تعالى ذكر فى كتابه فى (آراء العرب وأديانها) هذه الأبيات واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون فى البلية وقلت: إنه وهم فى ذلك وإنه ليس فى هذه الابيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وإنما هى وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكى لايركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدى المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور. إلى أن قال: وليس فى هذا الشعر مايدل على مذهبهم فى البلية فان ظن ظانٌّ أن قوله أو يفوّز راكب فيه إيماء إلى ذلك فليس الأمر كما ظنه. ومعنى البيت أدفنى بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهى المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل. وقيل أنها تسمى مفازة من فوّز أى هلك فليس فى البيت ذكر البلية ولكن الخالع أخطأ فى ايراده فى هذا الباب كما أخطأ فى هذا الباب أيضاً فى ايراده قول مالك بن الريب:

وعطل قلوصى فى الركاب فانها ستبرد اكباداً وتبكى بواكيا

فظن أن ذلك من هذا الباب الذى نحن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وإنما أراد

---

(١) فوّز الرجل: مات، وفوز الطريق بدا وظهر والرجل اذا صار إلى المفازة وقيل ركبها ومضى فيها (٢) الصوى: الاعلام من الحجارة الواحدة صوة. وفى الحديث (إن للاسلام صوى ومناراً) أى طرائق واعلاماً يهتدى بها، والديمومة: الفلاة يدوم السير فيها لبعدها والجمع الدياميم، والجنادب: جمع جندب وهو الذكر من الجراد وفسره السيرافى بانه الصدى يصير بالليل ويقفز ويطير.

لا تركبوا راحلتى بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادىّ وأصادق ذاهبة جائية تحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق . وقد اخطأ الخالع فى مواضع عدة من هذا الكتاب وأورد أشعاراً فى غير موضعها وظنها مناسبة لما هو فيه . وأنا أقول : إن الحق مع ابن أبى الحديد ، فان بصره فى هذا الباب حديد ، والعقر على القبور غير مذهبهم فى البلية وسأذكر ذلك ان شاء الله تعالى . وقال عمرو ابن زيد المتمنى يوصى ابنه عند موته فى البلية :

ابنىّ زوّدنى اذا فارقتنى ... فى القبر راحلةً برحل فاتر

للبعث اركبها اذا قيل : اظعنوا ... مستوثقين معاً لحشر الحاشر

من لا يوافيه على عثَراته ... فالخلق بين مدفع أو عاثر

وقال عويمر النبهانى

أبنىّ لا تنسَ البلية إنها ... لأبيك يوم نشوره مركوبُ

وذكر أبو زيد فى تشبيه رجال بالبلايا فقال :

كالبلايا رؤوسها فى الولايا ... مانحات السموم حرَّ الخدود

قال : الولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة . وقال الشهرستانى كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلى ظهرها أو مما يلى كلكلها أو بطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ، وهذه الأقوال مآلها واحد ولا اختلاف إلا فى اللفظ .

ومن مذاهب العرب العقر على القبور

قال زياد الأعجم يرثى المغيرة بن المهلب :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ... والباكرين وللمجدّ الرائح : (١)

(١) القوافل جمع قافلة وهى الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها ، والباكرين : المسرعين فى الذهاب من أول النهار ، وأجد فى الامر : اجتهد ، والرائح : الراجع .

إن الشجاعة والسماحةَ ضُمِّنَا   قبراً (بمَرْوَ) على الطريق الواضح [١]

فاذا مررتَ بقبره فاعقِرْ به   كُومَ الجلاد وكل طِرْفٍ سابح [٢]

وانضَح جوانب قبرهِ بدمائها   فلقد يكون أخادَمٍ وذبائح [٣]

وهذه أبيات من قصيدة طويلة عدتهـا خمسون بيتاً أوردها القالى فى ذيل الأمالى وأورد أكثرها ابن خلكان فى ترجمة والده المهلب .

وقال الآخر [٤]

نفَرتْ قَلوصى عن حجارة حَرَّةٍ   بُنِيَتْ على طَلْق اليدَين وهُوبِ

لا تنْفِرى ياناقَ منه فانه   شَرِّيبُ خمر مِسْعَرٌ لحرُوبِ

لولا السفارُ وبعد خَرْقٍ مَهْمَهٍ   لتركتُها تحبو على العُرقوب

قال ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد : اختلف فى سبب عقرهم الابل على القبور فقال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الابل فى حياته وينحره للأضياف واحتجوا بقول الشاعر :

وانضح جوانب قبره بدمائها   فلقد يكون اخا دمٍ وذبائح

وقد قال قوم إنما كانوا يفعلون ذلك اعظاماً للميت كما كانوا يذبحون للأصنام وقيل إنما كانوا يفعلونه لأن الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم

---

(١) مرو : هنا (مرو الشاهجان) لا (مروالروذ) وكلاهما فى اقليم خراسان ومن سراة اولاد المهلب أبو فراس المغيرة وكان أبوه يقدمه فى قتال الخوارج وله معهم وقائع مشهورة أبان فيها عن نجدة وصرامة وكان مع أبيه في خراسان واستنا به فى مرو الشاهجان وتوفي فى حياة أبيه سنة ٨٢ هـ فى رجب وهذا البيت يستشهد به النحويون على اعادة الضمير الى المؤنثين بضمير المذكرين وكان القياس ان يقول (ضمنتا) وعده ابن عصفور من قبيل الضرورة (٢) عقر البعير بالسيف : اذا ضرب قوائمه به ولا يطلق العقر في غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح ، والكوم بالضم جمع كوماء بالفتح وهى الناقة العظيمة السنام ، والجلاد جمع جلدة فتحها وهى ادسم الابل دهنا ، والطرف بالكسر : الاصيل من الخيل ، والسابح : الفرس الكثير الجرى

(٣) النضح : الرش القليل . والنضح البل فهو ابلغ من الاول ، وهذا البيت يستشهد به النحويون على ان المضارع وهو (يكون) مؤول بالماضى أى ولقد كان لانه فى مرثية ميت وهو خبار عن شىء وقع ومضى لا اخبار عما سيقع لانه غير ممكن . هذا ولا يسعنا ايراد القصيدة لضيق المقام .. (٤) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء

يثأرون لهم فيها . وقيل إن الابل أنفس أموالهم فكانوا يريدون بذلك أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة وقد ابطلت الشريعة ذلك بحديث لا عقر فى الاسلام قال المناوى كانوا فى الجاهلية يعقرون أى ينحرون الابل على قبور الموتى فنهى عنه .

(ومن تخيلات العرب ومذاهبها) ما حكاه ابن الاعرابى قال : كانت العرب اذا نفرت الناقة فسميت لها أمها سكنت من النفار قال الراجز : —

أقول والوجناء بى تقحم : ويلك قل ما اسم أمها (علكم) (١)

علكم اسم عبده وانما سأل عبده ترفعاً أن يعرف اسم أمها لان العبيد بالابل أعرف وهم رعاتها وأنشد السكرى :

فقلت له ما اسم امها هات فادعها تجبك ويسكن روعها ونفارها

ومما كانت العرب كالمجتمعة عليه الهامة

وذلك انهم كانوا يقولون ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل الا ويخرج من رأسه هامة فان كان قتل ولم يؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره اسقونى فانى صدية! وعن هذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لاهامة) . وحكى أن أبازيد كان يقول الهامة مشددة الميم احدى هوام الارض وانها هى المتكونة المذكورة . وقيل : إن أبا عبيد قال . ما أرى أبازيد حفظ هذا . وفى مروج الذهب للمسعودى من العرب من يزعم أن النفس طائر ينبسط فى الجسم فاذا مات الانسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ويزعمون أن هـذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم وهو أبداً مستوحش ويوجد فى الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور وانهـا لم تزل عند ولد الميت ومخلفه لتعلم ما يكون بعده فتخبره انتهى . وقيل الهامة انثى الصدى وهو ذكر البوم وقد يسمونها الصدى والجمع اصداء . قال قائلهم :

---

(١) الوجناء : الناقة الشديدة الصلبة وقيل العظيمة الوجنتين

يخبرنا الرسول بان سنحيا   وكيف حياة اصداء وهام !

« وقال أبو دؤاد الايادى »

سلط الموت والمنون عليهم   فلهم فى صدى المقابر هام

« وقال بعضهم لابنه »

ولا تزقون لى هامةٌ فوقَ مرقبٍ   فان زقاء الهـام للمرء عائب
تنادى : ألا اسقونى ! وكل صدى به   وتلك التى تبيضّ منها الذوائب

المرقب : الموضع الذى شرف يطلع عليه الرقيب ويقال له المرقبة أيضاً يقول له لاتترك ثارى ان قتلت فانك ان تركته صاحت هامتى : اسـقونى ! فان كل صداء (وهو ههنا العطش) بابيك وتلك التى تبيض منهـا الذوائب لصعوبتها وشدتها كما يقال أمر يشيب رأس الوليد ، ويحتمل أن يريد صعوبة الامر عليه وهو مقبور اذا لم يثأر به ، ويحتمل أن يريد صعوبة الامر على ابنه يعنى أن ذلك عار عليك . وقال ذو الاصبع :

ياعمرو ألاّ تدعْ شتمى ومنقصتى   اضربْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقونى !

« وقال آخر »

فيارب ان أهلك ولم ترو هامتى   بليلى امت لاقبر أعطش من قبرى

ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجا عن هذا المعنى الذى نحن فيـه وأن يكون ريّ هامة الذى طلبـه من ربه هو وصال ليلى وهما فى الدنيا وهم يكنون عما يشفيهم بانه يروى هامتهم . وقال مغلس الفقعسى وهو أبو قبيلة :

وان أخاكم قد علمت مكانه   بسَفح (قُبا) تسفى عليه الاعاصر (١)
له هامة تدعو اذا الليل جنّها :   بنى عامر هل للهلالىّ ثائر

تسفى أى تذرى عليه التراب . وقال توبة بن الحمير :

---

(١) سفح الجبل .وجهه ، والاعاصر : الرياح التى فيها العصار وهو الغبار الشديد ، وسفت الريح التراب ذرته ، أوحملته

ولو ان (ليلى الأخيلية) سلمت علىّ ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليمَ البشاشةِ أوزقا اليها صدى من جانبِ القبر صائح

وقال قيس بن الملوح وهو المجنون :

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا ومن دوننا رمس من الارض أنكب
لظل صدى رمسى وان كنت رمةً لصوت صدى ليلى يهشُّ ويطرب

وبعضهم يرويه « ومن دون رمسينا من الارض سبسب » وقال حميد ابن ثور

ألا هل صدى (أم الوليد) مكلم صداى اذا ما كنت رمساً وأعظما

ومما أبطله الاسلام قول العرب بالصفر

زعموا أن فى البطن حية اذا جاع الانسان عضت على شرسوفه وكبده وقيل هو الجوع بعينه ليس أنها تعض بعد حضول الجوع . فاما لفظ الحديث (لاعدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول) فان أبا عبيدة معمر بن المثنى قال : هو صفر الشهر الذى بعد المحرم . قال : نهى عليه الصلاة والسلام عن تأخيرهم المحرم الى صفر يعنى ما كانوا يفعلونه من النسيء . قال ابن أبى الحديد : ولم يوافق أحد من العلماء أبا عبيدة على هذا التفسير . أقول الذى رأيته فى (فتح البارى) ماحاصله : ان العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم فجاء الاسلام برد ما كانوا يفعلونه من ذلك فلذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم (لاصفر) وهذا القول مروى عن مالك وقد فسره البخارى فى صحيحه بانه داء يأخذ البطن . وقد نقل أبو عبيدة معمر بن المثنى فى (غريب الحديث) له عن يونس ابن عبيد الجرمى : أنه سأل رؤبة بن العجاج فقال : هى حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس وهى أعدى من الجرب عند العرب فعلى هذا فالمراد بنفى الصفر ما كانوا يعتقدونه فيه من العدوى ورجح عند البخارى هذا القول لكونه قرن فى الحديث

بالعدوى انتهى . والذى يظهر أن لفظ الصفر من الالفاظ المشتركة والشارع نفى كل ما كان يعتقده العرب من المعانى الباطلة . والامام الطبرى رجح تفسير البخارى من أنه داء يأخذ البطن على ماسبق واستشهد له بقول الاعشى (١) :

لايتأرّى لما فى القدر يرقبُهُ ولا يعضُّ على شُرسوفه الصفرْ

والشُرسوف بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة ثم فاء الضلع والصفر يكون فى الجوف فربما عض الضلع أو الكبد فقتل صاحبه . وقال بعض شعراء بنى عبس يذكر قيس بن زهير لما هجر الناس وسكن الفيافى (٢) وآنس بالوحش ثم رأى ليلة ناراً فَعَشَى اليها فشم عندها قُتار اللحم (٣) فنازعته شهوته فغلبها وقهرها ومال الى شجرة سلَمَ فلم يزل يكدمها (٤) ويأكل من خَبَطها (٥) الى أن مات :

ان قيساً كان مِيتته كَرَمٌ والحيُّ منطلقُ
شام ناراً (بالهوى) فهوى وشجاع البطن يختنق
فى دَرِيسٍ ليس يستره رُبَّ حرٍّ ثوبه خَلَقُ

قوله فى دريس أى ثوب مندرس حقير وقوله بالهوى اسم موضع بعينه .
وقال أبو النجم العجلى .

اِنك ياخير فتى تستعدى على زمان مسنا بجهد
عضا كعض صفر بكبد

---

(١) هو اعشى باهلة واسمه عامر بن الحرث بن رياح ويكنى أبا قحافة والبيت من شعره يرثى به المنتشر بن وهب الباهلى ومعناه انه يمدحه بأن همته ليست فى المطعم والمشرب وانما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج مافى القدر اذاهم بأمر له فيه شرف بل يتركها ويمضى لمايريده ، وهذا البيت مركب من بيتين والذى رواه أبو العباس المبرد :

لايتأرى لما فى القدر يرقبه ولا تراه امام القوم يقتفر
لايغمز الساق من أين ولا وصب ولايعض على شرسوفه الصفر

وغير هذا أن يكون مانقله فضيلة الاستاذ رواية ثانية (٢) جمع فيفاة أو فيفاء وهو المكان المستوى أو المفازة التى لاماء فيها (٣) قتار اللحم : ريحه (٤) أي يعضها بأدنى فمه (٥) أى ورقها

وقال آخر

أردُّ شجاع البطن قد تعلمينه　　　وأوثر غيرى من عيالك بالطعم

فان قلت : ما معنى النفى إذا أريد بالصفر الحية أو الجوع أو وجع فى البطن يأخذ من الجوع ومن اجتماع الماء الذى يكون منه الاستسقاء مع تحققه ففى الحديث (صفرة فى سبيل الله خير من حمر النعم) أى جوعة ويقولون صفر الاناء إذا خلا عن الطعام . وفى حديث رواه ابن مسعود (أن رجلا أصابه الصفر فنعت له السَّكْر) أى حصل له الاستسقاء فوصف له النبيذ ؟ قلت المراد بالنفى نفى ما كانوا يعتقدون أن من أصابه قتله أو اعدى فردّ ذلك الشرع بأن الموت لا يكون إلا إذا فرغ الاجل فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعةً ولا يستأخرون .

(ومن خرافات العرب) أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قرية فخاف وباها أو جنّها وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار ثم علق عليه كعب أرنب كأن ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن ويسمون هذا النهيق التعشير .

قال شاعرهم :

ولا ينفع التعشيرُ انْ حُمَّ واقعٌ　　　ولا زعزع يغنى ولا كعب أرنبِ (١)

وقال الهيثم بن عدى : خرج عروة بن الورد الى خيبر فى وقعة ليمتاروا فلما قربوا منها عشروا وعاف عروة أن يفعل فعلهم وقال :

لعمرى ان عشّرْتُ من خِيفَة الردى　　　نُهاقَ حميرٍ إننى لجزوع (٢)

فلا وألت تلك النفوس ولا أتوا　　　قفولاً الى الأوطان وهى جميع (٣)

وقالوا الا انهق لا تضرك خيبر　　　وذلك من فعل اليهود ولوع

---

(١) حم الامر بالضم قضى وله ذلك قدر (٢) :

وانى وان عشرت فى ارض مالك　　نهاق حمار . . . الخ

(٣) وأل اليه يئل وألا ووؤولا ووئيلا ، وواءل مواءلة ووئالا : لجأ وخلص وفى حديث على رضى الله عنه ان درعه كانت صدراً بلا ظهر فقيل له : لو احترزت من ظهرك . فقال : اذا أمكنت من ظهرى فلا وألت اى لا نجوت . وقال الشاعر :

لا واءلت نفسك خليتها　　للعامريين ولم تكلم

وقفل من سفره قفولا : رجع

الولوع بالضم الكذب يقال ولع الرجل إذا كذب فيقال إن رفقته مرضوا ومات بعضهم ونجا عروة من الموت والمرض . وقال آخر :

لا ينجينك من حمام واقع كعب تعلقه ولا تعشير

« ويشابه هذا » ان الرجل منهم كان اذا ضل فى فلاة قلب قميصه وصفق بيديه كأنه يومئ بهما الى انسان فيهتدى . قال اعرابى :

قلبت ثيابى والظنون تجول بى وترمى برجلى نحو كل سبيل
فلأياً بلأى ما عرفت حليلتى وأبصرت قصداً لم يصب بدليل (١)

وقال أبو العملس الطائى

فلو أبصرتنى بلوى بطان اصفق بالبنان على البنان ! (٢)
فاقلب تارة خوفاً ردائى واصرخ تارة بأبى فلان !
لقلت ابو العملس قد دهاه من الجنان خالعة العنان !

والأصل فى قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال وقد جاء فى الشريعة الاسلامية نحو ذلك فى الاستسقاء .

ومن مذاهب العرب الرتم

وذلك أن الرجل منهم كان إذا سافر عمد الى خيط فعقده فى غصن شجرة أو فى ساقها فاذا عاد نظر الى ذلك الخيط فان وجده بحاله علم أن زوجته لم تخنه وان لم يجده أو وجده محلولا قال : قد خانتنى وذلك العقد يسمى الرتم . ويقال بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر . وذكر ابن الاعرابى أن رجلا من العرب أراد سفر فأخذ يوصى امرأته ويقول : اياك أن تفعلى وإياك فانى عاقد لك رتمة بشجرة فان أحدثت حدثاً انحلت ! فقال له الرلجز

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم كثرة ما توصى وتعقاد الرتم

(١) اللأى كالسعى الابطاء والاحتباس والجهد والمشقة   (٢) بطان بكسر الباء : موضع

وقال آخر

خانته لما رأت شيباً بمَفْرِقهِ ... وغرَّهُ حلفُها والعَقْدُ للرتمِ[1]

وقال آخر

لاتحسبن رتائما عقدتها ... تنبيك عنها باليقين الصادق

وقال آخر

يعلل عمرٌو بالرتائم قلبَهُ ... وفى الحىّ ظبى قد أحلت محارمه

فما نفعت تلك الوصايا ولا جنت ... عليه سوى مالا يحب رتائمه

وقال آخر

ما الذى تنفعك الرتائمُ ... إذ أصبحت وعشتها ملازم

وهى على لذاتها تداومُ ... يزورها طبٌّ الفؤاد عازم[2]

بكل أدواء النساء عالم

ومن أمثال العرب (أمْحلُ[3] من تَعَقّادِ الرتَمَ) قال الميدانى : كان من عادة العرب إذا أراد الواحد منهم سفراً أنْ يعقدَ خيطاً بشجرة ويعتقد فيه أنه ان أحدثت امرأته حدثاً انحل ذلك الخيط وكانوا يسمونه الرتم والرتمة . وقد كانوا يعقدون الرتم للحمى ويرون أن من حلها انتقلت الحمى اليه . قال الشاعر:

حلات رتيمة فمكثت شهراً ... أُكابدُ كلّ مكروه الدواء

(ومن مذاهبهم) ماحكاه ابن السكيت قال : إن العرب كانت تقول ان المرأة المقلاة وهى التى لا يعيش لها ولد إذا وطئت القتيل الشريف عاش ولدها قال بشر بن أبى حازم :

تظل مقاليت النساء يطأنه ... يقُلْنَ ألا يُلْقَى على المرء مئزرُ

وقال أبو عبيدة : تتخطاه المقلاة سبع مرات فذلك وطؤها له . وقال

(١) المفرق كمقعد و مجلس وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر (٢) الطب بالفتح الماهر الحاذق بعلمه كالطبيب (٣) امحل من المحال وهو الباطل

ابن الاعرابى : يمرون به ويطؤن حوله . وقيل : انما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدراً أو قوداً . وقال الكميت :

وتطيل المرزآت المقاليت اليه القعود بعد القيام

وقال آخر

تر كن (الشعثمين) برمل خَبْتٍ نزورهما مقاليت النساء(١)

وقال آخر

بنفسى الذى تمشى المقاليت حوله يطأن له كشحاً هضيماً مهشما(٢)

وقال آخر

تباشرت المقالات حين قالوا ثوى (عمرو بن مرة) بالحفير

(ومن تخيلات العرب وخرافاتهم) أن الغلام منهم كان إذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف بها وقال ياشمس ابدلينى بسن أحسن منها ولتجر فى ظلمها اياتك أو تقول أياؤك وهما جميعاً شعاع الشمس . قال طرفة بن العبد البكرى

سقته اياة الشمس الا لثاته أسِفَّ ولم تكدم عليه بأثمد

يصف ثغر معشوقته فقال سقاه شعاع الشمس أى كأن الشمس أعارته ضوءها . ثم قال الا لثاته لانه لا يستحب بريقها . ثم قال أسف الأثمد على اللثة أى ذر عليها ولم تكدم بأسنانها على شئ يؤثر فيها . ونساء العرب تذر الأثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان والى هذا الخيال أشار شاعرهم

شادن يحلو اذا ما ابتسمت عن أقاح كأقاح الرمل غر(٣)

بدلته الشمس من منبِته بَرَداً أبيضَ مصقولَ الأثر(٤)

---

(١) الشعثمان : شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، عن أبى عبيد البكرى فى شرح امالى القالى ، وخبت : هو فى الاصل المطمئن من الارض فيه رمل وقيل غير ذلك ..

(٢) الكشح مثال فلس مابين الخاصرة الى الضلع الخلف ، والكشح الهضيم المنضم اللطيف ، والمهشم : المكسر (٣) الشادن : ولد الظبية الذى قد قوى يكنى به عن الامرد الجميل

(٤) البرد بالتحريك : حب الغمام

وقال آخر

واشنب واضح عذب الثنايا كأن رضابه صافى المُدَام
كسته الشمسُ لوناً من سناها فلاح كأنه برقُ الغمامِ

وقال آخر

بذى اشرب عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

والناس اليوم فى صبيانهم على هذا المذهب (وكانت العرب) تعتقد ان دم الرئيس يشفى من عضة الكلب الكَلِب . قال الشاعر :

بُناة مكارم وأُساة جرحٍ دماؤهم من الكلب الشفاء[1]

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى

من خير بيت علمناه واكرمه كانت دماؤهم تشفى من الكلب .

وقال الكميت

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكُم تشفى من الكلب

(ومن تخيلات العرب) انهم كانوا اذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض الارواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الاقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى قالوا : وانفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك . وانشدوا الممزق العبدى :

فلو أن عندى جارتين وراقياً وعلق انجاساً علىّ المعلق

قالوا والتنجيس يشفى الا من العشق قال أعرابى :

يقولون علق يالك الخير رُمةً وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا[2]

وقالت امرأة وقد نجست ولدها فلم ينفعه ذلك ومات.

نجسته لا ينفع التنجيس والموت لا تفوته النفوس

(١) الأساة : الاطباء ، والكلب داء يشبه الجنون يأخذه فيعقر الناس (٢) الرمة : القطعة من الحبل

ابو مهدية يعلق فى عنقه العظام والصوف حذر الموت وانشدوا

اتونى بانجاس لهم ومنجس . فقلت لهم ما قدر الله كائن

(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان اذا خدرت رجله ذكر من يحب أو دعاه فيذهب خدرها . وروى انعبدالله بن عمررضى الله تعالى عنهما خدرت رجله فقيل له أدع أحب الناس اليك فقال يارسول الله (١) . وقال الشاعر :

على أن رجلى لا يزال امذلا لها مقيماً بها حتى اجيلك فى فكرى

والامذلال : الاسترخاء والفتور . وقال كثير :

اذا مذلت رجلى ذكرتك اشتفى بدعواك من مذل بها فيهون

وقال جميل

وأنت لعينى قرة حين نلتقى وذكرك يشفينى اذاخدرت رجلى

وقالت أمرأة

اذاخدرت رجلى دعوت ابن مصعب فان قلت : عبد الله ! اجلى فتورها

وقال آخر

صبّ محبّ اذا مارجله خدرت نادى (كبيشة) حتى يذهب الخدرُ

---

(١) أقول : قداستدل الحشويون وعباد القبور بهذا الكلام على جواز الاستغاثة باصحاب القبور عند الشدائد ونداء غير الله سبحانه وتعالى وهو كما ترى استدلال غريب يدل على جهل فيهم عظيم .. والجواب عنهأن هذا ليس نداء بمالا يقدر عليه الا الله تعالى غاية مافيه ذكر المحبوب لا طلب شيء منه ولا استغاثته والالزم ان كل من ذكر محبوبه فقد استغاث به وبطلانه ظاهر . وهذا الفعل كما علمت من مذاهب العرب فى الجاهلية وقد ساق فضيلة الاستاذمن اشعارهم مايؤيد ذلك وفيه يقول أبو العتاهية :

وتخدر فى بعض الاحايين رجله فان لم يقل ياعتب لم يذهب الخدر

أفيقال ان هؤلاء لما خدرت ارجلهم استغاثوا بمن يحبونه من امرأة أوغلام ؟ لاأرى من يقول بذلك الا من خدر عقله وتركب جهله !

وقد علل بعض العلماء زوال الخدر بذكر المحبوب بأنه بمسرته وتوجه حواسه نحوه تلتفش حرارته الغريزية فيذهب الخدر . وقال ان فعل الجاهلية وحديث ابن عمر يؤيدان صحة ماجربه الناس في ذلك ! ..

وقال الموصلى

والله ما خدرت رجلى وما عثرت   الا ذكرتك حتى يذهب الخدر

وقال الوليد بن يزيد

اثيبى هائما كلفاً مُعنّى   اذا خدرت له رجل دعاكِ

(ومن مذاهبهم) وهو نظير هذا الوهم أن الرجل منهم كان اذا اختلجت عينه قال (أرى من أحبه) فان كان غائباً توقع قدومه وان كان بعيداً توقع قربه

وقال بشر :

اذا اختلجت عينى أقول لعلها   فتاة بنى عمرو بها العين تلمع

وقال آخر

اذا اختلجت عينى تيقنت اننى   أراك وإن كان المزار بعيدا

وقال آخر

اذا اختلجت عينى أقول : لعلها   لرؤيتها تهتاج عينى وتطرف

وهذا الوهم باقٍ فى الناس اليوم وربما كان ذلك لدى البعض منهم كالقاعدة المطردة .

(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان إذا عشق ولم يسل وأفرط عليه العشق حمله رجل على ظهره كما يحمل الصبى وقام آخر فاحمى حديدة أو ميلاً وكوى به بين اليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون

قال اعرابى

كويتم بين رانفتىّ جهلا   ونار القلب يضرمها الغرام (١)

وقال آخر

شكوت إلى رفيقىّ اشتياقى   فجاآنى وقد جمعا دوآءا

(١) الرانفة : أسفل الالية اذا كنت قائماً

وجاءا بالطبيب ليكويانى ولا أبغى عدمتُهما اكتوآءا

ولو أتيا (بسلمى) حين جاءا لعاضانى من السقم الشفاءا

واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كُثَيِّر :

أغاضر لو شهدت غداة بنتم حنوَّ العائدات على وسادى

أويت لعاشق لم ترحميه بواقدة تلذع بالزناد

وهذا البيت ليس بصريح فى هذا الباب . ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعرآء من ذكر حرارة الوجد ولذعه وتشبيهه بالنار إلا أنه قد روى فى كتابه خبراً يؤكد المقصد الذى عزاه وادعاه وهو عن محمد بن سليمان بن فليح عن جده قال : كنت عند عبد الله بن جعفر فدخل عليه كثير وعليه أثر علة فقال عبد الله : ماهذا بك ؟ قال : هذا ما فعلت بى أم الحويرث ! ثم كشف عن ثوبه وهو مكوى وأنشد :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها علام تعنينى وتكمى دوائيا

ولو آذنونى قبل أن يرقوا بها لقلت لهم : أم الحويرث دآئيا !

(ومن أوهامهم وتخيلاتهم) أنهم كانوا يزعمون أن الرجل اذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها وشقت ردآءه صلح حبهما ودام فان لم يفعلا ذلك فسد حبهما ! قال سحيم عبد بنى الحسحاس[1] :

وكم قد شققنا من رداء محبر ومن برقع عن طفلة غيرِ عانسِ [2]

---

(١) قيل : بل اسمه حية ومولاه جندل وهو من المخضرمين قد ادرك الجاهلية والاسلام ولا تعرف له صحبة وكان اسود شديد السواد وكان مع جودة شعره اعجمى اللسان ينشد الشعر ثم يقول « اهسنت والله ! » يريد « احسنت والله » . وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب الى سيدنا عثمان رضى الله عنه : (انى قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً) فكتب اليه : (لا حاجة لى به فاردده فانما قصارى أهل العبد الشاعر ان شبع ان يشبب بنسائهم ، وان جاع ان يهجوهم) فرده عبد الله فاشتراه معبد فكان كما قال ذو النورين شبب ببنته عميرة وفحش وشهرها فحرقه معبد بالنار

(٢) قوله (ومن برقع الخ) يروى بدله (على طفلة ممكورة غير عانس) والطفلة بفتح الطاء أى ناعمة ، والممكورة الطويلة الخلق من النساء يقال امرأة ممكورة الساقين أي جدلاء مفتولة ،

اذا شُقَّ برد شق بالبرد برقع دَو اليْكَ حتى كلنا غيرَ لابس (١)
نروم بهذا الفعل بُقيا على الهوى والف الهوى يغرى بهذى الوساوس (٢)

وقال آخر

شققت ردائى يوم (برقة عالج) وامكنتنى من شق برقعك السحقا
فما بال هـذا الود يفسد بيننا ويمحق حبلَ الوصل مابيننا محقا

(ومن مذاهبهم) أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد فى الشجاعة والقوة وهذا مذهب طبى والاطباء يعتقدون به . قال بعضهم :

أبا المعارك لاتتعب بأكلك ما تظن أنك تلقى منه كرّارا
فلو أكلت سباع الأرض قاطبةً ما كنت الاّجبان القلب خَوَّارا (٣)

وقال بعض الاعراب واكل فوأد الأسد ليكون شجاعاً فعدا عليه نمر فجرحه :

اكلت من الليث الهصور فؤاده لاصبح اجرا منه قلباً وأقدما (٤) !
فادرك منى ثأره بابن اخته فيالك ثاراً ماأشدَّ واعظما !

وقال آخر

اذا لم يكن قلبُ الفتى غدوةَ الوغى اصمَّ فقلب الليث ليس بنافعِ
وما نفع قلب الليث فى حومة الوغى اذا كان سيفُ المرء ليس بقاطع (٥)

(ومن مذاهبهم) أن صاحب الفرس المهقوع اذا ركبه فعرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت الى غيره والهقعة دائرة تكون بالفرس وربما كانت على الكتف فى الاكثر ، وهى مستقبحة عندهم . قال بعضهم لصاحبه ينبهه على ذلك :

والعانس التى طال مكثها فى منازل أهلها بعد ادراكها حتى خرجت عن عداد الابكار وهذا مالم تتزوج فان تزوجت فلا يقال عنست (١) معنى دواليك مداولة بعد مداولة ولا يفرد له واحد، ومن ذلك حنانيك وحواليك وغيرهما (٢) البقيا بالضم ويفتح اسم من بقى يبقى بقاء ، قال الشاعر:

فما بقيا علىّ تركتمانى ولكن خفتما صرد النبال

(٣) الخوار: الضعيف (٤) الهصور من صفات الاسد ، من الهصر وهو الكسر والدفع
(٥) الوغى : الحرب نفسها، وحومة القتال : معظمه أوأشد موضع فيه

اذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت　　حليلتُهُ وازداد حَرّاً عِجانُها (١)

فاجابه صاحبه راداً عليه فيما اعتقده : —

وقد يركب المهقوع من ليس مثله　　وقد يركب المهقوع زوج حَصانِ (٢)

(ومن مذاهبهم) انهم كانوا يوقدون النار للمسافر الذى لايحبون رجوعه خلفه ويقولون فى دعائهم (ابعده الله واسحقه واوقد ناراً اثره) قال بعضهم :

صحوتَ واوقدتَ للجهل ناراً　　وردّ عليك الصبا مااستعارا

وكانوا اذا خرجوا الى الاسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذى يريدونه ولم يوقدوها بينهم وبين المنزل الذى خرجوا منه تفاؤلا بالرجوع اليه ، ولهم نيران كثيرة غير هذه قد ذكرناها سابقا .

(ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الارنب)

قال ابن الاعرابى : قلت لزيد بن كثوة : اتقولون ان من علق عليه كعب أرنب لم تقربه جنان الدار ولا عمار الحى ؟ قال : أى والله ولا شيطان الحماطة (وهو شجر شبيه بالتين وهو أحب شجر الى الحيات) ولا جار العشيرة وهى تصغير العشرة (وهى شجرة أيضاً) ولا غول القفر . وقال امرؤ القيس :

اياهند لاتنكحى بوهةً　　عليه عقيقته أحسبا (٣)

موضعة بين ازناقه　　به عَسَم يبتغي أرنبا (٤)

ليجعل فى رجله كعبها　　حذار المنيةأن يعطبا (٥)

---

(١) انعظ الرجل والمرأة علاهما الشبق ؛ والعجان مثل كتاب مابين الخصية وحلقة الدبر كذا فى المصباح (٢) امرأة حصان كسحاب عفيفة (٣) البوهة : الرجل الضاوى وقيل الضعيف الطائش وقيل الاحمق ، والاحسب رجل فى شعر رأسه شقرة . قال الزبيدى فى التاج : يصفه باللؤم والشح كأنه لم تحلق عقيقته فى صغره حتى شاخ وعقيقته شعره الذى يولد به ، يقول لاتتزوجى من هذه صفته (٤) العسم محركة يبس فى مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم ، وقوله «موضعة بين ازناقه» محرف تحريفاً ظاهراً وصوابه «مرسعة بين ارساغه» وفى رواية «مرسعة وسط ارفاغه» المرسعة التميمة التى كانوا يعلقونها على الرسغ مخافة الموت أو العطب والارساغ جمع رسغ وهو من الانسان مفصل مابين الكف والساعد ومابين القدم والساق (٥) كان حمقى العرب فى الجاهلية يعلقون كعب الارنب فى الرجل كالمعاذة ويزعمون ان من علقه لم يضره عين ولا سحر لان الجن تمتطى

وقال أبو محلم : كانت العرب تعلق على الصبي سن ثعلب وسن هرة خوفا من الخطفة والنظرة ، ويقولون : ان جنية ارادت صبيّ قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن فى ذلك . فقالت تعتذر اليهم :

كان عليه نُفَّره ثعالب وهِرَرَه

والحيض حيض السَمُرَه

يعنى كان عليه ما ينفرنى منه لان اتعرض له . والسمرة من شجر الطلح وحيضها شئ يسيل من السمر كدم الغزال (وكانت العرب) إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر وهو صمغه الذى يسيل منه ينقطونه بين عينى النُفَساء وخطوا على وجه الصبي خطاً ويسمى هذا الصمغ السائل من السمر الدودم ويقال بالذال المعجمة أيضاً وتسمى هذه الأشياء التى تعلق على الصبى (النفرات) قال عبد الرحمن ابن أخى الأصمعي : إن بعض العرب قال لأبى : اذا ولد لك ولد فنفر عنه ! فقال له أبى : وما التنفير ؟ قال : غرب اسمه فولد له ولد فسماه قنفذاً وكناه أبا العدا . قال : وأنشد أبى : —

كالخمر مزج دوائها منها بها تشفى الصداع وتبرئ المنجودا[1]

قال يريد أن القنفذ من مراكب الجن وسيأتى ان شاء الله تعالى بيان ذلك فداوى منهم ولده بمراكبهم .

ومن مذاهبهم الاستعاذة بالجن

كان الرجل منهم اذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد الى واد ذى شجر فأناخ راحلته فى قرارته وهى القاع المستديرة وعقلها وخط عليها خُطا ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادى . وربما قال بعظيم هذا الوادى . وعن هذا قال الله سبحانه فى القرآن (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

الثعالب والظباء والقنافذ وتجتنب الارانب لمكان الحيض . يقول : هو من أولئك الحمق

(١) المنجود : المكروب

فزادوهم رهقا) واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادى   من شر ما فيه من الأعادى
فلم يُجِرْنا من هِزَبْرٍ عادى[1]

وقال آخر :

أعوذ من شر البلاد البِيدِ   بسيدٍ معظّمٍ مجيدِ[2]
أصبح يأوى بلوى زَرودِ   ذى عزة وكاهلٍ شديدِ

وقال آخر :

ياجنّ اجزاء اللوى من عالج   عاذ بكم سارى الظلام الدالج
لا ترهقوه بغوىّ هائج

وقال آخر :

قد بِتُّ ضيفاً لعظيم الوادى   المانعى من سطوة الأعادى
راحلتى فى جاره وزادى

وقال آخر

هيا صاحب الشجراء هل أنت مانعى   فإنىَ ضيفٌ نازل بفنائكا
وانك للجنّان فى الأرض سيد   ومثلك آوى فى الظلام الصعَالكا

(ومن مذاهبهم) أن الرجل اذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغى له أن يلتفت فانه إذا التفت عاد فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذى يريد العود .

قال بعضهم :

دَعِ التلفت يا (مسعود) وارم بها   وجه الهواجر تأمنْ رجعة البلدِ

وقال آخر أنشده الخالع

عيل صبرى بالثعلبية لما   طال ليلى وملنى قُرَنائى
كلما سارت المطايا بنا ميـــلاً تنفستُ والتفتُّ ورائى

---

(١) الهزبر : الاسد ، وأجاره : حفظه (٢) البيد : المقفرة من الانس

قال ابن أبي الحديد : هذان البيتان ذكرهما الخالع فى هذا الباب وعندى أنه لادلالة فيهما على ما أراد لان التلفت فى أشعارهم كثير ومرادهم به الابانة والاعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره ويتزود من رؤيته كقول السيد الرضى :

ولقد مررت على طلولهم ورسومها بيد البلى نَهْبُ
فوقفت حتى ضج من لغب نضوى ولج بعذلى الركْبُ (١)
وتلفتتْ عينى فمذ خفيت عنى الطلول تلفتَ القلب

وليس يقصد بالتلفت ههنا التفاؤل بالرجوع اليها لأن رسومها قد صارت نهباً بيد البلى فأى فائدة فى الرجوع اليها وإنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين والتذكر لما مضى من أيامه فيها . وكذلك قول الاول :

تلفتُّ نحو الحى حتى وجدتُنى وَجِعتُ من الاصغار ليتاً وأخدعا (٢)

ومثل ذلك كثير انتهى . وقال بعضهم فى المذهب الاول : —

تلفتُّ ارجو رجعةً بعد نيةٍ فكان التفاتى زائداً فى بلائيا

---

(١) اللغب : الاعياء ، والنضو بالكسر : المهزول من الابل وغيرها (٢) الاصغار : الانقلاب فى الوجه الى احد الشقين ، والليت : صفحة العنق ، والاخدع : عرق فيها وهما منصوبان على التمييز ، والبيت من ابيات للصمة بن عبدالله بن طفيل بن الحرث بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب وكان شاعراً غزلا مقلا من شعراء الدولة الاموية وكان قد خطب بنت عمه وكان لها محباً فاشتط عليه عمه فى المهر فسأل أباه ان يعاونه فلم يعنه بشىء فسأل عشيرته فأعطوه فأتى بالابل عمه فلم يقبلها فى مهر ابنته وقال له سل أباك أن يبدلها لك فأبى أبوه عليه ذلك فلما رأى منهما مارأى قطع عقلها وخلاها فعاد كل بعير الى أهله وتحمل راحلا فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل : تالله مارأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة ثم مضى الى الشام فلما طال مقامه تبعتها نفسه فقال هذه الابيات وهى من أشهر مايحفظ من النسيب الجزل اللفظ الفخم المعنى البديع ديباجة وحسناً :

حننت الى (ريا) ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الامر طائعاً وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا

وارجو رجوعاً بعـد ما حال بيننا وبينكم حَزْنُ الفلا والفيافيا (١)

وقال آخر وقد طلق امرأته فتلفتت اليه :

تلفت ترجو رجعة بعـد فرقة وهيهات مما ترتجى أم مازن

ألم تعلمى أنى جموح عنانه إذا كان من أهواه غير ملاين

(ومن مذاهبهم) اذا بثرت شفة الصبى حمل منخلاً على رأسه ونادى بين بيوت الحى الحلأ الحلأ الطعام الطعام فتلقى له النساء كسر الخبز واقطاع التمر واللحم فى المنخل ثم يلقى ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض فان أكل صبى من الصبيان من ذلك الذى القاه للكلاب تمرة أو لقمة أو لحمة بثرت شفته وأنشد لامرأة :

الا حلا فى شفة مشقوقه فقد قضى منخلنا حقوقه !

الحلأ محركة العقبول وهو واحد العقابيل وهى بقايا العلة وما يخرج على الشفة غب الحمى وحلئت الشفة برئت بعد المرض كذا فى كتب اللغة ومثل هذه المذاهب لا مجال للعقل فيه .

(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان اذا طرفت عينه بثوب آخر مسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول فى الاولى باحدى جاءت من المدينة . وفى الثانية باثنتين جاءتا من المدينة . وفى الثالثة بثلاث جئن من المدينة الى أن يقول فى السابعة بسبع جئن من المدينة فتبرأ عين المطروف وفيهم من يقول باحدى

قفاودعا نجداً ومن حل بالحمى وقلّ لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربى وما احسن المصطاف والمتربعا

وليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحنن نزعا

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من الاصغاء ليتاً واخدعا

وأذكر ايام الحمى ثم انثنى على كبدى من خشية ان تصدعا

(١) الحزن : ماغلظ من الارض وهو خلاف السهل ، والفلا جمع فلاة وهي الارض لا ماء فيها وكذلك الفيافي جمع فيفاة

من سبع جئن من المدينة بإثنتين من سبع الى أن يقول بسبع من سبع .

(ومن مذاهبهم) أن الرجل منهم كان إذا ظهرت فيه القُوَباء عالجها بالريق ويروى أن اعرابياً اصابته قوبة فقيل له كل يوم ضع عليها الريق فوضع عليها فصحت فقال :

ياعجباً لهذه الفليقه هل تذهبن القُوَباءَ الريقه

الفليقة الداهية والمنكر والقوباء بضم القاف وفتح الواو وبالمد داء يعالج بالريق

(ومن مذاهبهم) انهم يزعمون أن ابن المجوسى اذا كان من أخته وخط على النملة تبرأ وتنصلح وترأب قال الشاعر يشير الى هذا المذهب :

ولا عيب فيناغير عرق لمعشر كرام وانا لانخطّ على النمل

أى لسنا بمجوس ننكح الاخوات وكانوا يكنون عن المجوسى بقولهم فلان يخط على النمل وهذه الطريقة فى الشعر هى اخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم غيره يقال فلان كريم غير أنه شريف . قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فُلولٌ من قراع الكتائب (١)

وقال آخر

فتىً كرمت أخلاقه غير أنه كريم فما يبقى على المال باقيا

وصحف ابن الاعرابى البيت الاول فروى « وانا لانحط على النمل » وفسره بان قال نحن قوم اعزاء كرام ننزل أعالى الامكنة فلا يخرقنا السيل ولا نحط على قرى النمل اذا كانت فى البطون ولذلك قال النابغة الذبيانى :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد (٢)

(١) الكتائب جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش مجتمعة (٢) قال الزوزني : انما قال يادار مية بالعلياء توجعاً منه لانه كان معها (أى مع مية) في نعيم . وقال بالعلياء لأنه كان ذلك المكان الذى فيه الدار بمرتفع من الارض حيث لايضره السيل ووصف الدار وقد أضافها الى معرفة لانها ليست فى معنى فلان فلما لم تكن كذلك توهم أنه فى مذهب الالف واللام ، والعلياء إذا فتحت العين مدت واذا ضمت العين قصرت ، والسند : سند الجبل حيث تستند فيه قال أعشى همدان :

فرد عليه أبو عمرو ذلك ، فرجع الى الصواب والنملة قرحة . وفى القاموس النملة شق فى حافر الدابة وقروح فى الجنب كالنمل وبثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيراً ويدب إلى موضع آخر كالنملة وسببها صفراء حادة تخرج من أفواه العروق الدقاق ولا تحتبس فيما هو داخل من ظاهر الجلد لشدة لطافتها وحدتها انتهى . وفى سائر كتب اللغة كذلك .

(ومن مذاهبهم) ان المرأة منهم كانت اذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها وكحلت احدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على احدى رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقول يالكاح . أبغى النكاح . قبل الصباح ! فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب . قال رجل لصديقه وقد رأى أمه تفعل ذلك :

أما ترى أمك تبغى بَعلا   قد نشرت من شعرها الاقلا (١)
ولم توفّ مُقْلَتَيْها كحلا   ترفع رجلا وتحط رجلا (٢)
هذا وقد شابَ بنوها أصلا   وأصبح الأصغر منهم كهْلا (٣)
خذ القطيعَ ثم سِمْها الذلا   ضرباً به تترك هذا الفعلا (٤)

وقال آخر

تصنّعى ما شئت أن تصنعى   وكحّلى عينيك أو ، لا ! فدعى !
ثم احجلى فى البيت أو فى المجمع   مالك فى بعل أرى من مطمع

وقال آخر

قد كحلت عيناً وأعفت عينا   وحجلت ونشرت قرينا
تظن زيناً ما تراه شينا

عهدى بهم فى النقب قد سندوا   تهدي صعاب مطيهم ذلله
وأقوت بمعنى خلت

(١) البعل : الزوج (٢) المقلة : العين (٣) الكهل : من جاوز الثلاثين وخطه الشيب وقيل من بلغ الاربعين (٤) قوله خذ القطيع أى اهجرها ؛ وسمها الذل أى أهنها

(ومن مذاهبهم) كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود كسروا شيئاً من الأوانى وهذا مما يعمله بعض الناس اليوم أيضاً . قال بعضهم :

كسرنا القدر بعد أبى سواح   فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال آخر

ولا نكسر الكيزان فى إثر ضيفنا   ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

وقال آخر

أما والله ان بنى نفيل   لحلاّلونَ بالشرف اليَفَاع (١)
اناس ليس تكسر خلف ضيف   اوانيهم ولا شعب القصاع

(ومن مذاهبهم) انهم يقولون ان من ولد فى القمراء تقلصت غرلته فكان كالمختون (والغرلة بالغين المعجمة والراء المهملة القلفة وهى الجلدة فى رأس الاحليل قبل الختان) . قال ابن أبى الحديد : ويجوز عندنا ان يكون ذلك من خواص القمر كما ان من خواصه ابلاء الكتان وانتان اللحم . وقد روى عن أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه اذا رأيت الغلام طويل الغرلة فاقرب به من السودد واذا رأيته قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فابعده به . وقال امرؤ القيس لقيصر وقد دخل معه الحمام فرآه اقلف :

انى حلفتُ يميناً غير كاذبةٍ   لانت اغلف الاماجنى القَمَرُ

والاغلف والاقلف بمعنى واحد وهو الذى لم يختن .

ومن مذاهبهم التشاؤم بالعطاس

قال امرؤ القيس

وقد أغتدى قبل العُطاس بهيكل   شديد منيع الجنب فعم المنطق

أراد أنه كان يتنبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً فيتشأم بعطاسه . وقال آخر :

(١) الشرف العلو وأشرف الموضع ارتفع فهو مشرف ، واليفاع مثل سلام ما ارتفع من الارض

وخرق إذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطس

والخرق : القفر والارض الواسعة . يعني : ورب قفر إذا وجهت فيه للغزو مضيت فيه على عزمك ولم يحبسك عن السير فيه العواطس وتشاؤمك منها . وقال رؤبة بن العجاج يصفُ فلاة « قطعتها ولا أهاب العطاسا » وكانوا إذا عطس من يحبو نه قالوا له : عمراً وشباباً وإذا عطس من يبغضو نه قالوا له : ورياً وقحاباً . والورى كالرمى دآء يصيب الكبد فيفسدها . والقحاب كالسعال وزناً ومعنى ، فكان الرجل إذا سمع عطاساً يتشاءم به ويقول : بكلابي . أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لابي . وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد كما حكى عن بعض الملوك أن مسامراً له عطس عطسة شديدة راعته فغضب الملك فقال سميره : والله ماتعمدت ذلك ولكن هذا عطاسي ! فقال : والله لئن لم تأتني بمن يشهد لك بذلك لاقتلنك ! فقال اخرجني إلى الناس لعلي أجد من يشهد لي فأخرجه وقد وكل به الأعوان فوجد رجلا فقال : ياسيدي نشدتك بالله ان كنت سمعت عطاسي يوماً فلعلك تشهد لي به عند الملك ! فقال : نعم أنا أشهد لك . فنهض معه وقال : أيها الملك أنا أشهد أن هذا الرجل عطس يوماً فطار ضرس من أضراسه . فقال له الملك عد إلى حديثك ومجلسك !! فلما جاء الله تعالى بالاسلام وأبطل برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان عليه أهل الجاهلية من الضلالة نهى عن التشاؤم والتطير وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه دعاءه له بالرحمة كما أمر العاين أن يدعو بالتبريك للمعين . ولما كان الدعاء على العاطس نوعاً من الظلم والبغي جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم وأمر العاطس أن يدعو لسامعه ويشمته بالمغفرة والهداية واصلاح البال فيقول يغفر الله لنا ولكم أو يهديكم الله ويصلح بالكم . قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : فأما الدعاء بالهداية فلما أنه اهتدى الى طاعة الرسول ورغب عما كان عليه أهل الجاهلية فدعا له أن يثبته الله عليها ويهديه اليها ، وكذلك الدعاء باصلاح البال

وهى حكمة جامعــة لصلاح شأنه كله وهى من باب الجزاء على دعائه لأخيه بالرحمة فناسب أن يجازيه بالدعاء له باصلاح البال وأما الدعاء بالمغفرة فجـاء بلفظ يشمل العاطس والمشمت كقوله : يغفر الله لنا ولكم ليتحصل من مجموع دعوى العاطس والمشمت لهما بالمغفرة والرحمة لهما معاً فصلوات الله وسلامه على المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة . ولأجل هذا والله أعلم لم يؤمر بتشميت من لم يحمد الله فان الدعاء له بالرحمة نعمة فلا يستحقها من لم يحمد الله ويشكره على هذه النعمة ويتأسى بأبيه آدم عليه السلام فانه لما نفخت فيه الروح الى خياشيمه عطس فالهمه ربه تبارك وتعالى أن نطق بحمده فقال : الحمد لله فقال الله سبحانه : يرحمك الله ياآدم . فصارت تلك سنة العاطس فمن لم يحمد اللهَ لم يستحق هذه الدعوة ولما سبقت هذه الكلمة لآدم قبل أن يصيبه ما اصابه كان مآله الى الرحمة وكان ما جرى عارضاً وزال فان الرحمة سبقت العقوبة وغلبت الغضب . وأيضاً إنما أمر العاطس بالتحميد عنــد العطاس لأن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون فيها أنه داء ويكره أحدهم أن يعطس ويود أنه لم يصدر منه لما فى ذلك من الشؤم وكان العاطس يحبس نفسه عن العطاس ويمتنع من ذلك جهده من اعتقاد جهالهم فيــه .ولذلك والله اعلم بنوا لفظه على بناء الأدواء كالزكام والسعال والدوار والسهام وغيرها فاعلموا أنه ليس بداء ولـكنه أمر يحبه الله تعالى وهو نعمة منــه يستوجب عليها من عبده أن يحمده عليها . وفى الحديث المرفوع ان الله تعالى يحب العُطاس ويكره التثاوب ، والعطاس ريح مختنقة تخرج وتفتح السُدَد من الكبد وهو دليل جيد للمريض مؤذن بانفراج بعض علته . وفى بعض الأمراض يستعمل ماء يعطس العليل ويجعل نوعاً من العلاج ومعينا عليه هذا قدر زائد على ما أحبه الشارع وأمر يحمد الله عليه وبالدعاء لمن صدر منه وحمد الله عليه . ولهذا والله اعلم يقال : شمته إذا قال له يرحمك الله وشمته بالمعجمة وبالمهملة وبهما روى الحديث فأما التسميت بالمهملة فهو تفعيل من السمت الذى يراد به حسن الهيئة فمعنى سمت

العاطس وقرته وأكرمته وتأدبت معه بأدب الله ورسوله فى الدعاء له لا بأخلاق أهل الجاهلية من الدعاء عليه والتطير به والتشاؤم منه . وقيل سمته دعا له أن يعيده الله تعالى الى سمته قبل العُطاس من السكون والوقار وطُمَأْنينة الاعضاء فان فى العطاس من انزعاج الاعضاء واضطرابها ما يخرج العاطس عن سمته فاذا قال له السامع « يرحمك الله » فقد دعا له أن يعيده الله الى سمته وهيئته . وأما التشميت بالمعجمة فقالت طائفة منهم ابن السكيت وغيره : انه بمعنى التسميت وانهما لغتان ذكر ذلك فى كتاب القلب والابدال ولم يذكر أيهما الاصل ولا أيهما البدل . وقال أبو على الفارسى : المهملة هى الاصل فى الكلمة والمعجمة بدل منها واحتج بان العاطس اذا عطس انتفش وتغير شكل وجهه فاذا دعا له فكأنه أعاده الى سمته وهيئته . وقال تلميذه ابن جنى : لو جعل جاعل الشين المعجمة أصلاً وأخذه من الشوامت وهى القوائم لكان وجهاً صحيحاً وذلك أن القوائم هى التى تحمل الفرس ونحوه وبها عصمته وهى قوامه فكأنه لما دعا له بالرحمة قد قصد ازالة الشماتة عنه وينشد فى ذلك :

ما كان ضر المرضى بجفونه لو كان مرّض منعماً من أمرضا

والى هذا ذهب ثعلب . والمقصود أن التطير من العطاس من فعل الجاهلية الذى أبطله الاسلام وأخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : أن الله يحب العطاس كما فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ان الله يحب العُطاس ويكره التثاؤب فاذا تثاوب أحدكم فَلْيَسْتُرْهُ ما استطاع فانه اذا فتح فاه فقال آه آه ضحك منه الشيطان .

ومن مذاهبهم التشاؤم بالغراب ونحوه من الطيور وسائر الحيوان

كانوا يضربون الغراب مثلا فى الشؤم فقالوا فلان أشأم من غراب البين . وانما لزمه هذا الاسم لان الغراب اذا بان أهل الدار للنجعة أى طلب الكلأ

فى موضعه وقع فى موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا منه اذ كان لا يعترى منازلهم الا اذا بانوا فسموه غراب البين . ثم كرهوا اطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة وعلموا انه نافذ البصر صافى العين حتى قالوا أصفى من عين الغراب ، كما قالوا أصفى من عين الديك ، وسموه الاعور كناية كما كنوا طيرة عن الاعمى فكنوه أبا بصير . وكما سموا الملدوغ والمنهوش السليم . وكما قالوا للمهالك من الفيافى المفاوز ، وهذا كثير . ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب . وليس فى الارض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون به الا والغراب عندهم أنكد منه ! ويرون أن صياحه أكثر اخباراً وان الزجر فيه أعم . قال عنترة :

حرق الجناح كأن لحيَىْ رأسه   جَلَمان بالأخبار هش مولع

الجلم الذى يخبر به والهش الخفيف . وقال غيره :

وصاح غراب فوق أعواد بانةٍ   باخبار أحبابى فقسمنى الفكر
فقلت : غراب باغتراب وبانة   ببين النوى تلك العيافة والزجر
وهبت جنوب باجتنابى منهم   وهاجت صبا قلت: الصبابة والهجر

وقال آخر

تغنى الطائران ببين سلمى   على غصنين من غرب وبانِ
فكان البان ان بانت سليمى   وفى الغرب اغتراب غير دانِ

وقال آخر

أقول يوم تلاقينا وقد سجعت   حمامتان على غصنين من بان :
الآن أعلم أن الغصن لى غصص   وإنما البان بَيْنٌ عاجل دان
فقمت تخفضنى أرض وترفعنى   حتى ونيت وهذا السير أركاني

وحمل على هذا المذهب قول ذى الرمة :

رأيت غُراباً ساقطاً فوق قضبة   من القضب لم ينبت لها ورق خضر

فقلت : غراب لاغتراب وقضبة　　لقضب النوى هذى العيافة والزجر
وهبت جنوب باجتنابك منهم　　ونفح الصبا تلك الصبابة والهجر

وقول بعضهم

دعا صُرَد يوماً على غصن بانةٍ　　وصاح بذات البين منها غرابها (١)
فقلت : أتصريدٌ وشحط وغربة ؟　　فهذى لعمرى نأيها واغترابها (٢)

فهذا نمط شعرهم فى الغراب لا يتغير وهو كثير لا يمكننا استقصاؤه . بلى قد يزجرون من الطير غير الغراب على طريقين . أحدهما : على طريق الغراب فى التشاؤم . والآخر على طريق التفاؤل . قال الشاعر :

وقالوا : تغنى هُدْهُدٌ فوق بانةٍ　　فقلت : هدى يغدو به ويروح

وقال آخر

وقالوا : عقاب قلت : عقبى من النوى　　دنت بعد هجر منهم ونزوح

وقال آخر

وقالوا : حمام . قلت : حُمَّ لقاؤها　　وعادت لنا ريح الوصال تفوح (٣)

فهذا الى الشاعر لانه ان شاء جعل العقاب عقبى خيرٍ وان شاء جعلها عقبى شر وان شاء جعل الحمام حماما وان شاء قال حم اللقاء والهدهد هدى وهداية والحبارى حبور وحبرة والبان بيان يلوح والدوم دوام العهد كما صارت الصبا عنده صبابة والجنوب اجتناب والصرد تصريداً الا ان أحداً منهم لم يزجر فى الغراب شيئاً من الخير هذا قول أهل اللغة . وذكر بعض أهل المعانى : أن نعيب الغراب يتطير منه ونعيقه يتفاءل به وأنشد قول جرير :

إن الغراب بما كرهت لَمُولَعٌ　　بنوى الأحبة دائم التَشحاج

---

(١) الصرد وزان عمر قال أبو حاتم فى كتاب الطير : هو طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له برثن ويصطاد العصافير وصغار الطير وهو مثل القارية فى العظم انتهى

(٢) الشحط : البعد ومثله النأي ، والتصريد : التقليل وقيل انما كرهوا الصرد وتشاءموا به من اسمه من التصريد (٣) معنى حمّ : دنا

ليت الغراب غداة ينعب دائباً　　كان الغراب مقطع الأوداج (١)

شحيج الغراب صوته وكذلك النعيب . وقول ابن أبي ربيعة :

نعب الغراب ببين ذات الدُمْلُجِ　　ليت الغرابَ ببينها لم يشحج (٢)

ثم أنشدوا فى النغيق :

تركت الطير عا كفة عليهم　　وللغربان من شبع نغيق

قال : ويقال نغق الغراب لغيقاً اذا قال غيق غيق فيقال عندها نغق بخير ويقال نعب نعيباً اذا قال غاق فيقال عندها نعب بشرّ . ومنهم من يقول نغق ببين وزهيرٌ منهم . وأنشد له :

ألقى فراقهم فى المقلتين قذى　　أمسى بذاك غراب البين قد نغقا

وقال من احتج للغراب : العرب قد تتيمن بالغراب فتقول هم فى خير لا يطير غرابه أى يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ما عندهم فلولا تيمنهم به لكانوا ينفرونه فقال الدافعون لهذا القول : الغراب فى مثل هذا المثل السواد . واحتجوا بقول النابغة :

ولرهط حراب وقدّ سورة　　فى المجد ليس غرابها بِمُطارِ

أى من عرض لهم لم يمكنه أن ينفر سوادهم لعزهم وكثرتهم وهى مشؤمة ومن أمثالهم « لاقيت أخيل » قال ابن الاعرابى الاخيل الشقراق ويتطيرون منه للظهر ويسمونه مقطع الظهور يقال اذا وقع على بعير وان كان سالماً يئسوا منه واذا لقى المسافر الأخيل تطير وايقن بالعقر ان لم يكن موت فى الظهر . قال الفرزدق:

اذا قطن بلغتنيه ابنَ مدرك　　فلاقيت من طير العراقيب أخيلا

وكل طائر يتطير منه للابل فهو طير العراقيب . وهذه لفظة يتكلم بها عند الدعاء على المسافر كذا فى شرح مجمع الامثال الميدانى . وقال ابن رشيق فى العمدة :

(١) الاوداج جمع ودج وهو عرق فى العنق (٢) الدملج والدملوج : المعضد

الغراب أعظم مايتطيرون به ويتشاءمون بالثور الأعضب وهو المكسور القرن والسانح ماولاك ميامنه والبارح ماولاك مياسره وأهل نجد تتيمن بالاول وتتشاءم بالثانى وأهل العالية على عكس هذا . وانشد للكميت :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه   أصاح غُرابٌ أم تعرض ثعلب ؟
ولا السانحات البارحات عشية   أمر سليم القرن أم مرّ اعضب ؟

وسيجئ فى بيان علومهم عند الكلام على علم الزجر والعيافة أن من العرب من انكر هذه الامور بعقله . وابطل تأثيرها بنظره . وذم من اغتربها واعتمد فى أمره عليها . وما ورد فى الشريعة من ابطال ذلك على أتم وجه وابينه ان شاء الله تعالى .

ومن مذاهبهم العدول عن الالفاظ المتطير بها الى غيرها

كانت العرب تتطير من ذكر البرص فتكنى عنه بالوضح ومنه (جَذِيمة الوضاح) وكان أبرص وكنوا عنه بالابرش أيضاً وكان يسمى الوضاح ويسمى الابرش أيضاً وجَذيمة بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة . قال الجاحظ فى البيان والتبيين عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى ان جذيمة الوضاح هو الابرش التنوخى الازدى وهو آخر ملوك قضاعة بالحيرة وهو أول من حذا النعال واتخذ المنجنيق ووضعه على الحصون واول من أدلج من الملوك وأول من رفع له الشمع . وكان جَذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وابعدهم مغاراً وأشدهم نكايةً واظهرهم حزماً وهو أول من استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص وكانت العرب تكنى عن ان تسميه به وتنسبه اليه اعظاماً له فقيل له جذيمة الوضاح وجذيمة الابرش وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر واطراف البر وتجبى اليه الاموال وتفد عليه الوفود وكان غزا طسماً وجديساً فى منازلها من جوٍّ وما حوله وجوّ هى اليمامة فوافق خيول حسان بن أسعد

أبى كرب قد أغارت على طسم وجديس فانكفأجذيمة راجعاً انتهى . وكل أبيض وضح عند العرب يقول قائلهم ما أكثر الوضح عندكم ! أى ما أكثر اللبن عندكم « ومما يتفاءل بذكره عندهم » قولهم للفلاة مفازة لأن القفار فى ركوبها الهلاك وكان حقها أن تسمى مهلكة ولكنهم اجتنبوا لفظها تطيراً وعكسوه تفاؤلا ، ولبعض المحدثين :

أحب الفال حين رأى كثيراً ... أبوه عن اقتناء المجد عاجز

فسماه لقلته كثيراً ... كتقليب المهالك بالمفاوز

وقال بعضهم : المفازة مفعلة من فوّز الرجل اذا هلك فعلى هذا تكون الكلمة على أصلها غير معدول بها الى غيرها « ومن ذلك » قولهم للديغ سليم تفاؤلا . قال الشاعر :

أرقت ونام عنى من يلومُ ... ولكن لم أنم أنا والهموم

كأنى من تذكرها ألاقى ... اذا ما أظلم الليل البهيم

ومن تأميل رؤية أم جهم ... وقد خفقت مع الغور النجوم

سليم ملّ منه اقربوه ... واسلمه المجاور والحميم

ومنه قولهم للأعور (ممتع) تطيراً من ذكر الأعور . ومثل ذلك كثير فى كلامهم . وفى كتاب الكنايات الكبير للامام الثعالبى ما يغنى عن اتعاب القلم فى هذا الباب .

(ومن مذاهبهم) قولهم فى الدعاء (لا عشت الا عيش القراد) يضربونه مثلا فى الشدة والصبر على المشقة ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً ويقولون انه يترك فى طينة ويرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه وسنة على ظهره ولا يموت قال بعضهم :

فلا عشت الا كعيش القراد ... عاماً ببطن وعاماً بظهر

(ومن مذاهبهم) ان النساء منهم كن اذا غاب عنهن من يحببنه أخذن تراباً

من موضع قدمه وموضع رجله وكانت العرب تزعم ان ذلك أسرع لرجوعه !
وقالت امرأة من العرب :

أخذت ترابا من مواطئ رجله ... غداةَ غدٍ كيما يؤوب مسلما

وقالت امرأة أخرى :

قالت له واقتبضت من اثره ... يا ربّ أنت جاره فى سفره
وجار خصيَيْه وجار ذكره !!

(ومن مذاهبهم) انهم كانوا يسمون العشاء فى العين الهدبد وأصل الهدبد اللبن الخاثر أى الغليظ فاذا أصاب أحدهم ذلك عمد الى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وقلاها ، وقال عند كل لقمة يأكلها بعد ان يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناماً وكبدْ ... الا اذهبا بالهُدَبِدْ
ليس شفاء الهدبد ... الا السنام والكبد

ويزعمون انه يذهب العشاء بذلك .

(ومن مذاهبهم) انهم يعتقدون انهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم ويشاهدون الغول وربما جامعوها وتزوجوها وتولد لهم أولادمنها كل ذلك من المسلمات لديهم :

قصة عمرو بن يربوع والغول

قالوا : إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهراً .
فكانت تقول له اذا لاح البرق من جهة بلادى وهى جهة كذا فاستره عنى فانى ان لم تستره عنى تركت ولدك عليك وطرت الى بلاد قومى ؛ فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره . والى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعرّى فى قوله يذكر الابل وحنينها الى البرق :

طربن لضوء البارق المتعالى ببغداد وهناً مالهن ومالى !

سمت نحوه الابصار حتى كانها بناريه من هنّا وثم وصالى

إذا طال عنها سرها لورؤوسها تمد إليه فى صدور عوالى

تمنت قُوَيقاً والصراة أمامها تراب لها من أينق وجمال

إذا لاح ايماض سترت وجوهها كأنى عمرو والمطىّ سعالى

وكم همّ نضوٌ أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقال

قالوا : فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت له وهى تطير

أمسك بنيك عمرو إنى آبق برق على أرض السعالى آلق

ومنهم من يقول : ركبت بعيراً وطارت عليه أى أسرعت فلم يدركها وعن هذا قال الشاعر :

رأى برقاً فأوضع فوق بَكْر فلا بك ما أسال ولا أعاما[1]

قال : فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بنى السعلاة . ولذلك قال الشاعر يهجوهم :

ياقبح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا بابطال ولا اكيات

والمراد بالنات الناس وبالاكيات الاكياس فابدل السين تاء وهى لغة قوم من العرب .

ومن مذاهبهم فى الغول

أنهم يقولون انها ان ضربت بالسيف ضربة واحدة هلكت فان ضربت ثانية عاشت وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله :

---

(١) أوضع : أسرع فى السير ، والبكر بالفتح : الفتى من الابل ، واللأي : الشدة ، والاسالة : الجري ، والاعامة : مسير الابل

فقالت : ثن ؛ قلت لها . رويداً   مكانك إننى ثبت الجنان

ومما ورد من شعرهم فى الغول : قول أبى البلاد الطهوى . ويروى لتأبط شراً وهو من أبيات :

لهانَ على جهينةَ ما الاقى   من الروعات يوم رحا بِطان [(١)]
لقيت الغول تسرى فى ظلام   بسهب كالعباءة صحصحان
فقلت لها: كلانا نِضْو ارض   أخو سفر فخلى لى مكانى [(٢)]
فشدت شدة نحوى فاهوى   لها كفى بمصقول يمانى
فقالت: زد! قلت: رويدَ إنى   على أمثالها ثبت الجنان

والذين يروون هذا الشعر لتأبط شرا يروون أوله :

ألا من مبلغ فتيات جهم   بما لاقيت عند رحا بِطان
بأني قد لقيت الغول تلوى   بمرت كالصحيفة صحصحان
فصدت فانتحيت لها بعضب   حسام غير مؤتشب يمانى
فقد سراتها والبرك منها   فخرت لليدين وللجران
فقالت : ثن ، قلت لها: رويدا   مكانكِ إننى ثبت الجنان
ولم انفك مضطجعاً لديها   لا نظر مصبحاً ماذا دهانى
إذا عينان فى رأس دقيق   كرأس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدَج ولسان كلب   وثوب من عباء أو شنان

والمرت المفازة والصحصحان المكان المستوى والمؤتشب المخلوط وسراة كل شئ ظهره ووسطه والبرك الصدر وجران البعير مقدم عنقه والمخدج الناقص والشنان جمع شن وهو القربة الخلقة

وقال البهراني

وتزوجت فى الشبيبة غولاً   بغزالٍ وصدقى زق خمر

---

(١) بكسر الباء : موضع (٢) النضو بالكسر : المهزول من الابل وغيرها

قال الجاحظ : اصدقها الخمرَ لطيب ريحها والغزال لأنه من مراكب الجن

وقال أبو عبيد بن أيوب العنبرى أحد لصوص العرب :

تقول وقد المت بالأمس لمة مخضبة الاطراف خرس الخلاخل:

أهذا خدينُ الغول والذئب والذى يهيم بربات الحجال الهراكل

رأت خلق الدرسين أسود شاحباً من القوم بساماً كريم الشمائل

تعوّد من آبائه فتكاتهم واطعامَهم فى كل غبراء شامل

اذا صاد صيداً الفه بضرامة وشيكا ولم ينظر لغلى المراجل

فنهشاً كنهش الصقر ثم مراسة بكفيه رأس الشيحة المتمائل

والهراكل جمع هركولة وهى الجارية الضخمة والغبراء الشامل السنة المجدبة والضرامة ما يوقد به النار والوشيك القريب والمراجل جمع مرجل وهو القدر والشيحة اسم نبت ومن هذه الابيات :

إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

وأول عجز القوم عما ينوبهم تقاعدهم عنه وطول التواكل

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول لؤم القوم لؤم الحلائل

التواكل تفاعل من وكل أمره الى غيره يكله وكلا فهو وكل . والحلائل جمع حليلة وهى الزوجة وهذا الشعر من جيد شعر العرب وإنما كان غرضنا منه متعلقاً بأوله وذكرنا سائره لما فيه من الأدب . وقال أبو عبيد بن أيوب أيضاً فى المعنى الذى نحن بصدده :

وصار خليل الغول بعد غرارة صفيا وربته القفار البسابس (١)

وقال أيضاً

فلله درّ الغول أى رفيقة لصاحب قفر فى المهامة يذعر (٢)

ارنّت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالىّ نيرانا تلوح وتزهر (٣)

(١) البسابس جمع بسبس وهو القفر الخالى (٢) المهامة : المفاوز البعيدة والبلاد المقفرة
(٣) أرنت : صوتت ، وقوله تلوح صوابه تبوخ أي تسكن ، وتزهر : تضىء

وقال أيضاً

وغولا قفرة ذكر وانثى كأن عليهما قطعَ البجاد [١]

وقال أيضاً

فقد لاقت الغزلان منى بليةً وقد لاقت الغيلان منى الدواهيا

« وقال البهرانى فى قتل الغول »

ضربت ضربة فصارت هباء فى محاق القمراء آخر شهر [٢]

وقال أيضاً يزعم انه لما ثنى عليها الضرب عاشت :

فثنيت والمقدار يحرس أهله فليت يمينى يوم ذلك شلتِ

وقال تأبط شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها :

فاصبحت والغول لى جارةٌ فيا جارة أنت ماأغولا
وطالبتها بضعها فالتوت فكان من الرأى ان تقتلا [٣]
فجللتها مُرْهفاً صارماً أبان المرافق والمفصلا
فطار بقحف ابنة الجن ذو شقاشق قد أخلق المحملا
فمن يك يسأل عن جارتى فان لها باللوى منزلا
غطاءة أرض لها حلتان من ورق الطلح لم تغزلا [٤]
وكنت اذا ماهممت اهتبلت واحرى اذا قلت ان أفعلا [٥]

قوله التوت أى امتنعت وتثاقلت والمرهف السيف والصارم القاطع وقوله ذوشقاشق قد أخلق المحملا معناه لو كانت هذه الشقاشق لجمل لكان يخلق المحمل

---

(١) البجادككتاب : كساء مخطط من أكسية الأعراب (٢) الهباء : الغبار أو يشبه الدخان ودقاق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الارض ، والمحاق مثلثة آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره أوأن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية سمي لانه طلع مع الشمس فمحقه والمحق الابطال
(٣) البضع : التزوج والمجامعة (٤) الطلح : من شجر العضاه (٥) اهتبل الرجل : كذب ، واهتبل الصيد بغاه وتكسبه وعلى ولده اثكل واهتبلت غفلته اغتنمتها وافترصتها

ويدرسه لكثرتها اذا أراد بالمحمل حمائل السيف قال امرؤ القيس فى معلقته :

ففاضت دموع العين منى صبابة   على النحر حتى بل دمعىَ مِحْمَلى

والشعر فى الغول كثير والغالب منه من شعر تأبط شراً وهو من فحول شعراء الجاهلية وفرسانها المشهورين فناسب بيان حاله ، وذكر نبذة من لطيف أخباره. وذلك على سبيل الايجاز والاختصار : —

ترجمة تأبط شراً

اسمه ثابت وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان بن عميل بن عدى يعنى كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان وأمه أميمة من قين بطنٍ من فهم . وفى تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال « أحدها » وهو المشهور أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لامه : أين هو ؟ فقالت : لاأدرى تأبط شراً وخرج « الثاني » ان أمه قالت له فى زمن الكمأة : ألا ترى غلمان الحى يجتنون لاهلهم الكمأة فيروحون بها : فقال لها : اعطنى جرابك حتى اجتنى لك فيه فاعطته فملأه لها افاعى من أكبر ماقدر عليه وأتى به متأبطاً له فالقاه بين يديها ففتحه فسعين بين يديها فى بيتها فوثبت وخرجت منه فقالت لها نساء الحى : ماذا كان الذى تأبطه ثابت اليوم ؟ قالت : تأبط شراً « الثالث » انه رأى كبشاً فى الصحراء فاحتمله تحت ابطه فجعل يبول طول الطريق عليه فلما قرب من الحى ثقل عليه حتى لم يقله فرمى به فاذا هو الغول . فقال له قومه : بم تأبطت ياثابت ؟ فاخبرهم . فقالوا : لقد تأبط شراً « الرابع » انه أتى بالغول فالقاه بين يديها فسئلت أمه عما كان متأبطاً ؟ فقالت ذلك فلزمه . وكان أحدَ لصوص العرب يغزو على رجليه وحده وكان اذا جاع نظر الى الظباء فينتقى على نظره اسمنها ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه . وترجمته مذكورة فى الاغانى بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها فعليك بذلك الكتاب ان أردتها .

ماورد فى الشريعة من أمر الغول والسعلاة

قد ورد فى شأن الغول حديثان صحيحان « أحدهما » قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : لاعدوى ولا طيرة ولا صفر ولا غول « والثانى » قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : اذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان . أى ادفعوا شرها بذكر الله تعالى . وحاصل ما ذكر أهل الحديث فى الجمع بين هذين الحديثين المتعارضين انه ليس المراد بالحديث الاول نفى وجود الغول وانما معناه ابطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالهم فقد قال أهل اللغة : إن الغول من السعالى وهى أناث الشياطين سميت بذلك لأنها بزعمهم تغتالهم أو لأنها تتلون كل وقت من قولهم تغولت علىّ البلاد اذا اختلفت . قالوا : ومعنى لاغول أى لا تستطيع أن تضل أحداً ويشهد له حديث لاغول ولكن السعالى وهم سحرة الجن أى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل ، فحيث اثبتت فى الحديث فالمراد اثبات وجودها ، وحيث نفيت فالمراد نفى ما كانوا يزعمون فيها . ومثل ذلك كثير فى الكلام الفصيح . وعلى هذا يحمل قول ابن هشام فى شرح بانت سعاد : إنّ للعرب أموراً تزعمها لاحقيقة لها . منها أن الغول تتراءى لهم فى الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق . ومنها الهديل زعموا انه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده بعض الجوارح وان جميع الحمام يبكيه الى يوم القيامة قال قائلهم : —

يذكرنيك حنين العجول وصوت الحمامة يدعو هديلا

والعَجول بالفتح الفاقدة لولدها من الابل انتهى . وفى كتاب حياة الحيوان للدميرى : الغول بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم قال الجوهرى هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول والتغول التلون قال كعب :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول

ويقال تغولت المرأة اذا تلونت ويقال غالته غول اذا وقع فى مهلكة والغضب غول الحلم . قال : وسأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فاجابه بان الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم أما سمعت امرأ القيس كيف قال :

أيقتلنى والمَشْرَفىّ مضاجعى ومسنونة زرق كانياب أغوال (١)

وهم لم يروا الغول قط ولكن لما كان يهولهم أو عدوا به قال أبو عبيدة : ومن يومئذ عملت كتابى الذى سميته (المجاز) ثم ذكر الدميرى كلاماً لاحاجة لنا به . ثم قال : قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم ان الغيلان فى الفلوات وهى جنس من الشياطين تترآى للناس وتغول تغولا أى تتلون تلوناً فتضلهم عن الطريق وتهلكهم فابطل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك . قال : وقال آخرون ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول وانما معناه ابطال ماتزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا : ومعنى لاغول لاتستطيع أن تضل أحداً ، ويشهد له حديث آخر لاغول ولكن السعالى . وذكر بعد كلام طويل: والذى ذهب إليه المحققون أن الغول شئ يخوّف به ولا وجود له ، كما قال الشاعر :

الغول والخل والعنقاء ثالثة أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خَيْتعور وهو كل شيء لايدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وكالذى ينزل من الكوى فى شدة الحر كنسج العنكبوت . قال الشاعر :

كل انثى وإن بدا لك منها آيةُ الحبّ حبها خَيْتَعُورُ

وقال: قال قوم : الغول ساحرة الجن وهى تتصور فى صور شتى وأخذوا ذلك

---

(١) المشرفى : السيف المنسوب الى مشارف (راجع ص٦٢) من هذا الجزء ، والمسنون : المحدد المصقول ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها وكونها مجلوة ويستشهد أهل المعانى بهذا البيت على التشبيه الوهمى « وهو الغير المدرك باحدى الحواس ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركا بها فان انياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها مع انها لو أدركت لم تدرك الا بحس البصر »

من قول كعب بن زهير :

فما تكون على حال تدوم بها ... كما تلوّن فى أثوابها الغول

وقد تقدم ذلك قريباً . وفى (دلائل النبوة) للبيهقى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال : إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فان ذلك لا يضره وتزعم العرب انه إذا انفرد الرجل فى الصحراء ظهرت له فى خلقة الانسان فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق فتدنو منه وتتمثل له فى صور مختلفه فتهلكه روعاً . وقالوا : إذا أرادت أن تضل انساناً أوقدت له ناراً فيقصدها فتفعل به ذلك قالوا وخلقتها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار . قال القزوينى : ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر رضى الله تعالى عنه حين سافر إلى الشام قبل الاسلام فضربها بالسيف وذكر عن ثابت بن جابر الفهرى انه لقى الغول وذكر أبياته النونية فى ذلك انتهى ماذكره الدميرى فى الغول . وأنت تعلم مافى كلامه من الاضطراب . وقال فى تفسير السعلاة . انها أخبث الغيلان وكذلك السعلا تمدو تقصر والجمع السعالى واستسعلت المرأة أى صارت سعلاة أى صارت صخابة وبذيئة . قال الشاعر :

لقد رأيت عجباً مذ امسا ... عجائزاً مثل السعالى خمسا

يأكلن ما أصنع همساً همسا ... لاترك الله لهن ضرسا (١)

ثم قال ، قال الجاحظ : يقال إن عمرو بن يربوع كان متولداً من السعلاة والانسان قال: وذكروا ان جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم عليه السلام قال وكان الملك من الملائكة اذا عصى ربه فى السماء اهبط الى الارض فى صورة رجل كما صنع بهاروت وماروت فوقع بعض الملائكة على بعض بنات آدم عليه السلام فولدت جرهما : ولذلك قال شاعرهم :

---

(١) الهمس : كل خفي ومضغ الطعام والفم منضم ويروى :

يأكلن مافى رحلهن همسا

ورووا بعد هذين البيتين قوله :

ولا لقين الدهر الا تعسا ... فيها عجوز لاتساوى فلسا

لاتأكل الزبدة الا نهسا

لاهُمَّ إن جرهما عبــادكا   الناس طرف وهما تلادكا (1)

قال : ومن هذا الضرب كانت بلقيس ملكة سبا وكذلك كان ذو القرنين ولهذا لما سمع عمر بن الخطاب رضى لله عنه رجلاً ينادى رجلاً : ياذا القرنين ! قال : افرغتم من اسماء الأنبياء فارتفعتم الى أسماء الملائكة انتهى . والحق فى ذلك أن الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قاله القاضى عياض وغيره . وأما ما ذكروه من أن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم وكذلك ذوالقرنين وبلقيس فممنوع واستدلالهم بقصة هاروت وماروت ليس بشئ فانها لم تثبت على الوجه الذى أوردوه انتهى كلام الدميرى المقصود . ونقل عن السهيلى بعد أن أسهب وأطال أن السعلاة ما يتراءى للناس بالنهار والغول ما يتراءى للناس بالليل . وقال القزوينى : السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول قال عبيد بن أيوب :

وساحرة عينىّ لو ان عينها   رأت ما الاقيه من الهول جنّتِ

أبيت وسعلاة وغول بقفرة   إذا الليل وارى الجن فيه أرنّتِ

قال : وأكثر ماتوجد السعلاة فى الغياض وهى اذا ظفرت بانسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال : وربما اصطادها الذئب بالليــل فأكلها واذا افترسها ترفع صوتها وتقول ادركونى فان الذئب قد أكلنى : وربمــا تقول من يخلصنى ومعى ألف دينار يأخــذها : والقوم يعرفون انه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد فيأكلها الذئب انتهى . وفيها حكايات كثيرة قديماً وحديثاً الله أعلم بصحتها

---

(1) قوله لاهم : العرب تحذف اللام من اللهم وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لاءأبوك وتريد لله أبوك وكذلك تقول لاهنك وتريدوالله انك وهذا لكثرة دورهذا الاسم على الالسنة ، والطرف المال المستحدث وهو خلاف التلاد

أشعار العرب وأحاديثهم فى رؤيه الجن وخطابهم وهتوفهم ونحو ذلك

روى أبو عثمان الجاحظ لسمير بن الحرث الضبى .

ونار قد حضأت بُعَيْدَ وَهْن ... بدار لا أريد بها مقاما (١)

سوى تحليل راحلة وعين ... أ كالئها مخافة ان تناما (٢)

أتوا نارى فقلت منون؟ قالوا ... سراة الجن: قلت عِمُوا ظلاما (٣)

فقلت: الى الطعام: فقال منهم ... زعيم : نحسد الانس الطعاما

لقد فضلتمُ بالا كل فينا ... ولكن ذاك يعقبكم سقاما

أمطْ عنا الطعامَ فان فيه ... لآكله النقاصةَ والسقاما

ذ كر فى أبياته أن الجن طرقته وقد أوقد ناراً لطعامه فدعاهم الى الا كل منه فلم يجيبوه وزعموا أنهم يحسدون الانس فى الا كل وانهم فضلوا عليهم با كل الطعام ولكن ذلك يعقبهم السقام . وقوله (لقد فضلتم بالا كل فينا) ظاهره ان الجن لا يأ كلون ولا يشربون . وقال ابن السيرافى : قال زعيمهم نحسد الانس على أ كل الطعام والالتذاذ وليس من شأننا ان نأ كل ما يأ كله الانس . وقال ابن المستوفى : لم يُرِدْ أن الجن لا تأ كل ولا تشرب وانما أراد ان طعام الانس أفضل من طعام الجن . وهذان القولان خلاف الظاهر . ويؤيد ما قلنا قول ابن خُروف فى شرح أبيات سيبويه قوله (لقد فضلتم بالا كل فينا) مخالف للشرع لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الجن تأ كل وتشرب . وفى (آ كام

---

(١) حضأ النار : أوقدها أو فتحها لتلتهب ، وبعيد ظرف تصغير بعد ، والوهن من اول الليل الى ثلثه اشتق من وهن يهن اذا فتر وضعف لهدوّ الناس فيه (٢) كلأه مكلأً وكلاءة : راقبه
(٣) قوله منون أي من انم وهذا نادر واليه أشار ابن مالك بقوله :

وان تصل فلفظ من لا يختلف ... ونادر منون فى نظم عرف

وقوله : عموا ظلاماً وكذلك قولهم عموا صباحاً من تحياتهم فى الجاهلية (راجع ص ١٩٢) من هذا الجزء ، والسراة : الاشراف

المرجان فى أحكام الجان) لبدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى الشامى وقد صنفه كما قال الصفدى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة : ـ وقد اختلف العلماء فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال « أحدها » ان جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا قول ساقط « ثانيها » ان صنفاً منهم يأكلون ويشربون وصنفاً لا يأكلون ولا يشربون « ثالثها » ان جميع الجن يأكلون ويشربون . فقال بعضهم : أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لا مضغ وبلع وهذا لا دليل له . وقال آخرون : أكلهم وشربهم مضغ وبلع . ويدل لهذا حديث أمية ابن مخشى من رواية أبى داود : مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله تعالى استقاء مافى بطنه . وفى الصحيحين : ان الجن سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الزاد فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفر مايكون لحماً وكل بعر علف لدوابهم . وفى حديث يزيد بن جابر قال مامن أهل بيت من المسلمين الا وفى سقف بيتهم من الجن من المسلمين اذا وضع غداؤهم نزلوا فتغدوا معهم واذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم . والجن على مراتب قال ابن عبد البر : اذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جنى فان أرادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار فان كان مما يعرض للصبيان قالوا أرواح فان خبث ولؤم قالوا شيطان فان زاد على ذلك فهو مارد فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت فان طهر ولطف وصار خيراً كله فهو ملك . وقال ابن عقيل : الشياطين العصاة من الجن وهم من ولد ابليس والمردة أعتاهم وأغواهم وهم أعوان ابليس. وقال الجوهرى كل عاتٍ متمرد من الجن والانس والدواب شيطان . وقال ابن دريد: الجن خلاف الانس . ويقال جنه الليل وأجنه وأجن عليه وغطاه فى معنى واحد اذا ستره وكل شىء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن . وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جناً لاستتارهم عن العيون قالوا والحن بالحاء المهملة زعموا انه ضرب من الجن . وقال أبو عمر الزاهد : الحن كلاب الجن وسفلتهم والجان

أبو الجن . قال السهيلى فى (كتاب النتائج) : ومما قدم للفضل والشرف تقديم الجن على الانس فى أكثر المواضع لان الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتن عن الابصار. قال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقال الاعشى :

وسخر من جن الملائك سبعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

فاما قوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) وقوله تعالى (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) وقوله تعالى (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) فان لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة لنزاهتهم عن العيوب فلما لم يتناولهم عموم اللفظ لهذه القرينة بدأ بلفظ الانس لفضلهم وكمالهم . وقال جذع بن سنان :

أتوا نارى فقلت : منون أنتم ؟ فقالوا : الجن قلت : عموا صباحا
نزلت بِشِعْبِ وادى الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا
أتيتهمُ وللاقدارِ حتم تلاقى المرء صبحاً أو رواحا
أتيتهمُ غريباً مستضيفاً رأوا قتلى اذا فعلوا جناحا
أتونى سافرين فقلت : أهلاً رأيت وجوههم وسماً صِباحا
نحرت لهم وقلت : الا هلموا ! كلوا مما طهيتُ لكم سماحا
أتانى (قاشر) وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
فنازعنى الزجاجة بعد وهن مزجت لهم بها عسلا وراحا
وحذرنى أموراً سوف تأتى اهزّ لها الصوارم والرماحا
سأمضى للذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلكمُ قداحا
أسأت الظن فيه ومن أساه بكل الناس قد لاقى نجاحا
وقد تأتى الى المرء المنايا بابواب الامان سدى صراحا
سيبقى حكم هذا الدهر قوماً ويهلك آخرون به ذُباحا
أثعلبة بن عمرو ليس هذا أوان السير فاعتدّ السلاحا
ألم تعلم بان الذل موت يتيح لمن ألمّ به اجتياحا

ولا يبقى نعيم الدهر إلا لِقَرْم ماجد صدق الكفاحا

قال ابن السيد : ان قيل كيف جاز أن يقول لهم عموا صباحاً وهم فى الليل وانما يليق هذا الدعاء بمن يلقى فى الصباح ؟ فالجواب من وجهين « أحدهما » ان الرجل إذا قيل له عم صباحاً فليس المراد أن ينعم فى الصباح دون المساء كما انه إذا قيل أرغم الله أنفه وحيا الله وجهه فليس المراد الأنف والوجه دون سائر الجسم . وكذلك إذا قيل له أعلى الله كعبك وانما هى ألفاظ ظاهرها الخصوص ومعناها العموم . ومثله قول الأعشى (الواطئين على صدور نعالهم) والوطء لايكون على صدور النعال دون سائرها « والوجه الثانى » أن يكون معنى أنعم الله صباحك اطلع الله عليك كل صباح بالنعيم لأن الصباح والظلام نوعان والنوع يسمى به كل جزء منه بما تسمى به جملته . والشِعب بالكسر الطريق فى الجبل ووسماً بالضم جمع وسيم وهو الذى عليه سمة الجمال وكذلك الصباح بالكسر جمع صبيح شبه بالصبح فى اشراقه ، وطهيت طبخت يقال طهيت اللحم وطهوته فانا طاهٍ . وقوله لا أبغى لذلكم قداحاً أى لا أطلب ضرب القداح لانهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر ضربوا بالقداح فان خرج القدح المكتوب عليه أفعل فعل الامر . وان خرج القدح المكتوب عليه لاتفعل لم يفعل الأمر . وقوله أسأت الظن فيه يقول أسأت الظن بضرب القداح والتعويل على ما تأمر به وتنهى عنه وعلمت أن ما أمرتنى به الجن أحرى أن يعوّل عليه . وقوله سدى صراحا . السدى الابل المهملة التى لايردها أحد والصراح الظاهرة . والذباح بضم الذال المعجمة بعدها موحدة نبات يقتل من أكله ومن رواه بكسر الذال جعله جمع ذبيح . وقوله يتيح أى يقدر ويجلب يقال أتاح الله كذا أى قدره وألمّ نزل . والاجتياح بجيم بعدها مثناة فوقية الاستئصال . والقَرْم بفتح القاف وسكون الراء السيد واصله الفحل من الابل . والكفاح بالكسر ملاقاة الاعداء انتهى

وهذا الشعر وقع فى كتاب خبر سد مأرب ونسبه إلى جذع بن سنان الغسانى فى حكاية طويلة زعم أنها جرت له مع الجن . قال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل للزجاجى : وكلا الشعرين أكذوبة من أكاذيب العرب لم تقع قط . وفى كتاب اللب : جِذع بن سنان الغسانى بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة شاعر جاهلى قديم . وغسان قبيلة من الازد من قحطان وجذع خرج مع من خرج من الأزد قبل سيل العرم وجاؤا الى الشام وكان ملكها إذ ذاك سليح وهم من غسان أيضاً . وقيل من قضاعة وكانوا يؤدون لسليح عن كل رجل دينارين فجاء عامل الملك الى جذع بن سنان يطلب الخراج الذى وجب عليه فدفع اليه سيفه رهناً فقال ادخله فى حرامك فغضب جذع وقنعه به[1] فقيل خذ من جذع ما أعطاك وسارت مثلا تضرب فى اغتنام ما يجود به البخيل [2] وقيل فى سبب المثل غير هذا وامتنعت غسان من هذا الخراج بعد ذلك وولوا الشام كما تقدم شرحه فى ملوك بنى جفنة .

ويزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهاراً فوثب غلام منهم فقام على عاتقىْ صاحبه ووثب الآخر فقام على عاتقىْ الأعلى منهما فلما رآهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون فقال عمير بن ضبيعة فما مررت يومئذ بشجرة إلا وسمعت من تحتها ضحكاً فلما رجع الى منزله مرض أربعة أشهر .

وحكى الأصمعى عن بعضهم : أنه خرج هو وصاحب له يسيران فاذا غلام على طريق فقالا له : من أنت ؟ قال : أنا مسكين قد قطع بى ! فقال أحدهما لصاحبه اردفه خلفك ؟ فأردفه فالتفت الآخر اليه فرأى فمه يتأجج ناراً فشد عليه بالسيف فذهبت النار فرجع عنه ، ثم التفت فرأى فمه يتأجج ناراً فشد عليه بالسيف فذهبت النار ففعل ذلك مراراً فقال ذلك الغلام : قاتلكما الله ما اجلدكما ! والله ما فعلتها بآدمىّ الا وانخلع فؤاده ! ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره !

وذكر الاصفهانى فى كتاب الاغانى ، قال أبو عبيدة : خرج عَبيد بن الأبرص

---

(١) قنع رأسه بالسيف : غشاه به ضرباً (٢) أنظر ص ١٧٣ من هذا الجزء

يريد الشام فلما كان فى بعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشاً فعمد الى اداوته ونزل عن بعيره فسقاه حتى رواه ثم مضى الى الشام فقضى حوائجه ورجع فأضلّ فى بعض طريقه بعيره فنكب عن الطريق ليطلبه . فاذا هاتف يقول :

يا صاحبَ البَكْرِ المضلّ مذهبه   دونك هذا البكر منا فاركبه [١]
حتى إذا الليل ترآءى غيهبه   وأقبل الصبح ولاح كوكبه [٢]
فحط عنه رحله وسيبه

فرأى بعيراً واقفاً فاستوى على ظهره فلم يلبث ساعة أن رأى بيته ! وكان بينه وبينه عشرين مرحلة ! فحلى عنه الرحل وهو يقول : —

يا صاحب البكر قد انجيت من كرب   ومن فيافٍ تضل المدلج الهادى [٣]
هلا بدأت لنا خلقاً لتعرف من   (عليك) قد جاد بالنعماء فى الوادى
ارجع حميداً فقد بلغت حاجتنا   بوركتَ من ذى سلام رائح غادى

« فأجابه »

أنا الشجاع الذى ارويتنى ظمأ   فى صَحْصَحٍ حَصِبٍ عن أهله صادى [٤]
وجدت بالماء لما عزّ مطلبه   نصف النهار على الرمضاء فى الوادى
هذا جزاؤك . منّا لا يمن به   لك الجميل علينا أنك البادى
الخير يبقى وان طال الزمان به   والشر أقبح ما أوعيت من زادِ

وقال الشرقى بن القطامى : كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحارس شجاعاً وكان نازلاً بالسماوة أيام الربيع فلما حسر الربيع وقل ماؤه ، واقلعت انواؤه تحمل الى وادى ثبل فرأى روضة وغديراً . فقال «روضة وغدير . وخطب يسير .

---

(١) البكر : الفتى من الابل ، ودونك بمعنى خذه (٢) الغيهب : الظلمة ولا يخفى ما فى هذا النظم من الخلل والفساد ! (٣) الفيافى المفاوز المهلكة ، والمدلج : السائر فى الليل (٤) الصحصح مااستوى من الارض ، والحصب : ذوالحجارة

وانا لما حويت مجير » فنزل هناك وله امرأتان اسم أحدهما الرباب والاخرى خولة فقالت له خولة :

أرى بلدة قفراً قليلا انيسها   وانا لنخشى ان دجا الليل أهلها

وقالت له الرباب

ارتك برأيي فاستمع عنك قولها   ولا تأمنن جن العزيف وجهلها

فقال مجيباً لهما

الست كمياً فى الحروب مجربا   شجاعاً اذا شبت له الحربُ مِحْرَبا (١)
سريعاً الى الهيجا اذا حمس الوغى   فاقسم لا اعدو الغدير منكبا

ثم صَعَدَ الى جبل ثبل فرأى شيهمة (وهى الانثى من القنافذ) فرماها فأقعصها ومعها ولدها فارتبطه فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن : —

ياابن الحمارس قد أسأت جوارنا   وركبت صاحبنا بامر مفظع
وعقرت لقحتَهُ وقُدْتَ فصيلَها   قوداً عنيفاً فى المنيف الأرفع (٢)
ونزلت مرعى شاتنا وظلمتنا   والظلم فاعله وخيم المرتع
فلنطرقنّك بالذى أوليتنا   شراً يجيك وماله من مدفع

فأجابه ابن الحمارس

يا مدعى ظلمى ولست بظالمٍ   اسمع لديك مقالتى وتسمّع
ان كنتمُ جنّاً ظلمتم قنفذاً   عقرت فشر عقيرة فى مصرع
لا تطمعوا فيما لدىَّ فما لكم   فيما حويت وحزته من مطمع

فأجابه الجنىّ

ياضارب اللقحة بالعضب الافل   قد جاءك الموت ووافاك الاجل (٣)
وساقك الحيْن الى جن ثَبل   فاليوم أقوَيْتَ وأعيتك الحيَلَ (٤)

---

(١) المحرب بكسر الميم صاحب الحرب وفى حديث على كرم الله وجهه : فابعث عليهم رجلا محرباً أى معروفاً بالحرب عارفاً بها (٢) اللقحة : الناقة التى نتجت ، وفصيلها : ولدها ، والمنيف : الجبل (٣) العضب : السيف ، والافل : المنثلم (٤) الحين بالفتح والسكون : الهلاك

فاجابه ابن الحمارس

ياصاحب اللقحة هل أنت بجل ... مستمع منى فقد قلت الخطل
وكثرة المنطق فى الحرب فشل ... هيجت قمقاماً من القوم بطل [1]
ليث ليوث واذا همّ فعل ... لا يرهب الجن ولا الانس أجل
من كان بالعقوة من جن ثبل

قال فسمعها شيخ من الجن فقال لا والله لانرى قتل انسان مثل هذا ثابت القلب ماضى العزيمة ! فقام ذلك الشيخ وحمد الله تعالى ثم أنشد : —

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا ... فاصبت منها مشرباً ومناما
فبدأتنا ظالما بعقر لقوحنا ... واسأت لما ان نطقت كلاما
فاعمد لامر الرشد واجتنب الردى ... إنا نرى لك حرمة وذِماما
واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً ... فلقد أصبت بما فعلت أثاما

فاجابه ابن الحمارس

الله يعلم حيث يرفع عرشه ... إنى لأكرهُ أن أصيب أثاما
أما ادعاؤك ما ادعيت فاننى ... جئت البلاد ولا أريد مقاما
فاسمت فيها مالنا ونزلتها ... لأريح فيها ظهرنا أياما
فليغدُ صاحبكم علينا نُعطِه ... ما قد سألت ولا نراه غراما

ثم غرم للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها . قال ابن أبى الحديد بعد ابراده هذه القصة فى شرح نهج البلاغة : وهذه الحكاية وان كانت كذبا الا انها تتضمن أدبا وهى من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وامتاعها . ويقال ان الشرقى بن قطامى : كان يصنع أشعاراً وينحلها غيره انتهى . وأقول لعل ابن أبى الحديد بنى ذلك على مذهبه فقال ما قال فانه من المعتزلة وهم لايثبتون الجن على الوجه الذى يدعيه غيرهم ! وسيجىء تفاصيل ذلك قريباً

---

(١) القمقام ويضم : السيد

فاما ذكرهم عزيف الجن فى المفاوز والسباسب فكثير مشهور

والعزيف أصوات الجن ومن شعرهم فى ذلك قول بعضهم :

وخَرْقٍ تحدث غيطانه حديث العذارى باسرارها (١)

والغيطان جمع غائط وهو المطمئن من الارض . وقال الآخر :

ودويّةٍ سبسبٍ سَمْلَقٍ من البيد تعزف جنّانها (٢)

وقال الاعشى

وبهماء تعزف جنانها مناهلها آجناتٌ سدم (٣)

البهماء أرض كثيرة البهاء ومعنى سدم دفن مناهلها ومواضع مياهها وقال :

وبلدةٍ مثل ظهر التُرس موحشة للجن بالليل فى حافاتها زَجَلُ (٤)

الحافات الجوانب والزجل التصويت . وقال آخر : —

ببيداء فى أرجائها الجنُّ تعزفُ

والشعر فى هذا كثير . ومن ذلك ما أسلفناه من القصص قريباً . وفى آكام المرجان ما يغنى عن الاطالة .

(ومن مذاهبهم) انهم كانوا اذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثاره فيأخذون روثة ويفتونها على رأسها ويقولون روثة راث ثائرك . وقال بعضهم:

طرحنا عليه الروث والزجز صادق فراث علينا ثاره والطوائل

وقد يذر على الحية المقتولة يسير رماد ويقال لها قتلك العين فلا ثائر لك وفى أمثالهم لمن ذهب العين دمه هدر هو قتيل العين . قال الشاعر :

---

(١) الخرق : القفر والارض الواسعة ، والواو واو رب اي رب خرق (٢) الدوية : الفلاة المستوية الواسعة البعيدة الاطراف ، والسبسب المفازة او الارض المستوية البعيدة ، والسملق كجعفر القاع الصفصف ، والبيد جمع بيداء وهى الفلاة (٣) الآجنات : المتغيرات الطعم واللون

(٤) الترس بالضم من جلد الارض الغليظ منها كانه على التشبيه • ويقال هو القاع المستدير لاطلس كما قاله الزمخشرى ومنه قولهم واجهت ترساً من الارض

ولم أكن كقتيل العين وسطكم ولا ذبيحة تشريق وتنحارِ

(ومن أعاجيبهم) انهم كانوا اذا طالت علة الواحد منهم وظنوا ان به مساً من الجن لانه قتل حية أو يربوعا أو قنفذاً عملوا جمالاً من طين وجعلوا عليها جوالق وملؤها حنطة وشعيراً وتمراً وجعلوا تلك الجمال فى باب جحر الى جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك فاذا أصبحوا نظروا الى تلك الجمال الطين فاذا رأوا انها بحالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها وان رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الدية واستدلوا على شفاء المريض وفرحوا وضربوا بالدف . قال بعضهم :

قالوا وقد طال عنائى والسقم احمل الى الجن جمالات وضم

فقد فعلت والسقام لم يرم فبالذى يملك برئى أعتصم

لم يرم أى لم يصلح ومالك البرء هو الله تعالى . وقال آخر :

فياليت ان الجن جازوا جمالى وزحزح عنّى ماعنانى من السقم

وياليتهم قالوا انطنا كل ماحوت يمينك فى حرب غماس وفى سلم

اعلّل قلبى بالذى يزعمونه فياليتنى عوفيت فى ذلك الزعم

وانطنا أى اعطنا والغماس الشديد والسلم الصلح . وقال آخر :

الا ان جنان النُوَيْرة أصبحوا وهم بين غضبانٍ علىَّ وآسفِ

حملت ولم أقبل اليهم حَمالةً تسكن عن قلب من السقم تالف

ولو انصفوا لم يطلبوا غير حقهم ومن لىَ من أمثالهم بالتناصف

تغطوا بثوب الارض عنى ولو بدوا لاصبحت منهم آمناً غير خائف

النويرة بالنون تصغير النار وبالباء تصغير البور وهى الارض التى لم تزرع والتالف الهالك .

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها فى بعض الحيوان

فانهم يعتقدون فى الديك والغراب والحمامة والورل وساق حر والقنفذ والارنب والظبى واليربوع والنعام والحية اعتقادات عجيبة . فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقاً . ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن . ومنهم من يعتقد أن الورل والقنفذ والارنب والظبى واليربوع والنعام مراكب الجن يمتطونها أى يجعلونها مطية لهم ومن أشعارهم فى مراكب الجن قول بعضهم فى قنفذ رآه ليلا : —

فما يعجب الجنان منك عدمتهم ... وفى الاسد افراس لهم ونجائب
ايسرج يربوع ويلجم قنفذ ... لقد اعوزتكم ماعلمت النجائب
فان كانت الجنان جنّت فبالحرى ... ولاذنب للاقوام والله غالب .

ومن الشعر المنسوب إلى الجن فى ذلك :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ... ألذ وأشهى من ركوب الارانب
ومن عضرفوط عنّ لى فركبته ... أبادر سرباً من عظاء قوارب

والعضرفوط العظاء الذكر بعين مهملة وظاء معجمة ممدودة دويبة أكبر من الوزغة ويقال فى الواحدة عظاءة وعظاية والجمع عظاء وعظايا قال عبد الرحمن بن عوف « كمثل الهر يلتمس العظايا » وقال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً تشبه (سام ابرص) إلا أنها أحسن منه ولا تؤذى وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل وهى أنواع كثيرة منها الابيض والاحمر والاصفر والاخضر وكلها منقطة بالسواد وهذه الالوان بحسب مساكنها فان منها ما يسكن الرمال ، ومنها مايسكن قريباً من الماء والعشب ، ومنها مايألف الناس وتبقى فى جحرها أربعة أشهر لاتطعم شيئاً ومن طبعها محبة الشمس لتصلب فيها .

(ومن خرافات العرب) قالوا : أن السموم لما فرقت على الحيوانات احتبست العظاية عند التفرقة حتى نفد السم وأخذ كل حيوان قسطاً منه على قدر السبق

اليه فلم يكن لها فيه نصيب . ومن طبعها أنها تمشى مشياً سريعاً ثم تقف ويقال إن ذلك لما يعرض لها من التذكر والأسف على مافاتها من السم ، والقوارب جمع قاربة وهى السارية فى الليل . وحاصل مادل عليه هذا الشعر أن ركوب الارنب والعضرفوط لمبادرة سرب العظاء ألذ من ركوب سائر المطايا . وقال اعرابى يكذب بذلك

ويستمع الأسرار راكب قنفذ　　لقد ضاع سر الله يا أم معبد !

يريد الرد على ما كان يعتقده بعض العرب من اثبات العلم بالغيب للجن فان من يحتاج فى ركوبه الى القنفذ بزعمهم كيف يعلم غيب السموات والأرض . ومنهم من يزعم أن سهيلاً والزُهَرَةَ (وهما كوكبان فى السماء) والضب والذئب والضبع كلها مسوخ . ومنهم من يزعم أن الظباء ماشية الجن . وفى (كتاب آكام المرجان) فى بيان أن الظباء ماشية الجن فى اعتقاد العرب عن حميد بن هلال قال : كنا نتحدث أن الظباء ماشية الجن فأقبل غلام ومعه قوس ونبل فاستتر بأرطاة[1] وبين يديه قُطيع من ظبي وهو يريد أن يرمى بعضه فهتف هاتف لا يرى وقال :

ان غلاماً عسر اليدين　　يسعى بكيده أو لهين مين[2]

متخذ الارطاة جُنَّتَيْن　　ليقتل القيس مع العنزين[3]

فسمعت الظباء فتفرقت . وعن النعمان بن سهل الحرانى قال : بعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا إلى البادية فرأى ظبية مصرورة[4] فطاردها حتى أخذها فاذا رجل من الجن يقول :

ياصاحبَ الكنانةِ المكسوره　　خلِّ سبيلَ الظبيةِ المصروره

---

(١) الارطاة واحدة الارطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعناب مرة تأكلها الابل غضة وعروقها حمر (٢) عسر اليدين : الذي يعمل بيديه (٣) الجنة بالضم الدرع وكل ماوقى من السلاح وفى الصحاح : الجنة مااستترت به من السلاح والجمع الجنن (٤) هى التى شد ضرعها بالصرار ككتاب وهو مايشد به الضرع

فانها لصبية مضروره غاب أبوهم غيبة مذكوره
في كورة لابوركت من كوره

وخرج مالك بن حريم الدالانى فى نفر من قومه فى الجاهلية يريدون عكاظ فاصطادوا ظبياً واصابهم عطش شديد فانتهوا الى موضع ففصدوا ظبياً وجعلوا يشربون من دمه من العطش فلما ذهب دمه ذبحوه وخرجوا فى طلب الحطب وكمن مالك فى خبائه فاثار بعضهم شجاعاً فاقبل منساباً حتى دخل رحل مالك فلاذ به واقبل الرجل فى أثره فقال : يامالك استيقظ فان الشجاع عندك فاستيقظ مالك فنظر اليه وهو يلوذ به فقال عزمت عليك الا تركته فكف عنه وانساب الشجاع الى مأمنه وانشأ مالك يقول :

واوصانى الحريم بعز جارى وامنعه وليس به امتناع
وادفع ضيمه واذب عنه وامنعه اذا منع المتاع

الى آخر ماقال من الابيات فارتحلوا واشتد بهم العطش فاذا بهاتف يهتف بهم ويقول :

يا أيها القوم لاماء أمامَكُمُ حتى تسوموا المطايا يومها التَعَبا
ثم اعدلوا شامةً فالماء عن كثَبٍ عين رواء وماء يذهب اللَغَبا (١)
حتى اذا ماأصبتم منه ريكُمُ فاسقوا المطايا ومنه فاملؤا القرَبا

فعدلوا شامة فاذاهم فى عين خرارة فى أصل جبل فشربوا وسقوا ابلهم وحملوا ريهم حتى اتوا عكاظ ثم اقبلوا حتى انتهوا الى ذلك الموضع فلم يروا شيئاً واذا بهاتف يقول :

يامال عنى جزاك الله صالحةً هــذا وداعٌ لكم منى وتسليمُ
لاتزهدن فى اصطناع الخير معْ أحدٍ إن الذى يحرم المعروف محروم
من يفعل الخير لايعدم مغبته ماعاش والكفر بعد الغب مذموم

(١) الشامة ضد اليمنة ، والرواء الكثير المروى ، واللغب : تعب المسير ، والكثب بالتحريك : القرب

أنا الشجاع الذى انجيت من رهق شكرت ذلك ان الشكر مقسوم

فطلبوا العين فلم يجدوها . وعن رقاد بن زياد قال : حملت ظبياً جنحَ الليل فبات عندى فسمعت هاتفاً يهتف من الليل ويقول :

اياطلحةَ الوادى الا انَّ شاتنا اصيبت بليل وهى منك قريب

احسى لنا من بات يحتلّ فرقنا له بهليع الواديَيْن دبيب

قال فبشكتها أى اطلقتها . قال وسألته عن هليع الوادى فقال أسفله والفرق من الظباء مثل القطيع من الغنم انتهى . والديك والغراب والحمام طيور معلومة والورل تقدم معناه « وأماساق حر » فهو بالسين المهملة وبالقاف بينهما الف وحرّ بالحاء والراء المهملتين الورشان وهو ذكر القمارى لايختلفون فى ذلك .قال الكميت :

تغريد ساق على ساق يجاوبها من الهواتف ذات الطوق والعطل

عنى بالاول الورشان وبالثانى ساق الشجرة . وقال حميد بن ثور الهلالى :

وماهاج هذا الشوق الاحمامةٌ دعت ساقَ حرٍ نزهةً وترنما

مطوقة غراء تسجع كلما دنا الصيف وانحال الربيع فانجما

محلاة طوق لم تكن من تميمة ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة من نوحها متألما

اذا حركته الريحُ أومال ميلة تغنت عليه ماثلا ومقوما

عجبتُ لها أنّى يكون غناؤ ها فصيحاً، ولم تفغر بمنطقها فما؟(١)

فلم أرَ مثلى شاقه صوت مثلها ولا عربياً شاقه صوتُ أعجما

قال ابن سيدة : انما سمى ذكر القمارى ساق حر لحكاية صوته فانه يقول : ساق حر ساق حر وقد وهم ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة حيث قال: ساق حر هو الهديل فان الهديل طائر آخر ففى حياة الحيوان الهديل ذكر الحمام . قال جران العوْد:

---

(١) فغر فاه : فتحه ويعنى بالمنطق بكاءها

كأن الهديلَ الظالعَ الرجلِ وسطَها　　من البغى شِرّيبٌ يغرّدُ مُنزِفُ(١)

والهديل صوت الحمام يقال هدل القمرى يهدل هديلا ، والهديل فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح من الطير فليس من حمامة الا وتبكى عليه الى يوم القيامة . قال نصيب :

فقلت : أتبكى ذات طوق تذكرت　　هديلاً وقد أودى وما كان تُبَّعُ ؟

يقول لم يخلق تبع بعد انتهى . وقال ابن قتيبة فى (كتاب أدب الكاتب) : العرب تجعل الهديل مرةً فرخاً تزعم الاعراب انه كان على عهد نوح فصاده جارح من جوارح الطير . قالوا فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه . قال الكميت فى هذا المعنى :

وما من تهتفين به لنصر　　باقرب جابةً لك من هديلِ

ومرةً يجعلونه الطائر نفسه . قال جِران العوْد « كأن الهديل الظالع الرجل » البيت السابق ، ومرةً يجعلونه الصوت . قال ذوالرُمّةِ :

أرى ناقتى عند المحصَّبِ شاقها　　رواح اليمانى والهديل المرجَّعُ(٢)

انتهى . وهذا بعين مافى حياة الحيوان . وفى كتاب اب لباب لسان العرب عند شرح قول كعب بن سعد الغنوى :

فانك واللوم الذى ترجمينه　　علىّ وما لوّامة بِعَقُولِ

كداعى هديل لايجاب اذا دعا　　ولا هو يسلو عن دعاء هَدِيلِ

الهديل . فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح من جوارح الطير قالوا فليس من حمامة الا وتبكى عليه وأنشد بيت الكميت السابق ذكره ، ومثل

---

(١) شبه الهديل فى تغنيه وتمايله من المرح بسكير قد سكر فهو يتغنى ، والمنزف السكران ويروى بفتح الزاى وكسرها لانه يقال انزف الرجل اذا سكر ونزفه السكر وانزفه (٢) المحصب موضع رمى الجمار بمكة ، يقول : لما رأت ناقتى أهل اليمن يروحون إلى بلادهم عند انقضاء الحج والابل ترجع هديلها — حنت الى وطنها ، وذكر ناقته انما يريد نفسه ولم يرد باليمانى رجلا واحدا من أهل اليمن انما أراد جميع من كان بمكة من أهل اليمن ، والهديل يكون للابل ويكون للحمام أيضاً

ذلك ما نقلناه سابقاً عن ابن هشام . ولعل شارح نهج البلاغة اعتبر اعتباراً آخر أو ثبت عنده عن أهل اللغة ما قرره

(ومن مذاهبهم) أنهم يعتقدون ان السفعة نظرة الجن والمسفوع المعيون واصابته سفعة أي عين والعين عينان عين انسية وعين جنية ولبعضهم :

وقد عالجوه بالتمائم والرقى   وصبوا عليه الماء من ألم النكس(١)
وقالوا أصابته من الجن أعين   ولو علموا داووه من أعين الانس

وقد صح عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة فقال : استرقوا لها فان بها النظرة . والسفعة النظرة من الجن يقال بها عين أصابتها من نظر الجن وهى أنفذ من أسنة الرماح . وعن أبي عبيدة يقال رجل معين للذى اصابته عين ورجل معيون للذى به منظر ولا مخبر له .

ومن مذاهب العرب أن لكل شاعر شيطاناً يلقى اليه الشعر

وهذا مذهب مشهور بين العرب فى الجاهلية ، والشعراء كافة عليه قال بعضهم :

إنى وان كنت صغير السن   فان فى العين نبواً عنى
فان شيطانى أمير الجن   يذهب بى فى الشعر كل فن

وقال حسان بن ثابت :

إذا ما ترعرع فينا الغلامُ   فما إنْ يقال له : من هُوَهْ (٢)
اذا لم يَسُدْ قبل شدّ الازارِ   فذلك فينا الذى لاهوهْ
ولى صاحب من بنى الشيصبان   فطوراً أقول وطوراً هوهْ (٣)

وكانوا يزعمون أن اسم شيطان الاعشى (مسحل) واسم شيطان المخبل

---

(١) النكس : عود المريض بعد النقه (٢) ترعرع : قارب الحلم ، وفينا أى بيننا ، وادخل فى (هوه) هاء السكت كما فى قوله تعالى (ماهيه . وماليه . وسلطانيه) (٣) الشيصبان : قبيلة من الجن على زعمهم

(عمرو) قال الاعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له ‌‌ جُهنام جَدْعاً للهجين المذمم (١)

وقال آخر :

لقد كان جنى الفرزدق قدوة ‌‌ ولا كان فينا مثل فحل (المخبّل)

ولا فى القوافى مثل (عمرو) وشيخه ‌‌ ولا بعد عمرو شاعر مثل (مسحل)

وقال أبو النجم

إنى وكلّ شاعرٍ من البَشَرْ ‌‌ شيطانُهُ انثى وشيطانى ذَكَرْ

وفى كتاب (آكام المرجان) ماحاصله : يقال للشعراء كلاب الجن . قال عمرو ابن كلثوم فى معلقته :

وانزلنا البيوت بذى طُلوح ‌‌ الى الشامات ننفى الموعدينا

وقد هرَّتْ (كلابُ الجن) منا ‌‌ وشذبنا قتادة من يلينا (٢)

يقول انزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذى طلوح الى الشامات ننفى من هذه الأماكن اعداءنا الذين كانوا يوعدوننا وقد لبسنا الأسلحة حتى شرعت الشعراء يذكروننا وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من اعدائنا وذلك لزعمهم أن الشياطين تلقى الشعر على أفواههم وسموا الملقى تابعاً ورئيّاً قال جرير « إنى ليلقى علىّ الشعر مكتهل . من الشياطين » البيت . ووسموا توابعهم بأعلام قالوا كان للأعشى مسحل ولفرر بن قطن جهنام ولبشار سنقناق ويقال للخلعاء والمجان جند إبليس . قال الشاعر :

وكنتُ فتى من جندِ إبليسَ فارتقتْ ‌‌ بِىَ الحالُ حتى صار إبليس من جندى

ويقال للشعر رقى الشياطين . قال جرير :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ‌‌ وقد كان شيطانى من الجن راقيا

وكذلك كلمات الخلابة (٣) ونحوها . قال الشاعر :

---

(١) جهنام بضم الجيم والهاء تابعة الاعشى أى شيطانه ، والهجين : اللئيم ، والجدع : القطع

(٢) وفى رواية كلاب الحى بدل كلاب الجن وعلى هذه الرواية فلا شاهد فيه (٣) الخداع

ماذا يظن بسلمى إذ يُلِمُّ بها ... مرجّل الرأس ذو بُرْدين أوصاح[1]
خزٌّ عمامته حلوٌ فكاهته ... في كفه من رقى الشيطان مفتاح

انتهى بزيادة بعض توضيح . وكثير من شعر العرب يدل على هذا المذهب وفيه حكايات عجيبة ذكرها الثقات من رواة الأخبار .

قصة عجيبة وفيها ذكر مسحل هاجس الاعشى

روى أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني بسنده قال : حدث جرير بن عبد الله البجلي الصحابي قال : سافرت في الجاهلية فاقبلت ليلة على بعيري أريد أن أسقيه ماء فلما قربته من الماء فاذا قوم مشوهون عند الماء فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا : هـذا شاعر . ثم قالوا : ياأبا فلان أنشد هذا فانه ضعيف . فانشد :

ودّع هريرة إن الركب مرتحلُ ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ ؟

فوالله ماخرم منها بيتاً حتى أتى على آخرها . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا أقولها ؛ قلت : لولا ماتقول لاخبرتك أن أعشى قيس بن ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران ؛ قال: انك صادق أنا الذى ألقيتها على لسانه وأنا (مسحل) ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس . وروى صاحب الاغاني أيضاً بسنده عن الاعشى قال : حدث الاعشى عن نفسه قال : خرجت أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت فضللت في أوائل أرض اليمن لاني لم أكن سلكت ذلك الطريق قبل فاصابني مطر فرميت ببصري أطلب مكاناً ألجأ اليـه فوقعت عيني على خباء من شعر فقصدت واذا أنا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد عليّ السلام وادخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلي وجلست . فقال : من أنت ؟ وأين تقصد ؟ قلت : أنا الاعشى أقصد قيس بن معد يكرب . فقال :

---

(١) يلم بها أي يجتمع ، ومرجل الرأس مسرح الرأس وممشطه

حياك الله أظنك امتدحته بشعر ، قلت : نعم . قال : فانشدنيـه فابتدأت مطلع القصيدة :

رحلت سميةُ غدوة اجمالها غضباً عليك فما تقول بدالها

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم قال : من سمية التي تنسب بها ؟ قلت : لاأعرفها وانما هو اسم القي في روعي . فنادى : ياسمية اخرجي ،واذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت : ماتريد ياأبت ؟ قال : انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معديكرب ونسبت بك في أولها فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً فلما أتمتها قال انصرفي . ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر يكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني وهجوته فأفحمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ قال : قلت

ودّع هريرة ان الركب مرتحلُ وهل تُطيق وداعاً أيها الرجل

فلما أنشدته البيت الاول قال : حسبك ، من هريرة هذه التي نسبت فيها قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها . فنادى : ياهريرة فاذا جارية قريبةالسن من الاولى خرجت . فقال : انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد ابن مسهر فانشدتها من أولها الى آخرها لم تخرم منها حرفاً - فَسُقِطَ في يدي وتحيرت وتغشتني رعدة . فلما رأى ما نزل بي قال : ليفرخ روعك ياأبا بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثة الذي أُلقي على لسانك الشعر فسكنت نفسي ورجعت اليّ وسكن المطر فدلّني على الطريق وأراني سمت مقصدي وقال : لاتعج يميناً ولا شمالا حتى تقع ببلاد قيس . وروى صاحب الاغاني أيضاً ، أن الاعشى قال هـذه القصيـدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشيباني . قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كهف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة يقال له ضبيع قتل رجلا من بني همام يقال له زاهر بن سيار بن أسعد بن

همام وكان ضبيع مطروفاً ضعيف العقل فنهاهم يزيد بن مسهر وهو من بنى ثعلب ابن أسعد بن همام أن يقتلوا ضبيعا بزاهر وقال: اقتلوا به سيداً من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة فخص بنى سيار بن أسعد على ذلك وأمرهم به فبلغ بنى قيس ما قاله فقال الأعشى هذه القصيدة فى ذلك يأمره أن يدع بنى سيار وبنى كهف ولا يعين بنى سيار فانه ان أعانهم أعانت قبائل بنى قيس بنى كهف وحذره أن يلقى بنو سيار منهم ما قالوا يوم العين عين محلم بهجر . وكان من حديث ذلك اليوم كما زعم عمر بن هلال أحد بنى سعد بن قيس بن ثعلبة ان يزيد بن مسهر كان خالع أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة فلما خلع يزيد بن مسهر اصرم من ماله خالعه على أن يرهنه بنيه أقلب وشهابا أبنى أصرم وأمهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس وان يزيد قمر أصرم فطلب اليه أن يدفع اليه أبنيه رهينة فأبت أمهما ذلك فنادت قومها فحضر الناس واشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها ودافع قومها عنهما وعنها . فذلك قول الاعشى :

نحن الفوارس يوم العين ضاحية جنبي فطيمة لا ميلٌ ولا عزُلَ (١)

قال: فانهزم بنو سيار فحذر الاعشى يزيد بن مسهر مثل تلك الحالة قال أبو عبيدة وذكر عامر ومسمع عن قتادة الفقيه أن رجلين من بنى مروان تنازعا فى هذا الحديث فجردوا رسولاً فى ذلك الى العراق حتى قدم الكوفة فأخبر أن فطيمة من بنى سعد بن قيس وإنها كانت عند رجل من بنى سيار وله امرأة غيرها من قومه فتعايرتا فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة فاهتاج الحيان فاقتتلوا فهزمت بنو سيار يومئذ

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث

وفيه تتمة البحث مما كان يعتقده بعض العرب من النكت

(١) الميل جمع أميل وهو يميل على السرج فى جانب ومن لا ترس معه ولا سيف آ ولا رمح والجبان، والعزل جمع اعزل وهو الذى لا سلاح معه ...

أنظر الفهارس

ثلاثة فهارس

الفهرس الأول — فى موضوعات الكتاب

الفهرس الثانى — فى أسماء الرجال والنساء

الفهرس الثالث — فى أسماء البلدان والقبائل

عنى بجمعها وترتيبها

محمد جمال

صاحب المكتبة الاهلية — بمصر

الفهرس الاول

فى موضوعات الكتاب

﴿ انظر الفهرس الثانى ﴾

الفهرس الثانى

في أسماء الرجال والنساء

ل

م

الفهرس الثالث

في أسماء البلدان والقبائل



تمت الفهارس الثلاثة

